

قوت الأحياء
من كتاب الإحياء
ويسمى جنة المعارف، أو روح الإحياء، أو إحياء الإحياء
وهو أحسن مختصر لإحياء علوم الدين للإمام الغزالي
تأليف العالم الصالح العارف بالله
شمس الدين محمد بن علي بن جعفر العجلوني
ثم القاهري الشافعي الشهير بالبلالي
المتوفى سنة ٨٢٠هـ
ينشر لأول مرة
حققه عن سبع نسخ خطية
محمد مصعب كلثوم
دار الفتح
للدراسات والنشر


قوت الأحياء
من كتاب الإحياء

بيانات الإيداع في دائرة المكتبة الوطنية بالمملكة الأردنية الهاشمية

البلالي، شمس الدين محمد بن علي بن جعفر.

قوت الأحياء من كتاب الإحياء/ شمس الدين محمد بن علي بن جعفر البلالي؛ تحقيق: محمد مصعب كلثوم، عمّان، دار الفتح للدراسات والنشر، ٢٠٢١م.

٥٠٤ ص، قياس القطع: ١٧×٢٤ سم.

الواصفات: العبادات/ الأخلاق الإسلامية/ التربية الإسلامية/ العلوم الإسلامية.

التصنيف العشري (ديوي): ٢١٠,٧

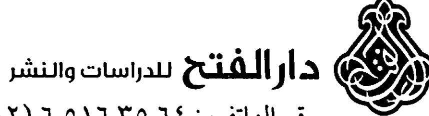
رقم الإيداع لدى دائرة المكتبة الوطنية: (٦٩٨٥/ ١٢/ ٢٠٢١)

الرقم المعياري الدولي (ISBN): ٩٧٨-٩٩٥٧-٢٣-٦٠٤-٥



الطبعة الأولى

١٤٤٣هـ = ٢٠٢٢م



دار الفتح للدراسات والنشر

رقم الهاتف: ٦٤ ٣٥ ٥١٦ ٦ (٠٠٩٦٢)

رقم الجوال: ٤٦٧ ٩٢٥ ٧٧٧ (٠٠٩٦٢)

ص.ب: ١٩١٦٣ عمّان ١١١٩٦ الأردن

البريد الإلكتروني: info@daralfath.com

الموقع الإلكتروني: www.daralfath.com



وَيُسَمَّى جَنَّةَ المعَارِف، أَوْ رُوح الإحْيَاء، أَوْ إحْيَاءِ الإحْيَاء
وَهُوَ أَحْسَنُ مُخْتَصَرٍ لِإحْيَاءِ عُلُومِ الدِّينِ لِلإمَامِ الغَزَالِيِّ

تَأْلِيفُ العَالِمِ الصَّالِحِ العَارِفِ بِاللهِ
شَمْسِ الدِّينِ مُحَمَّدِ بْنِ عَلِيِّ بْنِ جَعْفَرٍ العَجْلُونِيِّ
ثُمَّ القَاهِرِيِّ الشَّافِعِيِّ الشَّهِيرِ بِالبِلَالِيِّ
المُتَوَفَّى سَنَة ٨٢٠ هـ

يُنْشَرُ لِأَوَّلِ مَرَّةٍ

حَقَّقَهُ عَنْ سَبْعِ نُسَخٍ خَطِّيَّةٍ
محمد مصعب كلثوم



دار الفتح
للدراسات والنشر

بسم الله الرحمن الرحيم

قالوا عن الكاتب والكتاب

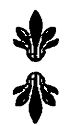
«لازمَ النظرَ في كتاب «إحياء علوم الدين» وصارتْ لهُ به مَلَكَةٌ، واختصرَهُ اختصارًا حسنًا جدًّا، بحيثُ صار يُعدّ من المُختصراتِ الجامعة».

الحافظ ابن حجر، «المعجم المؤسس» ٣: ٣٣٤

«صنَّف «مختصر الإحياء» فأجادَ فيه، وطارَ اسمهُ في الآفاقِ ورُحِلَ إليه بسببِهِ».

الحافظ ابن حجر، «إنباء الغمر» ٣: ١٥١

«اختصرَهُ اختصارًا حسنًا جدًّا، وكانَ بالنّسبة لأصلهِ كـ«الحاوي» مع «الرّافِعيّ»، وانتفعَ به النّاس وأقبلوا على تحصيلهِ سيَّما المغاربة، وقُرِئ عليه غيرَ مرَّةٍ وربما استكثرَ عليهِ».




الحافظ السخاوي، «الضوء اللامع» ٨: ١٧٨

«صارتْ لهُ بـ«إحياء علوم الدين» مَلَكةٌ، واختصرهُ اختصارًا حَسنًا».

الحافظ السيوطي، «حسن المحاضرة» ١: ٤٣٤

«صنَّف «مختصر الإحياء» فأجاد فيه، وطار اسمُه في الآفاق، ورُحِلَ إليهِ بسببِهِ».

ابن العماد الحنبلي، «شذرات الذهب» ٧: ١٤٦

«لـ«الإحياء» مختصراتٌ، أحسنُها وأجودُها مختصرُ البِلاليّ».

حاجي خليفة، «كشف الظنون» ١: ٢٤

بين يدي الكتاب

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

رب زدني علماً

الحمدُ لله الذي أحيا قلوبَ عبادِه، فأرسلَ لهم رُسلَه وختمَهُم بخيرِ أنبيائه، وأنزلَ عليه كتابَه، الذي لا يأتيه الباطلُ من بين يديهِ ولا من خلفهِ، لا تنقضي عجائبُه ولا تتناهى غرائبُه، ولا يُخلِقُه عند أهل التلاوة كثرةُ تلاوته، أمرَ بمكارم الأخلاقِ عبادَه، وفوَّضَ تحسينَ الأخلاقِ إلى اجتهادِ العبد وتشميره، واستحثَّه على تهذيبها بتخويفهِ وتحذيره، وسهَّل على خواصِّ عبادهِ تهذيبَ الأخلاقِ بتوفيقه وتيسيره، وامتنَّ عليهم بتسهيلِ صعبهِ وعسيرهِ، والصَّلاةُ والسَّلامُ على سيِّدنا محمَّدٍ نبيِّه وحبيبهِ وصفيِّهِ وبشيرهِ ونذيرهِ، الذي كان يلوحُ أنوارُ النبوَّة من بين أساريره، ويستشرفُ حقيقة الحقِّ من مخايلهِ وتباشيرهِ، وعلى آلهِ وأصحابهِ سادةِ الخلقِ وأئمتِه وقادةِ الحقِّ وأزمَّتهِ.

أما بعدُ،

فلما كانت علومُ الدين قد اندرست، وقلوبُ العباد قد انطمست، ومكارمُ الأخلاق قد انفقدت أو قلَّتْ؛ جعل الله في كل عصرٍ مَن يجدّد أمر هذا الدين، فيُحيي العلوم، ويروي القلوب؛ فالعلماء ورثة الأنبياء، ومن العلماء المجددين حجَّة الإسلام والمسلمين الإمامُ الغزالي رحمه الله تعالى، الذي صنَّف المصنفاتِ، ومِن أبدعها وأجمعها كتابُه «إحياء علوم الدين»، الذي طار صيته في الآفاق، وما ذاك

إلا لصدق وإخلاصِ مؤلفه رحمه الله؛ فكتب الله له القبول بين الداني والقاصي والعامّ والخاصّ، وكما قالوا: لو لم يكن للإمام الغزاليّ إلا «الإحياءُ» لكفاه. ثم عكف الناس على قراءته وشرحه، حتى وجد بعض العلماء الربانيين الحاجة ماسّةً لاختصاره؛ لعزَّة الوقت وكثرة الأشغال وقِلَّة الهِمَم، حتى يبقى النفعُ والإصلاح في المجتمعات، ولا ينقطعَ العلمُ والتبليغ والتربية والتزكية، فوُلِد هذا المختصرُ المبارك على يدي الشّيخِ الصّالح العارف بالله المحدّثِ شمسِ الدّين البلاليّ رحمه الله، الذي اختصرَ به «الإحياء» في نحوِ نصفِ عُشر حَجمه، ولا يَقدِرُ على اختصار وتهذيب أمثال هذه الكتب إلا مَن أعطاه الله العونَ والمدد والتوفيق.

وقد أسَّس المؤلِّفُ هذا الكتاب على أربعةِ أرباعٍ كأصله «الإحياء»، وهي: رُبُع العبادات، وربع العادات، وربع المهلكات، وربع المنجيات.

فأما ربعُ العبادات، فذَكر فيه العباداتِ وخفاياها وآدابَها ودقائق سُننِها وأسرارَ معانيها.

وأما ربعُ العادات، فذكر فيه أسرارَ المعاملات الجاريةِ بين الخلق وأغوارَها ودقائقَ سننها، وهي مما لا يستغني عنها أحدٌ.

وأما ربعُ المهلكات، فذكر فيه كلَّ خُلُقٍ مذموم وتزكيةَ النفس عنه وتطهيرَ القلب منه، وطرقَ المعالجة التي بها منها يتخلص، كلُّ ذلك مقرونٌ بشواهد الآيات والأخبار والآثار.

وأما ربعُ المنجيات، فذكر فيه كلَّ خُلق محمود وخَصلة مرغوبٍ فيها من خصال المقرّبين والصِّدّيقين التي بها يتقرب العبد من رب العالمين، مع بيان حدّها وحقيقتها وسببِها الذي به تُجتلب، وثمرتِها التي منها تُستفاد، وعلامتِها التي بها تُتعرَّف، وفضيلتِها التي لأجلها فيها يُرغب، مع ما ورد فيها من شواهدِ الشرع والعقل.

وقد قدَّم بمقدمة هامة مختصرة، حوَت عوائق وعقباتِ طريق المؤمنين، وختمها بآداب الصحبة، وآداب المعلمين والمتعلمين، وقد اختصرها وهذَّبها من كتاب الإمام الغزالي رحمه الله «منهاج العابدين إلى جنة رب العالمين»، كما ظهر لي خلال عملي وتحقيقي لهذا الكتاب النافع. وكتابُ «منهاج العابدين» ألفه الإمام حجّة الإسلام الغزاليُّ رحمه الله بعد أن ألَّفَ كتابه «الإحياء»، لمّا اعتاص فهمُه على بعض العامّة، فقدحوا فيه، وخاضوا فيما لا يحسنونه منها، فالتجأ إلى الله العليِّ الوهّابِ أن يصنّف كتابًا يقع عليه الإجماع ويحصُل به الانتفاع.

فجمع هذا المختصرُ الذي بين يديك كتابين عزيزين: كتابَ «الإحياء» و«منهاج العابدين إلى جنة رب العالمين». وقد سمّاه مؤلفه جنَّة المعارف، أو قوت الأحياء، أو روح الإحياء؛ أو حياة الإحياء، أحيا الله به قلوبنا وأرواحنا بمنِّه وكرمه.

وما أكثرَ أمراضَ القلوب في هذا الزمان! وهذا الكتاب كأصله عالج هذه الأمراض الفتّاكةَ والخبيثة، وكما قال الإمام الغزالي رحمه الله: العناية بضبط قوانين العلاج لأمراض القلوب، وفي مرضها فوتُ حياة باقية أولى، وهذا النوعُ من الطّبِّ واجبٌ تعلُّمُه على كلِّ ذي لُبٍ؛ إذ لا يخلو قلبٌ من القلوب عن أسقام، لو أُهملت تراكمت وترادفت العللُ وتظاهرت، فيحتاج العبدُ إلى تأنُّقٍ في معرفة علمها وأسبابها ثم إلى تشمير في علاجها وإصلاحها؛ فمعالجتُها هي المراد بقوله تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا﴾ [الشمس: ٩]، وإهمالُها هو المرادُ بقوله: ﴿وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا﴾ [الشمس: ١٠].

وقد وفَّقني الله تعالى للوقوف على هذا المختصر، فوجدتُ عبارتَه رشيقة وأسلوبه ماتعًا جامعًا؛ فعجبت كلَّ العَجبِ لعدم طبع هذا الكتاب لهذا الوقت، فاستخرتُ الله وتوكلتُ عليه وبدأتُ العمل به، وقد بذلت الجهد وصرفت الوسع في إخراجه على هذه الصورة من مقابلة وتصحيح وتخريج وتحقيق مع كثرة الأشغال

وانشغال البال، والبُعدِ عن الوطن والأهل والخلّان، وضيق الوقت وتوالي الهموم، وترادفِ القواطع، وتتابعِ الموانع، وانتشار البلاء والوباء في البلدان، ولكنّ الله تعالى حفظنا منه ببركة خدمة هذا الكتاب؛ فاللهم كما أنعمت فتمّم، وارحم اللهم كل حبيب وصديق وغالٍ افتقدناه في هذا البلاء الذي عمّ البلاد، واحفظنا واحفظ بلادنا وبلاد المسلمين من كل بلاء وغلاء ومن تسلط الأعداء.

ولا بد أن أتوجه بالشكر لدار الفتح العامرة؛ وصاحبها الأخ الفاضل الدكتور إياد أحمد الغوج حفظه الله، وكلّ العاملين معه، لرغبتهم الحثيثة في نشر هذا الكتاب، ليكون ثمرةً من ثمراتهم النافعة، وزهرةً من جملة زهراتهم التي نشروها في أرجاء المعمورة؛ فقد قدّموا لي ما صعُبَ عليّ الوصولُ إليه من مخطوطات متمة مُتمّمة لهذا الكتاب؛ رغبةً في إخراج هذا الكتاب بأبهى حُلّة وأبهج صورة.

وأتضرع إلى الله سبحانه وتعالى وأسأله من فضله العميم، متوسلًا بنبيه الكريم، أن ينفع به كما نفع بأصله الخاصَّ والعامَّ، وأن يجعل هذا العمل خالصًا لوجهه الكريم وسببًا للفوز بجنات النعيم، وأن يتفضل علينا بالسّعادة التي لا يلحقها زوال، وأن يُذيقنا لذة الوصال بمشاهدة الكبير المتعال، والصّلاةُ والسّلامُ على الواسطة العُظمى لنا في كل نعمة، وعلى آله وأصحابه كلّما ذكره الذاكرونَ وغفلَ عن ذكرهِ الغافلونَ. رب اغفر لي ولوالدي وأولادي ومشايخي ولمن علّمني وأحبني وللمؤمنين والمؤمنات، وآخرُ دعوانا أن الحمدُ لله ربِّ العالمين.

وكتبه
أفقر الورى
محمد مصعب كلثوم
الدمشقي مولدًا الإصطنبولي مهاجرًا

ضحى يوم السبت الخامس
من شهر رمضان المكرم ١٤٤٢ هجرية
الموافق للسابع عشر من نيسان ٢٠٢١م

منهج التحقيق والخدمة لهذا الكتاب

- قُمت بنسخ الكتابِ من النسخة التي وقفت عليها أولًا، ثم عارضته بها، ثم وجدتُ في النسخة بعضَ التصحيفات وبعضَ الكلمات التي أثّرت فيها الرطوبة، فبدأت بالبحث عن نسخ أخرى، فوقفتُ على ثلاث نسخ أخرى، فقابلت بها مرةً أخرى، وبعد أن أوشكتُ على نهاية العمل، قدّم لي الأخُ الناشر الدكتورُ إيادُ الغوجِ حفظه الله صاحبُ دار الفتح ثلاث نسخ أخرى قدَّمها لي تِباعًا، بعد أن سعى في تأمينها جزاه الله خيرًا، فعارضتها وقابلتها مرَّةً أخرى عليها، وقد أثبتُّ في الهامش الفروقَ التي تحتمل معنًى أو وجهًا ولو ضعيفًا، أو لها معنًى لكن لم يتضح لي، ولم أشر للفروق التي ليست بذات الأهمية، وقد أثبتُّ الحواشيَ والتعليقاتِ والبلاغاتِ الموجودةَ في هوامش النسخ، نظرًا لأهمّية مقابلة الكتاب وقراءتِه على الأصل المنقول منه.

- زيَّنتُ الكتاب وقرَّبتُه قدرَ المستطاع، بالضبط المناسب الذي يُزيلُ الإلباس عن الكلماتِ المُشكلةِ، لتيسير قراءته على الطلبة، مع التنبيه على أني أحيانًا أثبتُّ ما وقفت عليه من ضبط في بعض النسخ، وقد وافق بعضُها الصوابَ وبعضُها جانَبَه.

- حصرتُ الآياتِ الكريمةَ بقوسين مزهَّرين، وجعلتُها برسم المصحف العثماني، من رواية حفص عن عاصم، مع ذكر السورة ورقم الآية بالمتن.

- رصَّعتُ الكتاب بعلامات الترقيم المناسبة، واجتهدتُ فيها أن أيسِّر الكتاب وأقرِّب عبارته.

- خرَّجتُ الأحاديث النبويةَ الشريفةَ التي أوردها المصنفُ رحمه الله، **مع ضبطها الضبطَ الكامل**، وغالِبُ الأحاديث التي ذكرها المؤلف صحيحةٌ وحسنةٌ، مع الإشارة

والتنبيه على الأحاديثِ غير الصحيحة؛ مُعتمدًا على كلام أهل هذا الفنّ.

- شرحتُ الكلماتِ الغريبةَ التي تحتاج إلى شرح وبيان.

- قدّمتُ ترجمةً وافية لحياة المؤلف رحمه الله تعالى.

- بيَّنتُ سبب التأليف، والدافعَ الذي دفع المؤلفَ إلى اختصاره لهذا الكتاب، ومِيزةَ هذا المختصَر.

- وثَّقتُ نسبةَ الكتاب إلى مؤلفه، وتسميتَه.

- قمتُ بتتبُّع مصنفات العلماء التي نقلت عن هذا الكتاب، وذكرتُ نصّ عبارتهم.

- ترجمتُ للأعلام الواردين ترجمةً موجزةً وافية.

- أحلتُ النصوصَ والأقوال والمسائلَ الفقهيةَ التي أوردها المصنف إلى مصادرها.

- علَّقتُ على بعض المسائل التي تحتاج إلى تبيين أو تقييد أو إيضاح.

- أثبتُّ عناوين وتراجم للفصول التي أوردها المؤلف رحمه الله تعالى؛ تسهيلًا للمواضيع التي تطرَّق إليها وجعلتُها بين معكوفتين.

* * *

توثيق نسبة الكتاب للمؤلف، وتسميته

نستطيع الجزم بأن هذا الكتاب هو من تأليف الشيخ العارف بالله شمسِ الدِّين البِلاليِّ رحمه الله؛ وذلك لعدة أمور منها:

- ذِكْرُ عدد من العلماءِ هذا الكتاب ضمن مصنفات الشيخ البلاليِّ رحمه الله، وأثنَوا عليه الثناء الحسن.

- ذِكْرُ المؤلفِ ضمن هذا المختصر مصنَّفًا من مصنَّفاته؛ كـ«اللوامع تجريد الجوامع».

- ذِكْرُ المؤلف رحمه الله تعالى في مقدمته شيخَه الذي استمدَّ منه التأليف عند قوله: (بالبركات المَوْصِلِيّة)، وهو الشيخ أبو بكر المَوْصِليُّ رحمه الله وستأتي ترجمته، وهو الذي سلك على يديه طريق التصوف.

- نَقْلُ كثير من العلماءِ في مصنفاتهم عن هذا الكتاب، وقد عقدتُ له فصلًا سيأتي إن شاء الله.

- قراءة الشيخ هذا الكتاب في مجالس عدةٍ، بل شدُّ الرحال إليه من أجل روايته عنه. وممن نصَّ على قرائته وروايته عنه:

١ . أبو زيد عبد الرحمن بنُ محمدِ بنِ مخلوفِ الثّعالبيُّ المتوفى سنة (٨٧٥هـ) صاحبُ التفسير، المسمى بـ: «الجواهر الحسان في تفسير القرآن»[1]، فإنه قال رحمه الله: وهذا الشيخ البِلاليُّ لقيتُهُ ورويتُ عنه كتابَهُ هذا.

---

(١) الجواهر الحسان في تفسير القرآن (١: ٣٧٩).

٢. وأبو بكر بنْ عليّ الدمشقيّ الشافعيّ، خالُ القطب الخيضري؛ فإنه قرأ «مختصر الإحياء» على المؤلف رحمه الله؛ كما ذكر ذلك العلامةُ الحافظ شمس الدين السخاوي[١].

- ومنها أنه جاء على عدة نسخ للكتاب اعتمدتُ عليها: أنها قوبلت وقُرئت على نسخةٍ عليها خطُّ المؤلِّف وقرئت عليه مرارًا، وهي منسوخة في حياته.

أضف إلى ذلك: انتشار الكتاب في عدة بلدان، وخاصة في المغرب. فقد ذكر الإمام السيوطي رحمه الله في «قوت المغتذي»: وذكر بعض المتأخرين - وهو الشمس البلاليّ في «مختصر الإحياء» - أنه يتأكد أضحيتُه عن رسول الله ﷺ. وقد أشكل ذلك على أهل المغرب فأرسلوا إليّ فيه سؤالًا من تونس، في سنة ثلاث وتسعمئة، فكتبت لهم عليه جوابًا مطولًا وأرسلته إليهم، وجاءني في هذا العام - عام أربع وتسعِمئة - كتابٌ من عندهم يذكرون أنه قد زال عنهم الإشكال بما كتبتُه إليهم، ويلهجون بالدعاء لي، والجواب المذكور مودعٌ في «الفتاوى»[٢].

وقد نصَّ على اسمه ولقبه الإمام العلامة عليُّ بنْ عطيةَ المشهورْ بالشيخ علوانَ المتوفى سنة (٩٣٦هـ) في كتابه «نسمات الأسحار في مناقب وكرامات الأولياء الأخيار»؛ فإنه قال رحمه الله: ومعنى الموت كما ذكره البلاليّ في كتابه «جنة المعارف»، الملقب بـ«روح الإحياء» فقال: بقاءُ الروح مجردةً عن البدن في عالم آخر، وبه تتم نعمة الله ويُكشف للميت ما يضره وينفعه[٣].

- ذِكْرُ علماءِ فهارس المصنفات والكتبِ هذا الكتابَ ضمن مؤلفاتِ العلّامةِ الشمس البلاليّ رحمه الله.

---

(١) الضوء اللامع لأهل القرن التاسع (١١: ٥٧).

(٢) قوت المغتذي على جامع الترمذي (١: ٣٩٣).

(٣) نسمات الأسحار في مناقب وكرامات الأولياء الأخيار (ص١٥٧).

أما بالنسبة لاسم هذا الكتاب؛ فقد ظهر لي خلال عملي فيه ما يلي:

أولًا: إنَّ المؤلف رحمه الله تعالى لم ينصَّ على تسمية كتابه في مقدمته، لكنّ كلَّ من ترجم له ذكر أنه اختصر الإحياء لحجة الإسلام الغزاليِّ رحمه الله، وهذا مما اتفق عليه كلُّ من ترجم له.

ثانيًا: تعددت أسماء هذا الكتاب، فمن خلال كتب التراجم وفهارس المخطوطات والكتب: وقفت على عدة عناوين، وهي:

ـ **مختصر إحياء علوم الدين.** كما جاء ذلك على غلاف إحدى نسخنا التي اعتمدناها ورمزنا لها بـ(أ).

ـ **مختصر الإحياء.** وقد جاء هذا العنوان في كتب التراجم. نصَّ على ذكره كلٌّ من ابن حجرٍ العسقلاني؛ فإنه قال رحمه الله: (صنَّف «مختصر الإحياء» فأجادَ فيه، وطارَ اسمهُ في الآفاقِ ورَحَلَ بسببهِ)[١]. وكذا الشيخ ابن العماد الحنبليُّ، فقال: (صنَّف «مختصر الإحياء» فأجاد فيه، وطار اسمُه في الآفاق ورُحِلَ إليه بسببه)[٢]. وكذا الحافظ السخاوي رحمه الله؛ فإنه قال في ترجمة أبي بكر بنِ عليِّ الدمشقيِّ الشافعي رحمه الله: إنه قرأ «مختصر الإحياء» على المؤلف رحمه الله[٣]. وكذا الحافظ السيوطي رحمه الله؛ فإنه قال: (وذكر بعض المتأخرين وهو الشمس البلالي في «مختصر الإحياء»...)[٤]. وكذا جاء على هامش نسخة زبيد المرموز لها بـ(هـ): «مختصر الإحياء» للبلالي رضي الله عنه.

---

(١) إنباء الغمر (٣: ١٥١).

(٢) شذرات الذهب (٧: ١٤٦).

(٣) الضوء اللامع لأهل القرن التاسع (١١: ٥٧).

(٤) قوت المغتذي على جامع الترمذي (١: ٣٩٣).

ـ **روح الإحياء**. وقد ذكر هذا العنوانَ العلّامةُ عليُّ بنْ عطيّة المشهورْ بالشيخ علوانَ المتوفى سنة (٩٦٣هـ) في كتابه «نسمات الأسحار في مناقب وكرامات الأولياء الأخيار»؛ فإنه قال رحمه الله: ومعنى الموت كما ذكره البلالي في كتابه «جنة المعارف»، الملقب بـ«روح الإحياء»[١]. ومن خلال هذا النصّ يتبين لنا أن هذا الاسمَ هو لقب للكتاب.

ـ **اختصار الإحياء**. وقد ذكره بهذا الاسم أبو زيدٍ عبدُ الرحمن الثعالبيُّ المتوفى سنة (٨٧٥هـ) صاحبُ تفسير «الجواهر الحسان في تفسير القرآن»؛ فإنه قال: ثم رحلت للمشرق، وسمعت البخاريّ بمصر على البلالي، وكثيرًا من «اختصار الإحياء» له[٢]. وكذا ذكر هذا الاسمَ شهابُ الدين أبو العباس الفاسيُّ، المعروف بزرُّوقٍ المتوفى سنة (٨٩٩هـ)، وقد نقل عنه في «شرحه على متن الرسالة» لابن أبي زيد القيرواني أكثرَ من عشرة مواضع، قال في أحدها: نعم رأيت لسيدي أبي عبد الله البِلالي في «اختصار الإحياء»[٣]. وكذا ذكره بهذا الاسم شمسُ الدين أبو عبد الله الطرابلسيُّ المغربي، المعروف بالحطاب الرُّعيني المتوفى سنة (٩٥٤هـ)؛ فإنه قال: نعم رأيت لسيدي أبي عبد الله البلالي في «اختصار الإحياء»... إلى آخر كلامه[٤]. وكذا ذكره العلامة زين الدين الملطيّ القاهريُّ الحنفيّ؛ فإنه قال في ترجمة المؤلف: وصنَّف «اختصار الإحياء»، وغير ذلك[٥]. وكذا جاء هذا العنوان على هامش أول ورقة من نسخة نادي تيشيت للمخطوطات، مكتبة آل الإمام رقم

(١) نسمات الأسحار في مناقب وكرامات الأولياء الأخيار (ص١٥٧).
(٢) الجواهر الحسان في تفسير القرآن (١: ٣٧٩).
(٣) شرح زروق على متن الرسالة (١: ٣١٤).
(٤) مواهب الجليل لشرح مختصر الخليل (٤: ١٦٤).
(٥) نيل الأمل في ذيل الدول (٣: ٣٣٢).

(٥٨)، وهي من مصورات مركز جمعة الماجد برقم (٥٤٩٨٩٤). يظهر فيها الاسم الأول: اختصار الإحياء للبلالي، ويسمى «جنة المعارف»، ويسمى: «حياة الأحياء».

ـ **قوت الأحياء من الإحياء، أو من كتاب الإحياء.** ذكره بهذا الاسم شهابُ الدين أحمدُ بن محمدِ بنِ أبى بكر بنِ عبد الملك القسطلانيُّ المصري المتوفى سنة (٩٢٣هـ)، وذلك في كتابه الماتع «إرشاد الساري»، نقل عن المؤلف البلالي رحمه الله أكثر من ستة مواضع، كما ستأتي معنا في (عزو العلماء والمؤلفين إلى هذا المختصر)، وقد سمّاه: «قوت الأحياء»[1]. وكذا جاء هذا العنوان على غلاف نسخة صنعاء: «**قوتُ الأحياء المختصَر من كتاب الإحياء**». وكذا جاء هذا العنوان على غلاف نسخة شيخ الإسلام عارف حكمت رحمه الله: «**قوت الأحياء من كتاب الإحياء**». وكذا ذكره الأستاذُ عبد الله الحبشي في كتابه «جامع الشروح والحواشي»، وسماه: «قوت الأحياء من كتاب الإحياء»[2].

ـ **إحياء الإحياء.** وقد جاء هذا العنوان على هامش أول ورقة من نسخة نادي تيشيت للمخطوطات، مكتبة آل الإمام رقم (٥٨)، وهي من مصورات مركز جمعة الماجد برقم (٥٤٩٨٩٤). يظهر فيها الاسم الأول: اختصار الإحياء للبلالي، ويسمى: «جنة المعارف»، ويسمى: «حياة الأحياء».

ـ **جنة المعارف.** وقد جاء هذا العنوان على غلاف النسخة التي اعتمدتها وهي في حياة المؤلف، ومقابَلة على نسخة عليها خطُّه ومقروءةٌ عليه مرارًا، وكذا جاء على غلاف مخطوط نسخة نادي تيشيت للمخطوطات «مكتبة آل الإمام» (برقم ٥٨)

---

(١) إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري (١: ٦٢، ٢ : ٣٤٣، ٩: ٥١، ٩: ٦٤، ٩: ٧٢).

(٢) جامع الشروح والحواشي (١: ١١٥).

المحفوظة في مركز جمعة الماجد برقم (**٥٤٩٨٩٤**)، وستأتي صورها معنا، وكذا جاء هذا العنوان في «خزانة التراث فهرس المخطوطات» تحت رقم (**٥٢٥٥٤**). وكذا في فهرس المخطوطات العربية في مكتبة تشستربيتي (الرقم **٤٤٥٥**).

ثالثًا: لا غرابة في كثرة وتعدد هذه العناوين لكتاب لم ينصّ المؤلف على تسميته، وكثرةِ مَن شدَّ الرحال إلى مؤلفه من أجل أن يأخذ هذا الكتاب عنه. فكثرةُ الأسامي دليلٌ على عِظَم وقيمة هذا المختصر، والقارئ لهذا الكتاب سيعلم حقيقة هذا الكلام.

رابعًا: لما وقفت على النسخة المنسوخة في حياة المؤلف سنة (٨٠٧هـ) ـ أي: قبل وفاته بثلاثَ عشْرَةَ سنة ـ وقد قوبلت على نسخة عليها خطه وقرئت عليه مرارًا، جاء على غلافها اسم الكتاب وعنوانه كالتالي: «**جنة المعارف**»، ويسمى «**إحياء الإحياء**»، فرجحت هذا الاسم أولًا، لكن بالإضافة لكثرة العلماء ممّن سمّاه أو لقّبه «**روح الإحياء**»، وكذا «**قوت الأحياء من كتاب الإحياء**». اخترت هذا الأخير.

خامسًا: لا بد من الإشارة إلى أنّ الزِّركلي رحمه الله جعل الكتاب كتابين، فذكر أن للمؤلف «جنة المعارف»، و«مختصر الإحياء»[1]. وهما كتابٌ واحدٌ، والله أعلم.

❊ ❊ ❊

---

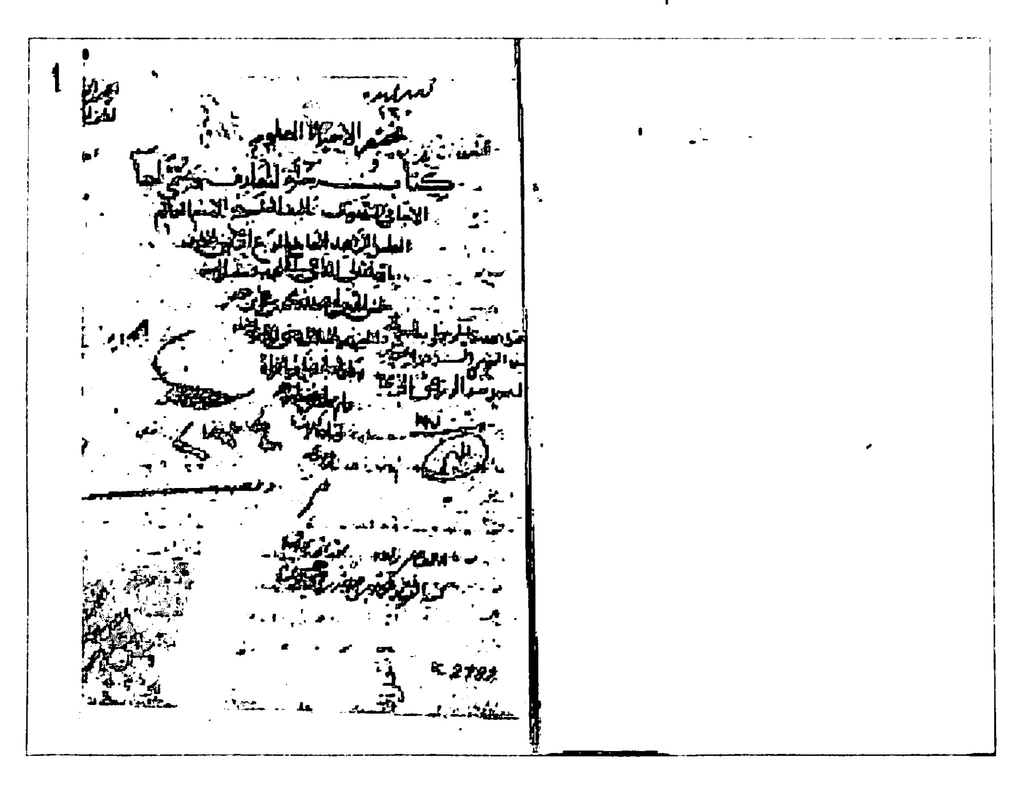
(١) الأعلام (٦: ٢٨٦- ٢٨٧).

صور عنوان الكتاب في المخطوطات

صورة لاسم الكتاب كما جاء في نسخة محمد الفاتح المرموز لها بـ(د)، وهي نسخة نسخت في حياة المؤلف، سنة: ٨٠٧هـ، أي: قبل وفاة المؤلف بثلاث عشرة سنة، وهي مقابلة على نسخة قُرئت وقُوبلت على المصنف رحمه الله تعالى.

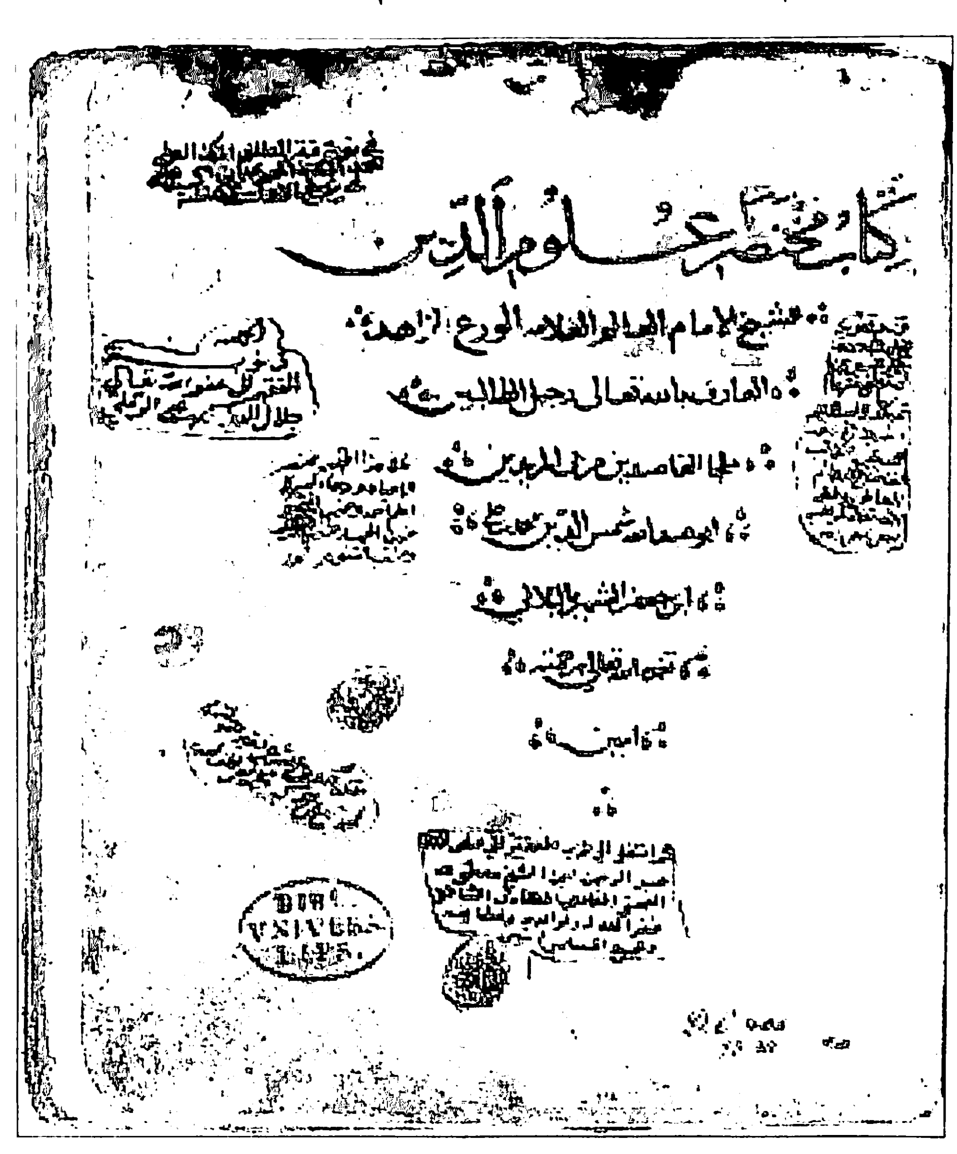
يظهر فيها اسم الكتاب: «جنة المعارف»، ويسمى: **«إحياء الإحياء»** في التصوف.

ويظهر فوق بقلم مغاير، ولعله من مفهرسي المكتبة، لعجمة في الكتابة حيث كتبوا: «مختصر الإحياء العلوم».



صورة لاسم الكتاب كما جاء على غلاف نسخة مكتبة جامعة لايبزيغ (leipzig)، وهي من مقتنيات مكتبة الرفاعية الدمشقية، المرموز لها بـ (أ).

يظهر فيها اسم الكتاب: «مختصر إحياء علوم الدين».



كتاب مختصر إحياء علوم الدين

* * *

صورة لاسم الكتاب في هامش أول ورقة من نسخة نادي تيشيت للمخطوطات «مكتبة آل الإمام» ٥٨، وهي من مصورات مركز جمعة الماجد برقم (٥٤٩٨٩٤).

يظهر فيها أسماء الكتاب: **اختصار الإحياء للبلالي، ويسمى «جنة المعارف»، ويسمى: «حياة الأحياء»**.

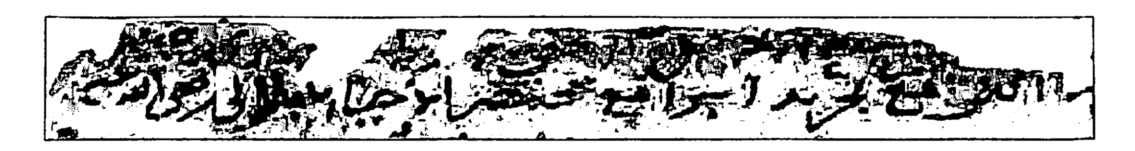


وقد قابلتُ أولها وآخرها على هذا الكتاب، إلا أني ما وجدت فيها تاريخ نسخ ولا ناسخ، فاستبعدتها، وفيها بياض في بعض الكلمات.

❊ ❊ ❊

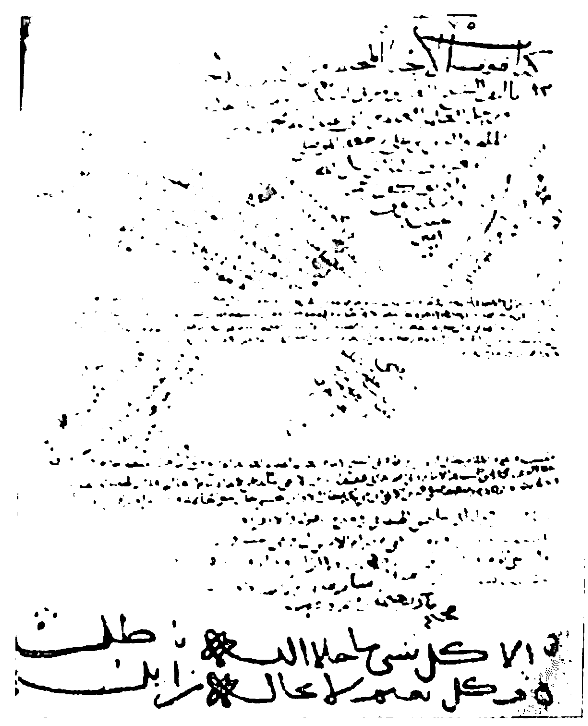
صورة لاسم الكتاب في هامش أول ورقة من نسخة زبيد.

يظهر فيها اسم الكتاب وكتابه الآخر: «اللوامع تجريد الجوامع»، «مختصر الإحياء» للبلالي رضي الله عنه.



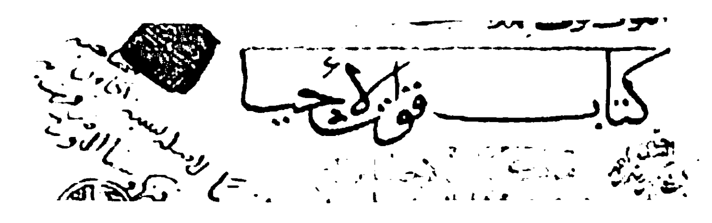
صورة لاسم الكتاب كما جاء على غلاف نسخة الجامع الكبير بصنعاء، المرموز لها بـ (و).

يظهر فيها اسم الكتاب: «**قوت الأحياء المختصر من كتاب الإحياء**».



صورة لاسم الكتاب كما جاء على غلاف نسخة الشيخ عارف حكمت رحمه الله، المرموز لها بـ (ز).

يظهر فيها اسم الكتاب: «**قوت الأحياء المختصر من كتاب الإحياء**».



* * *

سبب الاختصار والدافع إليه

إذا كان رومُ الاختصارِ فهكذا وإلا فتركُ الاختصارِ كمالُ

ذكر المؤلف البلاليُّ رحمه الله في مقدمة هذا المختصر السببَ الذي دفعه إلى اختصار «إحياء علوم الدين» لحجة الإسلام الغزالي رحمه الله، ولا شكَّ أن اختصار أمثال هذه الكتب يحتاج إلى ملكة علمية وتوفيق ربانيّ وإخلاص واستمداد.

وقد لازم الإمامُ البلاليُّ رحمه الله النظرَ في «إحياء علوم الدين» لحجة الإسلام الغزاليِّ رحمه الله حتى كاد أن يحفظه، كما ذكر من ترجم له، فشرع في اختصاره وتقريبه؛ وذلك لعدة أسباب ذكرها في مقدمته:

فقال رحمه الله تعالى: فالوقتُ عزيزٌ، والعُمرُ قصيرٌ، والعلمُ كثيرٌ، وغايتهُ العملُ، وكتابُ «الإحياء» نفيسٌ جدًّا، وعزّ على بعضهم حفظهُ ومُطالعتُهُ وحملُهُ وثمنُه... فاختصرتُهُ في نحو نصف عُشر حجمهِ لخفّة المؤونة؛ ليكون أصلُهُ كأكمل شرحٍ لمعانيه، وأضُمُّ إليه ما لا بُدّ منهُ إن شاء اللهُ تعالى.

فسهَّل الله له ذلك حتى جاء مع صغر حجمه وتقريب عبارته شاملًا لجميع مقاصدِ الأصلِ، وهو في الكتب بالنسبة إلى «الإحياء» كـ«الحاوي» بالنسبة لـ«الرافعي».

ولله درُّ القائل:

للهِ دَرُّكَ مِن قُوتٍ حكا نسبًا لأصله نسبة الحاوي لصاحبهِ

ومع زياداتِ علمٍ ثَمَّ جامعةٍ في فنِّها وسنا التوضيح فزت به

فلعزة الوقت وقصر العمر وكثرة العلم، ولأن كتاب «الإحياء» لحجة الإسلام الغزاليّ نفيسٌ جدًّا، فهو موسوعة إسلامية أخلاقية تربوية، فعزَّ على بعض الطلاب حفظُه وحملُه ومطالعته وثمنه، وكأن الشيخ رحمه الله ينظرُ إلى زماننا وحالنا؛ فهذه هي أسباب اختصاره لكتاب «الإحياء» أحيا الله به قلوبنا وعلومنا بمنّه وكرمه.

وكم في زماننا من أناس إذا نظروا إلى كتاب «الإحياء» استكثروه وتثاقلوه، وقالوا: كيف يمكننا أن نقرأ هذا الكتاب، وكيف لنا حمله، وكيف نقدِر على ثمنه؟!

فها هو ذا المختصر النافع الجامع المانع، الذي جمع ما لا بد منه لكل مسلم من تصحيح المعاملات والعبادات، وتهذيب الأخلاق، وتزكية القلوب، والتحذير من المهلكات، والحثّ على المنجيات. فرحم الله صاحب «الإحياء» ومُخْتَصِرَه، ونفعنا الله بهما بمنّه وكرمه آمين، ورحم الله عبدًا قال: آمينَ.

جزى اللهُ بالخيراتِ شيخًا محققًا ... عنيتُ البلاليَّ مرشدٌ في الحقيقةِ
مُلخِّصُ إحياءِ العلـومِ، فلفظهُ ... بليغٌ، وأمّا فـي المعاني فجمَّةِ

* * *

ميزة هذا الكتاب

لا يُنكر عاقل قيمةَ كتاب «إحياء علوم الدين» لحجة الإسلام الغزالي رحمه الله، فالكتاب لصدق وإخلاص مؤلفه كتب الله له القبول بين الداني والقاصي، وكما قالوا: لو لم يكن للإمام الغزالي إلا «الإحياء» لكفاه؛ فهو اسم كمُسمّاه، أحيا العلوم وقد اندرست، وأحيا القلوب وقد انطمست، وأحيا الأخلاق وقد أرِمَتْ، وذاك في القرن السادس الهجري، فما يا ترى يقول الإمام الغزالي لو كان في زماننا هذا؟ وماذا يصنع؟!

ولله دَرُّ الشيخ الإمام أبي العباس الإقليشِيّ المحدث، صاحب كتاب «النجم والكواكب» وغيرِه إذ يقول:

أبا حامدٍ، أنت المُخصَّص بالحَمْدِ ... وأنت الذي علَّمتنا سُـــنَنَ الرُّشْـــدِ

وضعتَ لنا «الإحياء» يُحيي نُفوسَنا ... ويُنقذنـا من طاعـةِ الماردِ الــمُردي

فربــعُ عبــاداتٍ، وعاداتُهــا الَّتــي ... تُعاقِبُها، كالـــدُّرِّ نُظِّمَ فـــي العِقدِ

وثالثُهــا فــي الــمُهلكاتِ، وإنَّــهُ ... لــمُنجٍ من الهُلْـكِ المبـرِّحِ والبُعـدِ

ورابعُهــا فــي الــمُنْجياتِ، وإنَّــهُ ... ليَسْـرحُ بـالأرواحِ فـي جنَّـة الخُلـدِ

ومنهــا ابتهــاجٌ للجــوارحِ ظاهــرٌ ... ومنهـا صـلاحٌ للقلـوبِ مـن الحقـدِ

وقال الشيخ عليُّ بنُ أبي بكرٍ رحمه الله:

عليــكَ بإحيــاءِ العلــوم ولُبِّهــا ... وأسرارِها، كم قد حوى مِن دقائقِ!

وكمْ مِن لطيفاتٍ لِذي اللُّبِّ منهلٌ! ... وكم مِن مَليحاتٍ سَبَتْ لُبَّ حاذقِ!

كتــابٌ جليــلٌ لــم يُصنّــف قبلــهُ　　ولا بعــدهُ مثــلٌ له فــي الطرائق
معانيــه أضحَتْ كالبُدورِ ســواطعًا　　علــى دُرّ لفــظٍ للمعانــي مُطابــق
فكمْ من بديعِ اللفظِ يجلي عرائسًا!　　وكم من شموسٍ في حماهُ شوارق!
وكم مــن لطيفٍ مع بديــعٍ وتحفةٍ　　حلاوتُهــا كالشّــهد تحلُــو لذائق!

ولعل الناظر في التاريخ، وفي عوامل تغيُّر المجتمعات، يرى أن العلماء قد صنفوا المصنفات وهذبوا واختصروا المطولات، وما ذاك إلا ليدلوا العباد على الخيرات، ويأخذوا بأيديهم إلى تصحيح العبادات والمعاملات، كما قال صاحب «الجوهرة» رحمه الله:

لكنْ مِنَ التطويلِ كلّتِ الهمَمْ　　فصــار فيــه الاختصــارُ مُلتــزمْ

وكتاب «الإحياء» لحجة الإسلام قد اختصره كثيرون، كما في كتب التراجم والمصنفات، وكنت أودُّ أن أذكر الكتب المصنّفة حول كتاب «الإحياء»، ولكنني أترك ذلك حتى لا نُطيل ونُخرجَ الكتاب عن مراد المؤلف رحمه الله.

فاختصرهُ البلالي رحمه الله في نحو نِصْفِ عُشْر حجْمه لخفّة المؤنة؛ وليكونَ أصْلُهُ كأكْملِ شَرْحٍ لمعانِيه، وضمَّ إليهِ ما لا بُدَّ منهُ من الفوائد والتنبيهات التي ليست في أصله من مقدمات مهمة في أبواب العلم يجب على المسلم أن يعرفها، كأُصُولِ الدِّين، وأُصُولِ الفِقْه وحقِيقَة الفِقْه وفائِدَته، وأصولِ التفسير وعلم الحديث، حيث أتى على جميعِ علوم الحديث، وأصولِ اللغة والنحو. فكأنه يريد منك أن تتعرف على ما ينبغي للمسلم أن يعلمه من مبادئ العلوم قبل أن تخوض في أسرار العبادات والمعاملات وحقائقِها وغير ذلك؛ وقد نثر الدرر والجواهر خلال مختصره مما لا تجده في الأصل، وستجدها منثورة بين دفتي هذا المختصر، إضافة إلى ترجيح بعض المسائل الفقهية على المذهب الشافعي، ونقلِه عن علماء المذهب، كابن

الرِّفْعَة والبُلقِينيّ والزياديّ والنَّوَويّ والسبكيّ والأذرعي وغيرهم. وقد اعتمد في الأدلة على الأحاديث الصحيحة وخاصة ما اتفق عليه البخاري ومسلم.

فلله دَرُّ القائل:

جـزى اللهُ البلالـيَّ كلَّ خيـرٍ لقــدْ جانا بقــوتٍ للقُلوبِ
وهذَّبَ فيهِ معنًــى لم يُغادرْ مـن الإحيـا بعيـد ولا قريـبِ

ولعله رحمه الله أراد أن يقول لهؤلاء المنكرين على كتاب «الإحياء» لحجة الإسلام الغزالي رحمه الله لقصورهم وعدم نُضجهم: خذوا هذا الكتاب المختصر، الذي انتخبتُ لكم فيه ما صحَّ وحسن من الأحاديث حتى لا يبقى لكم حُجَّة في العزوف عن أمثال هذه الكتب النفيسة. فرحم الله مؤلفه ونفعنا بالمختصر كما نفع بأصله.

ولله درُّ القائل:

هذا كتــابٌ لو يبــاعُ بوزنهِ ذهبًـا لـكانَ البائـعُ المغبونا

❊ ❊ ❊

ترجمة المؤلف

اسمه ونسبه :

شيخُ الشُّيوخِ[١]، العارفُ الفاضلُ، الصُّوفيُّ الكاملُ، الفقيهُ المُحدِّثُ، شمسُ الدِّين محمدُ بن عليّ بنِ جعفرِ البِلاليُّ - بكسر المُوحَّدةِ ثمَّ لام خفيفة؛ نسبة إلى بِلالةَ من أعْمال عَجْلون[٢] - العَجْلونيُّ القاهريُّ الشّافعيُّ الصُّوفيُّ.

ولادته ونشأته :

وُلدَ البِلالي رحمه الله في الأربعين والسّبعمئة واشتغل بتلك البلاد قليلًا، ثم سمع الحديث واشتغل بالعلم، وسلك طريق الصوفية، فصَحِب ولازم الشيخَ أبا بكر المَوصليَّ رحمه الله، ثم قدم القاهرة فاستوطنها بضعًا وثلاثين سنة، واستقرَّ في مشيخة سَعيد السُّعَداء مدَّة متطاولة مع التواضع الكامل والخلق الحسن وإكرام الوُرّاد.

(١) هذا اللقب أطلق على كل من ولي مشيخة خانقاه سعيد السعداء، قال الإمام السيوطي رحمه الله: وحيث أطلق في كتب الطبقات في ترجمة أحد أنه ولي مشيخة الشيوخ، فالمراد مشيختها، ولشيخها شيخ الشيوخ؛ هذا هو المراد عند الإطلاق. «حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة» (٢: ٢٦٠).

(٢) كذا ضبطهُ ونسبهُ إلى بلالة كلٌّ من الحافظ ابن حجر العسقلاني والسخاوي، وابن العماد الحنبلي، والزبيدي رحمهم الله.

شيوخه وتلاميذه:

من أبرز شيوخه الذين وقفت عليهم:

الشيخُ الإمام القدوة الزاهد العابد الخاشع الناسك الرَّبّانيُّ بقيّةُ مشايخِ علماء الصوفية، وجُنيدُ الوقت، أبو بكر بنُ عليِّ بنِ عبد الله الشيبانيُّ الموصلي ثم الدمشقي. مولده بالموصل سنة أربع وثلاثين وسبعِمئة واشتغل بها، وحفظ «الحاوي الصغير»، ثم حفظ «التنبيه»، وقدم دمشق وهو شاب وكان يعاني الحياكة، فأقام بالقُبيبات عند منزله المعروف زمانًا طويلًا، وهو يشتغل بالعلم ويسلك طريق الصوفية ويلقن الذكر ويلبس الخرقة، وكان يقرئ «منازل السائرين»، ويكتسب من الحياكة، ولازم الشيخ قطب الدين مدة، واجتمع بالشيخ عبد الله اليافعي وغيره من الصالحين والعلماء، وكان يطالعُ كثيرًا الحديث ويحفظ جملة من الحديث ويعزوها إلى رواتها وصار له يد في الفقه وصار له أتباع، ولم يزل يعمل بيده إلى آخر وقت، وكان من كبار الأولياء وسادات العباد، جمع بين علمَي الشريعة والحقيقة، ووُفِّق للعلم والعمل، وصار له أتباع، وكان شعاره إرخاءَ عَذَبة خلف الظهر، وكان يحضُر مواعيدَه كبارُ العلماء فيسمعون منه الفوائد العجيبة والنُّكتَ الغريبة، وكان القاضي شهابُ الدين الزهريُّ ممن يحضر مجالسه ويبالغ في تعظيمه، وكذلك الشيخُ شمس الدين الصَّرخديُّ، وكان يتردَّدُ إليه نوّابُ الشام ويمتثلون أوامرَه، وحج غيرَ مرةٍ وعظُمَ قدره عند السلطان الملك الظاهر لـمّا عاد إلى الملك وكان يكاتبه ويأمره بما فيه نفع المسلمين، وكان السلطان سنة ست وتسعين اجتمع به وصعِدَ السلطانُ إلى منزله ورقِيَ السُّلَّم وأعطاه مالًا، فأبى أن يَقبله وكان إذ ذاك بالقدس، وكان في أواخر عمره يذهب إلى هناك مدة ثم يرجع إلى دمشق. توفي بالقدس في شوالِ سنةِ سبع وتسعين وسبعِمئة، ودُفن

بمقبرة ماملا، وله مصنفات صغار في التصوف وغيره، وله منسك صغير في نحو كرّاستين ذكر فيه المذاهب الأربعة.

ومن جملة تلاميذه الذين ذكرهم الإمامُ السّخاوي رحمه الله تعالى ممن أخذ عنه وسلك على يديه:

ـ شهابُ الدّين أحمدُ بن هلالٍ الحلبيُّ المتوفى سنة (٨٢٤هـ)، كان مفرط الذّكاء، أخذ التّصوف عن شمسِ الدّين البلالي، إلا أنّه توغل في مذهب أهل الوحدة ودعا إليه، وصار كثير الشطح، وجرت له وقائع، وكان أتباعه يبالغون في إطرائه كما قال ابن حجر.

ـ أبو زيد عبد الرحمن بنُ محمدِ بنِ مخلوفٍ الثعالبيُّ المتوفى سنة (٨٧٥هـ) صاحبُ التفسير، المسمَّى بـ: «الجواهر الحسان في تفسير القرآن»؛ فإنه قال رحمه الله: وهذا الشيخ البلاليّ لقيتُهُ، ورويتُ عنه كتابه هذا. وقد قرأ عليه أيضًا بمصر «صحيح البخاري».

ـ الشّيخُ أبو السعود إسماعيلُ بنُ إبراهيمَ بنِ موسى المنوفيُّ الشافعيُّ نزيلُ القاهرة. كان عالمًا صالحًا صحب البلاليّ والزاهدَ وغيرَهما من السادات، وتنزل في سعيد السّعداء ودرّس وأفتى. مات سنة عشرين وثمانمئة تقريبًا.

ـ عليُّ بنُ محمدِ بنِ عيسى العلاء الدمشقيُّ ثم المحليُّ النّمْراويُّ الشّافعيُّ القطبي نسبةً لشيخه قطبِ الدّين الأصفهْبنديّ. كان فقيهًا فاضلًا، أخذ الفقه عن بعض الشاميين وصحب القطبَ المذكور، ولبس منه الخرقة الصّوفيّة، وتلقن منه الذِّكر بلباسه من البرهان السمرقندي، وأخذ عن الشمس البلالي، وكان صوفيًّا تحت نظره في سعيد السعداء. مات سنة ثلاث، ودفن بجوار ضريح السيد عليّ البدويّ رحمه الله.

ـ شيخ الجماعة أبو القاسم عمرُ بنُ محمدِ بنِ محمدِ بنِ فهدٍ. حفظ القرآن ثم كتابًا في الحديث ألفه له والده، ثم حفظ إلى أثناء الفرائض من الخِرَقيِّ على مذهب أحمدَ، ثم حوله أبوه شافعيًّا وحفظ النصف الأول من المنهاج، ونحوَ ثلثي ألفية ابن مالك، ونصفَ ألفية العراقي، وبكّر به أبوه فأحضره وأسمعه الكثير بمكةَ على مشايخها والقادمين إليها، ومنهم الشمسُ البلاليُّ. مات يومَ الجمعة سابعَ رمضانَ سنة خمس وثمانين وثمانِمئة.

ـ محمدُ بنُ عمرَ بنِ عمرَ بنِ حصنِ الشمس بنِ السراج القاهريُّ الصوفيُّ الوفائيُّ الشافعيُّ النّقّاش شيخُ الذكّارين بالجامع الحاكمي. أخذ عن البلالي، لازم حلقة الذكر بجامع الحاكم عقب صلاة الصبح إلى الضحى حتى كان كبير الجماعة. مات سنة ثلاث وسبعين بالبيمارستان المنصوري.

ـ محمد البهاء بنُ القطان. تفقه بأبيه وعنه أخذ في الفرائض والأصول والعربية، وكذا أخذ في الفقه والفرائض عن الشمس العراقي، وحضر دروس السراج البلقينيِّ وولديه في الخشّابية، وأخذ التصوفَ عن الشمس البلاليّ، وصحب جماعة من الصالحين واختص بهم. مات في ليلة ثاني عشرَ أو خامسَ عشرَ رجبٍ سنةَ خمس وخمسين وثمانِمئة بمصر.

ـ أبو بكر بنُ عليِّ بنِ محمدِ بنِ عليِّ بنِ محمدِ بنِ أبي الفتوح فرحُ بنُ عليٍّ التقيُّ أبو الصدق بنُ العلاء الدمشقيُّ الشّافعيُّ، خال القطب الخيضري. حفظ القرآن و«المحرر» لابن عبد الهادي، و«الجمعَ بين الصحيحين»، و«التنبيهَ» و«تصحيحَ» الإسنوي و«ألفيةَ النحو». ارتحل إلى القاهرة، فأخذ عن البلقيني وابنه وطائفةٍ، والعربيةَ عن البلقيني وغيره، والحديثَ عن الزَّين العراقيِّ أخذ عنه ألفيتَه وشرْحَها، والتصوفَ عن البلاليّ قرأ عليه «مختصره للإحياء». مات في ربيع الأول سنة إحدى وخمسين وثمانِمئة.

مصنفاته:

ذكر العلماء للشيخ البلالي خلال ترجمتهم له عدة مصنفات، إليك بيانها:

- «السُّول في شيءٍ من أحاديث الرَّسُول».

- «مختصَر الرّوضة»، ولكن لم يكمله. واسمه: «عمدة المفيد وتذكرة المستفيد في اختصار الروضة».

- «مختصر الشفا». ولعل اسمه: «لباب الشفا».

- «جواب مَن استفهَم عن اسم الله الأعظَم».

- «مختصَرٌ بديع في الفرُوع». ولعله هو الذي ذكره المناوي بقوله: «وعمل مختصرًا في الفقه جامعًا، والله أعلم».

- وقرَّض «السّيرة المؤيدية» لابن ناهض[1].

- «اللوامع تجريد الجوامع». ذكره المؤلف ضمن هذا المختصر؛ وهو من الكتب التي لم تذكرها كتب التراجم.

- «مختصر إحياء علوم الدين»، المسمى «جنة المعارف» أو «إحياء الإحياء» أو

---

(١) محمد بن ناهض بن محمد بن حسن بن أبي الحسن الشمس الجهني الكردي الأصل، الحلبي، نزيل القاهرة. تقريبًا بحلب في سنة سبع وخمسين وسبعمئة، وتولّع بالأدب فأبلغ نظمًا ونثرًا وسكن القاهرة مدة وتنزل في صوفية الجمالية، ومدح أعيانها بل عمل سيرة المؤيد شيخ فأجاد ما شاء، وقرضها له خلق في سنة تسع عشرة، ومنهم المؤلف البلالي، ومن نظمه:

يا ربِّ، إنّي ضعيفٌ وفيكَ أحسنتُ ظنّي
فلا تُخيِّب رجائي وعافني واعفُ عنّي

مات بالقاهرة في حادي عشر شعبان سنة إحدى وأربعين وثمانمئة. الضوء اللامع (٥: ٢١). وتصحفت (المؤيدية) في المطبوع من الضوء إلى (النبوية). والصواب ما أثبت، والله أعلم.

«روح الإحياء» أو «قوت الأحياء من كتاب الإحياء». هذا الكتاب الذي شرفني الله بخدمته وإحيائه من جديد.

فقد ذكر العلماء: أنه لازم النّظر في الإحياء بحيثُ كاد يأتي عليه حفظًا، وصارت لهُ به ملَكة قويّة بحيثُ اختصرهُ اختصارًا حسنًا جدًّا، وكان بالنّسبة لأصله كالحاوي مع الرّافعيّ، وانتفع به النّاس، وأقبلُوا على تحصيله لا سيّما المغاربةِ، وقُرئ عليه غيرَ مرّة ورُبما استُكثِرَ عليه.

توليه مشيخة سعيد السعداء[1]:

استقدمه سودون الشيخوني نائب السلطنة في حدود التسعين، وولاه مشيخة سعيد السُّعداء، فدام بها نحوَ ثلاثين سنة لم يُزَلْ عنها إلّا مرّة بخادمها خضر لقيام

(١) قال ابن عبد الظاهر عن الخانقاه: هي دار سعيد السعداء خادم المستنصر من خدام القصر، وصارت في آخر الوقت سكن الوزير طلائع بن رزيك وولده رزيك بن طلائع الذي صار إليه الملك، سكنها وفتح من دار الوزارة إليها سرداب تحت الأرض، وصار يخرج من هذه إلى هذه من ذلك السرداب، ثم سكنها شاور ثم ولده الكامل، ثم رجعت إلى السلطان صلاح الدين فوقفها على الفقراء القاطنين والمترددين من الصوفية، وكذلك وقف عليهم بستان الحبانية الذي بجوار بركة الفيل، وهو من أحسن الأماكن وأبهى مواطن العبادات، وله ضيعة بالبهنساوية أوقفها عليها تسمى دهمرو، ولها قيسارية الشرب وغير ذلك، ولها حطب مقرر في كل سنة وغلّة. ومن شرط صلاح الدين بها أن من مات من الصوفية ومعه فوق العشرين دينارًا كانت للصوفية لا يتعرض إليه ديوان المواريث، ومن سافر أعطي للتسفير، ولهم دخول حمام مباح وأشياء غير ذلك.
جددها العزيز عثمان بن صلاح الدين عام ٥٩٣هـ. وظلت عناية المماليك قائمة على هذه الخانقاه حتى ظلت محتفظة بهيبتها وطقوسها وأوقافها المخصصة لها، وعرفت بتسميات متعددة منها: خانقاة سعيد السعداء، والصلاحية، ودويرة الصوفية. =

تمراز الناصري نائب الغيبة في الأيّام الناصرية فرج، ولم يمض سوى عشرة أيام ثمّ جيء بالقبض عليه، وعُدَّ ذلك من كرامات البلالي، ثمّ أعيد للمشيخة سنة (٨١٠هـ)، وبقي قائمًا عليها إلى أن مات سنة عشرين وثمانِمئة.

أخلاقه وصفاته:

كان الشمسُ البلاليُّ كثير التّواضع إلى الغاية، مُنطرحَ النّفس جدًّا مشهُورًا بذلك، كثيرَ البذل لما في يده، شديدَ الحياء، كثيرَ العبادة والتلاوة والذكر، سليمَ الباطن جدًّا بحيثُ كان كثيرٌ من النّاس يتكلّم فيه بسبب ما لهُ من المباشرات بالخانقاه، وتؤثر عنهُ كرامات وخوارق.

ذكره الحافظ ابن حجر العسقلاني رحمه الله في «مُعجمه» بما حاصله قال: وكان يودُّني كثيرًا وأجاز في استدعاء ابني مُحمّد، وذكر أنه ضاع منهُ مسموعاته.

= قال الإمام السيوطي: خانقاه سعيد السعداء: وقفها السلطان صلاح بن أيوب، وكانت دارًا لسعيد السعداء قنبر ـ ويقال: عنبر ـ عتيق الخليفة المستنصر، فلما استبد الناصر صلاح الدين بالأمر وقفها على الصوفية في سنة تسع وستين وخمسمئة، ورتّب لهم كل يوم طعامًا ولحمًا وخبزًا، وهي أول خانقاه عملت بديار مصر، ونعت شيخها بشيخ الشيوخ، وما زال ينعت بذلك إلى أن بنى الناصر محمد بن قلاوون خانقاه سرياقوس، فدعا شيخها بشيخ الشيوخ، فاستمر ذلك بعدهم إلى أن كانت الحوادث والمحن منذ سنة ست وثمانمئة، وضاعت الأحوال، وتلاشت الرتب، تلقب كل شيخ خانقاه بشيخ الشيوخ، وكان سُكّانها من الصوفية، يعرفون بالعلم والصلاح، وتُرجى بركتهم. وولي مشيختها الأكابرُ، وحيث أطلق في كتب الطبقات في ترجمة أحد أنّهُ ولي مشيخة الشيوخ فالمراد مشيختها، ولشيخها شيخ الشيوخ؛ هذا هو المراد عند الإطلاق. ثم ذكر من وليها إلى حياته رحمه الله. ينظر: «حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة» (٢: ٢٦٠).
والخانقاه: كلمة فارسية معربة عن الخان، يقصد بها البيت وكذلك مكان الأكل المخصص للملك، بالإضافة إلى أنها تعني البيت الذي ينزل به الصوفية ويقيموا فيه.

وكذا ذكره في «الأنباء» باختصار وأنه استقرَّ في مشيخة سعيد السُّعداء مُدّة متطاولة مع التّواضُع الكامل والخلق الحسن وإكرام الوارد.

وذكره المقريزي فقال: كان كثير الذّكر متواضعًا إلى الغاية بحيثُ لمّا اجتمعت به قبّل يديَّ مرارًا، وقدّم إليّ نعلي لمّا انصرفت عنهُ، وهذه سيرتُه مع كلِّ أحدٍ، وحضرت عنده وظيفة الذّكر بعد العشاء بالخانقاه، وكان يرى رفع الصّوت به ويعلِّلُ ذلك، كثيرُ الحياء يديم التّلاوة مع سلامة الباطن، وله محبون يؤثرون عنهُ كراماتٍ وخوارقَ رحمه الله.

وقال الحافظ زين الدين المناوي رحمه الله: كان متمسّكًا بأفنان عزّ العزلة، مواظبًا على جدّ القول تاركًا هزله... وله محبُّون ومعتقدونَ ومُبْغِضون ومُنتقدون.

ثناء العلماء والمترجمين عليه:

قال الحافظ ابن حجر العسقلاني رحمه الله: كان مشهورًا بالتواضع، منطرِحَ النفس جدًّا، عظيم البذل لما في يده، شديدَ الحياء كثيرَ العبادة والتلاوة والذكر، سليمَ الباطن جدًّا، بحيث كان كثيرٌ من الناس يتكلم فيه بسبب ما لهُ من المباشرات بالخانقاه، وكان يودّني كثيرًا.

وقال أيضًا: ...سمع الحديث واشتغل بالعلم، وسلك طريق الصوفية وصحب الشيخَ أبا بكر المَوْصليَّ، ثم قدم القاهرة فاستوطنها بضعًا وثلاثين سنة، واستقر في مشيخة سعيد السعداء مدة متطاولة مع التواضع الكامل والخُلق الحسن وإكرام الوارد، وصنف «مختصر الإحياء» فأجاد فيه، وطار اسمه في الآفاق ورحلَ بسببه، ثم صنَّف تصانيف أخرى، وكانت له مقامات وأوراد، (وله محبون معتقدون ومبغِضون منتقدون.)

قال الإمام السيوطي رحمه الله: اشتغل بالعلم قليلًا، وسلك طريق الصوفية فمهر، وصارت له بـ«إحياء علوم الدين» ملَكةٌ، واختصره اختصارًا حسنًا، وولي مشيخة سعيد السعداء، وكان خَيِّرًا معتقدًا.

قال الشيخ ابن العماد الحنبلي رحمه الله: صنف «مختصر الإحياء» فأجاد فيه، وطار اسمه في الآفاق ورُحِلَ إليه بسببه، ثم صنَّف تصانيف أخرى، وكانت له مقامات وأوراد وله محبُّون معتقدون ومُبغضون مُنتقدون.

قال ابن تغري بردي رحمه الله: كان فقيهًا فاضلًا معتقدًا، وله شهرة كبيرة، وكان الوالد يحبُّه، ويَبَرُّه بالأموال والغِلال وغيرِ ذلك.

وقال زين الدين الملطيُّ القاهريُّ الحنفيّ رحمه الله: كان فقيهًا صوفيًّا، معتقدًا، له شهرة طائلة، مع تواضع وحسن سمت وكرمِ نفْسٍ، وصنَّف «اختصار الإحياء»، وغيرَ ذلك.

قال الحافظ زين الدين المناوي رحمه الله: العارف الفاضل، الصوفيُّ الكامل... كان متمسكًا بأفنان عزّ العزلة، مواظبًا على جدّ القول تاركًا هزله... وله محبُّون ومعتقدون ومبغضون ومنتقدون.

وقال أيضًا رحمه الله: ولم يزل على حاله من التواضع وكسر النفس، وبذلِهِ لما في يده مع كثرة الحياء، والعبادة والتلاوة والذكر، وسلامة الباطن إلى أن مات رحمه الله.

وفاته:

بعد حياة حافلة بالعلم والعبادة والتلاوة والذكر والإرشاد والتزكية انتقل الشيخ البلالي رحمه الله يوم الأربعاء رابعَ عشرَ شوّالِ سنةِ عشرين، ودُفن بمقابر الصُّوفيّة

- من حوش سعيد السعداء - بعد شُهُود الحافظ ابن حجرٍ رحمه الله الصّلاةَ عليهِ، وقد جاز السّبعينَ رحمه الله ونفعنا بعلومه آمين[١].

❊ ❊ ❊

(١) مصادر الترجمة: «المجمع المؤسس للمعجم المفهرس» للحافظ ابن حجر العسقلاني (٣: ٣٣٥)، و«حسن المحاضرة» للسيوطي (١: ٤٣٤)، و«ذيل الدرر الكامنة» لابن حجر العسقلاني (٢٥٩)، و«إنباء الغمر» لابن حجر العسقلاني (٣: ١٥١)، و«السلوك لمعرفة دول الملوك» لتقي الدين المقريزي (٤: ١: ٤٣٣)، و«النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة» لابن تغري بردي (١٤: ١٤٨)، و«الدليل الشافي على المنهل الصافي» ليوسف بن تغري بردي (٢: ٦٦٢)، و«الضوء اللامع» للسخاوي (٨: ١٧٨-١٧٩)، و«نيل الأمل في ذيل الدول» لزين الدين الملطيّ (٣: ٣٣٢)، و«الكواكب الدرية في تراجم السادة الصوفية» (الطبقات الكبرى) لزين الدين محمد عبد الرؤوف المناوي (٣: ٢٥٧)، و«إرغام أولياء الشيطان بذكر مناقب أولياء الرحمن» (الطبقات الصغرى) لزين الدين المناوي (٤: ٥٤٦-٥٤٧).

عزو العلماء والمؤلفين إلى هذا المختصر

نقل عدد من العلماء الأثبات في مؤلفاتهم عن هذا الكتاب وعزوا إليه، وإليك أسماءَهم مع ذكر نقولهم:

- **أبو زيد عبدُ الرحمن بن محمدِ بنِ مخلوف الثعالبيُّ (ت ٨٧٥هـ).**

قال أبو زيد عبد الرحمن بن محمد الثعالبيّ في «الجواهر الحسان في تفسير القرآن» (١: ١٣٨): قال الشيخُ الصالحُ أبو عبد الله محمّد البلاليُّ الشافعيُّ في «اختصاره للإحياء»: وذكر السُّبْكِيُّ في «شرحه» أن الغِيبة تمنع ثواب الصومِ إجماعًا. قال البلاليُّ: وفيه نظر؛ لمشقَّة الاحتراز. نعم إنْ أكثرَ توجَّهت المقالة انتهى. وقال: وهذا الشيخ البلاليُّ لقيتُهُ، ورويتُ عنه كتابه هَذا.

وقال أيضًا: ثم رحلت للمشرق، وسمعت البخاري بمصر على البلالي، وكثيرًا من «اختصار الإحياء» له. «الجواهر الحسان في تفسير القرآن» (١: ١٣٨).

وهذا نص منه على قراءته بعضَ كتابنا هذا على المؤلف رحمه الله، وسماعه «صحيح البخاري»من المؤلف.

- **محمدُ بنُ عليّ بنِ محمدِ الأصبحيُّ الأندلسي، أبو عبد الله، شمسُ الدين الغرناطيُّ ابن الأزرق (ت ٨٩٦هـ).**

ـ قال ابن الأزرق رحمه الله: المسألة السّابعة: قال البلاليُّ مُختَصِرًا لكلام الغزاليّ: يدفع الكبر إدامة فكرة في أصله من تُراب وطين منتن ونطفة بمكان...إلى قوله: ونحوه مبتلى لا يرحم. «بدائع السلك في طبائع الملك» (١: ٥٢٠).

ـ وقال ابن الأزرق رحمه الله: قال البلالي: وأما الغبطة ومحبة نهاية لا تدرك فحسن. «بدائع السلك في طبائع الملك» (١: ٥٣٠).

ـ وقال ابن الأزرق رحمه الله: قال البلالي: ذَكَرَه تعالى ـ أي: الصَّبرَ ـ في خمس وتسعين موضعًا من القُرآن، ولكُل موضع بهجة. «بدائع السلك في طبائع الملك» (١: ٥٣٤).

ـ وقال ابن الأزرق رحمه الله: قال البلاليّ: ورُبَّما ذُمَّ كتحمُّلِ قادحٍ في الدين مِن وجعٍ تعلَّقَ زوالُه بالاختيارِ. ونفساني وهُو الصّبر عن مشتهى الطّبع واقتضاء الهوى؛ فإن كان عن شهوة البطن والفرج فعفةٌ، أو القتالِ فشجاعةٌ، أو كظمِ غيظ فحلمٌ، أو في احتمال نائبة فسَعةُ صدر، أو في إخفاء آخر فكتمانُ سِرٍّ، أو فضولِ عيش فزُهدٌ، أو قدرِ يسيرٍ فقناعةٌ، أو عن معصيّةٍ فصبرٌ.

ـ وقال ابن الأزرق رحمه الله: قال البلاليّ: لا مدخل فيه للمحاسن. «بدائع السلك في طبائع الملك» (١: ٥٤٠).

ـ وقال ابن الأزرق رحمه الله: واختصرهُ ـ تعريف النميمة ـ البلاليُّ بقوله: نَقْلُ مكرُوهٍ ليُفسِد. قال: وضابطها كشف ما يكره من شيء بكُل ما يفهم. «بدائع السلك في طبائع الملك» (٢: ١٨).

ـ وقال ابن الأزرق رحمه الله: قال البلاليُّ: على سامعها إن جهل كونَها نميمةً أو نصحًا أن يتوقّف حتمًا، فإن تبين أنّها نميمة فعليه أن لا يصدقهُ لفسقه بها، ثمّ ينهاه عنها وينصحُه ثمّ يُبغضُه في الله تعالى ما لم يتب، ولا يَظنَّ بأخيه الغائب سوءًا أو يحرم بحثه عنهُ وحكايةَ ما نُقِل إليه». بدائع السلك في طبائع الملك» (٢: ١٨).

ـ وقال ابن الأزرق رحمه الله: قال البلالي: قيل: الحجر تصحيف، ولا يصح إلصاقه البطن الكريم بالحصباء في حديث لحكمةِ دفعِ حرارةِ الجُوع لهُ فتأمّله. قال:

وللتأسي به وتظاهرِه بالبشرية كيلا يُتغالى فيه، ومن ثمّ وُقيتْ أمّته محذور المغالاة. انتهى. «بدائع السلك في طبائع الملك» (٢: ٤٨١).

ـ وقال ابن الأزرق رحمه الله: قال البلاليّ: إلّا أصحاب المعاصي بلا تعين ما ضَربَتْ يدُه ﷺ إلّا في سبيل الله... إلى آخر كلامه. «بدائع السلك في طبائع الملك» (٢: ٤٨٢).

● الإمام جلال الدين السيوطي رحمه الله المتوفى (سنة ٩١١هـ):

قال الإمام السُّيوطيُّ رحمه الله في «قوت المغتذي» (١: ٣٩٣): وذكر بعض المتأخرين ـ وهو الشمس البلالي ـ في «مختصر الإحياء»، أنه يتأكد أضحيته عن رسول الله ﷺ. وقد أشكل ذلك على أهل المغرب فأرسلوا إليّ فيه سؤالًا من تونس، في سنة ثلاث وتسعِمئة، فكتبت لهم عليه جوابًا مطولًا، وأرسلته إليهم، وجاءني في هذا العام ـ عام أربع ـ كتاب من عندهم يذكرون أنه قد زال عنهم الإشكال بما كتبتُه إليهم، ويلهَجون بالدعاء لي. والجوابُ المذكور مُوْدَعٌ في «الفتاوى».

قلت: وأنا أنقلها هنا للفائدة:

مسألة وردت من المغرب، فيما ذكره الشيخ أبو عبد الله البلالي في «مختصر الإحياء» حيث قال في كتاب الأُضْحِيّة: وتتأكد الأُضْحِيّة عن رسول الله ﷺ، وقد بحثنا عن هذا الفرع في كتب السادة المالكية، فما وجدنا ما يثلج الصدر، ويُزيل اللبس، فكتبنا لكم فيه لتبينوا لنا أصلَه من السنة.

الجواب: قال الإمام أحمد في «مسنده»: ثنا أسود بن عامر قال: ثنا شريكٌ عن أبي الحسناء، عن أبي الحكم، عن حنش، عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال: أمرني رسول الله ﷺ أن أُضحّيَ عنه، فأنا أُضحّي عنه أبدًا. وقال ابن أبي الدنيا في

«كتاب الأضاحي»: حدثنا أبو بكر بنُ أبي شيبة، ثنا شريك عن أبي الحسناء، عن الحكم، عن حنش، عن علي قال: أمرني رسول الله ﷺ أنْ أُضحِّيَ عنه بكبْشٍ، فأنا أحب أن أفعله. وقال أبو داود في «سننه»: ثنا عثمانُ بنُ أبي شيبة، ثنا شريك عن أبي الحسناء، عن الحكم، عن حنش قال: رأيت عليًا يُضحي بكبشين، فقلت له: ما هذا؟ فقال: إن رسول الله ﷺ أوصاني أن أضحيَ عنه، فأنا أضحي عنه. وقال الترمذي في «جامعه»، وابن أبي الدنيا معًا: ثنا محمد بنُ عُبيد المحاربيُّ الكوفيُّ، ثنا شريك عن أبي الحسناء، عن الحكم، عن حنش، عن علي أنه كان يضحي بكبشين، أحدهما عن النبي ﷺ، والآخرُ عن نفسه، فقيل له: فقال: أمرني به - يعني النبي ﷺ - فلا أدعُه أبدًا. قال الترمذي: هذا حديث غريب، لا نعرفه إلا من حديث شريك انتهى. وقد نص على هذه المسألة بخصوصها من المالكية القاضي أبو بكر بنُ العربي في «الأحوذي»، ومن أصحابنا الشافعية أبو الحسن العباديُّ، والقفّالُ في «فتاويه»، وجزم القفال بأنه لا يجوز للمضحّي أن يأكل منها شيئًا، وكذا قال ابن العربي، وعلله بأن الذابح لم يتقرب بها عن نفسه، وإنما تقرب بها عن غيره، فلم يجز له أن يأكل من حق الغير شيئًا، وكذا نقله الترمذي في «جامعه» عن ابن المبارك قال: فإن ضحى فلا يأكل منها شيئًا، ويتصدق بها كلِّها. قال البلقيني في «تصحيح المنهاج»: حديث علي إن صح محمولٌ على أنه خصوصية للنبيِّ ﷺ.

● **شهاب الدين أحمد بنُ محمدِ بنِ أبى بكر بنِ عبد الملك القسطلانيُّ القُتيبيُّ المصريُّ، أبو العباس (ت ٩٢٣هـ)**. وقد سماه بـ«قوت الأحياء».

- قال القسطلاني: قال في «قوت الأحياء»: ولم يَصِحَّ عنه ﷺ أكثرُ منه. نعم روى الأربعين سوارُ بنُ مصعب، وهو متروك الحديث. قاله الحاكم وغيره، وأما قوله تعالى: ﴿وَوَٰعَدْنَا مُوسَىٰ ثَلَٰثِينَ لَيْلَةً وَأَتْمَمْنَٰهَا بِعَشْرٍ﴾ [الأعراف: ١٤٢] فحجة للشهر...

إلى قوله: ولها شروط مذكورة في محلها من كتب القوم. «إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري» (١: ٦٢).

ـ وقال القسطلاني: ذكر ابن الصلاح أنه مرسل: فضل صلاة النفل فيه على فعلها في المسجد، كفضل صلاة الفريضة في المسجد على فعلها في البيت. لكن قال صاحب «قوت الأحياء»: إنّ ابن الأثير ذكره في «معرفة الصحابة»، عن عبد العزيز بن ضمرةَ بن حبيب، عن أبيه، عن جده حبيبِ بن ضمرة. «إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري» (٢: ٣٤٣).

ـ وقال القسطلاني: قال في «قوت الأحياء»: عون كبير، وتأمل تأثيرَ الصحبة في كل شيء حتى الحطب بصحبة النجار يعتق من النار. «إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري» (٦: ٢٣٦).

وقال القسطلاني: والكبر هو أن يرى نفسه خيرًا من غيره جهلًا بها...إلى قوله: فالكبرياء والعظمة للرب القادر لا للعبد العاجز. أشار إليه في «قوت الأحياء». «إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري» (٩: ٥١).

ـ وقال القسطلاني: وفي «الصحيحين» حديث: «ما أعطي أحد عطاء خيرًا وأوسع من الصبر»، وهو عبارة عن ثبات باعث الدين في مقاومة باعث الهوى؛ قاله في «قوت الأحياء». الإرشاد (٩: ٦٤).

ـ وقال القسطلاني: وأشار إليه في «قوت الأحياء» مع زيادة: وهو أن الله خلق الغضب من النار، وجعله غريزة في الإنسان؛ فمهما صدأ ونوزع في غرض ما اشتعلت نار الغضب وثارت حتى يحمرّ الوجه...إلى قوله: ومتى ضرَرْتَ عدوّك بما ضَرَّ دينَك فبنفسك بدأت. فاختر لنفسك ما يحلو، وبالله التوفيقُ والمستعان. «إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري» (٩: ٧٢).

• **شهاب الدين أبو العباس أحمدُ بنُ أحمدَ بنِ محمدِ بنِ عيسى البرنسيُّ الفاسيُّ، المعروف بزروق (ت ٨٩٩هـ).**

ـ قال شهاب الدين زروقٌ: وهي ما روي عن أُبيّ بن كعب رضي الله عنه في فضائل السور، سورةً سورةً. وقال الشيخ أبو عبد الله البلاليُّ: وأخطأ مَن ذكره مِنَ المفسرين. «النصيحة الكافية لمن خصه الله بالعافية» (ص٤).

ـ وقال زروق رحمه الله: قال البلالي: وغيرُ منحصرٍ بغير منحصر، كأموال زماننا، لا يحرم إلا بقرينة، كأموال الظلمة وفيه نظر. قاله البلالي. «النصيحة الكافية لمن خصه الله بالعافية» (ص١٣).

وقد نقل عنه أيضًا في «شرحه على متن الرسالة» لابن أبي زيد القيرواني أكثرَ من عشرة مواضعَ، فلتنظر. قال في أحدها: نعم رأيت لسيدي أبي عبد الله البلالي في «اختصار الإحياء»...إلى آخره[1].

• **شمس الدين أبو عبد الله محمدُ بنُ محمدِ بنِ عبدِ الرحمن الطرابلسيُّ المغربي، المعروف بالحطّاب الرُّعيني (ت ٩٥٤هـ).**

قال شمس الدين أبو عبد الله محمدُ بنُ محمدِ بنِ عبدِ الرحمنِ الطرابلسيُّ المغربيُّ، المعروف بالحطّاب الرُّعيني (ت ٩٥٤هـ) في «مواهب الجليل لشرح مختصر الخليل» (٤: ١٦٤):

قال ابن غازي: ومن الغرائب ما حدّثَنا به شيخُنا الإمامُ أبو عبد الله القوريُّ قال: حدثنا الحاجّ أبو عبد الله بنُ عزّوزٍ المِكناسيُّ: أنه سمع الإمامَ الأوحد الربانيّ أبا عبد الله البلاليَّ بالديار المصرية يُرجِّح حديث: «الباذنجان لما أكل له» على حديث: «ماء زمزم لما شرب له». قال: وهذا خلاف المعروف انتهى. قلت: لا شك أن هذا

(١) شرح زروق على متن الرسالة (١: ٣١٤).

من أغرب الغرائب بل هو من الأمور التي لا يجوز نقلُها إلا مع التنبيه على بُطلانها.

وكذا هو في «شفاء الغليل في حل مقفل خليل» (١ : ٣٣٠) أبو عبد الله محمدُ بنُ أحمدَ بنِ محمدِ بنِ محمدِ بنِ عليِّ بنِ غازي العثمانيُّ المكناسيُّ (ت ٩١٩هـ).

قلت: ولعل النقل انقلب على ناقله سهوًا، وإلا فالذي ذكره البلالي هنا خلافُه، بل صرّح بأن حديث الباذنجان موضوع وضعَتْه الزنادقة، وأن حديث ماء زمزم صحيح. ونبّهْنا عليه في موضعه من هذا الكتاب.

ـ وقال شمس الدين أبو عبد الله محمدُ بنُ محمدِ بنِ عبد الرحمن الطرابلسيُّ المغربيُّ، المعروف بالحطاب الرُّعيني (ت ٩٥٤هـ) في «مواهب الجليل لشرح مختصر الخليل» (٤ : ١٦٤):

تنبيه: الشك الذي لا يستند لعلامة لغوٌ؛ لأنه وسوسة فلا قضاء إلا لشك عليه دليل. وقد أُولع كثير من المنتمين للصلاح بقضاء الفوائت لعدم تحقق الفوات أو ظنّه أو شكٍّ فيه، ويسمُّونه صلاة العمر ويرونها كمالًا، ويريد بعضهم بذلك أنه لا يصلي نافلة أصلًا، بل يجعل في محل كل نافلة فائتةً لما عسى أن يكون من نقص أو تقصير أو جهل، وذلك بعيدٌ عن حال السلف وفيه هِجرانُ المندوبات وتعلُّقٌ بما لا أجر له. وقد سمعت شيخنا أبا عبد الله محمدَ بنَ يوسفَ السنوسيَّ ثم التلمسانيَّ يذكر أنّ النهي عن ذلك منصوص فحنِقْتُ ـ غضبت ـ عليه، فقال: نصَّ عليه القرافي في «الذخيرة»، ولم أقف عليه. نعم رأيت لسيدي أبي عبد الله البلالي في «اختصار الإحياء» عكسه فانظر ذلك؛ فإنه مهم، والعمل بالعلم خيرٌ كلُّه، وعكسُه عكسُه. انتهى.

- **الإمام العلّامة عليُّ بنُ عطيّةَ، المشهورُ بالشيخ علوانَ المتوفّى سنة (٩٦٣هـ).**

فقد نقل في كتابه «نسمات الأسحار في مناقب وكرامات الأولياء الأخيار» عن المؤلف، ونصَّ على تسمية الكتاب ولقبه، فقال رحمه الله: ومعنى الموت كما ذكره

البلالي في كتابه «جنة المعارف»، الملقب بـ«روح الإحياء» فقال: بقاء الروح مجردة عن البدن في عالم آخر، وبه تتم نعمة الله ويُكشَفُ للميّت ما يضرُّه وينفعه[١].

• **زين الدّين عبد الرؤوف بنُ تاج العارفين بنِ عليٍّ بنِ زين العابدين الحداديُّ المناويُّ (ت ١٠٣١هـ).**

قال المناوي في «فيض القدير» (٢: ٦٢٢): وإنْ كُتب سيّدُ الاستغفار وجُرِّعَ لمن صَعُبَ عليه الموتُ انطلق لسانه وسهُل عليه الموت. ذكره البلالي وجرّب.

• **الشيخ العلامة أبو حامد محمد العربي بن يوسف الفاسي الفهري في كتابه «مرآة المحاسن من أخبار الشيخ أبي المحاسن»**: قال الشيخ أبو الحسين ابن زرقون: ورد الخبر بمسح الوجه باليدين عند انقضاء الدعاء، واتصل به عمل الناس والعلماء، وقال الشيخ شمس الدين البلالي: ويمسح وجهه بكفيه لما رواه أبو داود والبزار وابن حبان وابن ماجه والحاكم في «المستدرك» بأسانيد جيدة.

• **نقل الشيخُ أبو المواهب بنُ عبد الباقي البعليُّ الحنبليُّ في بعض إجازاته عن المؤلف البلالي رحمه الله، دعاءً من واظب عليه حسنت خاتمتُه، وذكرها الشيخ محمد عبد الحي بنُ عبد الكبير الحسنيُّ الكتّانيُّ في «السر الحقي الامتناني الواصل إلى ذاكر الراتب الكتاني» (ص١٤٢)، والدعاء هو:** اللّهُمَّ، أكْرِمْ هذهِ الأُمَّةَ بجميلِ عوائدكَ في الدّارينِ إكرامًا لِمَنْ جَعَلْتها من أُمَّته ﷺ وأزواجه وذُرِّيَّته أبدًا.

فهذه بعض النقولات التي وقفت عليها في الكتب المطبوعة، ويوجد غيرها مما لم يتيسر لي الوقوف عليه من كتب مخطوطة وغيرها، وصَعُبَ الوصول إليه، مما يدلُّكَ على مكانة هذا الكتاب وقيمته العلمية، وعلى مكانةِ مؤلفه رحمه الله تعالى ونفعنا بعلومه وكتبِه.

---

(١) نسمات الأسحار في مناقب وكرامات الأولياء الأخيار (ص١٥٧).

النسخ الخطية المعتمدة ووصفها

اعتمدتُ في تحقيق هذا المختصر المبارك على سبع نسخٍ خطيّة[١] وفقني الله تعالى إلى الوقوف عليها، ولكل نسخة قصة في العثور عليها، وقد بدأت العمل بنسخ الكتابِ على نسخة واحدةٍ وقفت عليها أولًا، ثم عارضته عليها، ثم وجدتُ في النسخة بعض التصحيفات وبعضَ الكلمات التي أثّرت فيها الرطوبة، فبدأتُ بالبحث عن نسخ أخرى، فوقفْتُ على ثلاث نسخ أخرى، فقابلت عليها مرةً أخرى، وبعد أن أوشكت على نهاية العمل، وبلغ الخبر الأخَ الناشر الدكتور إيادَ الغوجِ حفظه الله صاحبَ دار الفتح، سُرَّ كثيرًا، وقد قدَّم لي ثلاث نسخ أخرى بعد أن سعى في تأمينها جزاه الله خيرًا.

وترتيب النسخ هنا ليس على أهميتها وأقدمها بل على حسب عثوري عليها والعمل والمقابلة عليها.

النسخة الأولى:

وهي نسخة وقفت عليها ضمن مجموعة من المخطوطات التي كنت عكفت على جمعها من بعض أصدقاءَ أفاضل وبعض مكتبات منذ سنوات عديدة، وهي من محفوظات مكتبة جامعة لايبزيغ (leipzig) تحمل الرقم (١١٧)، تعود لمقتنيات

---

(١) ونستطيع أن نقول: إننا استأنسنا بأربع نسخ أيضًا، كما سيتضح لك ذلك في وصف النسخة السابعة.

مكتبة أسرة الرفاعية الدمشقية، التي أصبحت فيما بعد جزءًا من مكتبة جامعة لايبزيغ؛ حيث تضم هذه المكتبة ٤٨٨ مخطوطة توارثتها أسرة الرفاعية الدمشقية، واعتنت بها حتى القرنِ التاسعَ عشرَ، عندما باعها مالكها آنذاك عمر أفندي الرفاعي إلى القنصل البروسي وعالمِ الدراسات الشرقية يوهان غوتفريد فتشتاين في عام ١٨٥٣م.

عدد أوراقها (٧٣) ورقة، وفي كل ورقة (٢٣) سطرًا، في كلِّ سطر (١٥) كلمة تقريبًا.

امتازت هذه النسخة بالضبط لبعض الكلمات لكن أحيانًا كان الضبط يجانب الصواب، وامتازت بعلامة المقابلة والقراءة، وقد وقع فيها زيادات وافقت النسخة (هـ) في أغلبها، وقد صحفت بعض الكلمات، وقد ذكرت بعضها في الهامش، تعرضت بعض الصفحات للرطوبة من أعلاها، مما تسبب بذهاب بعض الكلمات وصعوبة قراءتها.

تاريخ نسخها (٨٣٩هـ)، أي: بعد وفاة المؤلف بسبعَ عشْرةَ سنة.

ناسخها: يحيى بن أبي بكر الخيري الشافعي.

الخط: خطها نسخي معتاد، وهي جيدة وواضحة، كتبت العناوين والأبواب والفصول والتنبيهات باللون الأحمر.

علقت برسم العبد الصالح العالم الفاضل الشيخ شمس الدين محمد بن المرحوم ناصر أعزه الله تعالى.

جاء على غلافها: ما في هذا المجلد مختصر الإحياء، ودعاء كبير لا اسم له، وحزب البحر، وحزب الحمد، وحزب التوحيد، وحزب التنوير.

جاء على الغلاف العنوانُ: كتاب مختصر إحياء علوم الدين للشيخِ الإمامِ العالمِ العلّامةِ الورع الزّاهدِ العارفِ باللهِ تعالى، رحيلِ الطالبين، مَلجأ القاصدينَ، مربّي

المريدينَ، أبو عبدِ اللهِ شمسِ الدِّينِ محمَّدِ بنِ عليٍّ البلاليِّ تغمدهُ اللهُ برحمته آمينَ.

وعليها تملكات:

في نوبة فقير ألطاف الملك الصالح محمد البكري الحموي ابن السيد علي في ربيع الأول سنة **١٠٨٣**هـ.

الحمد لله في نوبة الفقير إلى عفو الله تعالى جلال الدين محمد بن محمد الرملي.

في نوبة أذل عباد الله الأكرم حسين بن رستم عفي عنهما، ثم ملّكه لأخيه الأمجد... الأرشد محمد بيك الكاتبِ الفاضل والعالم العامل وفقه الله تعالى لمراضيه؛ آمين آمين آمين.

مَلَكه بالطريق الشرعيّ فقيرُ عفو الله أحمد...البركويُّ ـ لطف الله به ـ ثم انتقل إلى نوبة الفقير إلى عفو الله عبد الرحمن بنِ الشيخ مصطفى الصحفي القادريّ العقّاديّ الشافعيّ غفر الله له ولوالديه ولمشايخه ولجميع المسلمين آمين.

ورمزت لهذه النسخة بـ: (أ).

النسخة الثانية :

وهي من ممتلكات مكتبة الخزانة العامة بالرباط المغرب، تحمل الرقم (٥١٦: ق).

عدد أوراقها (٨٠) ورقة، في كل ورقة (٢٢) سطرًا، في كلِّ سطر (١٥) كلمة تقريبًا، ضمن مجموع أوله كتاب النصيحة للمحاسبي، وقد تم تصويرها في مركز جمعة الماجد للثقافة والتراث قسم المخطوطات، مِنْ قِبَلِهم.

الخط: خطها مغربي واضح.

كتبت العناوين والأبواب والفصول والتنبيهات باللون الغامق.

بعض الصفحات عانيت في قراءتها لعدم وضوحها جيدًا بسبب سوء تصويرها، أو هي من الأصل هكذا.

تاريخ نسخها: ٩٦٤هـ.

ناسخها: لم يذكر فيها اسم الناسخ.

ورمزت لهذه النسخة بـ: (ب).

النسخة الثالثة:

وهي من ممتلكات خزانة زاوية تنغملت في المغرب إقليم أزيلال، تحمل الرقم (٦١٦). وزاوية تناغملت هي إحدى الزوايا التي أسسها ـ حسب المصادر التاريخية ـ موسى بن يعقوب البوكمازيّ في القرن السابع عشر الميلادي، ويعود أصله إلى الشرفاء الأدارسة. تحتوي على ٧٣٨ مخطوطًا حسب اللائحة التي وضعتها لها الأوقاف عام ١٩٧٣م.

وهي من مصورات مركز جمعة الماجد للثقافة والتراث قسم المخطوطات، وقد تم تصويرها مِن قِبَلِهم.

عدد أوراقها (٨٣) ورقة، في كل ورقة (٢٢) سطرًا، في كلِّ سطر (١٣) كلمة تقريبًا.

الخط: خطها مغربي، بعض الصفحات غير واضحة التصوير عانيت كثيرًا في قراءتها ومقابلتها، وأحيانًا تكون غير واضحة ألبتَّةَ، فأتتبع رسوم الحروف حتى أهتدي للكلمة.

ناسخها: لم يذكر فيها اسم الناسخ.

تاريخ نسخها: ٩٩٤هـ.

ورمزت لهذه النسخة بـ: (ج).

النسخة الرابعة:

وقفت على هذه النسخة بعد أن أتممت العمل في الكتاب، وكنت أجمع معلومات عن مصنفات المؤلف، فعثرت عليها ضمن الفهارس، وهي نسخة نفيسة قيمة، ولله الحمد، منسوخة في حياة المؤلف، ومقابلة على نسخة قرئت وقوبلت على المصنف رحمه الله، وهي من ممتلكات مسجد محمد الفاتح رحمه الله، تحمل الرقم (٢٦٠٤).

عدد أوراقها (٩٦) ورقة، في كل ورقة (١٧) سطرًا، في كلّ سطر (١٢) كلمةً تقريبًا.

الخط: خطها نسخي معتاد، جيدة متقنة.

لوّنت الأبواب والفصول، وبعض الكلمات وبدايات الفقرات باللون الأحمر، وقد أثبتّ أكثرها كما هي في الأصل.

امتازت هذه النسخة بالضبط لبعض الكلمات، وامتازت بعلامة المقابلة والقراءة، والبلاغات المنقولة من الأصل، فهي نسخة مقابلة على نسخة قرئت وقوبلت على المؤلف رحمه الله.

جاء في كل عشر ورقات من المخطوط في الهامش القسم الأول من الإحياء، القسم الثاني من الإحياء... حتى القسم العاشر.

عليها عدة تملكاتٌ ذهَبَ بعضُها بالترميم، من تملكاتها: من فضل الله تعالى وجزيل عطاء... الفقير السيد درويش ابن السيد عبد الرزاق الحموي سنة ١٠٨٧هـ.

وعلى غلافها عنوان كتاب جنة المعارف، ويسمى إحياء الإحياء في التصوف، تأليف الشيخ الإمام العالم العامل الزاهد العابد الورع الخفيّ العارف بالله تعالى الداعي إلى الله بالكتاب والسنة شمسِ الدين أبي عبد الله محمدِ بنِ عليِّ بنِ جعفرِ

الشهير بالبلالي رضي الله عنه وأرضاه، وكان له في دنياه وأخراه، وأتم عليه من فضله وما وهبه وزاده من فضله. إنه قريب مجيب آمين.

وفي هامشها بلاغات، أثبتها في أماكنها من الكتاب.

ناسخها: لم يذكر فيها اسم الناسخ.

تاريخ نسخها: ٨٠٧هـ. أي: قبل وفاة المؤلف بثلاثَ عشْرَةَ سنةً.

جاء في آخرها على الهامش:

(بلغ مقابلةً على نسخةٍ قُرئت وقوبلت على مصنِّفه مرارًا رضي الله عنه، وخطُّهُ عليها، والحمدُ لله وحدَهُ وصلَّى الله على سيِّدنا محمَّدٍ وآله وصحبه وسلَّم، وذلك في نهار الخميسِ ثاني شهر شوالِ المباركِ سنةَ سبعٍ وثمانِمئة).

وقد وافقت هذه النسخة نسخةَ مكتبة جامعة لايبزيغ (leipzig)، وهي من مقتنيات مكتبة الرفاعية الدمشقية، المرموز لها بـ (أ) في كثير من المواضع، والزيادات.

ورمزت لهذه النسخة بـ: (د).

النسخة الخامسة:

هذه النسخة هي نسخة زبيد؛ قدمها لي الأخ الفاضل د. إيادُ الغوجِ حفظه الله بعد أن كنت قد أوشكت على الانتهاء من العمل؛ فقدمها لي جزاه الله خيرًا، وأخبرني أنها من إحدى المكتبات الخاصة في مدينة زبيد.

عدد أوراقها (٦٤) ورقة، في كل ورقة (٢٧) سطرًا، في كلِّ سطر (١٣) كلمةً تقريبًا.

الخط: خطها نسخي معتاد.

لوّنت الأبواب والفصول، وبعض الكلمات وبدايات الفقرات بالأحمر، وقد أثبتّ أكثرها كما هي في الأصل.

امتازت هذه النسخة ببعض الزيادات عن النسخ الأخرى، وقد أثبتُّها مع الإشارة إلى ذلك في الهامش، وقد اختلفت بعض العبارات فيها عن عبارة النسخ الأخرى، وقد أثبتّ لفظها في الهامش، وجاء في هامشها إثبات للمقابلة، أثبتّها في أماكنها.

ناسخها: لم يذكر فيها اسم الناسخ.

تاريخ نسخها: ١٠٠٧هـ.

جاء على هامش أول ورقة من أعلى أنّ هذا الكتاب يتضمن كتابين للمؤلف البلالي؛ فذُكِر اسمُ الكتاب وكتابٍ آخرَ للمؤلف نفسِه؛ كما ذكرنا ذلك في مؤلفاته، وذكره هو ضمن هذا الكتاب: (اللوامع تجريد الجوامع، مختصر الإحياء للبلالي رضي الله عنه).

ولقد تعرضت بعض الأوراق للتمزيق ثم أعيدت، لكن أُلصِقَت بعضُ الأوراق مكان الأخرى؛ فدخل الكلام في بعضه، وكنت أقابل نصف سطر من ورقة والنصفَ الآخر من ورقة أخرى. وكان الشطب لبعض الكلمات باللون الأحمر.

جاء في هامشها تعليق واحد ولعله مالكها وهو من العلماء فإنه قال: قلتُ: أو كمن رأى ظرفًا فسأل عنه: ما هذا؟ قيل له: فيه عسل؛ فهذا علم اليقين، ففتحه فوجده كذلك؛ فهذا عين اليقين، ثم ذاقه فكان حق اليقين، وهي المعرفة الخالصة. انتهى. كتبه الفقير إلى الله عمرُ الحضرمي.

وفي هامشها بعض المطالب والفوائد كقوله: قف على كذا وكذا....

جاء في خاتمتها: وكان الفراغُ من تحصيله قُبيل العصر يوم الأحد الخامسَ عشرَ من شهر رمضان سنة سبعٍ وألفٍ من الهجرة النبوية على صاحبها أفضل الصَّلاةِ والسَّلامِ.

جاء في آخرها على الهامش: (بلغ مقابلةً حسب الطاقة والإمكان، والحمدُ لله أولًا وآخرًا، وظاهرًا وباطنًا على كل حال).

وتبين لي بعد المقابلة أنها منسوخة ومقابلة عن نسخة الجامع الكبير بصنعاء الآتي وصفها.

ورمزتُ لهذه النسخة بـ: (هـ).

النسخة السادسة:

وهي من ممتلكات الجامع الكبير بصنعاء، مجاميع ٤- (٢٠٤٣).

عدد أوراقها (٦٢) ورقة، في كل ورقة (٢٧) سطرًا، في كلِّ سطر (١٣) كلمةً تقريبًا.

الخط: خطها نسخي معتاد.

لونت الأبواب والفصول، وبعض الكلمات وبدايات الفقرات باللون الأحمر، وكذا الفواصل والنقاط وبداية السطور.

وهي نسخة جيدة مقابلة على نسخة أخرى وفيها بلاغات.

ناسخها: صالح بن أحمدَ العوسي العودي.

تاريخ نسخها: الخامس والعشرون من ذي الحجة الحرام، سنة خمسٍ وألفٍ (١٠٠٥) من الهجرة النبوية على صاحبها أفضل الصَّلاةِ والسَّلامِ.

وعلى غلافها: كتاب قوت الأحياء المختصر من كتاب الإحياء، تأليف الشيخ العارف مربي السالكين ومرشد الطالبين ورحلة العلماء العالمين أبي عبد الله محمدِ

شمسِ الملة والدين ابنِ عليّ بنِ جعفرِ الموصليّ المعروف بالبلالي، بلّ الله ثراه بواكف رحمته وأسكنه بغرف جنته آمين آمين آمين.

عليها عدة تملكات.

من تملكاتها: من كتب الفقير إلى الله المنان محمد بن الحسن بن أمير المؤمنين لطف الله به آمين، شهر رجب.

وتملك آخر: وبه ثقتي، تَمَلَّك محبّ العلم وأهله عبد الرحمن بنِ أحمد الحميريّ... آمين آمين آمين.

أوقفت على الجامع الكبير بصنعاء.

جاء قيد الوقف: بحمد الله هذا من وقف سيدي المولى عزّ الإسلام محمدِ بن الحسن...وقد تعين بقاؤه في المكتبة العامة الجامعة لكتب الوقف بمحروس جامع صنعاء.

ألا كلُّ شيء ـ ما خلا اللهَ ـ باطلُ   وكلُّ نعيـــمٍ ـ لا محالـــة ـ زائلُ

جاء في خاتمتها: وكان الفراغُ من تحصيله وقتَ الضحى يوم السبت الخامسَ والعشرين من ذي الحِجّة الحرام، سنة خمسٍ وألفٍ من الهجرة النبوية على صاحبها أفضل الصَّلاةِ والسَّلامِ، والحمدُ لله رب العالمين، وصلَّى الله تعالى على محمَّدٍ وآله وصحبه وسلَّم.

يا ربِّ، أعضاءُ السُّـــجودِ عتقتَها   من فضلكَ الوافي وأنتَ الواقي
والعتقُ يسري بالغنى، يا ذا الغنى   فامننْ على الفاني بعتقِ الباقِي[1]

ورمزت لهذه النسخة بـ: (و).

---

(١) البيتان ذكرهما الحافظ ابن حجر العسقلاني رحمه الله في «فتح الباري» (١١: ٤٥٧)؛ فإنه قال: ووجدت بخط أبي رحمه الله تعالى ولم أسمعه منه من نظمه. ثم ذكرهما.

النسخة السابعة:

وهي مسك الختام، من ممتلكات مكتبة شيخ الإسلام عارف حكمت أفندي رحمه الله، المحفوظة اليوم بمكتبة الملك عبد العزيز رحمه الله بالمدينة المنورة على ساكنها أفضل الصلاة والسلام، برقم (٢٠٣٦)، ورقم تصنيفها (١٢٠: ٢١٧).

عدد أوراقها: (١٠٧) ورقات، في كل ورقة (٢١) سطرًا، في كل سطر (١٢) كلمةً.

ناسخها: عيسى بن أحمدَ بنِ عيسى الهاشميُّ المتصوّفُ العجلوني ثم المكي.

تاريخ نسخها: في الثامنَ عشَرَ من صفرِ سنةِ ثمانٍ وثمانِمئة (٨٠٨هـ)، أي: قبل وفاة المؤلف باثنتي عشرة سنة[1].

الخط: خطها نسخي معتاد.

كتبت العناوين والأبواب والفصول والتنبيهات والفوائد باللون الأحمر، وكذا إشارة اللحق لما سقط وألحق في الهامش.

عليها تعليقات وتصحيحات، وهي مقابلة على أربع نسخ؛ كما ذكر ذلك في الهامش؛ فأحيانًا يذكر في الهامش في ثلاث نسخ كذا، وأحيانًا يذكر أنها بلغت مقابلة رابعًا على نسخة متأخرة من نسخ المؤلف وقوبلت عليه رحمه الله ورضي عنه، وعليها فوائدُ وحواشٍ قيّمةٌ، وتعليقات وتقييدات علمية لبعض العلماء، وعناوينُ ومَطالبُ في هامشها، وقد أثبتُّ معظمها.

وقد قرأها علماءُ أو لعل ناسخها من العلماء؛ ففي بعض الهوامش يحقق بعض

---

(١) تنبيه: ذكر في «جامع الشروح والحواشي» الطبعة الثانية (١: ١١٥): أنها في (٨١) ورقة، وأنها منسوخة سنة (٨٠٦هـ)، وأنها برقم (٢٣٦)، وهو سهو أو سبق قلم، والصواب ما أثبتناه، والله أعلم.

الزيادات والإضافات، وكانت قد شوشتني كثيرًا قبل أن أقف على هذه النسخ؛ لوجودها في نسخ، أو تقديمها أو تأخيرها، فنجده يقول مثلًا في إحدى الزيادات: هي مثبتة من النسخة المنقولة الأصل، ثم رأيتها مثبتة في هامش أخرى في الهامش غيرَ مصحَّحة، وفي نسخة ثالثة في الأصل، وفي نسخة رابعة مثبتةٌ فيها إلى قوله: (وأمَّا حديثُ الباذنجانِ) وترك بياضًا نحو سطر من مكان المصنف، بيّض له أولًا ثم زاده.

ونستطيع أن نقول: إننا قد استأنسنا بأربع نسخ أخرى؛ فهذه النسخة قوبلت وروجعت على أربع نسخ.

جاء العنوان على الغلاف: كتاب قوت الأحياء من كتاب الإحياء للغزالي، تصنيف الإمامِ العلّامةِ أبي عبدِ اللهِ محمَّدِ شمسِ الدِّينِ بنِ عليّ بن جعفرِ الموصلي الشهير بالبِلاليّ رحمة الله عليه آمين.

وعليها تملكات:

تملكها: أبو بكر بن رستم بنِ أحمد الشَّرَواني.

كما جاء على الغلاف:

الله حسبي

من كتب أبي بكر بن رستم بن أحمد الشرواني.

أوقفها: حكمة الله بن عصمةِ الله الحسيني.

وعليه ختم دائري فيه: مما وقفه العبد الفقير إلى ربه الغنيِّ أحمدُ عارف حكمة الله ابن عصمة الله الحسيني في مدينة الرسول الكريم عليه وعلى آله الصلاة والتسليم بشرط ألا يخرج عن خزائنه، والمؤمنُ محمول على أمانته ١٢٦٦هـ.

وختم آخر دائري كتب عليه: وقف حكمة الله بن عصمة الله الحسيني ٢٦٧ [بعد الألف].

وقد وضع الختم على هامش عدة أوراق في الداخل.

جاء على غلاف الكتاب ما يلي:

الحمد لله رب العالمين

هــذا كتابٌ لــو يبــاعُ بوزنهِ ذهبًـا لـكانَ البائـعُ المغبونـا

آخر:

إذا كان رومُ الاختصارِ فهكذا وإلا فتـركُ الاختصـارِ كمالُ

آخر:

القُوتُ قوتٌ لِمَهدٍ يســتقيتُ بهِ يا ربِّ، فاجعلْ لقُوتي[1] روحَ معناهُ

آخر:

للهِ دَرُّكَ مــن قوتٍ حكا نســبًا لأصله نسبة الحاوي لصاحبهِ

ومــع زياداتِ علمٍ ثَــمَّ جامعةٍ في فنِّها وسنا التوضيح فزتَ بهِ

جــزى اللهُ البلالــيْ كلَّ خيــرٍ لقدْ جانــا بقــوتٍ للقُلوبِ

وهــذَّبَ فيــهِ معنًى لــم يُغادِرْ مــن الإحيا بعيــد ولا قريبِ

غيره:

جزى اللهُ بالخيراتِ شيخًا محققًا عنيتُ البلاليْ. مرشدٌ في الحقيقةِ

(١) في الأصل: (قوتي)، ولعل الصحيح ما أثبت، والله أعلم.

مُلخِّصُ إحيــاءِ العلومِ فلفظهُ بليغٌ وأما فــي المعانِي فجمّة

غيره:

ربعُ العبــاداتِ بهــا يكتفي من كانَ ذا[1] لبٌ وفهمٍ سليم
كذلــكَ العاداتُ مــن يفقهها يُدعى نبيهًا في الورى مستقيم
والمُهلكاتُ الناسِ من يتقي أشرارها يظفر بـدارِ النعيم
والمنجيــاتُ القوم من يأتها مُتخلقًا يكفى وقيد الجحيم
فــالله يرزقنــي التخلُّــق بها ثمَّ الرّضا منــه بعفوٍ عميم
عنــي وأمّــي وكــذا والــد والأهلِ والأولاد ثم الحميم
وكُلّ من أحســنَ لي أو أسا كــذاك من عاديتُــه يا كريم
والمؤمنينَ الكُل والمؤمنات وعامّة الإسلام أنتَ الرحيم
وصل يــا ربِّ وســلِّمْ على محمّدالهادي صميم الصّميم
والآلِ والأصحابِ ما غردتْ وُرقٌ على غُصنٍ ثناهُ النّسيم

غيره: نضّر الله من نظرَ إليها بعينِ الإنصافِ والتغاضِي، وغفرَ لمن نظرَ إليها بعينِ التعسُّفِ والتقاضِي.

جاء في خاتمتها: تمَّ الكتابُ بحمدِ الله وعونهِ في الثامنَ عشرَ من صفرِ سنةِ ثمانٍ وثمانِمئة، الحمْد لله وحده وصلى الله على سيِّدنا محمَّد وآله وصحبهِ وسلم تسليمًا.

جاء في آخرها على الهامش: (بلغ مقابلةً على الأصل المنقولِ منه؛ فصح ولله الحمد والمنة.

ثم بلغ على نسخة للعهود... فيها قوبلت على المؤلف رحمه الله وجزاه خيرًا

---

(١) في الأصل: (ذو) والصواب ما أثبت، والله أعلم.

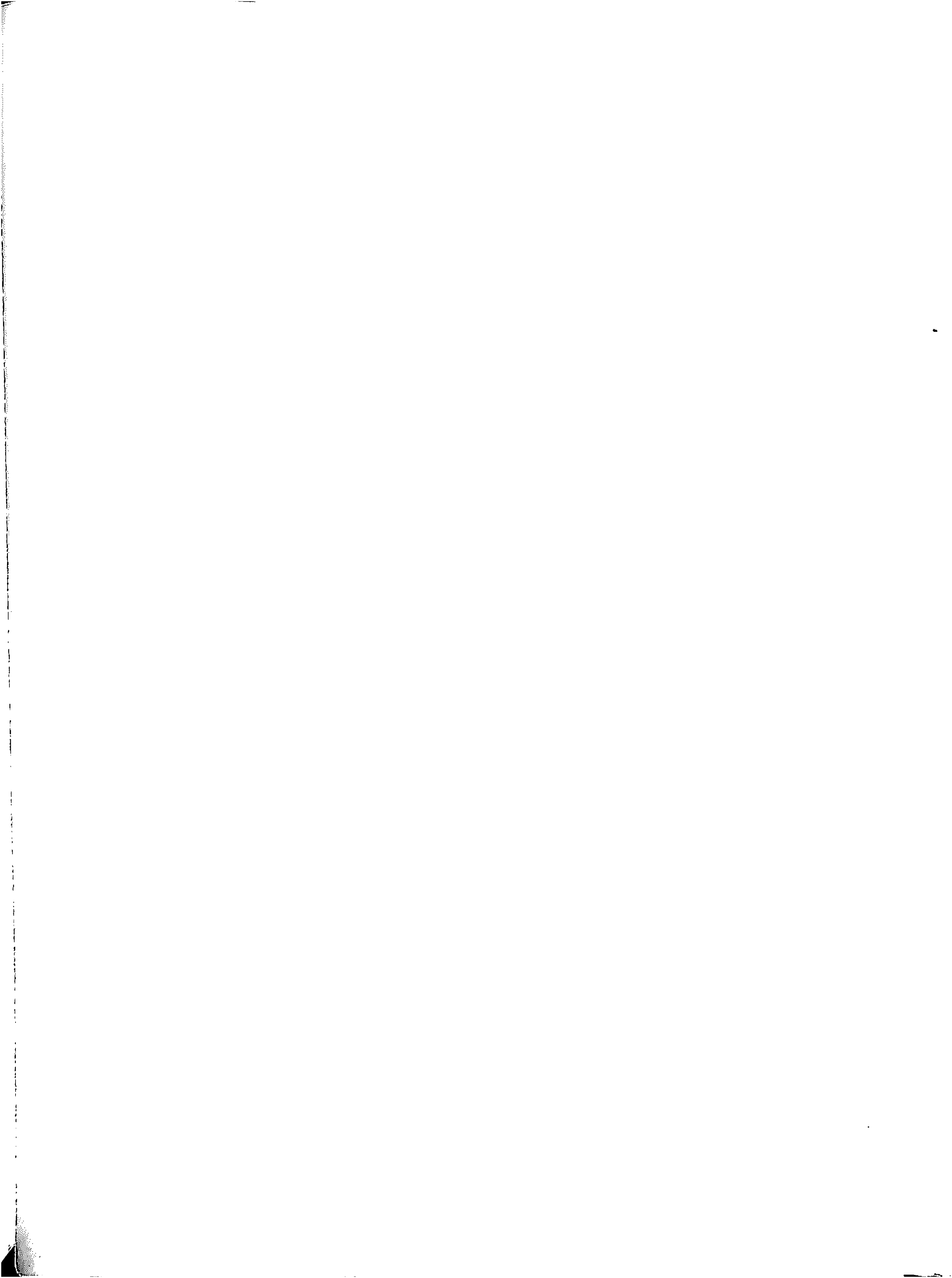
يسأل الله التوفيق للعمل بما حرر فيها من المعاملات؛ إنه جواد كريم رؤوف رحيم، وله الحمد والمنة، وصلى الله على محمد وآله وصحبه وسلم).

وقد اتضح لي أن أكثر ما سقط من النسخ قد تداركته هذه النسخ في الهامش مع التصحيح له، وأنه من الأصل، وأنها وافقت بزياداتها نسخة (أ) غالبًا، ونسخة (هـ، و) كثيرًا.

وامتازت هذه النسخة بكتابة النواوي بالألف، وضبط بعض الكلمات بالضبطين معًا، وقد أثبتُّها في الهامش، وببيان بعض الكلمات في الهامش لإيضاحها، وذِكْرِ بعض الفروق من نسخ أخرى، وأثبتُّ معظمها.

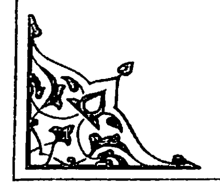
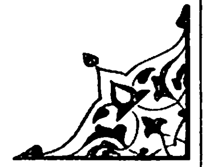
ورمزت لهذه النسخة بـ: (ز).

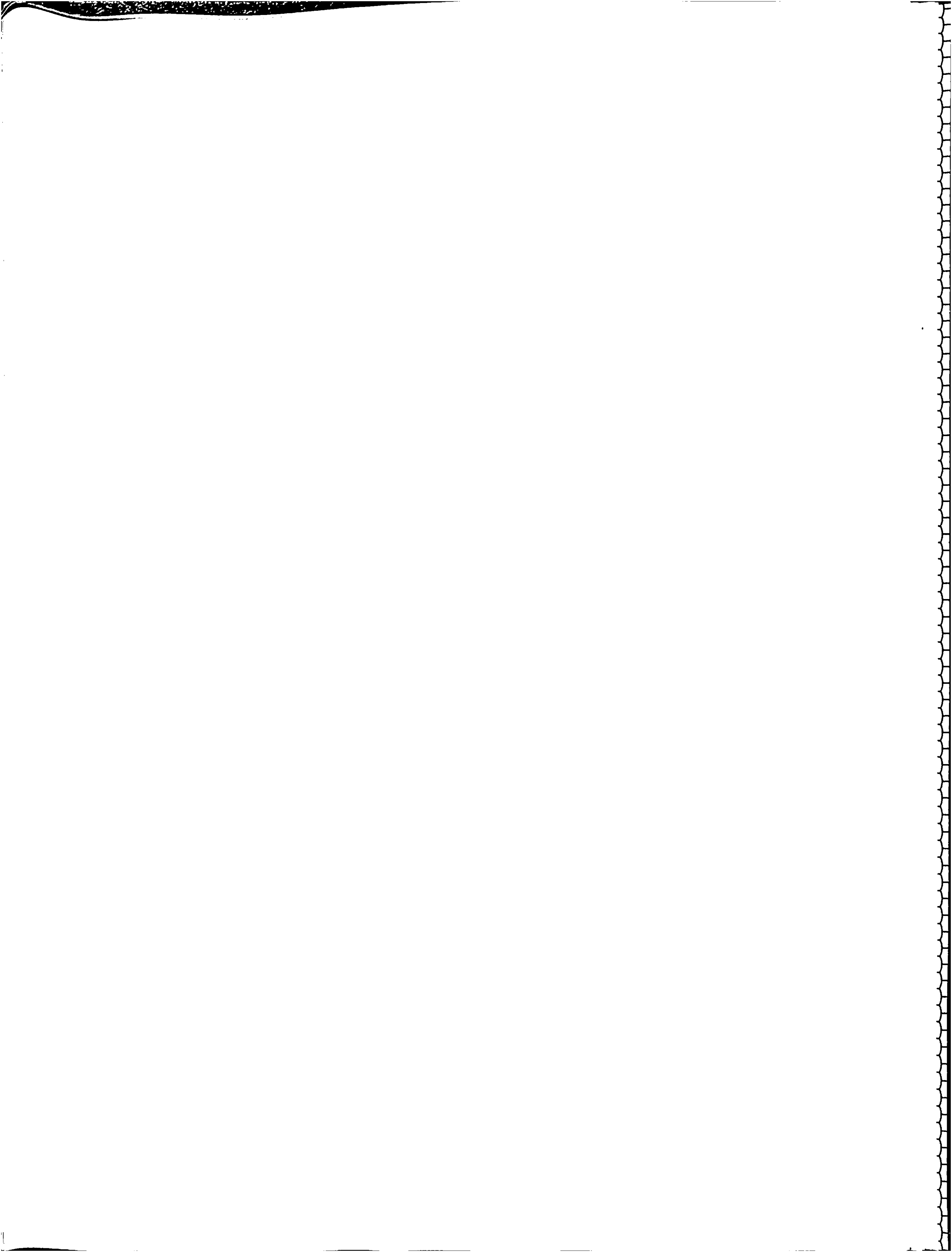
❊ ❊ ❊

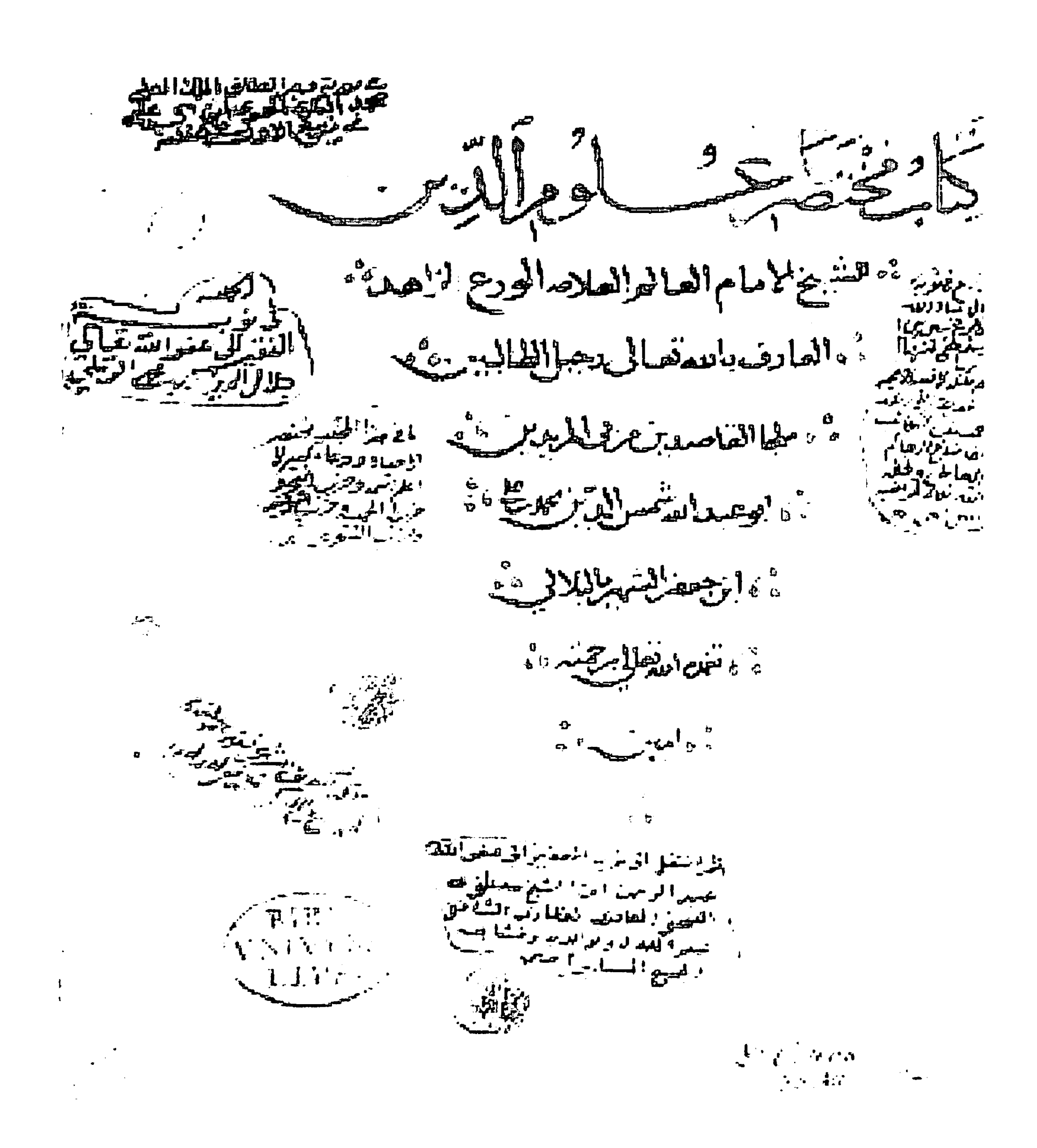





صور المخطوطات المعتمدة
في تحقيق هذا المختصر المبارك




كتاب مختصر علوم الدين

للشيخ الإمام العالم العلامة الورع الزاهد

صورة الغلاف من نسخة مكتبة جامعة لايبزيغ (leipzig)
وهي من مقتنيات مكتبة الرفاعية الدمشقية، المرموز لها بـ(أ)

بسم الله الرحمن الرحيم رب يسر وتمم بالخير

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات بجميع محامده تعالى

يوافي نعمه ويكافئ مزيده سبحانه لا أحصي ثناء عليه هو كما [illegible] فله

الحمد حتى يرضى وصلى الله على نبيه ورسوله محمد وآله وأزواجه [illegible] وصحبه

وسلم [illegible] فالوقت عزيز والعمر قصير والعلم كثير وغاية [illegible]

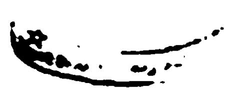
وكتاب الإحياء نفيس جدا [illegible] حفظه ومطالعته وتحصيله [illegible]

[illegible]

الصفحة الأولى من نسخة مكتبة جامعة لايبزيغ (leipzig)

وهي من مقتنيات مكتبة الرفاعية الدمشقية، المرموز لها بـ(أ)

الصفحة الأخيرة من نسخة مكتبة جامعة لايبزيغ (leipzig)
وهي من مقتنيات مكتبة الرفاعية الدمشقية، المرموز لها بـ(أ)



الصفحة الأولى من نسخة مكتبة الخزانة العامة بالرباط المرموز لها بـ(ب)

الصفحة الأخيرة من نسخة مكتبة الخزانة العامة بالرباط المرموز لها بـ(ب)

الصفحة الأولى من نسخة خزانة زاوية تنغملت المرموز لها بـ(ج)

الصفحة الأخيرة من نسخة خزانة زاوية تنغملت المرموز لها بـ(ج)

مختصر الاحياء العلوم

صورة الغلاف من نسخة الفاتح المرموز لها بـ(د)

الصفحة الأولى من نسخة الفاتح المرموز لها بـ(د)

الصفحة الأخيرة من نسخة الفاتح المرموز لها بـ(د)

بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين

قال الشيخ الإمام العالم الورع الزاهد العارف بالله الأوحد الظافر الحبر
المفيد المتقن الحميد المحقق العارف الماهر مرشد السالكين رحلة الطالبين
عين المسلكين روح المحققين أبو عبد الله شمس الدين محمد بن أبي الحسن علي بن
جعفر الموصلي الشهير بالبلالي الشافعي قدس الله روحه ونور ضريحه

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات

الصفحة الأولى من نسخة زبيد المرموز لها بـ(هـ)

من عمل حسنة فله عشر أمثالها أو أزيد ومن عمل سيئة فجزاؤه مثلها أو أغفر ومن
عمل بقراب الأرض خطيئة ثم لقيني لا يشرك بي شيئا جعلت له مثلها مغفرة ومن اقترب
إلي شبرا اقتربت إليه ذراعا ومن اقترب إلي ذراعا اقتربت إليه باعا ومن أتاني
يمشي أتيته هرولة وقوله أترون هذه المرأة طارحة ولدها في النار قالوا لا قال
الله أرحم بعباده من هذه بولدها وقوله ما من عبد قال لا إله إلا الله ثم مات على
ذلك إلا دخل الجنة وقوله إن الله حرم النار على من قال لا إله إلا الله يبتغي بذلك وجه
الله وقوله يخرج من النار من قال لا إله إلا الله وكان في قلبه من الخير ما يزن
شعيرة الحديث وقوله إذا فرغ الله تعالى من القضاء بين العباد وأراد أن يخرج
من النار من أراد أن يرحم ممن كان يشهد أن لا إله إلا الله أمر الملائكة يخرجونهم
فيعرفونهم بعلامة السجود وحرم الله على النار أن تأكل من ابن آدم أثر السجود
فيخرجونهم وقد امتحشوا فيصب عليهم من ماء يقال له ماء الحياة فينبتون نبات
الحبة في حميل السيل الحديث هذه الأحاديث كلها صحاح واقتصرنا على بعض ما
[illegible] أمور يجب الإيمان بها ومن الذي يدرك ما عند الله فنسأل الله الكريم
أن يجعلنا ومشايخنا وأصحابنا وأحبابنا وافر نصيب من رحمته وبركته في
الأمور كلها إنه بر رحيم واسع لا يتعاظمه شيء ما سأل الله تبارك وتعالى سعادة
الدارين بلا محنة لنا ومن عثر في هذا الكتاب على خلل وأصلحه بشرط تعاون
على البر والتقوى وحسبنا الله ونعم الوكيل والحمد لله رب العالمين

وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم
وكان الفراغ من تحصيله قبيل العصر
يوم الأحد الخامس عشر من شهر
رمضان سنة سبع وألف
من الهجرة النبوية
على صاحبها أفضل
الصلاة والسلام

تم مقابلة بحسب
الطاقة والإمكان
والحمد لله أولا وآخرا
وظاهرا وباطنا
على كل حال

[illegible]

الصفحة الأخيرة من نسخة زبيد المرموز لها بـ(هـ)

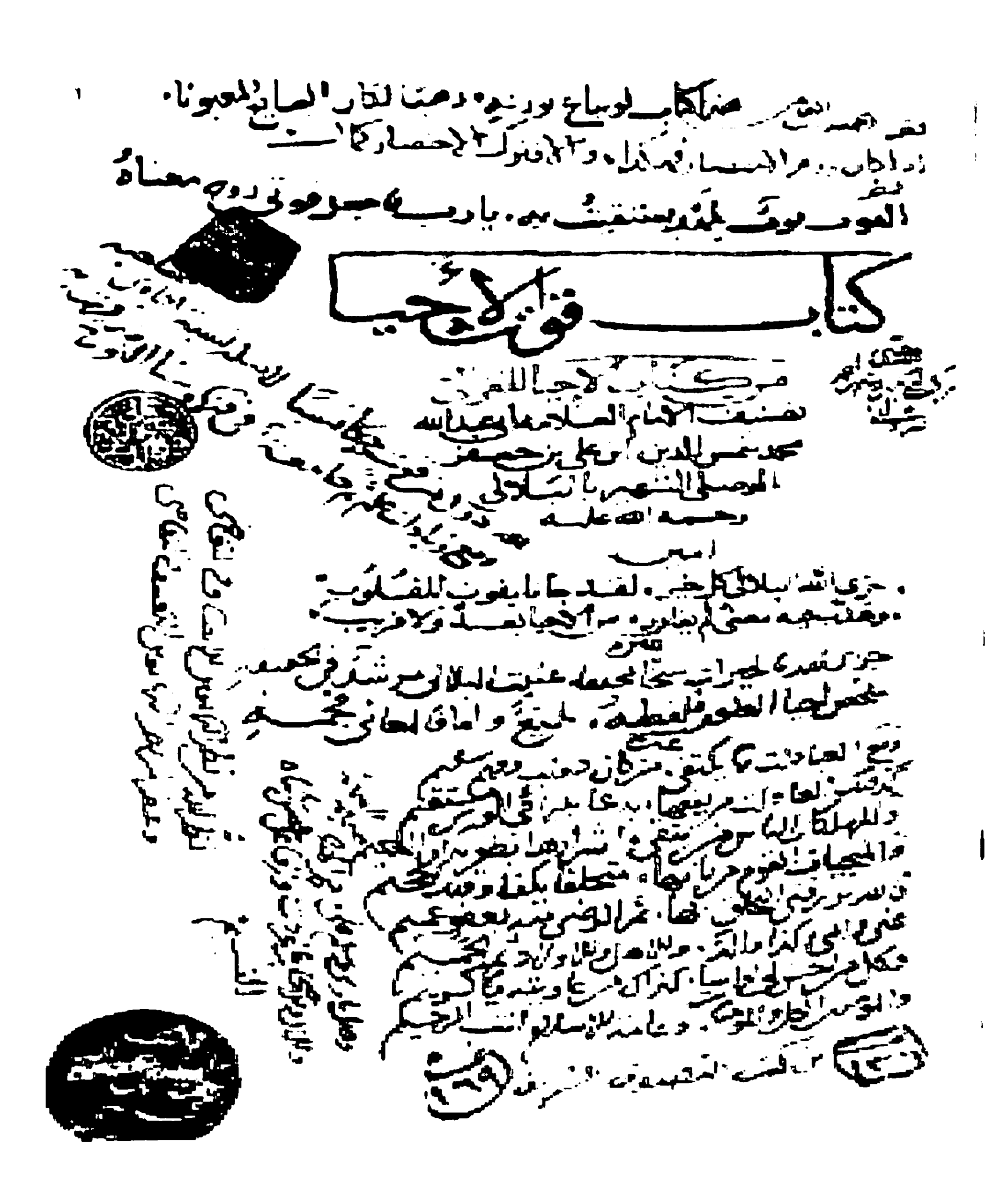


صورة الغلاف من نسخة صنعاء المرموز لها بـ(و)

بسم الله الرحمن الرحيم

الصفحة الأولى من نسخة صنعاء المرموز لها بـ(و)

الصفحة الأخيرة من نسخة صنعاء المرموز لها بـ(و)


كتاب قوت الأحيا

صورة الغلاف من نسخة الشيخ عارف حكمت رحمه الله المرموز لها بـ(ز)

بسم الله الرحمن الرحيم

قال الشيخ الإمام العالم العامل زين الرحلة المحقق المدقق
العمدة رحلة الطالبين نجاة القاصدين مربي المريدين أبو عبد الله محمد
شمس الدين ابن علي بن جعفر الموصلي الشهير بالبلالي عامله الله بالطافه
الخفية في الدنيا والآخرة وختم له بخير عند منتهى الأجل: الحمد لله الذي بنعمته
تتم الصالحات نحمده تعالى على جميع نعمه حمدًا يوافي نعمه ويكافئ مزيده
سبحانه لا نحصي ثناء عليه هو كما أثنى على نفسه فله الحمد حتى يرضى.
وصلى الله على نبيه ورسوله محمد وآله وأزواجه وذريته وصحبه وسلم أبدًا
وبعد فالوقت عزيز والعمر قصير والعلم كثير وغاية العلم العمل لأنه
ثمرته وفائدة العمر وزاد الآخرة من ظفر به سعد ومن فاته خسر وتتم
بالعلم والنية وصنع العوائق ودفع العوارض والقوادح وتحصيل البواعث
مع الجد والشكر كما سيأتي إن شاء الله تعالى. تنبيه: العمل أفضل
من العلم به إذ شرفه بشرف معلومه فافهم وعلم زاد لذا تركالحسبة ونحوها
أشرف والله أجل معلوم ولو كان العلم شرطًا فالمشروط أعلى وكل خير
أفضل من علم به ولذلك قال الشافعي رحمه الله تعالى الاشتغال
بالعلم أفضل من صلاة النافلة يعني إلا من كل عمل والعمل بلا علم
لا يسمى عملًا بل هو رد وباطل فالتوبة والخوف والرجاء والتوكل والمحبة
ونحوها أشرف من علم بها فافهم وبإتقان العلم صحة العمل ونيل
الخشية الباعثة على فعل المأمور وترك المحذور ومن حقق معرفة ربه تعالى
بما يجب له ويستحيل عليه وطهر باطنه من كل وصف مذموم يجب
إزالته واتصف بمحمود يجب الاتصاف به وترك ما يجب تركه

وفضل

الصفحة الأولى من نسخة الشيخ عارف حكمت رحمه الله المرموز لها بـ(ز)

خلق الرحمة يوم خلقها مائة رحمة فأمسك عنده تسعة وتسعين
رحمة وأرسل في خلقه كلهم رحمة واحدة ولو يعلم الكافر
بكل الذي عند الله من الرحمة لم ييأس من الجنة ولو يعلم المؤمن
بكل الذي عند الله من العذاب لم يأمن من النار وقوله إن لله
عز وجل مائة رحمة أنزل منها رحمة واحدة بين الإنس والجن والهوام
فبها يتعاطفون وبها يتراحمون وبها تعطف الوحش على أولادها
وأخر تسعا وتسعين إلى يوم القيامة يرحم بها عباده وقوله إن ربكم
تبارك وتعالى رحيم من هم بسيئة فلم يعملها كتبت له حسنة وإن
عملها كتبت له سيئة واحدة أو يمحوها الله الحديث ولا يهلك
على الله إلا هالك وقوله يقول الله عز وجل من عمل حسنة فله عشر
أمثالها أو أزيد ومن عمل سيئة فجزاؤه مثلها أو أغفر ومن عمل
بقراب الأرض خطيئة ثم لقيني لا يشرك بي شيئا جعلت له مثلها مغفرة
ومن اقترب إلي شبرا اقتربت إليه ذراعا ومن اقترب إلي ذراعا
اقتربت إليه باعا ومن أتاني يمشي أتيته هرولة وقوله أترون
هذه المرأة طارحة ولدها في النار قلنا لا والله قال لله أرحم بعباده
من هذه المرأة بولدها وقوله ما من عبد قال لا إله إلا الله
ثم مات على ذلك إلا دخل الجنة وقوله إن الله قد حرم النار على

الصفحة الأخيرة من نسخة الشيخ عارف حكمت رحمه الله المرموز لها بـ(ز)

قُوتُ الأَحْيَاء مِنْ كِتَابِ الإِحْيَاء

وَيُسَمَّى جَنَّةَ المَعَارِف، أَوْ رُوحَ الإِحْيَاء، أَوْ إِحْيَاءَ الإِحْيَاء

وَهُوَ أَحْسَنُ مُخْتَصَرٍ لِإِحْيَاءِ عُلُومِ الدِّينِ لِلإِمَامِ الغَزَالِيِّ

تَأْلِيفُ العَالِمِ الصَّالِحِ العَارِفِ بِاللَّه

شَمْسِ الدِّينِ مُحَمَّدِ بْنِ عَلِيِّ بْنِ جَعْفَرٍ العَجْلُونِيِّ

ثُمَّ القَاهِرِيِّ الشَّافِعِيِّ الشَّهِيرِ بِالبِلَالِيِّ

المُتَوَفَّى سَنَة ٨٢٠ هـ

يُنْشَرُ لِأَوَّلِ مَرَّة

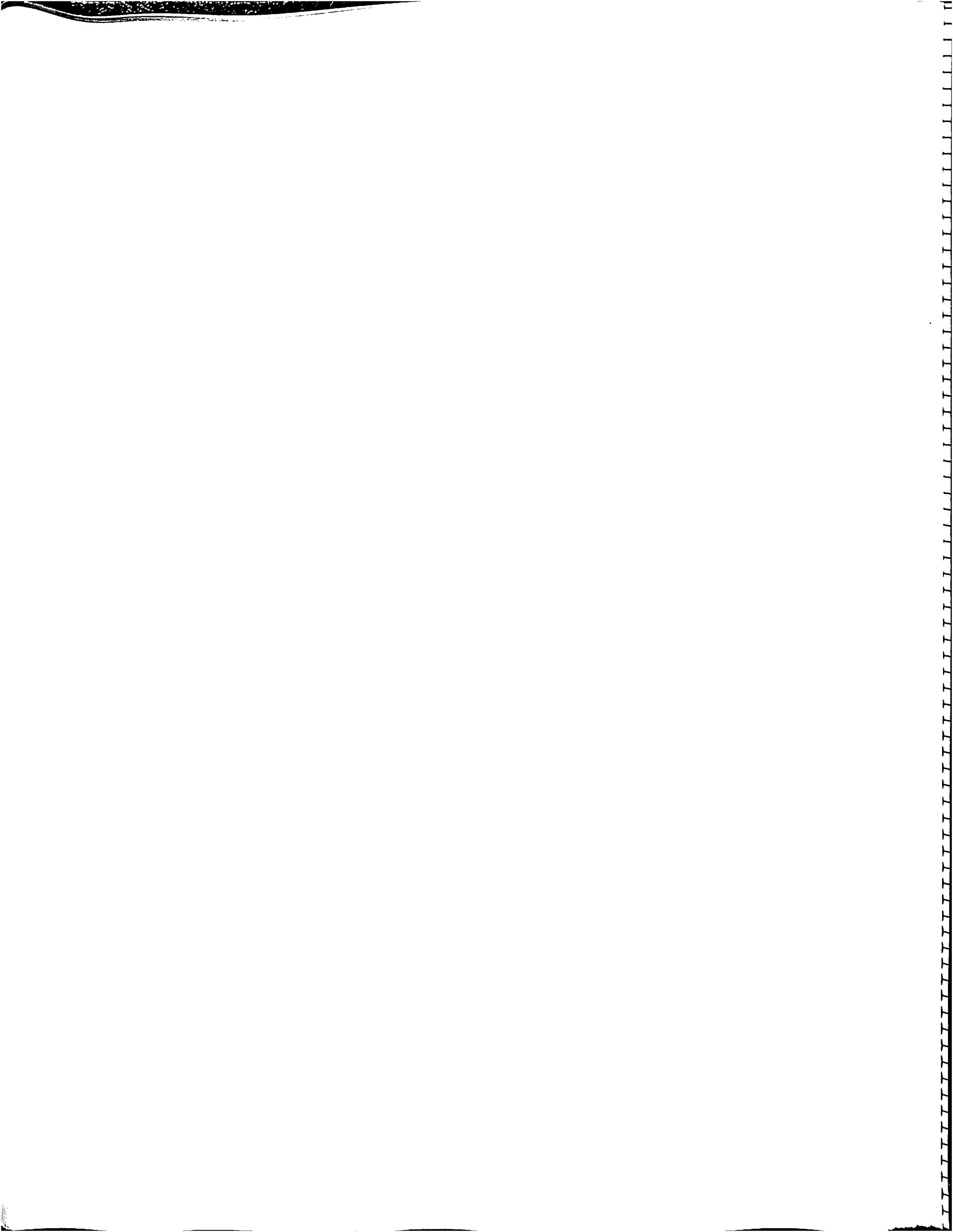
حَقَّقَهُ عَنْ سَبْعِ نُسَخٍ خَطِّيَّةٍ

مُحَمَّد مُصْعَب كُلْثُوم



دار الفتح

للدراسات والنشر



بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

رب يسر وتمم بخير يا كريم[١]

[مقدمة المؤلف]

قـالَ الشَّيـخُ الإمامُ العالمُ العامِلُ الرُّحْلةُ المُحقِّقُ المُدقِّقُ العُمْدةُ، رُحلةُ الطالبين، مَلْجأُ القاصِدين، مُربِّي المُريدين، أبو عبدِ اللهِ محمَّد شمسُ الدِّين بنُ عليِّ بنِ جَعْفرٍ المَوْصِليُّ الشَّهيرُ بالبِلاليِّ، عاملَهُ اللهُ بألطافهِ الخفِيّةِ في الدُّنيا والآخرةِ، وختمَ لهُ بخيرٍ عندَ مُنتهَى الأَجَلِ[٢]:

---

(١) في (د): وما توفيقي إلّا بالله عليه توكّلتُ، وفي (ب، ج): وصلّى الله على سيّدنا محمّدٍ وآله وسلّم تسليمًا. وفي (هـ، و): وبه نستعينُ. والمثبت من (أ).

(٢) مثبتة من (ز)، وهي منسوخة في حياة المؤلف رحمه الله كما هو ظاهر. وفي (د): قال الشيخ الإمام العالم أبو عبد الله محمد المدعو شمس الدين بن علي بن جعفر الشهير بالبلالي رضي الله عنه ونفعنا به.

وفي (ج) قال الشيخ الإمام العالم الورع العامل الزاهد العابد الناسك العارف بالله جامع أشتات الفضائل المرحول إليه من كل مصر، مُربّي المريدين أبو عبد الله شمس الدين محمد بن جعفر الشّهير بالبلاليّ عامله الله بلطفه في الدنيا والآخرة.

وفي (هـ، و): قال الشيخ الإمام العالم الورع الزاهد العارف بالله الأوحد الظافر الحبر المفيد المتقن المجيد المحقق العارف الماهر، مرشد السالكين، رُحلة الطالبين، عين المُسلّكين، روح المحققين، أبو عبد الله شمس الدين محمد بن أبي الحسن علي بن جعفر الموصليّ الشهير بالبلالي الشافعيّ قدّس الله روحه ونوّر ضريحه بمحمّد وآله آمين.

الحمدُ للهِ[١] الذي بِنعْمتِه تتمُّ الصَّالحاتُ بجَميعِ محامده تعالى على جميع نِعَمِهِ، حَمْدًا يُوافِي نِعَمَهُ ويُكافِئُ مَزِيدَهُ - سُبحانَهُ لا أُحْصِي[٢] ثناءَ عليهِ هُو كَما أَثْنى على نَفْسِهِ؛ فلهُ الحَمْدُ حتَّى يَرضَى - وصلَّى اللهُ على نبيِّه ورسُوله مُحمَّدٍ وآلِهِ وأزْواجِهِ وذُرِّيتِهِ وصَحْبِهِ وسَلَّمَ تسلِيمًا كثيرًا أبدًا.

أمّا بعدُ[٣]،

فالوقتُ عَزيزٌ، والعُمرُ قَصِيرٌ، والعِلْمُ كَثيرٌ، وغايتهُ العَملُ[٤]؛ لأنّهُ ثمرتُه وفائدةُ العُمرِ، وزادُ الآخرةِ، مَن ظَفِرَ به سَعِدَ، ومَن فاتَهُ خسِرَ[٥]، ويتمُّ بالعلمِ، والتوبةِ، ومَنعِ العوائقِ، ودَفعِ العوارضِ والقَوادحِ، وتحصيلِ البواعثِ معَ الحَمْدِ والشُّكرِ، كما سيأتي إنْ شاءَ اللهُ تعالى[٦].

---

(١) في (ب، ج): الحمد لله رب العالمين الذي....

(٢) في (د): نحصي.

(٣) في غير (هـ، و، ز): وبعد.

(٤) ما أروع هذه الافتتاحية وأبرعها وأجمعها! فهي والله كافية ومغنية لكلِّ ذي لبٍّ؛ فرحم الله المؤلف ونفعنا به وبمختصره وأصله.

ومن هاهنا إلى قول المؤلف: (وكتاب «الإحياء») مثبت من (ج، هـ، و، ز)، ولم تثبتها باقي النسخ (أ، ب، د)، وهي افتتاحية بين يدي الكتاب، وقد ظهر لي أن المؤلف رحمه الله اختصر بها كتاب «منهاج العابدين إلى جنة رب العالمين» لحجة الإمام الغزالي رحمه الله، وقد صنفه بعد أن صنف كتاب «الإحياء»، وأودع فيه ما لم يودعه فيه، وقد ربط البلالي رحمه الله تعالى بين هذه المقدمة وكتابه كما سترى. ولعل المصنف صنفها بعد أن أنهى مختصره للإحياء، والله أعلم.

(٥) في هامش (ز) حاشية: وهو الناشئ عن السنة الشريفة؛ كما قال ابن المنير [«المتواري على تراجم أبواب البخاري» (ص٣٤)]: اعلم أن السنة هي الجنة وردها صافي وظلها ضافي، من تشرعها روي وغنم، ومن ورد غيرها صدي وندم. جعلها الله موردنا في الدنيا والآخرة.

(٦) ينظر (ص٣٧٧).

تنبيه:

[العمل أفضل من العلم]

العملُ أفضلُ مِنَ العِلْمِ بِهِ؛ إذ شرفُه بشرفِ مَعلُومِه ـ فافهمْ ـ وعِلْمٌ يُرادُ لذاتِه كالهَيبةِ ونحوِها أشرفُ، واللهُ أجلُّ معلومٍ، ولو كان العِلمُ شرطًا في صحَّتِهِ فالمشروطُ أعلى، وكلُّ خيرٍ أفضلُ مِن عِلمٍ بِهِ؛ ولذلكَ قالَ الشّافعيُّ رحمهُ اللهُ تعالى: الاشتغالُ بالعلمِ أفضلُ مِنْ صلاةِ النّافلةِ[1]؛ يعني: لا مِنْ كُلِّ عَمَلٍ، والعملُ بلا عِلمٍ لا يُسمَّى عَملًا، بل هو ردٌّ وباطلٌ؛ فالتوبةُ والخوفُ والرَّجاءُ والتوكُّلُ والمحبةُ ونحوُها أشرفُ مِن علمٍ بها ـ فافهمْ ـ وبإتقانِ العلمِ صِحَّةُ العَملِ، ونيلُ الخشيةِ الباعثةِ على فعلِ المأمورِ وتركِ المحذورِ. فمَنْ حقَّقَ معرفةَ ربِّه تعالى بما يجبُ لهُ ويَستحيلُ عليهِ، وطَهَّرَ باطنَهُ من كُلِّ وَصْفٍ مَذمومٍ تَجبُ إزالتُه، واتَّصفَ بمحمودٍ يجبُ الاتِّصافُ بهِ، وتركَ ما يجبُ تركُه، وفعَلَ ما يجبُ فِعْلُه؛ فقد أدَّى ما عليهِ، فيفزَعُ إلى التَّوبةِ[2] ليُوفَّق وتُقبلَ منهُ؛ فالذُّنوبُ عائقةٌ، وعُقوبةُ الذَّنبِ في الدُّنيا أبلغُ مِنَ التَّوبةِ في غَفْرِهِ[3]؛ لأنَّ التوبةَ لا تُسقِطُ الحُقوقَ.

---

(١) «مسند الإمام الشافعي» (٢١)، ورواه الإمام البيهقي في «مناقب الإمام الشافعي» (٢: ١٣٨)، وابن عبد البر في «الانتقاء في فضائل الثلاثة الأئمة الفقهاء مالك والشافعي وأبي حنيفة رضي الله عنهم» (ص٨٤) عن الربيع بن سليمان المرادي قال: سمعت الشافعيّ يقول: طلبُ العلم أفضلُ من صلاة النّافلة.

(٢) في (ز): فيفزع إلى الله تعالى.

(٣) في (ز): في الآخرة.

[العوائق الأربعة]

والعوائق:

أوّلُها: الدُّنيا

تُدفعُ بالزُّهدِ فَراغًا للعِبادةِ وتكمِيلها. رُوِيَ: «ركعْتانِ مِنْ زاهِدٍ أحبُّ إلَى اللهِ تَعالَى مِنْ عِبادَةِ المُتعَبِّدِينَ»[١]. والزُّهدُ مَوهِبةٌ سُقوطِ الرَّغبةِ بدوام تركِ طَلبِ الدُّنيا، وتفريقُ موجودِها مع عِلْمِ أنّها عَدوَّةُ ربِّه تعالى؛ فلا بُدَّ من بُغضِ عدُوِّ محبوبِهِ، لا سيَّما وكونُها فانيةً حقيرةً مانعةَ الخيرِ، لا سيَّما[٢] حَرامُها وفُضولُها. وما لا بُدَّ لكَ منهُ[٣] منها فانوِ بهِ عونًا على الطّاعةِ بفَقْدِ تلذُّذٍ وإكثارٍ؛ فلا يضرُّ زُهدَكَ.

العائق الثاني: الخلق

تَرْكُهُم فَراغًا وسَلامةً لكَ ولعَمَلِكَ ولعِلْمِكَ؛ كما تراهُ في العُزلةِ وأحكامِها وآفاتِها وآفاتِ الخُلْطةِ؛ فتأمَّلها هُناكَ[٤].

---

(١) قال الحافظ العراقي في «تخريج الإحياء» (٥: ٢٢٨٦): رواه مسروق عنه ـ أي: ابن مسعود ـ كما في «القوت» (١: ٤٤٠). وقد رُوي نحوه مرفوعًا من حديث أنس: «ركعتان من رجل ورع أفضلُ من ألف ركعةٍ من مُخلّط». رواه أبو نعيم، وروى ابنُ النجّار عن موسى بن جعفر عن أبيه عن جده: «ركعتان من عالمٍ أفضلُ من سبعين ركعة من غير عالم»، وروى الشيرازيُّ في «الألقاب» من طريق مالك بن دينار عن الحسن عن أنس عن عليٍّ رفعهُ: «ركعتان من عالم بالله خيرٌ من ألف ركعةٍ من مُتجاهلٍ بالله».

(٢) في (ج، هـ، و): سيّما. بغير (لا). وينظر في حكم حذف (لا): «التذييل والتكميل» لأبي حيان (٨: ٣٧٤).

(٣) قوله: منه. مثبتة من (و).

(٤) ينظر (ص٢٤٩).

العائق الثالث الشيطان:

يُدفعُ بعِلْمِ أنّهُ عدُوٌّ ولا يَنصحُ، ولهُ عليكَ أعوانٌ أشدُّها نفسُكَ، يحثُّها على تركِ الطّاعةِ وفعلِ المعصيةِ؛ فدوامُ الذِّكرِ يدفعهُ مع صَمْتٍ وجُوعٍ وسَهرٍ، وحلالِ مأكلٍ ومَشْربٍ ومَلْبسٍ ومَسْكنٍ ومَنكحٍ، وتركِ كُلِّ شُبهةٍ وشِبَعٍ ومُشتهًى، وتركِ مُبالاةٍ به وبأمرِهِ ونهيِهِ وتلبيسِهِ.

سبيلُها: معرفةُ الخواطرِ، آثارٌ يُحدثُها الله تعالى؛ فمِنْها بلا سببٍ فخيرُه نعمةٌ، وشرُّه مِحْنةٌ[١] كما ترى بيانَه، النَّفْسانيُّ بحظٍّ، والشَّيطانيُّ باضطرابٍ، والمَلَكيُّ بخيرٍ، باعثُهُ أقوى مِنَ القلبيِّ، ورُبَّما كان مِنْ نفسٍ وشيطانٍ مكرًا منهُ واستدراجًا منها إلى غَرضٍ منها، فما وافقَ الشرعَ يُفعلُ، أو خالفَهُ يُتركُ، وما لم يتضحْ وفعَلَهُ الصُّلحاءُ أو نفرتْ عنهُ نفْسُكَ طبعًا لا خشيةً فُعِلَ، أو خالفَهُم أو مِلْتَ إليهِ طبعًا لا رجاءً تُركَ، وخاطرُ شرٍّ عَقِبَ ذنبٍ فعُقوبةٌ، وإلا فشيطانيٌّ، وكذا إذا ضعُفَ بذكرِهِ تعالى، فإنْ لم يضعُفْ بالذِّكْرِ فنَفْسانيٌّ، وخاطرُ خيرٍ عقِبَ طاعةٍ إن قَوِيَ[٢] فرَبّانيٌّ، وإلا فمَلَكِيٌّ. وإن كان في اعتقادٍ ونحوِه فربّانيٌّ، أو في الفُروعِ ونحوِها فمَلكيٌّ غالبًا؛ إذ لا اطِّلاعَ للمَلكِ على الباطنِ عندَ الجُمهورِ، ومتى جُهِلَ الخاطرُ ومعهُ نشاطٌ[٣] بلا خشيةٍ وتأنٍّ وخوفٍ وبصيرةٍ تُركَ، وإلا فُعِلَ؛ إذ التّأنّي والتخوُّفُ مِن إتمامهِ وقَبولِه، والتبصُّرُ أنّهُ رُشدٌ أم لا، وربما نشِطَ لثوابِهِ ورجائِهِ فخيرٌ.

وأما خُدعُ الشَّيطانِ فسَبْعٌ: يَنهى عَن الطّاعةِ فقُل: دُخولي إلى الجنةِ أو

---

(١) في (ز): وبمباشرة محنة.

(٢) قوله: (إن قوي) غير مثبتة في (هـ، ز)، وهي من هامش (و) وعليها علامة تصحيح.

(٣) في (ز): معناه احتاط.

النارِ مُطيعًا أولى، ثمَّ يأمرُ بتأخِيرِها، فقُل: موْتي بغتةً، ثم يأمرُ بالعَجلة، فقُل: قليلُ العملِ بإتمامٍ ولا كثيرُه مع نُقصانٍ، ثمَّ يأمرُ بإتمامِه للرياء، فقُل: الرِّياءُ يُفسدُ العملَ ويُوجبُ العِقابَ ويُفوِّتُ الثَّوابَ، ثمَّ يمدحُه ليُوقعه في العُجْبِ، فقُل: المنَّةُ للهِ تعالى، ثم يأمرُ بالمُجاهدةِ ليظهرَ عليهِ أثرُها لنوعِ رياءٍ، ثم يقولُ: عملُكَ لا يُسْعِد شقيًا وتركُه لا يُشْقِي سعيدًا، فقُل: على العبدِ طاعةُ سيِّدِهِ، وقدْ وعدَ عليها وتَوعَّدَ على مَعْصيتِهِ، ووعْدُه حقٌّ، والخيرُ أرجى مِن الشَّرِّ.

العائق الرابع النفس:

عدُوٌّ من داخلٍ محبوبٌ يَعظمُ ضررُه، والمُحبُّ أعْمَى عَن عيبِ مَحبوبِهِ؛ فتركُ كُلِّ حرامٍ وشُبهةٍ وفَضلةٍ مع جُوعٍ وسَهَرٍ وأورادٍ ثقيلةٍ مُتواصلةٍ تُلْهِي عَن كُلِّ ذَنْبٍ وغَفْلةٍ، بدوامِ تخويفٍ وترغيبٍ واستعاذةٍ به تعالى مِن شرِّها، ودوامِ استغاثةٍ[1] بِهِ تعالى لِيُؤتيها تقْواها؛ نجاةٌ[2]، وكمْ جمعت التَّقْوى مِن خَيرٍ وثوابٍ وسعادةٍ!

ويُحَصِّلُ العبادةَ توفيقٌ وتأييدٌ أوّلًا، ثُمَّ صلاحُ العملِ وتكميلُه، ثم قَبولُه، وكُلُّ ذلكَ للمُتَّقِينَ. قالَ اللهُ تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا۟ ﴾ [النحل: ١٢٨]، وقالَ تعالى: ﴿ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَـٰلَكُمْ ﴾ [الأحزاب: ٧١]، وقالَ اللهُ تعالى: ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴾ [المائدة: ٢٧].

فلا غايةَ فوقَ التَّقْوى؛ وهي فِعلُ كُلِّ مأمورٍ، وتركُ كُلِّ مَحذورٍ للهِ تعالى فقطْ، أو توقِّيًا مِن عذابِهِ، أو نيلَ ثوابِهِ صحَّ[3]؛ لأنَّ باعثَها إيمانُه[4] بالوَعْدِ والوَعيدِ،

---

(١) في (ز): استعانة.

(٢) قوله: (نجاة) خبر لقوله المتقدم: (فترك).

(٣) في (ج، ز): يصحُّ.

(٤) في (ز): الإيمان.

وإنْ تورَّعَ عن كُلِّ شُبهةٍ وفُضولِ حلالٍ في سمعهِ وبصرهِ وبطنهِ وفَرْجهِ ويديهِ ورِجليهِ وملابسهِ ونحوِها فكمالٌ[١]. وسيأتي ذِكْرُ صفاتٍ محمودةٍ ومذمومةٍ[٢]، وفي التوبةِ بيّنّا المنهياتِ ومنابعَ الذُّنوبِ فتأمَّلْها[٣].

وغالبُ الفِتنِ مِن: الأملِ، والعَجلةِ، والكِبْرِ، والحَسَدِ. وضدُّها: الصَّلاحُ ـ وهو التأنِّي ـ وقِصَرُ الأملِ، والنَّصيحةُ، والتَّواضعُ.

وطُولُ الأملِ يُنسِي الآخرةَ ويُكسِلُ عَن العملِ؛ تقولُ: سوفَ أتوبُ وأعملُ؛ فيكثرُ همُّكَ وحِرْصُكَ، فيضيعُ وقتُكَ ويقسُو قلبُكَ، وبطولِ الأملِ لا تذكرُ موتًا ولا حِسابًا، والعَجلةُ طلبٌ في غيرِ وقتهِ فيفترُ، أو يُفرِّطُ في طلبهِ فينقطعُ فيُحرَمُ، كمنْ تأخرتْ إجابتُه فتركَ الدُّعاءَ، أو استعجلَ إجابتَهُ فيمَنْ ظلمَهُ فيهلِكُ مسلمٌ بسببهِ، أو زادَ على حقِّه في دُعائهِ فعصَى، والعَجَلةُ تُوقعُ في حرامِ طعامٍ وكلامٍ وفعلٍ شُبهةٍ لفقدِ تثبُّتهِ؛ فإنَّهُ الورعُ الذي هو مَلاكُ الدِّينِ فاحذرِ العَجَلةَ، والحسدُ مُزيلٌ للنِّعمِ مُوجبٌ للنِّقمِ بلا فائدةٍ ـ وسيأتي في المُهلكاتِ[٤] ـ وكذا الكِبرُ وغيرُه؛ فتأمَّلها جدًّا.

ومَن أمّلَ حياةَ ساعةٍ جزمًا أساءَ؛ إذ لا يملكُه، أو قال: إنْ شاءَ اللهُ وتوطَّنَ قلبُه عَلَيهِ سَلِمَ، سواءٌ قصدَ دُنيا أو طاعةً، وضِدُّ الأملِ النيةُ المحمودةُ، وهيَ: إرادةٌ جازمةٌ بأخذِ عملٍ مُبتدأٍ به مع إرادةِ إتمامهِ بتفويضٍ واستثناءٍ بقلبهِ.

ويَبعثُ على قِصَرِ الأملِ كثرةُ تذكُّرِ بَغتةِ موتهِ، والتوقُّفُ يكونُ قبلَ العَمَلِ

---

(١) في هامش (هـ): فائدة عظيمة.

(٢) ينظر (ص٢٤٩).

(٣) ينظر (ص٣٦١).

(٤) ينظر (ص٢٩٧).

والتأنّي فيه لتكميلِه، والحاملُ عليه تذكُّرُ آفاتِ العَجَلةِ ومنافعِ التأنّي، ولو أرادَ زوالَ أمرٍ عَن عبدٍ لا صلاحَ لهُ فيهِ فذلكَ غَيرةٌ لا حَسَدٌ؛ إذ الحسدُ تمنّي زوالِ نِعْمةٍ عَن مُستحقِّها.

وضِدُّ الحسَدِ النُّصحُ، وهوَ: إرادةُ بقاءِ نِعْمَةٍ تصيرُ على المسلمِ بالصّلاحِ، والحاملُ عليهِ كثرةُ تذكُّرِ فوائدِ النَّصيحةِ وثوابِها، وما في تركِها مِن آفةٍ.

والكِبْرُ خاطرٌ برفعَةِ نفسِكَ، والعَملُ به تكبُّرٌ، والتواضعُ خاطرٌ بوَضْعِ نفسِكَ، والعملُ به تواضعٌ. وسيأتي بيانُه[١].

أدناهُ: الاكتفاءُ بالدُّونِ، وأعلاهُ قَبولُ الحقِّ من كُلِّ أحدٍ، والتكبُّر عكسُه. وسيأتي في رعايةِ البطنِ بالورعِ ومَنعِ الشِّبعِ وتركِ الفُضولِ حذرًا من عذابِه، وفي آدابِ الأكلِ تفصيلُ كُلِّ ذلكَ[٢].

ومِن آفاتِ الفُضولِ: قَسْوةٌ، مَنعُ نُورٍ، فُتورٌ، قِلّةُ عِبادةٍ، بَلادةٌ، فَقْدُ لذَّةِ عبادةٍ، وُقوعٌ في معصيةٍ، شُغلُ قلبٍ وبَدَنٍ بطلبِهِ، شِدَّةُ سكراتِ الموتِ، نَقْصُ ثوابٍ، طُولُ حِسابٍ.

[العوارض الشاغلة عن عبادة الله تعالى]

وأمّا العَوارِضُ:

فمنها **هَمُّ الرِّزقِ**[٣]: يُدفعُ بالتوكُّلِ؛ لِما فيهِ مِن راحةِ قلبٍ وبَدَنٍ وفراغٍ للعِبادةِ[٤] - وباقي فوائدِهِ بيَّناها بعدُ - ولِما في تركِهِ من شرٍّ وفَوْتِ خيرٍ.

(١) ينظر (ص٣٥٠).
(٢) ينظر (ص٢٣٥).
(٣) وهو العارض الأول.
(٤) في (ز): فراغًا للعبادة.

والثِّقَةُ بوَعْدِه تعالى نَصْرهُ لمَنْ نَصرَ الحقَّ وجاهدَ فيهِ.

فالرِّزقُ مَضمونٌ، ومَقْسُومٌ، ومَمْلُوكٌ، ومَوعُودٌ: فما لا تعيشُ بدُونهِ فقدْ ضَمِنَهُ تعالى، والمَقْسُومُ ما قَسَمَهُ لكَ وتمتعتَ بهِ زائدًا، والمَمْلُوكُ ما ملكتَهُ ولم تَتَمَتعْ بهِ، والمَوعُودُ ما وَعَدَ به المتقينَ على طاعتِه.

ويجبُ التوكُّلُ في المَضْمونِ، وهو ثِقةُ قلبكَ فيما ضَمِنَه تعالى من كِفايةٍ لا تعيشُ بدونها، متى توطَّنَ قلبُكَ بالثقةِ به تعالى ونَسِيتَ الخلقَ صِرتَ مُتوكِّلًا، وفُزتَ براحاتهِ[1] وفوائدهِ، والحاملُ عليهِ دوامُ تذكُّرِ ضَمانِه تعالى وكمالهِ وتنزُّههِ عن سَهْوٍ وعَجْزٍ وخُلفِ وعْدِهِ. وأما طلبُ الرِّزقِ وتركهُ فمَن جرتْ له عادةٌ جرى الله معهُ فيها، وسيأتي بيانُ ذلكَ فتأمَّلهُ[2].

وأمّا عوارضُ أخطارٍ جُهلتْ عواقبُها[3]؛ فإنها تَشغَلُ وتفويضُها إليهِ تعالى راحةٌ وصلاحٌ، فما عُلمَ شرُّه كمعصيةٍ تُركَ جزمًا، أو خيرُه كطاعةٍ فُعِلَ جزمًا، أو جُهِلَ كمُباحٍ قصدْتَهُ مُفوِّضًا مُتذكِّرًا معنى الاستثناءِ سَلِمتَ بذلكَ مِن خَطَرهِ.

والتفويضُ إرادةُ حفظِ اللهِ مصالحَكَ فيما لا يُؤمَنُ، والمأمونُ يُسمَّى رجاءً، وضِدُّ التفويضِ الطَّمعُ؛ مَذْمُومهُ سكونٌ إلى مَنفعةٍ مَوهومةٍ، أو إرادةُ أمرٍ مُخاطَرةٍ بلا تفويضٍ، وتذكُّرُ خَطَرِ الأمورِ، وعدمُ العِصْمةِ عن آفاتها المُغيَّبةِ يَبْعثُ على التفويضِ.

العارضُ الثّالثُ أنواعُ القضاءِ: تُرعى بالرِّضا فراغًا للعبادةِ وسلامةً من آفاتِ تركهِ، وهو تركُ التَّسخُّطِ، والسَّخَطُ رؤيةُ غيرِ ما قضى أصلحُ مِن غيرِ تحقيقٍ. وطلبُ مَزيدِ رزقٍ بنيّةٍ صالحةٍ لا يَقْدحُ في الرِّضا؛ طلبَ رسولُ اللهِ ﷺ

---

(١) في (هـ): برجائه.
(٢) ينظر (ص٣٩٩).
(٣) وهي العارض الثاني: الأخطارُ وإرادتها وقصودها.

زيادةَ اللَّبنِ[1]، وطلبَ مِن غيرهِ خيرًا منهُ، وهوَ راضٍ فيهما.

العارضُ الرابعُ الشَّدائدُ: فبالصَّبرِ عليها ـ وسيأتي بيانُه[2] ـ لما فيه من أجرٍ ونهايةٍ؛ لأنّهُ قُطبُ العبادةِ، عليهِ مدارُها، وهوَ ثباتُ الباعثِ عليها، وفي الشِّدَّةِ فقدُ الجَزعِ، والجزعُ إرادةُ خَلاصهِ مع جهلٍ بالأصلحِ. ففوِّضْ تسْلمْ وتَغْنَمْ، وتأمَّل قولَهُ تعالى: ﴿وَعَسَىٰٓ أَن تَكۡرَهُواْ شَيۡـٔٗا وَهُوَ خَيۡرٞ لَّكُمۡۖ...﴾ الآيةَ [البقرة: ٢١٦]. وسيأتي فيه كلامٌ، فتأمَّلْهُ.

وجهلُكَ بآفاتِ الأُمورِ يدعوكَ ليختارَ لكَ اللهُ تعالى ما لا يقدرُ عليهِ غيرُه، وارضَ به لِما في الرِّضا من راحةٍ وأجْرٍ، ولِما في السُّخْطِ من هَمٍّ وغَمٍّ وإثمٍ وعُقوبةٍ وكُفْرٍ وسُخْطٍ.

[بواعث الخوف والرجاء][3]

وأمّا بواعثُ الخوفِ والرَّجاءِ هربًا مِن عَذابهِ، وطلبًا لطاعتهِ وثوابهِ، وسلامةً

---

(١) روى أبو داود (٣٧٣٠)، والترمذي (٣٤٥٥) عن ابن عبّاس رضي الله عنهما، قال: دخلتُ مع رسول الله ﷺ أنا وخالدُ بنُ الوليد على ميمونة، فجاءتنا بإناءٍ من لبنٍ، فشرب رسول الله ﷺ وأنا على يمينه وخالدٌ على شماله، فقال لي: «الشَّربةُ لك، فإن شئت آثرت بها خالدًا»، فقلت: ما كنتُ أوثرُ على سُؤرك أحدًا، ثُمّ قال رسول الله ﷺ: «من أطعمهُ اللهُ الطّعام فليقُل: اللهُمّ بارك لنا فيه وأطعمنا خيرًا منهُ، ومن سقاهُ اللهُ لبنًا فليقُل: اللهُمّ بارك لنا فيه وزدنا منهُ». وقال رسول الله ﷺ: «ليس شيءٌ يجزي مكان الطّعام والشّراب غيرُ اللّبن». قال الإمام الترمذي: هذا حديثٌ حسنٌ.

(٢) ينظر (ص٣٧٣).

(٣) قال الإمام الغزالي رحمه الله في «منهاج العابدين إلى جنة رب العالمين» (ص٣١٢): أصول سلوك طريق الخوف والرجاء: لا يتأتى سلوك هذا الطريق وحمل هذه النفس =

مِن عُجبٍ ونحوِه، والرجاءُ يبعثُ على الطّاعةِ وتحمُّلِ مشاقِّها لكنْ لا يملكُها العبدُ، فالواجبُ مُقدِّماتُها.

والخوفُ رِعْدةٌ تحدثُ عَن ظنٍّ مكروهٍ ينالهُ، والخشيةُ تعظيمٌ بمهابةٍ، وضدُّ الخوفِ الجُرأةُ، ومُقدِّماتُ الخوفِ تذكُّرُكَ كثرةَ ذُنوبكَ، وشِدَّةَ عَذابهِ تعالى وضعفَكَ عنهُ، وقُدرتَه عليكَ متى شاء.

والرَّجاءُ ابتهاجُ القلبِ بمعرفةِ فضلهِ تعالى وَسَعةِ رحمتهِ، وضدُّه اليأسُ، ومُقدِّماتُ الرَّجاءِ تذكُّرُ سبْقِ نعمِه قبلَ خِدْمتكَ، وكثرةِ نعمهِ عليكَ، وعظيمِ ثوابِه، وصدقِ وعْدِه، وسَعةِ رحمتِه وسَبْقِها غضبَه.

فالخوفُ والرَّجاءُ نجاةٌ وفوزٌ، وضِدُّهُما الأمنُ واليأسُ، وهُما مُهْلِكانِ. قال عارفٌ: ذِكْرُ الجنَّةِ أطالَ شَوقِي، وذِكْرُ النّارِ أطارَ نومِي(١).

= الجموح الكسلانة على الخير باجتناب المحبوب عندها، واكتساب الطاعات الثقيلة عليها إلا بالتحفظ بثلاثة أصول، والتذكر لها على سبيل الدوام من غير فترة ولا غفلة؛ **الأول**: ذكر أقواله سبحانه في الترغيب والترهيب. **والثاني**: ذكر أفعاله سبحانه في الأخذ والعفو. **والثالث**: ذكر جزائه للعباد في المعاد من الثواب والعقاب.

(١) أورد المروزي في «مختصر قيام الليل» (ص٦٦) أن مملوكًا كانت تقول له مولاته: ألا تدعنا ننام؟ فيقول: إنما لك نهاري وليس لك ليلي، إني إذا ذكرت النار طار نومي، وإني إذا ذكرت الجنة طال حزني.

وروى أبو طاهر السلفي رحمه الله في «المشيخة البغدادية» (ص٦٢) بسنده عن مالك ابن دينار، قال: كان بمكة عبد أسود يقال له: صهيب، وكانت مولاته تقول: يا صهيب قد أفسدت نفسك عليّ، أما النهار فتصومه، وأما الليل فأنت قائم؟! فيقول: يا مولاتي إذا ذكرتُ النار طار نومي، وإذا ذكرتُ الجنة اشتدّ شوقي.

وفي (ز): طير نومي.

[القوادح لصيانة الأعمال من الشوائب]

وأمّا القوادحُ لصيانةِ العملِ من كُلِّ شائبةِ رياءٍ ونفاقٍ ومنٍّ وأذَى وندمٍ على خَيرٍ يُحْبِطْ، وتخليطٍ وعُجْبٍ وحَسرةٍ وتهاونٍ يُنقصْ، وخوف ذمٍّ عليهِ يمنعْ. فضِدُّ النِّفاقِ إخلاصُ العملِ لهُ تعالى، وضِدُّ الرِّياء تمحُّضْ طلبِ نفعِ الآخرةِ بهِ، وضدُّ التخليطِ مَحْضُ التَّقْوى، وضِدُّ المنِّ بهِ تسليمُ العمل لخالقِهِ، وضِدُّ الأذى تحسينُ عملهِ منْهُ، وضِدُّ نَدمهِ عليهِ ثباتُ نَفْسه فيهِ، وضدُّ عُجْبهِ رؤيةُ المنَّةِ لربِّه تعالى، وضِدُّ حَسْرتهِ عليهِ اغتنامُ الخير، وضِدُّ تهاونهِ تعظيمُ توفيقهِ تعالى، وضِدُّ خوفِ ذمِّ الناسِ خشيةُ ربِّه تعالى، وفائدةُ إخلاصهِ قَبولٌ ومُضاعَفةُ ثوابٍ.

وآفةُ الرِّياءِ منعُ الجنَّةِ، ودُخولُ النارِ، وبُطلانُ عملِه، وفضيحةٌ عندَ الملائكةِ في الدُّنيا وفي الآخرةِ على رؤوسِ الخلائقِ. والعملُ له تعالى يصيرُ قُربةً، وطلبُ نفعِ الآخرةِ بهِ فقط يجعلُه مقبولًا، والعملُ لغيرهِ تعالى نِفاقٌ، وطلبُ نَفْعِ الدُّنيا به رياءٌ، وسواءٌ طلبَهُ مِنَ اللهِ تعالى أو مِن غيرهِ؛ لأنَّ الاعتبارَ في الرِّياءِ بالمُرادِ لا بالمُرادِ منهُ، وكُلُّ عِبادةٍ يُمكنُ صرفُها لغيرهِ تعالى تقعُ فيها إرادةُ اللهِ تعالى وإرادةُ نَفْعِ الآخرةِ، وما لا ينصرفُ لا يفتقرُ إلى نِيّةٍ؛ كخَوفٍ وخَشْيَةٍ.

ويجبُ الإخلاصُ[1] في النوافلِ عِندَ الشُّروعِ فيها، وفي المباحاتِ إخلاصُ طلبِ أجْرِها فقط؛ لأنّها ليستْ في نَفْسِها عِبادةً بل هي عَونٌ، ولو تأخَّر إخلاصُ العَملِ له تعالى عن أوَّلهِ ضَرَّ، لا إخلاصُ العملِ في طلبِ أجرهِ قبلَ فراغهِ، وإرادةُ وَجْهِ اللهِ تعالى بلا أجْرِ الدّارينِ أعلى ـ إذ العبدُ في الرِّقِّ لا يَلحظُ أجرَه

(١) القادح الأول: هو عدم الإخلاص.

فافهمْ ـ وعملٌ يتعلَّقُ بعضُه ببعضٍ كصومٍ وصلاةٍ كفاهُ إخلاصٌ واحدٌ، وإلا كُلَّما عادَ وجبَ الإخلاصُ في شُروعِه.

القادحُ الثّاني العُجْبُ: وهوَ رُؤيةُ عَملِه بغيرِهِ تعالى، وضِدُّه رؤيةُ المنَّةِ لله تعالى حَتمًا عند دواعِي العُجبِ ندبًا في غيرِها، وإن تابَ سَلِمَ، وإلا حَبِطَ عملُه وأثِمَ. وأهلَكَهُمْ بِهِ المعتزلةُ؛ لإنكارِهِم التَّوفيقَ[1]. وسيأتي فيه كلامٌ فتأمَّله[2].

وأمّا **الحَمْدُ والشُّكرُ** على نِعَمِهِ تعالى؛ لفائدةِ دوامِها، ومَزيدِها، والسَّلامةِ مِن سَلْبِها وكُفرانِها، والحمدُ قولٌ ضِدُّه اللُّؤمُ، والشُّكرُ ضِدُّه كفرٌ: فالشُّكرُ تعظيمٌ يمنعُ جَفاكَ لِمَنْ أحسنَ إليكَ، أدْناهُ أن لا تعصيَه بنعمهِ ـ وما أقبحَ من تسلَّطَ بنعمتهِ على مَعْصيته! فسُلِبَ وعُوقِبَ لجهلهِ بقَدْرِ النِّعمةِ وتعظِيمِها ـ والشُّكرُ طاعةُ اللهِ تعالى في كُلِّ نِعْمةٍ بما هو أولى. فاغنمْ بهِ سلامةَ الدّارينِ ونعيمَهُما، ومتى نِلْتَ صلاحَ دِينكَ فأكْثرِ الشُّكرَ أبدًا عليهِ لعلَّكَ تموتُ على ذلكَ؛ فهيَ الكرامةُ التي سألها الخليلُ عليهِ السَّلامُ لأبيهِ فلَمْ تحصُلْ، وسألها النبيُّ ﷺ لعمِّهِ أبي طالبٍ فلم تحصُلْ[3]، وحصلَتْ لكَ فاشكُرْ، واحذرْ رغبةَ الدُّنيا، وتأمَّلْ: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَٰكَ سَبْعًا مِّنَ

---

(١) قال الإمام الغزالي رحمه الله في كتابه «منهاج العابدين إلى جنة رب العالمين» (ص٣٥٢) في أصناف المعجبين: صنف هم المعجبون بكل حالٍ، وهم المعتزلة والقدرية، والذين لا يرون لله عليهم منّةً في أفعالهم، وينكرون العون والتوفيق الخاصّ واللطف، وذلك لشبهة استولت عليهم.

(٢) ينظر (ص٢٩٧).

(٣) روى البخاري (٣٨٨٤) عن ابن المسيب، عن أبيه، أنّ أبا طالب لما حضرته الوفاة، دخل عليه النبيُّ ﷺ وعنده أبو جهل، فقال: «أي عمّ؛ قُل: لا إله إلّا الله، كلمةً أُحاجُ لك بها عند الله». فقال أبو جهل وعبد الله بن أبي أمية: يا أبا طالب، ترغب عن ملة عبد المطلب، فلم يزالا يكلمانه، حتى قال آخر شيء كلمهم به: على ملة عبد المطلب، فقال النبي ﷺ: =

ٱلْمَثَانِي وَٱلْقُرْءَانَ ٱلْعَظِيمَ * لَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّنْهُمْ﴾ [الحجر: ٨٧، ٨٨]، وارضَ بدنيِّ الدُّنيا مع سلامةِ الدِّين، لا بدَنيِّ الدِّين مع سلامةِ الدُّنيا؛ فتخشى العاقِبةَ برغبةِ دُنيا بعدَ الدِّين[1]، كما فُتن بها بَلْعامْ بنْ باعْوراء، وقول الخليلِ عليهِ السَّلامْ: ﴿وَٱجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعْبُدَ ٱلْأَصْنَامَ﴾ [إبراهيم: ٣٥]، ويوسف عليه السَّلامُ: ﴿تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِٱلصَّٰلِحِينَ﴾ [يوسف: ١٠١]، وسيأتي أسبابُ الخاتمةِ في الخوفِ؛ فتأمَّلْها[2].

ومنها الرياءُ: خلقَ اللهُ تعالى الكائناتِ واكتفى بعِلْمكَ أنَّهُ على كُلِّ شيءٍ قديرٌ، وأنت تُصلِّي صلاةً بها مَعايبُ وتَقصيرٌ، ولا تكتفي بنظرِه تعالى وعِلْمهِ وثنائهِ وثوابهِ، بل تُحبُّ عِلْمَ الخلقِ بها ليمدَحُوكَ، بعتَ جوهرةَ ثوابهِ تعالى وشُكرَهُ بفَلسِ مدحِهم لكَ؛ رُويَ: «إنَّ اللهَ تَعالَى يُعْطِي الدُّنْيا بعَمَلِ الآخِرَةِ، وَلا يُعْطِي الآخِرَةَ بِعَمَلِ الدُّنْيا»[3].

لو عَلِمَ المخلوقُ أنَّ عَملكَ لهُ لسَخِطَ، ولو عَمِلتَهُ للهِ لأثابكَ ورَضِيَ عنكَ وأحبَّكَ وحبَّبكَ إلى خَلْقِه؛ فالمُرائي أسخطَ ربَّه، وأسخطَ الخلقَ، وخَسِرَ دُنياهُ وآخرتَه، وأقلُّ عملٍ لهُ تعالى كَلِمةُ رُضوانٍ يُكتبُ لهُ بها رُضوانُه إلى يومِ القيامةِ؛

= «لأستغفرنّ لك ما لم أُنه عنهُ». فنزلت: ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَن يَسْتَغْفِرُوا۟ لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوٓا۟ أُو۟لِي قُرْبَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَٰبُ ٱلْجَحِيمِ﴾ [التوبة: ١١٣]، ونزلت: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ﴾ [القصص: ٥٦].

(١) في هامش (ز) حاشية: ما أحسن قول القائل:

إذا أبْقَتِ الدُّنْيا عَلى المَرْءِ دِينَهُ ... فَما فاتَهُ مِنْها فَلَيسَ بِضائِرِ
فَكُلُّ امْرِئٍ لَمْ يَرْتَحِلْ بِتِجارَةٍ ... إلَى دارِهِ الأُخْرَى فَلَيسَ بتاجِرِ

(٢) ينظر (ص٤٣٥).

(٣) رواه ابن المبارك في «الزهد» (٥٤٩) من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه مرفوعًا، ولفظه: «إنّ الله يُعطي الدُّنيا على نيّة الآخرة، وأبى أن يُعطي الآخرة على نيّة الدُّنيا».

صومُ يوم يُبَعِّدُ عَنِ النارِ سَبْعِينَ خَرِيفًا كما صحَّ[1]، قيامُ ليلة، ﴿ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ ﴾ [السجدة: ١٧]، وتأمَّلْ: ﴿ وَمَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُو۟لَٰٓئِكَ يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ يُرْزَقُونَ فِيهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ [غافر: ٤٠]. فما قِيمةُ عَملِنا لو لا فضلُه تعالى، حيثُ عظَّمَ عَملَنا وثوابَهُ؟ فصُنْ عَملَكَ عَن كُلِّ نقصٍ وعُجْبٍ ورياءٍ مَنعَ ثوابَه وأوجبَ عذابَه؛ فالمُعجَبُ مُشرِكٌ بنسبةِ عَمَلِهِ إلى نفْسِهِ، والرِّياءُ شِركٌ[2] بكونهِ عَمِلَ لغيرهِ تعالى. فتحقَّقْ بهِما؛ لأنّ أمرَهُما خَفِيٌّ وغُبنَهما[3] عظيمٌ، ساعةُ عُجْبٍ أفسدتْ عَملَ العُمرِ، وساعةُ خَيرٍ سَلِمتْ منهُما لا يُحصى ثوابُها. تأخّرتْ حاجةُ عابدٍ فاحتقرَ نفْسَهُ؛ قيل: يا ابنَ آدمَ ساعتُكَ التي أزريتَ نفسكَ خيرٌ من عبادتكَ التي مضتْ[4].

---

(١) رواه البخاري (٢٨٤٠)، ومسلم (١١٥٣) من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، ولفظه: «من صام يومًا في سبيل الله باعد اللهُ وجههُ عن النّار سبعين خريفًا».

(٢) روى الحاكم في «المستدرك» (٤) وغيره: أن عمر رضي الله عنه خرج إلى المسجد يومًا فوجد معاذ بن جبل عند قبر رسول الله ﷺ يبكي، فقال: ما يُبكيك يا معاذ؟ قال: يُبكيني حديثٌ سمعتُه من رسول الله ﷺ، يقول: «اليسيرُ من الرّياء شركٌ، ومن عادى أولياء الله فقد بارز الله بالمُحاربة. إنّ الله يُحبُّ الأبرار الأتقياء الأخفياء، الّذين إن غابُوا لم يُفتقدُوا، وإن حضرُوا لم يُعرفُوا، قُلُوبُهُم مصابيحُ الهُدى، يخرُجُون من كُلّ غبراء مُظلمةٍ». قال الحاكم: هذا حديث صحيح ولم يخرج في «الصحيحين»، وقد احتجا جميعًا بزيد بن أسلم، عن أبيه، عن الصحابة، واتفقا جميعًا على الاحتجاج بحديث الليث بن سعد، عن عياش بن عباس القتباني، وهذا إسناد مصري صحيح، ولا يحفظ له علة. وتبعه الذهبي على ذلك.

(٣) في (و): وغبتهما.

(٤) رواه أحمد ابن حنبل في «الزهد» (٢١٩٥)، وأبو داود في «الزهد» (٢٠)، والخرائطي في «اعتلال القلوب» (٣٩)، وابن أبي شيبة في «المصنف» (٣٥١٧٤) جميعًا عن ابن مُنبّه، قال: كان قبلكم رجل تعبد زمانًا ثم طلب إلى الله عز وجل حاجةً وصام سبعين سبتًا يأكل كل سبت إحدى عشرة تمرة، قال: فطلب إلى الله حاجة فلم يُعطها قال: فأقبل على =

فالعِبْرةُ بالصَّفوة لا بالكَثْرة، جَوهرةٌ ولا ألفُ خرزةٍ، لا تُقابل الربَّ إلا بالأحسنِ مِن كُلِّ عملٍ؛ فلا بُدّ من تركِ كُلِّ ذنبٍ، وتكميل كُلِّ قُرْبةٍ في كُلِّ حالةٍ بلا عيبٍ ولا نقْصٍ ولا شائبةٍ، فتُقبلْ وتُعزّْ وتُكرمْ وتسلمْ وتُحبّْ وتُشكرْ. مَن قدَر على رضاهُ تعالى فتركَهُ لرضا عبدٍ لم يملكْ نفعًا ولا ضرًا خسرَ؛ فخوّفْ نفْسكَ فِعْلًا وقولًا وفِكْرًا، كمَنْ دعتْهُ نفسُه إلى معصيةٍ فتمرّغ على رمادٍ فيه نارٌ، وقالَ: نارُ جهنّمَ أشدُّ حرًا، فالخوفُ يمنعُها والرّجاءُ يُقوّيها، وتذكُّرُ الموتِ يُزهّدُها، والحُزنُ يُعذّبُها، ولا صبرَ لها على عذابه ولا عن ثوابه، فتقويةُ خوفهِ يمنعُ معاصيَه وعذابَه، وتقويةُ رجائهِ تُنيلُ طاعته وثوابه، وإلا فلا لكسلِها وجماحِها، وتركُ محبوباتِها ومشاقِّ طاعاتِها يُثقلُ الأمر عليها؛ فالزمْ أبدًا بلا فُتورٍ أنواعَ ما قالَ اللهُ تعالى من ترغيبٍ وترهيبٍ، وأنواع ما فعل منهْما وما يَفْعلُ في الآخرة. **فمِنَ الأوّلِ**[1]: ﴿لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ﴾ [الزمر: ٥٣]، ﴿لَا يَصْلَاهَا إِلَّا الْأَشْقَى﴾ [الليل: ١٥]، ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ﴾ [الأعراف: ١٥٦]، ﴿غَافِرِ الذَّنبِ﴾ [غافر: ٣]، ﴿وَمَن يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ﴾ [آل عمران: ١٣٥]، ﴿إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [البقرة: ١٤٣]. **والتَّرهِيبُ**: ﴿وَخَافُونِ﴾ [آل عمران: ١٧٥]، ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ﴾ [آل عمران: ٢٨]، ﴿مَن يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ﴾ [النساء: ١٢٣]، ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا﴾ [المؤمنون: ١١٥]، ﴿وَقَدِمْنَا إِلَىٰ مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَّنثُورًا﴾ [الفرقان: ٢٣]، ﴿وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا﴾ [الكهف: ١٠٤]، ﴿وَبَدَا لَهُم﴾ [الزمر: ٤٧]، ﴿نَبِّئْ عِبَادِي أَنِّي﴾ [الحجر: ٤٩]، ﴿مَّنْ خَشِيَ الرَّحْمَٰنَ﴾ [ق: ٣٣]، ولم يقُلْ: المنتقمُ تخويفًا

= نفسه، فقال: أيّتها النفسُ من قبلك أُتيتُ، لو كان عندك خير لأُعطيت حاجتك ولكن ليس عندك خير، فنزل إليه ساعتئذٍ ملكٌ، فقال: يا ابن آدم، ساعتُك هذه التي أزريت فيها على نفسك خيرٌ من عبادتك كُلّها التي مضت، وقد أعطاك الله حاجتك التي سألت.

(١) أي: الرجاء.

بتأمينٍ[١] وتحريكًا في تسكينٍ[٢].

وأمّا أفعالُه تعالى تخويفًا: فإبليسُ بعدَ عِبادةِ ثمانينَ ألفَ سَنَةٍ تركَ سَجْدةً طُرِدَ ولم يُقبلْ أبدًا، وآدمُ عليهِ السَّلامُ بأكْلةٍ لم يُؤذنْ لهُ فيها أُهبطَ إلى الأرضِ وبكى مِئتَي سنةٍ، وتَعِبَ وذُريَّتَه، ونوحُ عليهِ السَّلامُ بكلمةِ: ﴿إِنِّيٓ أَعِظُكَ﴾ [هود: ٤٦] لم يرفعْ رأسَهُ حياءً أربعينَ سنةً. فاحْذَرْ مِن مَيلٍ إلى دُنيا بعدَ كمالٍ؛ فإنّهُ مُهلكٌ، كبَلْعام تركَ حُرمةً لوليٍّ سُلبَ ولم يُقبلْ أبدًا، وقعَ من الصَّحابةِ نوعُ مُزاحٍ نزلَ: ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ ٱللَّهِ﴾ [الحديد: ١٦][٣]. وتأمَّلِ الحدودَ المرتَّبةَ على الذُّنوبِ، مِن قَطعِ خَيرِ عُضْوٍ في خمسةِ دراهمَ[٤]، عذابُه غيرُ مأمونٍ. فسَلْهُ عافيةَ الدّارينِ.

---

(١) في (ز): بتأميل.

(٢) قال الإمام الغزاليُّ رحمه الله في «منهاجه» (ص٣١٤): والمراد من ذلك أن يكون الطريق عدلًا؛ فلا تذهب إلى أمنٍ ولا قنوطٍ؛ جعلنا الله وإياكم من المتدبرين لهذا الذكر الحكيم، العاملين بما فيه؛ إنه هو الجواد الكريم.

(٣) أخرج ابن مردويه عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت: خرج رسول الله ﷺ على نفر من أصحابه في المسجد وهم يضحكون فسحب رداءه محمرًّا وجهه فقال: «أتضحكُون ولم يأتكم أمانٌ من ربّكم بأنّهُ قد غُفر لكُم ولقد أُنزل عليّ في ضحككُم آيةٌ: ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ ٱللَّهِ﴾»، قالوا يا رسول الله: فما كفارةُ ذلك؟ قال: «تبكُون قدر ما ضحكتُم». كما في «الدر المنثور» للإمام السيوطي (٨: ٥٧).

(٤) ولما نظم أبو العلاء بيته الذي شكّك به على الشريعة، وهو قوله:

يـدٌ بخمسِ مئيـنَ عسْـجَدٍ وُدِيَتْ ... مـا بالُها قُطِعَتْ فـي رُبعِ دينارِ

أجابه القاضي عبد الوهاب المالكي رحمه الله:

صيانـةُ النفْـسِ أغلاهـا وأرخصَهـا ... خيانةُ المالِ فافهمْ حِكمةَ الباري

يعني: لما كانت أمينة كانت ثمينة؛ فلما خانت هانت. «النجم الوهاج في شرح المنهاج» (٩: ١٥٠).

وأمّا الرَّجاءُ: فقُلْ - ولا حرجَ -: غَفرَ كُفْرَ مئةِ سَنةٍ بإيمان لَحْظةٍ؛ فكُلُّ نِعْمةٍ عاجلةٍ في دينٍ ودنيا من رحمةٍ واحدةٍ من مئةِ رحمةٍ، ولم تنقُصْ شيئًا، ويغفرُ لبعضِ أهلِ الكبائرِ الذنوبَ جميعًا؛ فماذا يفعلُ بالمُحسنينَ؟ فلا تأمنْ مكْرَهُ تعالى، وأعْظِمْ بالجحيمِ وفَوتِ النعيمِ أبدًا، وبالنعيمِ وفَوتِ الجحيمِ أبدًا، متى مُزِجَ خوفُك بالرَّجاءِ حثّكَ على فعلِ كُلِّ مأمورٍ، وتركِ كُلِّ محذورٍ بلا فَتْرةٍ ولا غَفْلةٍ، وظهرَ أثرهُما هربًا وطلبًا مع حُسْنِ ظنٍّ به تعالى واجتهادٍ بلا فُتورٍ؛ قال تعالى: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا۟ يُسَـٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ۖ وَكَانُوا۟ لَنَا خَـٰشِعِينَ﴾ [الأنبياء: ٩٠]. فاشكرْ ما ظَفِرتَ به من الدِّينِ، ولو مع شِدَّةٍ؛ فثوابُها أعظمُ ولو على يدِ مخلوقٍ فلكَ عليهِ لا لهُ عليكَ. وسيأتي في الصَّبرِ والشُّكرِ مزيدٌ؛ فتأمَّلْهُ[1].

خاتمة في الصحبة معه تعالى ومع خلقه:

هوَ تعالى صاحِبٌ لا يُفارِقُ فاتَّخذهُ صاحبًا، وذَرْهُمْ جانبًا بمُواصلةِ الحضورِ بلا فَتْرةٍ، ومهما فتَرتَ جدِّدْ طُهْركَ واخْلُ بهِ تعالى أبدًا مُلازمًا لآدابٍ تأتي في الدُّعاءِ والخَلْوةِ[2]، كجَمْعِ همٍّ، وسُكونٍ، ومُبادرةِ الأمرِ، واجتنابِ النَّهيِ، وتَسليمٍ لقَدَرهِ تعالى بِصَبرٍ، ومُلازمةِ ذِكرٍ وفِكْرٍ، وإيثارِ الحقِّ، وخُضوعٍ، وانكسارٍ بحياءٍ، وقِلَّةِ سَعْيٍ في رزقٍ؛ ثقةً بضَمانهِ تعالى وتوكُّلًا عليهِ، ومُراقَبةٍ واستقامةٍ أبدًا.

[آداب العالم]

والعالِمُ أدبُهُ: حِلمٌ، احتمالٌ، هَيبةٌ، وَقارٌ، تواضعٌ لغيرِ ظالمٍ، تركُ هَزْلٍ وما لا يَعني، رِفقٌ بالطَّلبةِ، صَبْرٌ على عَسِرِ الفَهْمِ، جُهْدٌ في صلاحِ الرَّغبةِ بحُسنِ

---

(١) ينظر (ص٣٨١). (٢) ينظر (ص٢٥٣).

إرشادِهم[١]، وتركُ الأجرِ عليهِ، وقولُ: لا أدْري إذا سئلَ عمّا لا يعلمُ، وصَرْفُ الهمَّةِ إلى السّائلِ، ومَنْعُ المُتعلِّم مِن كُلِّ عِلْمٍ يضرُّه، وعَن إرادةِ غيرِ اللهِ تعالى بالعِلْمِ، وعن فَرْضِ كفايةٍ قبلَ فرضٍ تعيَّنَ بصلاحِ ظاهرِهِ وباطنِه بالتَّقْوى كما تراهُ إنْ شاءَ اللهُ تعالى.

[آداب المتعلم]

وأدَبُ المُتعلِّمِ: يبدأُ بالسَّلامِ، ويُقلِّلُ الكلامَ، ويسألُه بعدَ إذْنِه فيهِ، ولا يُعارِضُ نقلَه بقَولٍ، ولا يُسارِرُ جليسَهُ، ولا يلتفتُ كأنّهُ في صلاةٍ، ولا يُكثِرُ سُؤالَهُ، ولا يسألُه في طريقٍ حتَّى يبلُغَ منزلَهُ، ويتَّقِي سُوءَ ظَنِّهِ بهِ في شيءٍ؛ فهوَ أعْلمُ بسِرِّه، وتأمَّلْ ﴿أَقَتَلْتَ نَفْسًا زَكِيَّةً﴾ [الكهف: ٧٤][٢]؛ اعتمادًا على الظّاهرِ.

[أدبه مع والديه]

وأدَبُهُ معَ أبوَيهِ: خَفْضُ جَناحٍ وصوتٍ، وسماعُ كلامِهِما، وامتثالُ أمرِهِما، والقيامُ لهُما، ولا يتقدَّمَهُما في أمرٍ ولا غَيرِه، ويُسرعُ إجابتَهُما ومَرضاتَهُما حياةً وموتًا، ولا يمُنُّ عليهِما بشيءٍ، وينظرُ إليهِما بِغَضٍّ وبَسْطِ وَجْهٍ، ولو سافرَ فبإذنِهِما، وفعلُ ما يُؤنِسُ ولا يُوحِشُ.

---

(١) في (ج): بحسن في إرشادهم. وفي (و): جهد في صلاح الرعية بحسن إرشادهم.

(٢) وفي (ج، هـ، ز): (زاكية)، وهي قراءة نافع وابن كثير وأبي عمرو وأبي جعفر ورويس؛ بألف بعد الزاي وتخفيف الياء اسم فاعل من زكا؛ أي: طاهرة من الذنوب. وافقهم ابن محيصن واليزيدي، وقرأ الباقون بتشديد الياء من غير ألف أخرج إلى فعيلة للمبالغة. ينظر: «النشر في القراءات العشر» (٢: ٣١٣)، و«إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر» (ص٢٢٦).

[آدابه مع العوام]

وما سوى ذلك فأصدقاء، أو معارف، أو مجاهيل: فمع العوام: تركُ خوضٍ وميلٍ إلى أراجيفهم، وتغافلٌ عن سُوءِ ألفاظهم، وتحرُّزٌ عن لقائهم والحاجة إليهم، وكرامتُهم بلُطفٍ ونُصحٍ ورحمةٍ. وصُحبةُ المعارف بشرطها: فيصحبُ تقيًا، عالمًا، عاملًا، ورعًا، شفيقًا، رقيقًا، كريمًا، حليمًا، نصُوحًا، أمينًا، حسنَ الخُلُق، زاهدًا، مُحبًّا للفُقراء وللخير وأهله، صادقًا؛ فالكذوبُ، والأحمقُ، وسيءُ الخُلُق ـ الذي لا يملكُ نفسهُ في غضبٍ ولا شهوةٍ ـ والفاسقُ والبخيلُ، والحريصُ، وصبيانٌ، ونساءٌ؛ فكُلٌّ منهُم لا يُؤمَنُ شرُّه ولا يُرجى خيرُه غالبًا، وأكثرُ فساد الخلق من صُحبةِ الأغيار؛ اصْحَبْ مَن يَزينك ويُعينُك ولا يَشينُك، وصُحبةُ الأغيار ترجعُ وحْشةً وقطيعةً كما تراها في العُزلة إن شاء الله تعالى[1]. فأدمْ صُحبة الأخيار إنْ لم تكُنْ منهُم فأنت معهُمْ، وأدمْ عبادة ربّك، إنْ لم يُفتحْ عليك صار الخيرُ لك عادة؛ فافهمْ.

[أنواع الإخوان]

فالإخوانُ ثلاثةٌ: أخٌ للآخرةِ، وأخٌ للدنيا، وأخٌ لتأنس بهِ وترعى السّلامةَ مِن شرّه: فالأوّلُ كالغذاء لا يُستغنى عنهُ، والثاني كالدّواءِ يُحتاجُ إليه في وقتٍ دونَ وقتٍ، والثالثُ كالدّاء، وقد تُبتلى بهِ فتجِبُ مُداراتُه إلى الخلاص منهُ.

فائدة :

ما استقبَحتَهُ منهُ فاجْتنبْهُ؛ فالسّعيدُ مَنْ وُعِظَ بغيرهِ. لو اجتنبَ الناسُ ما كَرهوهُ مِن غيرهِم كمُلَتْ آدابُهم.

---

(١) ينظر (ص٢٥٣).

[آداب الصحبة]

وأدَبُ الصُّحبةِ: صفاءٌ، ووَفاءٌ، وإيثارٌ. رُوِيَ: «مَثَلُ الأخَوَينِ كاليَدَينِ تَغْسِلُ إحْداهُما الأُخْرَى»[١].

ورُوِيَ: «ما اصْطَحَبَ اثْنانِ قَطُّ إلّا وَكانَ أحَبَّهُما إلَى اللهِ تَعالى أرْفَقُهُما بِصاحِبِهِ»[٢].

فأدبُه: إيثارهُ ما أمكنَ مِن مالهِ وبما فضَلَ منهُ، وبالجاهِ والنَّفسِ في حَوائجِهِ ومُهِمّاتِهِ وكُلِّ أمورِهِ، يُبادرُها قبلَ سُؤالِهِ مع حِلْمٍ وسَتْرٍ وإحْسانٍ وصيانةٍ عن كُلِّ ما يَسوءُ وتَبليغِ ما يسُرُّ، واستماعٌ لحديثِهِ بلا مُعارضةٍ فيه، ويُثني عليهِ بمَحاسنِهِ، ويذُبُّ

---

(١) عزاه الحافظ العراقي في «تخريجه» إلى السُّلميّ في «آداب الصحبة»، وأبي منصور الدّيلميّ في «مسند الفردوس» من حديث أنس رضي الله عنه، وفيه أحمد بن محمد بن غالب الباهلي كذاب، وهو من قول سلمان الفارسي في الأول من «الحربيات». وقال الحافظ الزبيدي: وأخرجه ابن شاهين في «الترغيب في فضائل الأعمال وثواب ذلك» من طريق دينار عن أنس مرفوعًا: «مثلُ المؤمنين إذا التقيا مثلُ اليدين تغسلُ أحدُهُما الأُخرى»، ودينار أبو مكيس. قال ابن حبان: يروي عن أنس أشياء موضوعة انتهى. والباهلي هذا يعرف بغلام خليل قال الدارقطني: كان يضع الحديث. وأما الذي في أول «الحربيات» فقال أبو الحسن علي ابن عمر محمد السكري الحريري: حدثنا أحمد بن الحسين بن عبد الجبار، ثنا يحيى بن معين، ثنا وهب بن جرير، ثنا أبي قال: سمعت الأعمش يحدث عن عمرو بن مرة، عن أبي البختري، عن سلمان قال: «مثلُ المُسلم أو المُؤمن وأخيه كمثل الكفّين تُنقّي إحداهُما الأُخرى». ورواه ابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٢١: ١٤٤)، عن سلمان رضي الله عنه، ولفظه: «مثلُ الرّجُل يلقى أخاهُ فيشكُو إليه فيُفرّجُ عنه مثلُ اليدين تغسلُ إحداهُما الأُخرى». «تخريج أحاديث الإحياء» (٣: ١٠٥).

(٢) رواه ابن وهب في «الجامع» (١٩٨)، والحارث بن أبي أسامة كما في «بغية الحارث» (٤٨٨) من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه.

عنهُ وعَن عِرضهِ، ويشكُرهُ على الخير، وينصَحه سِرًّا بلا تصريحٍ بلُطفٍ، ويعفو عَنْ زلَّتهِ وهَفْوتهِ بلا تعييبٍ، ويدعُو له في كُلِّ وقتٍ مرجوٌّ حيًّا وميتًا، ويُحسنُ الوفاءَ مع أهلهِ وأقاربهِ بعدَ موتهِ، ولا يُكلِّفهُ شيئًا فيُروِّح سرَّهُ[١]، ويفرحُ بمسارِّه، ويحزنُ بمكارِهه، ويُضمِرُ ما يُظهِرُه[٢] ليكمُلَ وُدُّهُ سرًّا وعَلنًا، ويبدأُ بالسّلامِ، ويُوسّعُ له في المجلسِ، ويُؤثرهُ بهِ، ويُشيِّعهُ عند انصرافهِ؛ فيُعاملهُ بما يُحبُّ أن يُعامَل بهِ.

[آدابه مع المعارف]

وأمّا المعارفُ: فقَلِّلْ منهُم ما قدرتَ، ولا تحتقرْ منهُم أحدًا عَسى أن يكونوا خيرًا منكَ، ولا تُعظِّمهُ لأجلِ دُنياهُ فتسقُطَ مِن عَينِ اللهِ تعالى ـ فالدُّنيا صغيرةٌ صغيرٌ ما فيها ـ ولا تُبدِّلْ دِينكَ لدُنياهُم فتُحرمَهُما جميعًا، وتسقُطَ من عُيونهم، ولا تُعادِ أحدًا، ولا تَسكُنْ إليهم في إكرامِهم لكَ وثنائِهم عليكَ؛ فإنَّكَ إن طلبتَ حقيقتَهُ لم تجدْهُ ولا تعجبْ منهُ فإنَّكَ تجدهُ منكَ ـ فقدْ تذكرُ أعزَّهُم بما لا تُشافِهه به ـ واقطعْ طمعكَ عن مالِهم وجاهِهم ومعرفتِهم ـ فالطَّمعُ فيهم خَيبةٌ غالبًا ـ ولا تُعْتِبْهُم[٣] في تَقصيرٍ فتَصِيرَ عَداوةً ـ فالمؤمنُ يسترُ، والمنافقُ يَهتِكُ ـ وأقِمْ عُذرَهُ، ولا تُفِدْ سَفِيهًا فيسفَهَ بِهِ عليكَ، وانْهَ عَن كُلِّ مُنكَرٍ بلا عُنفٍ، ومَن فعلَ معكَ خيرًا فاشكُرِ اللهَ الذي حبَّبكَ إليهِ، وإنْ رأيتَ شرًّا فكِلهُم إلى اللهِ واستغفرِ اللهَ مِنْ ذنبكَ الذي بسببهِ سُلِّطوا عليكَ، وكُنْ فيهم سميعًا لِحَقِّهم، صَمُوتًا عَن باطِلِهم ومَساوئِهم، نَطُوقًا بمحاسِنهم، واحذرْ صُحبةَ مُتَفقِّهةٍ لا يُقِيلونَ عَثْرةً، ولا يغفرونَ زَلَّةً، ولا يسترونَ عَورةً، إنْ رَضُوا

---

(١) في (و): ويروج سره.

(٢) في (ز): ما يضمره.

(٣) في (هـ): ولا تُعبهُم.

مَلِقُوا، وإنْ سَخِطُوا أحرقوا، فاحذرْ صدِيقكَ بأكثرَ ما تحذرُ به عدُوَّكَ، ولا تجعلْ مالكَ أكرمَ مِنْ عِرْضكَ. وسيأتي فيهِ كلامٌ[١]؛ فتأمَّلْهُ، وللهِ الحَمْدُ.

[ثناء المؤلف على كتاب «الإحياء» والسبب الداعي لاختصاره]

وكتابُ «الإحياءِ» نفيسٌ جدًّا، وَعَزَّ على بعْضِهم حِفْظُه ومُطالعَتُه وحَمْلُه وثمَنُه كما عزَّ عليَّ ذلكَ؛ لضَعْفِ فَرْعِي وقِصَرِ[٢] باعِي وقِلَّةِ بضاعَتِي، فأمدَّني اللهُ تعالى بالبركاتِ المَوْصِليّةِ ـ سقَى اللهُ ثراها شآبِيبَ الرّضوانِ[٣]، وتمَّمَ لخُلَفائِه

(١) ينظر (ص٣٩٤).

(٢) في (هـ): قصور.

(٣) قول المؤلف رحمه الله تعالى: (بالبركات الموصليّة) يشيرُ به إلى شيخه ومربيه الذي لازمه وأخذ عنه علم التصوف والتزكية، ألا وهو الشيخ الإمام القدوة الزاهد العابد الخاشع الناسك الرباني بقية مشايخ علماء الصوفية، وجنيد وقته، أبو بكر بن علي بن عبد الله الشيباني الموصلي ثم الدمشقي. مولده بالموصل سنة أربع وثلاثين وسبعمئة واشتغل بها، وحفظ «الحاوي الصغير»، ثم حفظ «التنبيه»، وقدم دمشق وهو شاب وكان يعاني الحياكة فأقام بالقبيبات عند منزله المعروف زمانًا طويلًا وهو يشتغل بالعلم ويسلك طريق الصوفية ويلقن الذكر ويلبس الخرقة، وكان يُقرئ «منازل السائرين»، ويكتسب من الحياكة، ولازم الشيخ قطب الدين مدة، واجتمع بالشيخ عبد الله اليافعي وغيره من الصالحين والعلماء، وكان يطالعُ كثيرًا الحديث ويحفظ جملة من الحديث ويعزوها إلى رواتها وصار له يد في الفقه وصار له أتباع، ولم يزل يعمل بيده إلى آخر وقت وكان من كبار الأولياء وسادات العباد، جمع بين علمي الشريعة والحقيقة ووفق للعلم والعمل، وصار له أتباع، وكان شعاره إرخاء عذبة خلف الظهر، وكان يحضر مواعيده كبار العلماء فيسمعون منه الفوائد العجيبة والنكت الغريبة، وكان القاضي شهاب الدين الزهري ممن يحضر مجالسه ويبالغ في تعظيمه، وكذلك الشيخ شمس الدين الصرخدي، وكان يتردد إليه نواب الشام ويمتثلون =

وأحْبابه[١] في الدّارينِ الإحْسانَ، وجعلنا منْهم أبدًا آمين ـ فاختصرْتُ أكثَرَ مَقاصدِه في نَحْوِ نِصْفِ عُشْرِ حَجْمِه[٢]؛ لِخفّةِ المؤنة؛ ليكُون أصْلُهُ كأكْمَلِ شَرْحٍ لمعانِيه، وَضَممْتُ إليه نَفائس لا يَسْتغني المُبتدئ عنها[٣]، ولا السّالكُ عن غالِبها، ولا المُنتهي عَن مُراجعة بعْضِها؛ سيّما ما فتحَ اللهُ بهِ وما تيسّر التقاطُه مِن كلامِ المصنِّف وغيرِه. نفعَ اللهُ تعالى بهم وبهِ، وفتحَ بالخيرِ التامّ لِمَنْ تلقّاهُ بقَبولٍ وبَسْطِ عُذْرٍ وحُسْنِ ظنٍّ به وبجامِعِه، وكفاكَ بذلك إكسيرًا يَقلِبُ عَينَ القَبيحِ جميلًا، والحقيرِ جَليلًا، والخَلِيِّ خَليلًا؛ فالتخلّي عن كُلِّ شاغلٍ فِكْرًا وذِكْرًا وعَملًا بدايةٌ، والتّحلّي بكُلِّ طاعَةٍ بلا فُتورٍ غايةٌ[٤]، والذُّهولُ بهِ تعالَى عَن كُلِّ شيءٍ وُصْلَةٌ.

❊ ❊ ❊

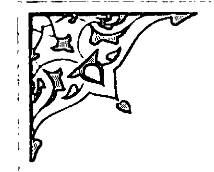
= أوامره، وحج غير مرة وعظم قدره عند السلطان الملك الظاهر لما عاد إلى الملك وكان يكاتبه ويأمره بما فيه نفع المسلمين، وكان السلطان سنة ست وتسعين اجتمع به، وصعد السلطان إلى منزله ورقي السلم وأعطاه مالًا فأبى أن يقبله وكان إذ ذاك بالقدس، وكان في أواخر عمره يذهب إلى هناك مدة ثم يرجع إلى دمشق. توفي بالقدس في شوال سنة سبع وتسعين وسبعمئة ودفن بمقبرة ماملا، وله مصنفات صغار في التصوف وغيره وله منسك صغير في نحو كراستين ذكر فيه المذاهب الأربعة. وكان ولده عبد الملك يذكر عنه أنه قال: كنت في المكتب ابن سبع سنين فربما لقيت فلسًا أو درهمًا فأنظر أقرب دار فأعطيهم إياه وأقول: لقيته قريب داركم. ينظر: «طبقات ابن شهبة» (٣: ١٤٩-١٥٠)، و«الدرر الكامنة» (١: ٤٤٩)، و«شذرات الذهب» (٦: ٣٤٧).

(١) في(أ، و): وأحبائه، وفي هامش (أ) نسخة: (وأصحابه).

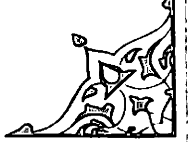
(٢) في غير (ج، هـ، و): فاختصرتُه في نحو نصف عُشر حجمه.

(٣) في غير (ج، هـ، و): وأضُمُّ إليه ما لا بُدّ منهُ إن شاء اللهُ تعالى.

(٤) في (هـ، ز): غُربةٌ. وفي (و): عزمة.




ربع العبادات



باب فضل العلم[1]

قالَ اللهُ تعالى[2]: ﴿شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ...﴾ [آل عمران: ١٨][3] الآيةَ. بَدأ بنفْسِه وثنَّى بالملائكةِ وَثلَّثَ بالعُلماءِ. وفي بَعضِ طُرقِ البُخاريِّ: «مَنْ يُرِدِ اللهُ بِهِ خَيرًا يُفَقِّهْهُ في الدِّينِ، وَيُلْهِمْهُ رُشْدَهُ»[4]، «وَإِنَّما العِلْمُ بِالتَّعلُّمِ»[5]، وَهُوَ مِيراثُ النُّبُوَّةِ[6]، وبه صِحَّةُ العَملِ، ونَيلُ الخَشْيةِ الباعثةِ على فِعْلِ المأمورِ

---

(١) في (ب): (من فضل العلم).

(٢) زيادة من (ج).

(٣) وتمام الآية: ﴿شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُوْلُواْ ٱلْعِلْمِ قَآئِمَۢا بِٱلْقِسْطِۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾. قال الإمام البيهقيُّ رحمه الله: فقرن اسم العُلماء باسم الملائكة كما قرن اسم الملائكة باسمه، وكما وجب الفضلُ للملائكة بما أكرمهُم به، فكذلك يجبُ الفضل للعلماء بما أكرمهم به من مثله، وقال: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُاْ﴾ [فاطر: ٢٨]؛ فأبان أنّ خشيته إنّما تكونُ بالعلم، وقال: ﴿هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الزمر: ٩]. «شعب الإيمان» (٣: ٢١٧).

(٤) رواه البخاري (٧١)، ومسلم (١٠٧٣) من حديث معاوية رضي الله عنه دون قوله: «ويلهمه رشده»، وهذه الزيادة عند أبي نعيم في «الحلية» (٣: ٢٦٩)، والطبراني في «الكبير» (١٩: ٣٤٠).

(٥) رواه البخاري تعليقًا في (بابٌ: العلمُ قبل القول والعمل) قبل رقم (٦٧)، والطبراني في «الكبير» (١٩: ٣٩٥).

(٦) روى الترمذي (٢٦٨٢) وأبو داود (٣٦٤١) عن قيس بن كثير، قال: قدم رجُلٌ من المدينة على أبي الدّرداء، وهُو بدمشق فقال: ما أقدمك يا أخي؟ فقال: حديثٌ بلغني أنّك تُحدّثُهُ عن رسول الله ﷺ، قال: أما جئت لحاجةٍ؟ قال: لا، قال: أما قدمت لتجارةٍ؟ قال: لا، قال:=

وترك المحذور؛ فمنْ علم أُصول[1] دينه، وما تعلّق بقلبه من مواجبه ومناهيه[2] وما تعلّق بجوارحه من فعلٍ وتركٍ، وفعل ما وجب فعلهُ وترك ما وجب تركُه؛ فقد أدّى ما عليه كما سيأتي[3].

وَيَنْقَسِمُ العلمُ بانْقِسامِ المعلُوماتِ، وهي لا تُحصى:

فَمِنْها ظاهِرًا: أصولٌ، فُروعٌ، تفسيرٌ، حديثٌ، لغةٌ، ونحوُها.

وَباطنًا: كَعِلْم الرّياضةِ، والكشْفِ، ونُشيرُ إلى شيءٍ منها بأرْشق عِبارَة؛ جَمْعًا للفوائدِ بلا كُلْفَةٍ؛ لقلّةِ اعتناءِ بعضِ المُتعبّدين بالعلْم[4].

* * *

= ما جئتُ إلّا في طلب هذا الحديث؟ قال: فإنّي سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «من سلك طريقًا يبتغي فيه علمًا سلك الله به طريقًا إلى الجنّة، وإنّ الملائكة لتضعُ أجنحتها رضاءً لطالب العلم، وإنّ العالم ليستغفرُ لهُ من في السّموات ومن في الأرض حتّى الحيتانُ في الماء، وفضلُ العالم على العابد، كفضل القمر على سائر الكواكب. إنّ العُلماء ورثةُ الأنبياء، إنّ الأنبياء لم يُورّثُوا دينارًا ولا درهمًا إنّما ورّثُوا العلم، فمن أخذ به أخذ بحظٍّ وافرٍ».

(١) في غير (ب، و): أصل.

(٢) في غير (د): واجبه ونواهيه. وفي (و، ز): مواجبه ونواهيه.

(٣) من (ونيلُ الخشية...) إلى هنا مثبت من (ب، ج، و) فقط. وهي في (ز) في الأصل، وقد شطب عليها، ثم قال في الهامش: هذا المضروب على آخره ثابتٌ في إحدى نسختي المقابلة في الأصل، وفي الأخرى في الهامش بخط الشيخ... مصحّحٌ عليه، ثم راجعت نسخة ثالثة فلم أجده فيها، وفي نسخة رابعة للعهود مثبتة في الأصل، وقد سبق في صدر الكتاب.

(٤) قوله: (لقلة اعتناء بعض المتعبّدين بالعلم) زيادة من (ب، ج).

باب أصول الدين

العِلْمُ بهِ تَعالَى فَرضٌ مُقَدَّمٌ، وَما لزِمَ مِن عَقْدٍ[٥] وَتَرْكٍ وَفِعْلٍ، وَتَعلُّمِه وتعْلِيمِه؛ فهو تَعالى مَوجُودٌ قديمٌ بِلا بدايةٍ، أبَدِيٌّ بلا نهايةٍ، حَقِيقَتُهُ مُخالِفةٌ لكلِّ حَقيقةٍ[٦]؛ إذ ليسَ كَمِثْلِه شيءٌ؛ فَليسَ بِجَوهَرٍ ولا جِسْمٍ ولا عَرَضٍ.

واحِدٌ لا ثانِيَ مَعَهُ، أحَدٌ في ذاتِه المُقدَّسَةِ وصِفاتِهِ المُنزَّهةِ عن النَّقائصِ والحُدُوثِ؛ منها: كَلامُه، ومِنهُ القُرآنُ؛ فَدَلَّ ذلكَ عَلَى أنه غَيرُ مَخْلُوقٍ؛ فلا قسيمَ لذاتِه، ولا شبيهَ لصفاتِه، ولا شريكَ في أفعالِه[٧]، وما سِوَى الله تعالى فِعْلُهُ، والفِعلُ مَسْبُوقٌ بالفاعِلِ بالضَّرُورَةِ عَقْلًا ونَقْلًا، والقديمُ لا يكونُ مَسْبُوقًا؛ فثَبتَ قِدَمُهُ تَعالَى وحدُوثُ العالَم.

لم يَزلْ وَحْدَهُ بِصفاتِ الجلالِ والجمالِ، وكمالٍ لا يَفتقرُ إلى مَزيدِ اسْتِكْمالٍ، وكُلُّ اسمٍ مِن أسمائِهِ تعالى لا يخلُو مِن إثباتِ ما يَجبُ لَهُ تَعالى ونَفْيِ ما يَسْتَحِيلُ عليهِ تعالى مِن صِفاتِ الخَلْقِ؛ كالقُدرةِ مَثَلًا يَسْتَحِيلُ عَلَيها العَجْزُ وَقُدْرةُ الخَلْقِ يُلازِمُها العَجْزُ، وكذا كلُّ صِفاتِ الخَلْقِ[٨] نَقْصُها لازِمٌ وصفاتُ الباري تَعالَى لا نَقْصَ وَلا حَدُوثَ.

---

(٥) في هامش (ز): أي: عقيدة.

(٦) في (و) زيادة: ولا هي معلومة، وهل تعلم في الآخرة. وهي هامش (ز) رامزًا لها بحاشية.

(٧) من قوله: (فلا قسيم لذاته...) إلى هنا غير مثبت في (د). وهو في هامش (ز) مصحح عليه؛ فلعلّ (د) منسوخة عن (ز).

(٨) في غير (د): وكذا صفات الخلق.

القُدّوسُ المُنزّهُ عَن مَعاني الحُدُوثِ وَصِفاتِ الخَلْقِ، أبْدعَ العالم بلا حاجَةٍ، ولَو شاءَ ما خَلَقَهُ، وَلَمْ يَحْدُثْ بِهِ في ذاتِه حادِثٌ، فعّالٌ لما يُريدُ.

القَدَرُ خيرُه وشرُّه مِنْهُ، عِلْمُهُ شامِلٌ لكُلِّ شيءٍ، وقُدْرتُه لكلِّ مقْدورٍ، ما عَلِمَ أنّه يكونُ أرادَهُ وما لا فلا.

صِفاتُ ذاتِهِ ما دَلَّ عَلَيها فِعْلُهُ مِنْ عِلْمٍ وقُدرَةٍ وحَياةٍ وإرادَةٍ وسَمْعٍ وبَصرٍ، لا يَمنَعهُما[١] بُعْدٌ ولا حِجابٌ؛ يَراهُ المؤمنُ في القِيامَةِ.

نُثْبِتُ لهُ تعالى ما أثبتَ لَهُ الكتابُ والسُّنّةُ الصَّحيحةُ، ونَعْتَقِدُ ظاهِرَ المعنَى ونُنَزِّهُ عندَ سماعِ ما أشكلَ مُؤوّلِينَ تنزيهًا بلا تَعْطِيلٍ، أو مُفوّضِينَ إثباتًا بلا تمثيلٍ؛ إذْ جَهْلُنا بتفصيلِ مُجْمَلِه كَإيمانِنا بالرُّسُلِ، وجَهْلُنا بأنسابِهم وألوانِهم ونَحْوِها وبالملائكةِ وجَهْلُنا بِعَدَدِهِم ونحوِه لا يقدَحُ اتّفاقًا؛ فلْيَسَعْنا ما وَسِعَ سَلَفَنا؛ إذْ لَمْ يَفْتَقِرُوا فيهِ إلى مَعْرِفَةِ اللّازمِ والملْزُومِ ونحوِه، بَل رَدُّوا عِلْمَهُ إلى اللهِ تعالى ورَسُولِه؛ فَذلكَ خَيرٌ وأحْسَنُ تَأوِيلًا، وثَمَّ مَنْ هُوَ ألحنُ بحُجَّتِهِ مِن ذِي الحقِّ؛ فَفَوِّضْ تَسْلَمْ.

يُثيبُ بطاعَتِهِ ويُعاقِبُ ما لم يَغْفِرْ غيرَ الشِّرْكِ بمعصيتِهِ، ولهُ فِعلُهما[٢] بلا سببٍ، لا يُتصوَّرُ منه ظُلْمٌ ولا تبدِيلٌ لسعادةٍ أو شقاوةٍ أزليّةٍ.

وَرِضاهُ تعالى ومَحَبَّتُهُ أخصُّ مِن مَشِيئتِه وإرادَتِه؛ فلا يَرْضَى لعِبادِهِ الكُفْرَ، ولَو شاء ربُّك ما فَعَلُوه.

أرْسَلَ رُسلَه بالمُعجزاتِ، وخصَّ مُحمَّدًا ﷺ بأنّهُ خاتَمُ أنبيائهِ، وفضَّلَهُ على

---

(١) أي: صفتي السمع والبصر، وفي هامش (ز): يمنعها.
(٢) أي: الثواب والعقاب.

كافَّةِ خلْقِهِ، ثُمَّ أنبياؤُهُ أفْضَلُ مِن ملائكتهِ، ثُم ملائكتُه، وَرُبَّما فُضِّل مُؤمِنٌ تقيٌّ عَلَى بَعْضِهِم؛ لانفرادِهِ بالمُجاهَدَةِ وَنحوِها. قَطَعَ بِهِ ابنُ عَبْدِ السَّلامِ وغيرُه[١].

والخارِقُ للعادةِ مع دَعْوَى النُّبوَّةِ بلا مُعارَضةٍ مُعْجِزَةٌ، وبانفِرادِهِ كرامَةٌ.

والإيمانُ: تَصْدِيقٌ باللهِ تعالى، وَمَلائِكَتِهِ، وَكُتُبِهِ، وَرُسُلِه، والآخِرةِ، وحَشْرِها، ونَشْرِها[٢]، وعَرْضِها، وصِراطِها، ومِيزانِها وَنَحْوِه، وبوُجُودِ الجنَّةِ والنّارِ اليَومَ بِلا فناءٍ، وبالحَوضِ والشَّفاعاتِ، وعَذابِ القبرِ وفِتْنَتِهِ، وبإعادَةِ بدنِهِ ورُوحِهِ وجَزائِهما، وببراءةِ عائشةَ رضيَ اللهُ عَنْها وعَن أبوَيها[٣].

وفَضْلِ الخُلفاءِ رضيَ اللهُ عنهُم على ترتِيبهم[٤]، ثُمَّ الصّحابةِ رضيَ اللهُ عنهُم، ولكلٍّ أجْرٌ بما شَجَر بينَهُم، والأئمّةِ على هُدى وطريقِ القومِ كالجُنَيدِ[٥].

---

(١) ينظر: «قواعد الأحكام في مصالح الأنام» لشيخ الإسلام العز بن عبد السلام (٢: ٢٣٢).
وابن عبد السلام هو شيخ الإسلام وسلطان العلماء عز الدين أبو محمد السلمي الدمشقي الشافعي، قرأ الأصول والعربية، ودرس وأفتى، وصنف، وبرع في المذهب، وبلغ رتبة الاجتهاد، وقصده الطلبة من البلاد، وتخرج به أئمة، وله الفتاوى السديدة، وكان ناسكًا، ورعًا، آمرًا بالمعروف، نهاء عن المنكر، من مصنفاته: «القواعد الكبرى»، و«القواعد الصغرى»، و«مقاصد الرعاية»، وغير ذلك، لما مات سنة ستين وستّمئة شهد الملك الظاهر بيبرس جنازته والخلائق. ينظر: «المنهل الصافي» (٢: ١٢٧).

(٢) ونشرها. غير مثبتة في (ب، ج).

(٣) في (أ): وعن أبيها. وفي الهامش نسخة: (وأبيها)، وهي غير مثبتة في باقي النسخ.

(٤) في (ز) حاشية: أبو بكر فعمر فعثمان فعلي فباقي العشرة فأهل بدر فالحديبية فباقي الصحابة فباقي الأمة على تفاوت درجاتهم أفضل من جميع الأمم. «نقاية» السيوطي رحمه الله تعالى.

(٥) الجنيد بن محمد بن الجنيد الخزاز القواريري أبو القاسم الزاهد المشهور؛ شيخ الصوفية، أصله من نهاوند، ومولده ومنشؤه العراق، شيخ وقته وفريد عصره، وكلامه في الحقيقة=

وتَلَفُّظٌ بالشَّهادتين على الفورِ مِن قادرٍ مُختارٍ، لا حَرْبِيٍّ مرَّةً مرتبةً حَتْمًا وبالعربيَّةِ أولى.

والإسْلامُ عملُ الجوارحِ[1] ولا يُعتَبَرُ وحدَهُ، ويُقصدُ بكُلٍّ وجْهُ الله تعالى فقطْ، وهوَ مقامُ الإحسانِ، وحَقِيقَتُهُ تحسينُ كُلِّ قُرْبةٍ وتكْميلُها لتُقبلَ فافْهمْ[2].

فائدة:

الذي يظهرُ مِن حيثُ استعمالُ الشَّرعِ واللغةِ: أنَّ الإيمانَ حقيقةٌ في التَّصْدِيقِ مجازٌ في الأعْمالِ، والإسلامُ بعَكْسِه.

❊ ❊ ❊

= مشهور مدون، تفقه على أبي ثور صاحب الإمام الشافعي رضي الله عنهما، وصحب خاله السري السقطي والحارث المحاسبي وغيرهما من جلة المشايخ رضي الله عنهم. وصحبه أبو العباس ابن سريج الفقيه الشافعي، وكان إذا تكلم في الأصول والفروع بكلام أعجب الحاضرين فيقول لهم: أتدرون من أين لي هذا؟ هذا من بركة مجالستي أبا القاسم الجنيد، وسئل الجنيد عن العارف فقال: من نطق عن سرك وأنت ساكت. وكان يقول: مذهبنا هذا مقيد بالأصول والكتاب والسنة. وقال: علمنا ـ يعني: التصوف ـ مشبك بحديث رسول الله، ورئي يومًا وفي يده سبحة، فقيل له: أنت مع شرفك تأخذ في يدك سبحة؟! فقال: طريق وصلت به إلى ربي لا أفارقه. وآثاره كثيرة مشهورة، توفي سنة سبع وتسعين ومئتين ببغداد، ودفن يوم السبت بالشونيزية عند خاله سري السقطي رضي الله عنهما. وكان عند موته رحمه الله تعالى قد ختم القرآن الكريم ثم ابتدأ في البقرة فقرأ سبعين آية، ثم مات. «وفيات الأعيان» لابن خلكان (١: ٣٧٣-٣٧٤)، «الرسالة القشيرية» (ص٢٤).

(١) في (ب، ج): (بالجوارح)، وفي هامش (ج) نسخة كالمثبت.

(٢) من قوله: (وحقيقتُهُ) إلى هنا غير مثبت في (ب، ج).

باب أصول الفقه

حقيقتُهُ: نظرٌ في أدِلَّةِ الأحكامِ الشرعيّةِ؛ هي: وُجوبٌ، تَحريمٌ، كَراهةٌ[١]، نَدْبٌ، إباحةٌ، وهيَ معروفةٌ، وفي كتابِنا «اللَّوامعُ تجريدُ الجوامِعِ» الغايةُ إنْ شاءَ اللهُ تعالى.

أدلَّـتُها: القرآنُ، والسُّنَّةُ، والإجماعُ، والقياسُ، ودليلُ العقلِ في الاستصحابِ[٢].

والقرآنُ متواترُ المنقولِ بالأحْرُفِ السَّبْعَةِ وما لَمْ يتواتَر إلى العَشَرةِ، وما عَداها شاذٌّ، والسَّبْعُ: قراءةُ أبي عَمْرٍو، وعاصمٍ، وحمزةَ، ونافعٍ، والكِسائيِّ، وابنِ كثيرٍ، وابنِ عامرٍ، وغيرِهم. ذَكَرَهُ الجَعْبَريُّ[٣].

والقرآنُ مُشتمِلٌ على ناسخٍ ومنسوخٍ، وَمُحْكَمٍ ومُتَشابهٍ، ومُجْمَلٍ ومُبَيَّنٍ، ومُطلَقٍ ومُقيَّدٍ، وعامٍّ وخاصٍّ؛ فالمُحْكَم معناهُ ظاهرٌ، والمُتَشابهُ تفرَّدَ اللهُ تعالى بعِلْمِه، وقد يُعْلمُ منه، والمُجْمَلُ كقولِه: ﴿وَءَاتُواْ حَقَّهُۥ يَوْمَ حَصَادِهِۦ﴾ [الأنعام: ١٤١]، والمُبيَّنُ واضِحٌ لفظُهُ؛ كقولِه تعالى: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَٰتُكُمْ...﴾

---

(١) في (ب، و، هـ): (كراهية).

(٢) في (ب، ج): (والاستصحاب).

(٣) الجعبري: شيخ القراء برهان الدين أبو إسحاق إبراهيم بن عمر بن إبراهيم بن خليل الجعبري، ولد بجعبر قلعة على الفرات سنة ٦٤٠هـ، كان إمامًا في القراءات عارفًا بالفقه والعربية صاحب المصنفات الكثيرة في القراءات. شرح الشاطبية والرائية، وله نحو مئة، توفي رحمه الله بمدينة الخليل عليه السلام سنة ٧٣٢هـ. ينظر «البداية والنهاية» (١٤: ١٦٧-١٦٨)، و«غاية النهاية في طبقات القراء» (١: ٢١).

الآيةَ [النساء: ٢٣]، والمُطلقُ كقولِه تعالى: ﴿فَتَحۡرِيرُ رَقَبَةٖ...﴾ الآية [المجادلة: ٣]؛ تشملُ المؤمنةَ والكافرةَ، والمُقيّدُ كقولِه تعالى: ﴿رَقَبَةٖ مُّؤۡمِنَةٖ﴾ [النساء: ٩٢]، والعامُّ كقولِه تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ [البقرة: ٦] يعمُّ كُلَّ كافرٍ، والخاصُّ كقولِه تعالى: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلۡبَيۡتِ...﴾ الآية [آل عمران: ٩٧]، والمنسوخُ كقولِه تعالى: ﴿وَأَعۡرِضۡ عَنِ ٱلۡجَٰهِلِينَ﴾ [الأعراف: ١٩٩]. والنّاسخُ كآيةِ السّيفِ[١].

وأمّا السُّنّةُ الشّريفَةُ يجبُ العَملُ بها المتواترِ وغيره.

والإجماعُ: هوَ اتّفاقُ مُجتهدِي العَصْرِ على أمْرٍ من الأمور يَجبُ اتّباعُهُ ويُمنعُ مِن مُخالفتِه.

وأمّا القياسُ: فهوَ حَمْلُ معلومٍ علَى معلومٍ لعِلّةٍ[٢] جامِعَةٍ بينهُما.

وأمّا دليلُ العقلِ في الاسْتِصْحابِ: حيثُ فُقِدَ الدّليلُ ممّا ذُكِرَ وقُلْنا: لا حُكمَ في هذِهِ الواقِعةِ.

وفائدةُ الكُلِّ: معرفةُ أحْكامِه تعالى.

❊ ❊ ❊

---

(١) آية السيف هي قوله تعالى: ﴿فَإِذَا ٱنسَلَخَ ٱلۡأَشۡهُرُ ٱلۡحُرُمُ فَٱقۡتُلُواْ ٱلۡمُشۡرِكِينَ حَيۡثُ وَجَدتُّمُوهُمۡ وَخُذُوهُمۡ وَٱحۡصُرُوهُمۡ وَٱقۡعُدُواْ لَهُمۡ كُلَّ مَرۡصَدٖ﴾ [التوبة: ٥]. قال الإمام ابنُ العربيّ رحمهُ الله: كُلُّ ما في القُرآن من الصّفح عن الكُفّار والتّولّي والإعراض والكفّ عنهم فهو منسُوخٌ بآية السّيف، نسخت مئةً وأربعًا وعشرين آيةً ثُمّ نسخ آخرُها أوّلها انتهى. ينظر: «الإتقان في علوم القرآن» (٣: ٧٨).

(٢) في غير (و، ز): بعلة.

باب حقيقة الفقه وفائدته

هوَ نظرٌ في أفعالِ المُكلَّفِ كما تَقدّمَ؛ فأوَّلها: الإيمانُ وسَبَقَ، وظاهرُ العباداتِ مَعْروفةٌ، وقد نُشير إلى نَفائسِها.

* * *

باب حقيقة علم التفسير(١)

هوَ شرْحُ مَعاني القُرآنِ كشْفًا وإيضاحًا، بلُغةٍ، ونحْوٍ، وتصريفٍ، وبَيانٍ بَلاغةٍ، وهيَ مِن عوارضِ المعاني، وفصاحةٍ، وهي من عوارض الألفاظ. يأتي بيانُه إنْ قُدِّر.

والقرآنُ العزيزُ يشتملُ على لفظٍ مُشتركٍ ومُتواطئٍ، ومُترادفٍ وحَقيقةٍ، ومجازٍ، وتمثيلٍ، وتشبيهٍ، وإضْمارٍ، وتقديمٍ وتأخيرٍ، واستعارةٍ؛ فلا بُدَّ مِنْ مَعْرفَةِ كُلِّها. لفظُ الأُمَّةِ مُشتَركٌ بين أُناسٍ كثيرين، وبمعنى الوقْتِ؛ كقولِه تعالى: ﴿إِلَىٰٓ أُمَّةٖ مَّعۡدُودَةٖ﴾ [هود: ٨] أيْ: إلى وقْتٍ، وبمعنى الرّجُلِ الكامِلِ؛ كقولِه تعالى: ﴿أُمَّةٗ قَانِتٗا﴾ [النحل: ١٢٠]، والمُتواطئُ: لفظٌ واحدٌ دلَّ على مَعانٍ كثيرةٍ كالإنْسانِ، والمترادفُ عكسُهُ، والحقيقةُ: لفظٌ استُعْمِلَ فيما وُضِعَ لهُ أوّلًا، والمجازُ عكسُه(٢)، والتَّمْثِيلُ والتَّشبيهُ مَعْرُوفانِ، والإضمارُ كقولِه تعالى: ﴿وَسۡـَٔلِ ٱلۡقَرۡيَةَ﴾ [يوسف: ٨٢] أي: أهلَها، والتَّقديمُ والتأخيرُ كقولِه تعالى: ﴿غُثَآءً أَحۡوَىٰ﴾ [الأعلى: ٥](٣) أي: أحوى غُثاءً، والاستعارةُ كقولِه تعالى: ﴿وَٱلصُّبۡحِ إِذَا

---

(١) في (ب، ج): فصل في التفسير.

(٢) في هامش (ز) حاشية: استعمل في غير ما وضع له.

(٣) في هامش (و): ﴿فَجَعَلَهُۥ غُثَآءً﴾ يابسًا وهو ما يحمله السّيل ممّا جفت من النّبات ﴿أَحۡوَىٰ﴾ أسود باليًا. «واحدي» (١: ١١٩٤). وفي هامش (ز) الحاشية نفسها بزيادة: أحوى: شديد الخضرة يضرب إلى سوادٍ. «الواحدي».

﴿تَنَفَّسَ﴾ [التكوير: ١٨]، استعارَ للصبحِ التَّنَفُّسَ[١]؛ إذ هوَ للحَيوانِ فقطْ.

وفائدةُ هذا العِلم: معرفةُ معاني كلامِ اللهِ سُبحانَهُ وتعالى، ﴿وَمَا يَعۡقِلُهَآ إِلَّا ٱلۡعَـٰلِمُونَ﴾ [العنكبوت: ٤٣]، وتفسيرُ الحديثِ كذلكَ[٢].

* * *

---

(١) في (و): النفس.

(٢) في هامش (ز): بلغ مقابلة.

باب حقيقة علم الحديث[١]

هوَ نظرٌ في رِجالِه، ورِواياتِهِمْ وأنْسابِهم ومَشايخِهم، وكُلّ راوٍ عمّنْ رَوَى، وما رواهُ مِن الأحاديثِ وصِحّتِها وفسادِها، وتمييزِ الصّحيحِ من غيرِه.

فالصَّحِيحُ: ما اتَّصلَ بعُدُولٍ ضابِطِينَ بلا شُذُوذٍ ولا علّةٍ؛ أيْ: في إسْنادِه، لا أنّهُ مَقْطُوعٌ بِهِ، ويُقطعُ به بنَحْوِ تواتُرٍ، أو لم يتّصِل وجُزم به؛كقال وفعَلَ صحّ عَن المضافِ إليهِ، أو يُروَى ونحوَه فلا، وليسَ بواهٍ لإدْخاله في كتابٍ وُسِمَ بالصَّحيحِ، وما لم يتَّصِل سَنَدُهُ يقالُ فيهِ[٢]: غيرُ صَحيحٍ، والمختارُ لا يُجزَمُ في سَنـدٍ بأنّهُ أصَحُّ الأسانيدِ.

وأصحُّ مُؤلَّفٍ جُرِّدَ فيهِ «صحيحُ البُخاريّ»، ثُمَّ مُسْلِم، جملتُه أربعةُ آلافِ حديثٍ غيرِ مُكرَّرٍ[٣]، ومُسلمٌ نحوَه، ويُعرَفُ ما صحَّ زائدًا عليهما في المُعْتَمَدَة؛

---

(١) في (ب، ج): فصل في حقيقة علم الحديث.

(٢) في (ب، ج): له.

(٣) قال الإمام القسطلاني رحمه الله في «إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري» (١: ٢٨): وأما عدد أحاديث الجامع فقال ابن الصلاح: سبعة آلاف ومئتان وخمسة وسبعون بالأحاديث المكررة، وتبعه النووي وذكرها مفصلة، وساقها ناقلًا لها من كتاب «جواب المتعنت» لأبي الفضل بن طاهر، وتعقب ذلك الحافظ أبو الفضل بن حجر رحمه الله تعالى بابًا بابًا محرّرًا ذلك، وحاصله أنه قال: جميع أحاديثه بالمكرر سوى المعلقات والمتابعات على ما حرّرته وأتقنته سبعة آلاف وثلاثمئة وسبعة وتسعون حديثًا. فقد زاد على ما ذكروه مئة حديث واثنان وعشرون حديثًا. والخالص من ذلك بلا تكرار ألفا حديث وستمئة =

كسُننِ أبي داودَ، والتِّرمذيِّ، والنّسائيِّ، وابنِ خُزيمةَ، والدّارقُطنيِّ، والحاكمِ، والبيهقيِّ، وغيرهِم، إنْ نُصَّ على صحَّتِهِ، أو جُرِّدَ[1] كالحاكمِ، وابنِ حِبّانَ

= وحديثان. وإذا ضم له المتون المعلقة المرفوعة التي لم يوصلها في موضع آخر منه وهي مئة وتسعة وخمسون صار مجموع الخالص ألفي حديث وسبعمئة وأحدًا وستين حديثًا.
وجملة ما فيه من التعاليق ألف وثلاثمئة وأحد وأربعون حديثًا، وأكثرها مكرر مخرج في الكتاب أصول متونه، وليس فيه من المتون التي لم تخرج في الكتاب، ولو من طريق أخرى إلا مئة وستون حديثًا. وجملة ما فيه من المتابعات والتنبيه على اختلاف الروايات ثلاثمئة وأربعة وأربعون حديثًا.
فجملة ما في الكتاب على هذا بالمكرر تسعة آلاف واثنان وثمانون حديثًا خارجًا عن الموقوفات على الصحابة والمقطوعات على التابعين فمن بعدهم.
وقد نبه الإمام ابن حجر رحمه الله في «فتح الباري» إلى سبب اختلاف تعداد الصحيح، بفائدة نفيسة خلال شرحه لحديث في كتاب الإيمان، باب كفران العشير وكفر دون كفر: إن البخاري يذهب إلى جواز تقطيع الحديث إذا كان ما يفصلهُ منه لا يتعلق بما قبله ولا بما بعده تعلُّقًا يُفضي إلى فساد المعنى، فصنيعه كذلك يُوهم من لا يحفظ الحديث أن المختصر غيرُ التامّ لا سيّما إذا كان ابتداء المختصر من أثناء التام كما وقع في هذا الحديث؛ فإن أوله هنا قوله ﷺ: أريت النار... إلى آخر ما ذكر منه، وأول التام عن ابن عباس قال: خسفت الشمس على عهد رسول الله ﷺ فذكر قصة صلاة الخسوف ثم خطبة النبي ﷺ وفيها القدر المذكور هنا؛ فمن أراد عدّ الأحاديث التي اشتمل عليها الكتابُ يظنُّ أن هذا الحديث حديثان أو أكثر لاختلاف الابتداء وقد وقع في ذلك من حكى أن عدته بغير تكرار أربعة آلاف أو نحوها؛ كابن الصلاح والشيخ محيي الدين ومن بعدهما وليس الأمر كذلك بل عدته على التحرير ألفا حديث وخمسمئة حديث وثلاثة عشر حديثًا كما بينت ذلك مفصلًا في «المقدمة».
وما نراه اليوم من اختلاف في تعداد لأحاديث «الصحيحين البخاري ومسلم» بين طبعة وأخرى إنما يعودُ إلى أمور فنية لا إلى زيادة ونقص في صلب الصحيح؛ نبّه عليه الشيخ محمد عوامة حفظه الله في تعليقه على «تدريب الراوي» (٢: ٣٦٤).

(١) في (أ، ب): جود. وفي هامش (ز): في ثلاث نسخ بالواو، وكأنه سهوٌ من النساخ.

ـ وفيهما نوعُ تَساهُلٍ ـ فيُمْتحنان بالأُصول: ما رُوي عن البُخاريّ ومُسلمٍ في غيرهما ولم يقُلْ بلفظه لا يُروى عنهُما بقول: كذا هُو فيهما حتّى يُقابل بهما، ومتى تفاوت فمعناهُ: رويا أصلهُ، والمُختصرُ منهُما فبلفظهما، وأعلاهُ ما اتّفقا عليهِ، وما قيلَ: مُتفقٌ عليه؛ فهُو ذا، ثمّ ما انفرد به البُخاريُّ، ثم مُسلمٌ، ثم ما على شرْطهما، ثم البُخاريّ، ثم مُسلمٍ، ثم ما صحَ عند غيرهما، ويُحكمُ بصحيحِ نحوِ جُزءٍ نُصّ على صحّته مَنْ يُعْتَمَدُ أو تمكّنتْ معرفتُه، ويُعملُ بحديثٍ مِن نُسْخَةٍ مُعْتَمدةٍ تحقيقًا.

الحَسَنُ حُجّةٌ، وهوَ: ما عُرِفَ مخرجُهُ وشُهر رجالُهُ، ولو قيل: حَسَنُ الإسْنادِ أو صحيحهُ؛ فهوَ دونَ قولهم: صحيحٌ أو حَسنٌ ما لم يقْتصرْ عليهِ من لا يُعتَمدُ، وما قيلَ: حسَنٌ صَحيحٌ؛ أيْ: صحّ بإسنادٍ وحسُن بآخر، إذ خبرُ العَدْلِ، ثُمّ الصّدوقِ، ثُمّ المجهولِ، ثُمّ الكذُوبِ؛ فصحيحٌ، فحسنٌ، فضعيفٌ، فمتْرُوكٌ؛ فافهمْ.

وفي حِسانِ «المصابيحِ» نظرٌ لمُرادِهِ بها ما في السُّنَنِ؛ إذ فيها الضّعيفُ والمُنْكَرُ، والتِّرمذيُّ شَهَر الحسَنَ، وكتابُه أصْلٌ فيهِ، ويختلفُ قولُه فيه: حسنٌ صحيحٌ. فَقابِلْ أصْلَكَ بأُصُولٍ مُعتمدَةٍ، و«سُنَنْ أبي داود» بنحوه؛ فما لمْ يُضعّفْهُ غيرُه ولمْ يَصِحَّ فحسَنٌ عند أبي داودَ، ولا تُلْحَقُ المسانيدُ[1]؛ كابنِ ماجه

---

(١) قال الإمام النووي رحمه الله: أما مسند أحمد بن حنبل، وأبي داود الطيالسي، وغيرهما من المسانيد، فلا تلتحق بالأصول الخمسة وما أشبهها ـ كابن ماجه ـ في الاحتجاج بها والركون إلى ما فيها، والله أعلم.

وقال ابن الصلاح رحمه الله: وهي مع ذلك أعلى رتبة من كتب المسانيد. كمسند عبد بن حُميد، والدارمي، وأحمد بن حنبل، وأبي يعلى، والبزار، وأبي داود الطيالسي، والحسن=

وغيرِه بالأُصولِ الخَمْسةِ المُتقدِّمِ ذِكرُها[١].

ومُتأخِّرٌ حَفِظَ وضَبطَ وشُهِرَ بالصِّدقِ والسَّتْرِ، فرُوِيَ حديثُه مِن غيرِ وجهٍ فصحيحٌ، وما رُوِيَ مِن وُجُوهٍ ضَعِيفَةٍ فلا حُسْنَ بل لو ضَعُفَ لإرسالٍ أو لِضَعْفِ

= ابن سفيان، وإسحاق بن راهويه، وعبيد الله بن موسى، وغيرهم؛ لأنهم يذكرون عن كل صحابي ما يقع لهم من حديثه.

(١) الأصول الخمسة هي دواوين السنة الشهيرة، وصحيح البخاري وصحيح مسلم، وسنن الترمذي وسنن أبي داود وسنن النسائي.

أما الكتب الستة: فهذه الخمسة وسنن ابن ماجه؛ ولكن جماعة من العلماء كانوا قبل أن يستقر هذا الاصطلاح يطلقون هذه اللفظة ويريدون بها الكتب الخمسة وموطأ مالك، وأكثرهم من المغاربة.

قال ابن حجر في «النكت» (١ : ٤٨٦): وكان الحافظ صلاح الدين العلائي يقول: ينبغي أن يُعدّ كتابُ الدارمي سادسًا للكتب الخمسة بدل كتاب ابن ماجه؛ فإنه قليل الرجال الضعفاء نادر الأحاديث المنكرة والشاذة وإن كانت فيه أحاديث مرسلة وموقوفة، فهو مع ذلك أولى من كتاب ابن ماجه.

قلت: وبعض أهل العلم لا يعد السادس إلا الموطأ، كما صنع رزين السرقسطي، وتبعه المجد ابن الأثير في «جامع الأصول»، وكذا غيره.

وحكى ابن عساكر أن أول من أضاف كتاب ابن ماجه إلى الأصول أبو الفضل ابن طاهر المقدسي، وهو كما قال؛ فإنه عمل أطرافه معها وصنف جزءًا آخر في شروط الأئمة الستة فعده معهم.

ثم عمل الحافظ عبد الغني كتاب «الكمال في أسماء الرجال» الذي هذبه الحافظ أبو الحجاج المزي فذكره فيهم.

وإنما عدل ابن طاهر ومن تبعه عن عدّ «الموطأ» إلى عد ابن ماجه، لكون زيادات «الموطأ» على الكتب الخمسة من الأحاديث المرفوعة يسيرة جدًا بخلاف ابن ماجه، فإن زياداته أضعاف زيادات الموطأ، فأرادوا بضم كتاب ابن ماجه إلى الخمسة تكثير الأحاديث المرفوعة، والله أعلم.

راويه[١] الصدوقِ الأمينِ حسَنٍ لمجيئه من وجهٍ آخر، أو لفسْق راويه فلا.

الضَّعيفُ: لا صفةَ حُسْنٍ[٢] ولا صحَةٍ، ومنهُ الموضوعُ والشَّاذُّ وغيرُهما.

المتّصِلُ[٣]: ما اتّصلَ سندُهُ إلى مُنْتهاهُ.

الموصولُ: ما اتّصلَ سندُه رَفْعًا أو وقْفًا.

المرفوعُ: فعنهُ ﷺ فقط، ولو لم يتصلْ[٤].

الموقوفُ: فعَنْ صَحابتِهِ ولو مُنْقَطِعًا، وهلْ يُسمّى أثرًا؟ نعمْ؛ ومنهُ: (كُنّا نَفْعَلُ) ما لم يُضِفْهُ إليهِ ﷺ[٥]، أو أضافَهُ نحوُ: (كُنّا نفعلُ في زمنه ﷺ)، وقولُ المُغيرةِ: كانَ أصحابُ رسولِ اللهِ ﷺ يَقْرَعُونَ بابَهُ بالأظافير[٦]. وقولُ صحابيٍّ نحو: أمَرَ، أو مِنَ السُّنَّةِ كَذا؛ فمَرفُوعٌ ولو لم يُضِفْهُ كما نُقل عنهُ في حديثٍ بنحوِ: يَرْفعُهُ أو يُنميهِ أو روايةً؛ كعَن أبي هُريرةَ رضيَ اللهُ عنهُ: (تُقاتلون قومًا)[٧]، فكُلُّه وشبهُهُ مرفُوعٌ، أو يرفعُه تابعيٌّ فمرفوعٌ مُرسَلٌ.

المُنقطِعُ: ما لمْ يتصلْ سندُهُ إلى أيِّ وَجْهٍ كانَ انقطاعُهُ، وتفسيرُ صحابيٍّ نحوَ سببِ نزولِ آيةٍ فمرفوعٌ، وإلّا فموقوفٌ.

---

(١) في (أ، ب): حفظ راويه. وفي هامش (ز): في ثلاثة نسخ: (رواية).

(٢) في (د): حسنة.

(٣) في (ب، ج): المسند.

(٤) في (ز): ولو لم يصل.

(٥) في (أ، ج) زيادة: أصلًا.

(٦) رواه الحاكم في «معرفة علوم الحديث» (ص٥٩) في النوع الخامس من معرفة علوم الحديث: الموقوفات من الروايات، ورواه البيهقي في «المدخل» (٦٥٩).

(٧) رواه البخاري (٢٩٢٨)، ومسلم (٢٩١٢).

المقطوعُ: ما وُقِفَ على تابعيٍّ.

المُرْسَلُ: قولُ غيرِ صَحابيٍّ: قالَ رسولُ اللهِ ﷺ، وهو ضعيفٌ ما لم يَعتضِدْ، ومُرسَلُ الصَّحابيِّ حُجَّةٌ.

المُعْضَلُ: ما سقَطَ مِن سَنَدِهِ جَماعَةٌ.

المُعَنْعَنُ: هوَ المُتّصلُ بقولِ الراوي: (عَنْ)[١] بشرْطِ إمكانِ لقاءِ بَعْضِهم بعضًا وعدمِ التّدليسِ، وفي شرطيّةِ ثبوتِ اللِّقاءِ وطُولِ الصُّحبةِ ومعرفةِ الرِّوايةِ عنهُ تردُّدٌ نفاها مُسلمٌ، وشَرَطَ اللّقاءَ وَحْدهُ البُخاريُّ والمُحَقِّقون، وما قيل: قرأتُ على فلانٍ عَن فلانٍ؛ أي: رواهُ عنهُ بالإجازة، و(أنّ) كـ(عَنْ)، وتُحملُ على السّماعِ.

المُعَلّقُ في البُخاريِّ: ما حُذفَ مِنْ أوّلِ إسنادهِ لا وسَطِهِ، وله حُكمُ الصّحيحِ، صِيغَتُهُ الجزْمُ كقالَ وفَعَلَ، لا يُرْوَى ويُحْكَى ونحوَه، كأنّهُ أُخِذَ مِن تعليقِ الجدارِ لِقَطْعِ اتِّصالِه، ولو رفَعَهُ ثقةٌ أو وَصَلَهُ فهو كذا وإن أرسلَهُ أو وقفَهُ غيرهُ.

مُدَلّسُ الإسنادِ: بأن يَرْوِيَ عمَّن عاصرَهُ ما لم يسمعْهُ منهُ مُوهِمًا سَماعَه؛ قيلَ: يصيرُ به مجرُوحًا، وما منهُ في الصَّحيحِ حُمِلَ على سماعِه مِن جهةٍ أُخرى.

مُدَلّسُ الشُّيوخِ: بأن يُسمِّي شيخًا، أو ينسبُه، أو يصفُه بما لا يُعرَف؛ فيُكرهُ.

الشّاذُّ: هو الفَرْدُ المُخالِفُ عَن غيرِ ثِقةٍ وإلا قُبِلَ، كزِيادةِ الثِّقَةِ ما لم يُخالفِ الثِّقاتَ.

---

(١) قوله: (بقول الراوي: عن) غير مثبتة في (هـ، و، ز).

فصل

[في الاعتبار والمتابعة والشاهد، وأنواع الحديث]

يُعرفُ حالُ الحديث بالاعتبار، كرواية حمّادٍ مثلا ما لا يتابعُ عليه عن أيوب عن ابن سيرين عن أبي هُريرة رضي الله عنهُ عن النبيّ ﷺ: يُنظر إن وُجد لهُ أصلٌ يُرجعُ إليه، وإلا فلا.

والمتابعةُ: أنْ يرويهُ عن أيوب غيرُ حمّادٍ، أو عن ابن سيرين غيرُ أيوب، أو عن أبي هُريرة غيرُ ابن سيرين، أو عن النبيّ ﷺ صحابيٌّ آخرُ.

والشاهدُ: بأن يروي حديثًا آخر بمعناهُ، وما قيل في مثله: تفرّد به حمّادٌ مثلًا كان مُشْعرًا بانتفاء المُتابعة، وإذا انتفتْ مع الشّواهد فكالشاذّ، وما قيل: تفرّد به أهلُ مكة أو الشّام مثلًا مما لم ينفرد به شخصٌ واحدٌ.

المعْلولُ: هو الحسنُ علّتهُ سببٌ قادحٌ باطنا في إسناد جمع شروط الصّحّةِ ظاهرًا، وتُدركُ بتفرُّد الراوي ومُخالفة غيره لهُ مع قرائن تُنبّهُ على وهم بإرْسالٍ أو وقف أو دخولِ حديثٍ في حديثٍ أو غير ذلك، بحيثُ يغلبُ على الظنّ الحُكْمُ بعدم صحّة الحديثِ، أو شُذوذٍ فيه فيُتوقّفُ فيه؛ فاجْمعْ طُرُقهُ لتنظر اختلافَ رُواته وضبطهم واتقانهم.

وتقعُ العلّةُ في الإسناد غالبًا، وقد تقدحُ فيه، وفي المتن كإرسال أو وقْفٍ، وتقعُ في المتْنِ، وقد تقدحُ في الإسناد، ويكونُ المتنُ معروفا صحيحا، كحديثِ يعْلى بن عُبيدٍ عن الثوريّ عن عمْرو بن دينار حديث: (البيّعان بالخيار)؛ غلطَ يعْلى، إنما هو عبدُ الله بنُ دينار[1].

(١) ينظر: «تدريب الراوي» (١: ٣٩٦).

وتُطلَقُ العِلَّةُ على غيرِ ما ذكرناهُ، كغَفْلَةِ الراوي، وكذِبِه، وسُوءِ حِفْظِهِ ونحوِها مِن أسبابِ ضعْفِ الحديثِ، وسمَّى الترمذيُّ النَّسخَ عِلَّةً، ومنهُم مَن خصَّها بمُخالفةٍ لا تقْدَحُ؛ كإرْسالِ ما وَصَلهُ ثقةٌ ضابطٌ، فقيلَ فيهِ: صَحيحٌ مُعَلَّلٌ كما قيلَ: صَحيحٌ شاذٌّ[١].

المُضْطَّرِبُ: ما رُوِيَ على أوجُهٍ ولم يُرَجَّح منها روايةٌ أو رُجِّحتْ؛ فلها الحُكْمُ، ويقعُ في الإسنادِ والمتنِ، وفيهِما مِن راوٍ واحدٍ أو جماعةٍ؛ فَيَضْعُفُ لإشْعارِه بعدَمِ الضبطِ.

المُدْرَجُ: كلامٌ يُذكَرُ عَقِبَ الحديثِ مُتَّصلًا يُوهِمُ أنّه منهُ، أو يكونُ عندهُ مَتْنانِ بإسنادَينِ فيرويهِما بأحدِهما، أو يسمعُ حديثًا مِن جماعةٍ مُختلفِينَ في إسنادِه أو في مَتْنِه فيرويهِ عنهُم على الاتِّفاقِ، وكلُّهُ حرامٌ، وصنّفَ الخطيبُ فيه فَشَفَى[٢].

وتحرمُ روايةُ الموضوعِ مع العلمِ به إلا مُبيَّنًا، والعملُ به مُطلقًا، وسببُه: نِسيانٌ أو افتراءٌ ونحوُهما، ويُعرَفُ بإقرارِ واضِعه، وبمعنى إقرارِهِ أو قرينَةٍ في

---

(١) في (أ): فقيل فيه: صحيح معلل. فقط.

(٢) وهو كتاب (كتاب الفصل للوصل المدرج في النقل) تصنيف الشيخ الإمام العالم الحافظ أبي بكر أحمد بن علي بن ثابت الخطيب البغدادي المؤرخ رضي الله عنه ورحمه بمنه وكرمه. واشتمل كتابه على مئة وأحد عشر حديثًا. قال شيخنا الدكتور نور الدين العتر رحمه الله في «منهج النقد» (ص٤٤٤): وقد جُمعت الأحاديث المدرجة في تأليف خاص، يسر سبيل معرفتها على الناس، وهو كتاب «الفصل للوصل المدرج في النقل» للخطيب البغدادي، نقّحه الحافظ ابن حجر وزاد عليه قدره مرتين وأكثر، في كتابه «تقريب المنهج بترتيب المدرج»، فجاء أوسع كتب هذا النوع وأعظمها فائدة.

قلت: واختصره السيوطي رحمه الله في «المدرج إلى المدرج»، ورتب الجميع مع الاختصار والزيادة الشيخ الغماري في «تسهيل المدرج إلى المدرج».

الرَّاوِي والمَروِي؛ فقدْ وُضِعَتْ أحاديث شهِدَ بوضْعِها ركاكةُ لفْظِها ومعانيها، ولابن الجوزيّ فيها مُؤلّفٌ، وفيه نظرٌ؛ إذ لا دليلَ على وضْعِ كثيرٍ منْهُ، بل هو ضعيفٌ[1].

---

(١) وكتابه هو «الموضوعات» للإمام الحافظ أبي الفرج عبد الرحمن بن الجوزي المتوفى سنة (٥٩٧)، وهو من أقدم وأوسع ما صنف في هذا الفن، لكنه انتقد بإيراده كثيرًا مما لا دليل على وضعه، بل هو ضعيف، بل وفيه الحسن والصحيح! وهذا عدوان ومجازفة. كذا قال شيخنا نور الدين العتر رحمه الله في «منهج النقد» (ص٣٠٢).

قال شيخ الإسلام ابن حجر رحمه الله: غالب ما في كتاب ابن الجوزي موضوع، والذي ينتقد عليه بالنسبة إلى ما لا ينتقد قليل جدًا. قال: وفيه من الضرر أن يظن ما ليس بموضوع موضوعًا، عكس الضرر بمستدرك الحاكم فإنه يظن ما ليس بصحيح صحيحًا. ويتعين الاعتناء بانتقاد الكتابين فإن الكلام في تساهلهما أعدم الانتفاع بهما إلا لعالم بالفن.

ولذلك تعقب العلماء كتاب ابن الجوزي هذا وتناولوه بالتهذيب والتنقيح. ومن أهم المؤلفات:

«اللآلئ المصنوعة في الأحاديث الموضوعة» للحافظ جلال الدين السيوطي المتوفى سنة (٩١١هـ) اختصر فيه كتاب ابن الجوزي، وتعقبه فيما ليس بموضوع، وألحق روايات من الموضوعات لم يذكرها ابن الجوزي، فجاء كتابًا حافلًا عظيم النفع.

«تنزيه الشريعة المرفوعة عن الأحاديث الشنيعة الموضوعة» للحافظ أبي الحسن علي بن محمد بن عراق الكناني المتوفى سنة (٩٦٣هـ). لخص فيه موضوعات ابن الجوزي وما زاده السيوطي وغيره في تآليفهم الكثيرة. وقدم له بفصل جمع فيه أسماء الكذابين فتجاوز عددهم ألفًا وستمئة، وهي فائدة قيّمة جدًا أتى بها هذا الكتاب.

«المنار المنيف في الصحيح والضعيف» للحافظ ابن قيم الجوزية (٧٥١هـ).

«المصنوع في الحديث الموضوع». للحافظ علي القاري (١٠١٤هـ). وألّف ابن حجر كتاب (القول المسدّد في الذّبّ عن المسند) أي مسند الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله، ذكر فيه أربعة وعشرين حديثًا من المسند، جاء بها ابن الجوزي في الموضوعات وحكم عليها بذلك؛ ورد عليه ابن حجر ودفع قوله. ثم ألّف السيوطي ذيلًا عليه ذكر فيه أربعة عشر حديثًا أخرى كذلك من المسند، ثم ألّف ذيلًا لهذين الكتابين سمّاه: «القول الحسن =

ومن الموضوعِ: أحاديثُ صلاةِ الرَّغائبِ والأُسبوعِ، وما رُوِيَ عَن أُبيّ بن كعبٍ في فضلِ السُّوَرِ سُورةً سُورةً، وأخطأ مَن ذكرهُ مِن المُفَسِّرينَ.

المَقْلُوبُ: نحوُ حديثٍ عَن سالمٍ؛ جُعلَ عَن نافعٍ ليُرغبَ فيه، وقَلَبَ أهلُ بغدادَ على البُخاريِّ رحمهُ الله تعالى مئةَ حديثٍ امتحانًا فردَّها على وُجُوهها؛ فأذعنُوا بفضلِه[1].

= في الذّبّ عن السنن» أورد فيه مئة وبضعة وعشرين حديثًا ـ من السنن الأربعة ـ حكم ابن الجوزي بأنها موضوعة، ورد عليه حكمه.

(١) قال الخطيب البغدادي رحمه الله في «تاريخ بغداد» (٢: ٢٠): اجتمعوا ـ أي علماء بغداد حين قدم عليهم البخاري ـ وعمدوا إلى مئة حديث، فقلبوا متونها وأسانيدها، وجعلوا متن هذا الإسناد لإسناد آخر، وإسناد هذا المتن لمتن آخر، ودفعوها إلى عشرة أنفس، إلى كل رجل عشرة، وأمروهم إذا حضروا المجلس يلقون ذلك على البخاري. وأخذوا الوعد للمجلس، فحضر المجلس جماعة أصحاب الحديث من الغرباء من أهل خراسان وغيرهم ومن البغداديين. فلما اطمأن المجلس بأهله انتدب إليه رجل من العشرة، فسأله عن حديث من تلك الأحاديث، فقال البخاري: «لا أعرفه»، فسأله عن آخر فقال: «لا أعرفه»، فما زال يلقي عليه واحدًا بعد واحد حتى فرغ من عشرته، والبخاري يقول: «لا أعرفه»، فكان الفقهاء ممن حضر المجلس يلتفت بعضهم إلى بعض، ويقولون: فهم الرجل، ومن كان منهم غير ذلك يقضي على البخاري بالعجز والتقصير، وقلة الفهم. ثم انتدب إليه رجل آخر من العشرة، فسأله عن حديث من تلك الأحاديث المقلوبة، فقال البخاري: «لا أعرفه»، فلم يزل يلقي إليه، واحدًا بعد واحد حتى فرغ من عشرته، والبخاري يقول: «لا أعرفه»، ثم انتدب إليه الثالث والرابع إلى تمام العشرة، حتى فرغوا كلهم من الأحاديث المقلوبة، والبخاري لا يزيدهم على: «لا أعرفه»، فلما علم البخاري أنهم قد فرغوا التفت إلى الأول منهم، فقال: «أما حديثك الأول، فهو كذا، وحديثك الثاني فهو كذا، والثالث، والرابع على الولاء»، حتى أتى على تمام العشرة، فرد كل متن إلى إسناده، وكل إسناد إلى متنه، وفعل بالآخرين مثل ذلك، ورد متون الأحاديث إلى أسانيدها، وأسانيدها إلى متونها، فأقر له الناس بالحفظ، وأذعنوا له بالفضل.

فروع

لا يُروَى الضَّعيفُ بالجزم بل: رُوِي، وبلغنا، ونُقل ونحوُه، وكذا ما يُشكُّ في صحّته، وقُلْ في ضَعيفِ إسنادٍ: هُوَ ضَعيفٌ بهذا، ولا تقلْ: ضعيفُ المتنِ ما لم يَنفِهِ إمامٌ[1].

وجُوّزَ التّساهلُ في الأسانيدِ وروايةِ غيرِ الموضوع من الضّعيف والعملِ بهِ بلا بيانِ ضَعْفِه في غيرِ العقائدِ والأحكام، قيل: نعمْ بحالٍ؛ إذ هو أولى مِن الموقوفِ[2]، مع أن الضّعيفَ لا يُثبتُ حُكمًا[3].

شرْطُ الرّاوي: تكليفٌ، وإتْقانٌ، وعَدالةٌ تثْبتُ بعدْلين أو شاعتْ عنهُ. ويُعرَفُ إتْقانهُ بموافقةِ الثّقات، ولا تضُرُّ مخالفتُه النّادرةُ، ويُقبلُ الجرْحُ إنْ بانَ

(١) أي: إذا قال إمام في هذا الفن: إنه لم يُرو من وجه صحيح.

(٢) أوضح الحافظ ابن حجر رحمه الله شروط العمل بالحديث الضعيف خير إيضاح ـ كما نقل عنه السخاوي في خاتمة «القول البديع في الصلاة على الحبيب الشفيع» (ص٢٥٨) ـ فقال: إن شرائط العمل بالضعيف ثلاثة:

الأول: متفق عليه، وهو أن يكون الضعف غير شديد، فيخرج من انفرد من الكذابين والمتهمين بالكذب ومن فحش غلطه.

الثاني: أن يكون مندرجًا تحت أصل عام، فيخرج ما يخترع بحيث لا يكون له أصل أصلًا.

الثالث: ألا يعتقد عند العمل به ثبوته، لئلا ينسب إلى النبي ﷺ ما لم يقله.

وقد وجه الحافظ الهيتمي الاستدلال للعمل بالضعيف في فضائل الأعمال فقال: قد اتفق العلماء على جواز العمل بالحديث الضعيف في فضائل الأعمال؛ لأنه إن كان صحيحًا في نفس الأمر فقد أعطي حقه من العمل به. وإلا لم يترتب على العمل به مفسدة تحليل ولا تحريم ولا ضياع حق للغير. ينظر «منهج النقد» (ص٢٩٤). ومنه نقلت.

(٣) في (ب، ج): (ولا يثبتُ الضّعيفُ حكمًا ولا فضيلة).

في هامش (ز): بلغ مقابلة.

سببُه، وفائدةُ كُتبِ لم تَذكُرِ السَّببَ التوقُّفُ فيمَنْ جرحوهُ، ويُقبلُ مَن زالتْ رِيبتُهُ كجماعةٍ بهذه المثابةِ في «الصَّحِيحينِ».

ويَثْبُتُ الجرْحُ والتعديلُ بواحدٍ، وقيلَ: باثنينِ، ولو اجتَمعا قُدِّمَ الجَرْحُ.

قالَ: حدَّثني الثِّقةُ. قيل: يَكْفِي إنْ عَلِمَ بحالهِ في حقِّ مُوافقةِ المذهبِ. وروايةُ العَدلِ عمَّنْ سمّاهُ لم يكنْ تعديلًا، ولا يُقبلُ مجهولُ العدالةِ، ومَن جَهِلَهُ العلماءُ ولم يُعْرَفْ حدِيثُهُ إلا مِن جهةٍ واحدةٍ، ويَرْفَعُ الجَهالةَ اثنانِ مشهورانِ.

فإن قيلَ: قد روى البُخاريُّ عَن مِرداسٍ الأسلميِّ، ومسلمٌ عَن ربيعةَ بنِ كعبٍ الأسلميِّ ولم يَرْوِ عنهُما غيرُ واحدٍ[1].

قُلنا: هُما صَحابِيّانِ وكُلُّ الصَّحابةِ عُدولٌ؛ فلا رَدَّ.

---

(١) فمرداس الأسلمي رضي الله عنه لم يرو عنه غير قيس بن أبي حازم، وربيعة بن كعب الأسلمي رضي الله عنه لم يرو عنه غير أبي سلمة.

ورواية البخاري عنه في الصحيح (٦٤٣٤) قال: حدثني يحيى بن حماد، حدثنا أبو عوانة، عن بيان، عن قيس بن أبي حازم، عن مرداس الأسلمي، قال: قال النبي ﷺ: «يذهبُ الصّالحُون، الأوّلُ فالأوّلُ، ويبقى حُفالةٌ كحُفالة الشّعير، أو التّمر، لا يُباليهمُ اللهُ بالةً». قال أبو عبد الله: «يُقالُ حُفالةٌ وحُثالةٌ».وبرقم (٤١٥٦) قال: حدثنا إبراهيم بن موسى، أخبرنا عيسى، عن إسماعيل، عن قيس، أنه سمع مرداسًا الأسلمي، يقول ـ وكان من أصحاب الشجرة ـ: «يُقبضُ الصّالحُون، الأوّلُ فالأوّلُ، وتبقى حُفالةٌ كحُفالة التّمر والشّعير، لا يعبأُ اللهُ بهم شيئًا».

ورواية ربيعة بن كعب الأسلمي عند مسلم برقم (٤٨٩) قال: حدثنا الحكم بن موسى أبو صالح، حدثنا هقل بن زياد، قال: سمعت الأوزاعي، قال: حدثني يحيى بن أبي كثير، حدثني أبو سلمة، حدثني ربيعة بن كعب الأسلمي، قال: كُنتُ أبيتُ مع رسُول الله ﷺ فأتيتُهُ بوضُوئه وحاجته فقال لي: «سل»، فقُلتُ: أسألُك مُرافقتك في الجنّة. قال: «أو غير ذلك» قُلتُ: هُو ذاك. قال: «فأعنّي على نفسك بكثرة السُّجُود».

وقبلَ المستورَ قومٌ، وَرَجّحهُ ابنُ الصلاحِ(١).

ويُقبلُ تعديلُ العبدِ والمرأةِ العارفَينِ، ومَن عُرف حالُه وجُهل اسمُهُ فلو رَوى عَن عدلٍ قُبلَ لا عَن مَجهولٍ، ومَنْ به بِدْعةُ كُفرٍ أو يدعُو إلى بِدْعةٍ وإلا قُبِلَ؛ لاحتجاجِ البُخاريّ وغيره بكثيرٍ مِنَ المُبتدِعةِ غيرِ الدُّعاة.

ويُقبلُ التائبُ؛ قال الحُميديُّ شيخُ البُخاريّ وجماعةٌ: لأمْن كذبه في حديثِ النبيِّ ﷺ. وفيه نظرٌ؛ لمُخالفةِ قاعدةِ مذهبنا وغيرِنا. قالهُ النّوويُّ رحمَهُ اللهُ تعالى(٢).

ومَن رَوَى حديثًا ثُمَّ جَزمَ بنفْيِهِ وجبَ ردُّهُ ولا يَضُرُّ باقي روايتهِ، وما لم يجزم بنفيهِ لم يضُرّه.

---

(١) قال الحافظ ابن الصلاح رحمه الله: المجهول الذي جهلت عدالته الباطنة، وهو عدل في الظاهر، وهو المستور، فقد قال بعض أئمتنا: المستور من يكون عدلًا في الظاهر، ولا تعرف عدالة باطنه. فهذا المجهول يحتج بروايته بعض من ردّ رواية الأول، وهو قول بعض الشافعيين وبه قطع منهم الإمام سليم بن أيوب الرازي، قال: لأن أمر الأخبار مبني على حسن الظن بالراوي؛ ولأن رواية الأخبار تكون عند من يتعذر عليه معرفة العدالة في الباطن، فاقتصر فيها على معرفة ذلك في الظاهر، وتفارق الشهادة فإنها تكون عند الحكام، ولا يتعذر عليهم ذلك، فاعتبر فيها العدالة في الظاهر والباطن. «معرفة أنواع علوم الحديث» لابن الصلاح (ص١١١-١١٢).

(٢) قال الإمام النووي رحمه الله في «التقريب والتيسير» (ص٥١): تقبل رواية التائب من الفسق إلا الكذب في حديث رسول الله ﷺ فلا يقبل أبدًا وإن حسنت طريقه. كذا قال أحمد بن حنبل، والحميدي شيخ البخاري، والصيرفي الشافعي، قال الصيرفي: كل من أسقطنا خبره بكذب لم نعد لقبوله بتوبة ومن ضعفناه لم نقوه بعده بخلاف الشهادة، وقال السمعاني: من كذب في خبر واحد وجب إسقاط ما تقدم من حديثه. قلت ـ أي: النووي ـ: وكل ذلك مخالف لقاعدة مذهبنا ومذهب غيرنا ولا يقوى الفرق بينه وبين الشهادة.

ولهُ العملُ بحديثٍ رواهُ ثُمَّ نَسِيَهُ، وكَرِهَ الشّافعيُّ رضيَ اللهُ عنهُ[١] الروايةَ عَن حيٍّ[٢].

---

(١) سيتكرر الترضي عن غير الصحابة في هذا الكتاب، وقد أثبته من إحدى النسخ المثبتة له ولم أشر له من أي نسخة مثبت؛ حتى لا أكثر الحواشي. قال الإمام النووي رحمه الله في «شرح مسلم» (١: ٣٩): وكذلك يترضى ويترحم على سائر العلماء والأخيار ويكتب كل هذا وإن لم يكن مكتوبًا في الأصل الذي ينقل منه؛ فإن هذا ليس رواية وإنما هو دعاءٌ، وينبغي للقارئ أن يقرأ كل ما ذكرناه ـ من كتابة (عز وجل) أو (تعالى) أو (سبحانه وتعالى) أو (تبارك وتعالى) أو (جل ذكره) أو (تبارك اسمه) أو (جلت عظمته) أو ما أشبه ذلك، وكذلك يكتب عند ذكر النبي ﷺ بكمالهما لا رامزًا إليهما ولا مقتصرًا على أحدهما وكذلك يقول في الصحابي: (رضي الله عنه) فإن كان صحابيًا ابن صحابيٍّ قال: (رضي الله عنهما) ـ وإن لم يكن مذكورًا في الأصل الذي يقرأ منهُ ولا يسأم من تكرُّر ذلك. ومن أغفل هذا حرم خيرًا عظيمًا وفوّت فضلًا جسيمًا.

(٢) قال الشيخُ ابن حجر رحمه الله في «النكت»: وقد اعترض عليه بأنّ الشافعيّ إنّما نهى عن الرواية عن الأحياء؛ لاحتمال أن يتغير المرويُّ عنهُ عن الثقة والعدالة بطارئ يطرأُ عليه يقتضي ردّ حديثه المتقدّم، كما تقدم في ذكر من كذب في الحديث أنّهُ يُسقطُ حديثُهُ المتقدّمُ، ويكونُ ذلك الراوي قد روى عنهُ في تصنيفٍ له فتكونُ روايتُهُ عن غير ثقةٍ، وإنّما يؤمنُ ذلك بموته على ثقته وعدالته؛ فلذلك كره الشافعيُّ الرواية عن الحيّ. والجواب: إنّ هذا حدسٌ وظنٌّ غيرُ موافقٍ لما أرادهُ الشافعيّ، وقد فهم الخطيبُ من ذلك ما فهمهُ المصنفُ فقال في «الكفاية»: ولأجل أنّ النسيان غيرُ مأمونٍ على الإنسان، فيبادرُ إلى جحود ما رُوي عنهُ وتكذيب الراوي لهُ، كره من كره من العلماء التحديث عن الأحياء. وقد بيّن الشافعيُّ مرادهُ بذلك كما رواهُ البيهقيُّ في «المدخل» بإسناده إليه أنّه قال: (لا تُحدّث عن حيٍّ؛ فإنّ الحيّ لا يؤمنُ عليه النسيانُ). قالهُ لابن عبد الحكم، وقد روى عنهُ حكايةً فأنكرها ثمّ ذكرها، وما قالهُ سبقهُ إليه الشعبيُّ ومعمرٌ؛ فروى الخطيبُ في «الكفاية» بإسناده إلى الشعبيّ أنهُ قال لابن عونٍ: لا تحدّثني عن الأحياء. وبإسناده إلى معمرٍ أنهُ قال لعبد الرزاق: إن قدرت ألا تحدّث عن رجلٍ حيٍّ فافعل. انتهى. وفيه تلخيصٌ. «النكت الوفية بما في شرح الألفية» لبرهان الدين إبراهيم بن عمر البقاعي (٢: ٩).

وفي رواية مَنْ أخذ على الحديث أجْرًا تردُّدٌ[١]، ونفْيُ المُتساهل في سماعِه أو إسْماعِه كمنْ لا يُبالي بالنّوم فيه، أو يُحدّثُ لا من أصلٍ مُصحّحٍ، أو يقبلُ التّلقينِ في الحديث أو كثُر سهوُه في روايته إنْ حدّث من غير أصْلٍ، أو كثُرَ الشّواذُّ والمناكيرُ في حديثِه.

ومَنْ غلِط في حديثٍ فبُيّن لهُ فأصرّ عنادًا أو نحوه سقطتْ روايتُه، وقد أُعْرِضَ عن اعتبارِ هذه الشُّروطِ في زمننا لانتفاء سلْسلة الإسْناد؛ فيعتبرُ بلوغٌ، وعقلٌ، وستْرٌ، وإتْقانٌ، ونحوه.

مِن ألفاظِ التّعْديل: ثِقةٌ، أو مُتْقِنٌ، أو ثبْتٌ، أو حُجّةٌ، أو عدْلٌ حافِظٌ، أو ضابِطٌ. وأمّا صدوقٌ، أو محلُّه الصدقُ، أو لا بأس به، أو شيخٌ، أو صالِحُ الحديثِ، فَيُكْتَبُ وَيُنْظرُ فيه.

وألفاظُ الجرْحِ: ليِّنُ الحديثِ، أو ليس بقويٍّ، أو ضعيفٌ كُتب واعتُبِرَ، لا متروكُ الحديثِ ونحوُه.

يُسْتَحَبُّ سماعُ المُميِّزِ وتُقبلُ روايتُه به مُسلمًا بالغًا.

وقراءةُ الشيخِ أعلى، ثُمَّ القراءةُ عليهِ، وألفاظُ الرِّوايةِ مِن صناعةِ المُحدِّثينَ[٢].

❊ ❊ ❊

---

(١) قال الإمام النووي رحمه الله في «التقريب والتيسير» (ص٥١): من أخذ على التحديث أجرًا لا تقبل روايته عند أحمد، وإسحاق، وأبي حاتم، وتقبل عند أبي نعيم الفضل، وعلي ابن عبد العزيز، وآخرين. وأفتى الشيخ أبو إسحاق الشيرازي بجوازها لمن امتنع عليه الكسب لعياله بسبب التحديث.

(٢) في هامش (هـ): بلغ مقابلة.

باب
[في حقيقة علم اللّغة]

حَقِيقةُ اللُّغةِ: هوَ اطِّلاعٌ[١] على معاني ألفاظِ العَربِ ومعرفتُها والإحاطةُ بها.

فائدتُه: توسُّعُ المُخاطَباتِ ومعرفةُ كلامِ الله تعالى ورسولِه ﷺ، والقُدرةُ على شِعْرٍ، خُطَبٍ، مُكاتباتٍ، وهو حِكمةُ العربِ.

ومِن عجائبِهِ تصرُّفهم بالتَّسْمِيَةِ؛ يُسمُّونَ واحدًا لاختلافِ أحوالِهِ بأسْماءٍ؛ كتسميةِ طفلِ بني آدمَ ولدًا، والذي مِن الخيل فَلُوًّا ومُهْرًا، والذي مِن الإبل حُوارًا وفَصيلًا[٢]، ومِن البقرِ عِجْلًا، ومِن الغنمِ سَخْلةً، ومِن الأرنبِ خِرْنقًا، ومِن الغزالِ خِشْفًا، ومِن الكلبِ جَرْوًا إلى غيرِ ذلكَ. ويدًا تلوَّثَتْ بلحمٍ غَمِرةً، وبِطينٍ لَثِقةً[٣]، وبطيبٍ عَبِقةً، وبوسخٍ وَضِرةً إلى غيرِ ذلكَ[٤]، وكطَعْنَتُهُ بالرُّمحِ،

---

(١) في (ج): وهي اطلاع.

(٢) الحُوارُ: ولد الناقة من حين يوضع إلى أن يفطم ويفصل، فإذا فصل عن أُمه فهو فصيل، وقيل: هو حُوارٌ ساعة تضعه أُمه. «لسان العرب» مادة (حور).

(٣) في (هـ، و): لبقة. والصواب ما أثبت.

(٤) قال ابن الأعرابي: العرب تقول: يدي من الوحل لثقة، ومن اللحم غمرة، ومن السّمك صمرةٌ، ومن اللبن والزُّبد شترة، ومن العجين ورخة، ومن الدّم سطلة وسلطة، ومن الثّريد مردة، ومن الحمأة ذوطة، ومن الأُشنان قضضة، ومن المداد وحرة، ومن الماء بللة، ومن البزر والنفط نمسة ونسمة، ومن الزّعفران ردعة، ومن العطر عبقة. «غريب الحديث» للخطابي (١ : ٢٨٩).

وضربْته بالسّيف، ورميْتهُ بالسّهم، ووكزْتُه بالعصا وباليد، وركلْتُهُ بالرّجْل إلى غير ذلكَ.

ويدلُّ على اتّساع اللغةِ وكثْرةِ فنونهِ، وقد جعلوا بألفاظها شبهًا بمعنى فقالوا: حَلا، ولما كثُرتْ حلاوتُهُ: احْلولى، وللخشنِ إذا زادتْ خشْونتُه: اخْشوشنَ، ولثوبِ خلقٍ إذا زاد رثّةً: اخْلولَق، ولحائطٍ ميل بإسكان وسطه لكون ميله ثابتًا، وحرّكوهُ فيما يتحرّكُ كشجرةٍ مَيلٌ، وكالنّزوان[1]، والغليان، والرّملان؛ ليُشبهَ لفظهُ معناهُ، وبدائعُ اللغةِ كثيرةٌ وحِكمُها وعجائبُها، وهي في اللّغة العربيّةِ فقطْ؛ ولهذا أُنْزل بها القرآنُ وأعجزَ ببديعِ لفظه؛ قال الله تعالى: ﴿بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ﴾ [الشعراء: ١٩٥][2].

* * *

(١) في (د): كالثروان.

(٢) في هامش (ز): بلغ مقابلة.

باب
[في حقيقة علم النحو]

حَقيقَةُ النَّحْوِ(١): هوَ نظرٌ في أواخِر حَركاتِ الألفاظِ(٢) دلالةً على معنى قَصْدِ المتكلِّم مِن فاعلٍ، مفعولٍ، مبتدأٍ، تعجُّبٍ، استفهامٍ؛ فلو قُلتَ: (ما أحسنْ زيدْ)، وسكَّنْتَ آخِرَهُما لم يُعرفْ قَصدُك أعجِبتَ أمْ نفيتَ أمِ استفهمْتَ أيُّ شيءٍ منه أحسنُه خَلْقُهُ أمْ خُلُقُهُ؟ فلو عَجبتَ نصبتَهُما، أو نَفَيتَ إحسانَهُ نصبتَ ورفعتَ زيدًا، وَبِضَمِّ أَحْسَنَ وجرِّ زيد فاستفهامٌ، فهذِه ونحوُها لولا النَّحوُ ما عُرِفَتْ.

وفائدتُه: معرفَةُ الكتابِ والسُّنَّةِ وأشْعارِ العَرَبِ والمُحْدَثِينَ، وتوسُّعُ العِبارةِ.

أصلُه: اسمٌ، فِعْلٌ، حرفٌ، رفعٌ، نصبٌ، جرٌّ، جزمٌ.

فالاسمُ: ما حَسُنَ فيهِ الألفُ واللامُ، كالعِلْمِ والجَهْلِ.

والفعلُ: آيَتُهُ قَدْ. أو كانَ أمْرًا؛ كقامَ، يقومُ، قُمْ، اقعدْ.

والحرفُ: ما فُقدتْ علامتُه بل جاء لمعنًى في غيرِه، كَبَلْ وهَلْ ونحوِهما.

---

(١) قوله: (النحو) من (ب، هـ).

(٢) في (ز): (في حركات أواخر الألفاظ) وأشار فوق حركات وأواخر بإشارة (م) للدلالة على التقديم والتأخير، كما أثبتناه؛ ثم قال في الهامش: كذا في ثلاث نسخ (أواخر حركات)، والظاهرُ أن (حركات أواخر) أولى كما كان في هذه النسخ.

والرفعُ والنَّصبُ والجرُّ والجزمُ معروفٌ؛ فالجرُّ للاسم فقط، والجزمُ للفعلِ فقط، والمُعرَبُ قسمان:

الاسمُ المُتمكِّنُ: وهو ما تغيّر آخِرُهُ لتغيُّر عامله؛ نحو: رأيتُ زيدًا، ومررْتُ بزيدٍ، وهذا زيدٌ.

والقِسمُ الثّانِي: الفعلُ المضارعُ، وهو ما بأوّله: ياءٌ، تاءٌ، نونٌ، همزةٌ؛ كيقومُ، تَقومُ، نقومُ، أقُومُ.

والاسمُ المرفوعُ: ما ذكرتَهُ بعد فِعْلٍ؛ كقام زيدٌ.

والمبتدأُ وخبرُه مرفوعانِ؛ كزيدٌ قائمٌ، ويُرفعُ ما لم يُسمَّ فاعلُه؛ كضُربَ زيدٌ، ويُرفعُ اسمُ كان؛ كَكان زيدٌ قائمًا، وخبرُ إنَّ؛ كإنّ زيدًا قائمٌ.

ويُنصبُ عشرةٌ: المصدرُ؛ كقُمتُ قيامًا، والمفعولُ به؛ كضَربتُ زيدًا، والمفعولُ فيه وهُوَ قِسمانِ: ظرفُ مكانٍ؛ كجلستُ خَلْفَ زيدٍ، وظرفُ زمانٍ؛ كصُمتُ يومًا، والمفعولُ له؛ كزُرتُه طَمعًا في بِرِّه، والمفعولُ معهُ؛ كجاءَ البَردُ والطَّيالِسَةَ، وما شُبِّهَ بالمفعولِ مِنَ الاستثناءِ؛ كقامَ القومُ إلا زيدًا، واسمُ إنَّ وخبرُ كان، والحالُ، والتمييزُ؛ كجاء زيدٌ راكبًا؛ فراكبًا حالٌ، وكعِندي عِشرونَ عبدًا؛ فعبدًا تمييزٌ.

والمجرورُ قِسمانِ: ما أُضيفَ إليهِ؛ نحو: غلامُ زيدٍ، وكتابُ فقهٍ؛ مَجرُورانِ بالإضافةِ، وما دخلَ عليهِ حَرْفُ الجرِّ؛ نحو: مررتُ بزيدٍ، وذهبتُ إلى عَمْرٍو.

وحُروفُ الجرِّ: مِنْ، إلَى، على، عَنْ، في، حتّى، والباءُ الزائدةُ بزيدٍ، واللامُ لزيدٍ، والكافُ؛ نحوُ: زيدٌ كالأسدِ، مُذْ، ومُنْذُ، حاشا، خَلا.

وحُروفُ القَسَمِ: واللهِ، باللهِ، تاللهِ؛ فهذهِ كُلُّها إذا دخلتْ بأوَّلِ اسمِ مُنصَرفٍ تَجُرُّهُ.

والمُنصرفُ: اسمٌ لا يُشبِهُ الحرفَ ولا الفعلَ؛ فما أشبهَ الحرفَ كالذي والّتي ومَنْ وكَمْ فمَبنيٌّ، أو أشبهَ فِعْلًا لم ينصرفْ؛ كأحمدَ وعُمرَ إسماعيلَ إسحاقَ أحمرَ مَثْنَى ثُلاثَ رُباعَ سَكْرانَ عِمْرانَ حمْراءَ فاطمةَ دُنيا ذِكْرى؛ فهذهِ لا تنصرفُ، فلا جرّ ولا تنوينَ وجرُّها كنصْبِها.

* * *

باب
[في حقيقة علم الباطن]

حَقِيقَةُ عِلْمِ الباطِنِ: نظرٌ في تَصفيةِ الباطن؛ رياضةً وتهذيبًا، وذكرنا ما يَشفِي ولله الحَمْدُ. وإنَّما ذكرْنا ذلكَ لقلّةِ اعتناءِ بعْضِ المُتعبّدين بالعلْم.

❊ ❊ ❊

باب

[فيما يتقيه المريد، والصفات التي يتصف بها]

يتّقِي المُريدُ خوفَ[١] فَقْرٍ، ونَحْوَ سَخَطٍ، وحَسَدٍ، وحِقْدٍ، وغِشٍّ، وحُبِّ[٢] عُلُوٍّ، وبَقاءٍ، وثناءٍ، ونحوَ كبرٍ، ورياءٍ، وغضبٍ، وعداوةٍ، وطمعٍ، وشُحٍّ ونحوِه، وسَرَفٍ[٣]، وأشَرٍ، وَبَطَرٍ، وتعظيمِ أغنياءٍ، واستهانةِ فقراءٍ، وفخرٍ، وخُيَلاءَ، وتنافسٍ، وخَوضٍ، وكثرةِ كلامٍ، وَصَلَفٍ[٤]، وخُلْفِ وَعْدٍ، ومُداهَنَةٍ، وتَزَيُّنٍ، وعُجْبٍ، وشُغلِهِ عَن عَيبِهِ، وانتصارِه لنفْسِه، وفَقْدِ حُزنِه، وخشيتِهِ، ومؤاخاةٍ بعَداوةٍ باطنةٍ، وأمْنِه واتّكالِه على غيرِ كاتّكالِه على عِبادتِه، ومَكْرٍ، وخيانةٍ، ومُخادعةٍ، وقسوةٍ، وفَظاظةٍ، وفرحٍ بدُنيا، وأُنسِه بالغَيرِ، ووَحْشَتِهِ بفَقْدِهِم، وجَفاءٍ، وَطيشٍ، وعَجَلةٍ منهيةٍ، وقلّةِ حياءٍ ورحمةٍ.

ويَتَّصِفُ[٥] بصبرٍ، وشُكرٍ، ورغبةٍ، وَرَهْبَةٍ، وزُهدٍ، وتقوى، وقناعةٍ، وسخاوةٍ، ومعرفةِ مِنَّتِهِ تعالى في كلِّ حالٍ، وحُسْنِ خُلْقِه، وصِدْقِه؛ قولًا وفِعْلًا ونيّةً،

---

(١) ضبطت في (ز): المريدُ خوف و المريد خوفُ؛ بالضبطين معًا.

(٢) ضبطت في (ز) بالرفع والنصب معًا.

(٣) في (أ، ب، د): شرف.

(٤) الصّلفُ: مُجاوزةُ القدر في الظّرف والبراعة والادّعاءُ فوق ذلك تكبُّرًا، صلف صلفًا، فهُو صلفٌ. «لسان العرب» مادة (صلف).

(٥) في (أ): ثم يتصف.

وإخلاصه[1] ـ وحقيقتهُ تكميلُ كُلِّ قُربةٍ وتحسينُها لتُقبل ـ[2] وهو إرادةُ وجهِ اللهِ تعالى فقطْ، وهو شرطٌ في صحّةِ كُلِّ عبادةٍ، وبإحكامه ذلك يصلحُ لعمله بعِلْمِهِ لِيَرِث ما لم يعلمْ، وقطْعِ علائقه[3] بغُربةٍ أو عُزلةٍ، وتسليمِ لكاملٍ باحترامِه، وتوقيره، وخِدْمَتِه، ويسْألُهُ عمّا يفتقرُ[4] إليه في انبساطه، ويتغافلُ عن طلبِ جوابهِ؛ فإذا نَطَقَ ألقى سمْعَهُ بحضورِ ويَسْعى إليه ويُبكّرْ، ويأخذُ عن الأكْمَلِ ويُسافرُ إليهِ، ولو منع أبواهُ في فرْضه.

ويتَّقِي شِبَعَهُ وخُشونة قُوته؛ إنْ كان ممن يضرُّ به من جهة الطبّ وإلا فهوَ المطلوبُ[5]، وشُبْهَتَهُ جِدًّا، وغير موافقه طِبًّا، وكثرة جماعه جدًّا، وما لا يَعْنيهِ، وعِلْمَ الكلامِ والجَدَلَ والبِدَعَ، لا ما حُمِدَ منها شرعًا.

ويُقَدِّمُ ما صَحَّ واتَّضَحَ منها مُوَزَّعًا أوقاتَهُ؛ تصْحيحًا، ثُمَّ درسًا، ثُمَّ تفهُّمًا[6] وتَصَوُّرًا، ثُمَّ فِكْرًا في عِلَله وحِكَمِهِ وأسرارِه بلا شرهٍ؛ لراحة قلْبه وبدَنه، وطرفَي يَومِهِ ذكرًا جاءَ فيهما، وجَوفَ ليله تهجُّدًا.

ويتَّقِي تركَ نوعٍ منها جِدًّا، ولَفظًا بنيّةِ شُهْرَةٍ وبلا حاجةٍ ومَزيدًا عليها، ومنعَ مُنتَفعٍ؛ فيغتَنِمُ الأعلَمَ وينفعُ الأدْنَى ويُذاكرُ مثلَهُ بلا دُنيا بينهُم البتةَ، ولا يحتقرْ أحدًا.

---

(١) في (ز): وإخلاصًا.

(٢) ما بين معترضتين لم يثبت في (ز).

(٣) ضبطت في (هـ، و): وقطع علائقه، وقطع علائقه. بالضبطين معًا.

(٤) في (ز): يغتفر.

(٥) قوله: (إن كان ممن يضرُّ به من جهة الطب وإلا فهو المطلوب) زيادة من (ب، ج)، والمثبت لفظ (ب).

(٦) في (هـ، و): تفقُّهًا.

ويتَّقِي ما لا يفهمُه وسآمتَهُ، ودخولَه على الكُمَّلِ إلا مُفلسًا جِدًّا، وإضافةَ فائدةِ غيرِهِ إلى نفْسِهِ، ورُتْبَةً ليسَ لها أهلًا، وتقديمَ نفْسِه، ومُرافقةَ حَدَثٍ سِنًّا أو دِينًا أو عقْلًا جدًّا، وفيه إشارةٌ إلى تركِ ما سواهُ تعالى.

ويتَّقِي جوابًا بغير علمٍ، وغيرَ[١] استماعِهِ بحضرةِ شيخٍ، ويسألهُ بلُطفٍ عمّا أنكرَهُ، وقُوَّةِ يَقِينِهِ بفهْمِ كتابِ اللهِ تعالى وسُنَّةِ رسولِ اللهِ[٢] ﷺ، ومُداومةِ أورادِهِ ليلًا ونهارًا وبما يَسْطَعُ عليهِ مِن أنوارِهما وبما يَسري إليهِ مِن مُجالسَةِ أهلِ الصَّلاحِ؛ فإنّها لقاحٌ؛ فيعمَدُ ويُعلِّمُ لله بلا أُجْرَةٍ بحرْصٍ وشَفَقَةٍ ونُصْحٍ تعريضًا[٣].

ويتَّقِي المكروهَ وما لا يعنيهِ جِدًّا؛ كيْ لا يسْرِقَ طَبْعَهُم منهُ، وعِلْمٌ بلا عملٍ وسيلةٌ بلا غايةٍ، وعكسهُ جِنايةٌ، وإتقانُهما بلا وَرَعٍ كُلْفةٌ بلا أُجرةٍ.

فأهَمُّ أُمورِه: زُهْدٌ، واستقامةٌ؛ ليُنتَفعَ بعِلْمهِ وعَمَلهِ وصِفاتهِ.

ويُفتي مُتَأَنِّيًا وجوبًا وقادرًا على تفْريعٍ وترجيحٍ بمذهبٍ ومجتهدٍ عَلِمَ مأخَذَهُ واعتقدَهُ، ويُرشدُ إلى مَنْ هوَ أعلمُ منهُ.

وجُلُّ بَحْثِه عَن علمِ الباطنِ ومُراقبةِ القلبِ[٤]، وعمّا يقدحُ فيه وفي عَمَلهِ.

ويجبُ مذهبٌ مُعيَّنٌ، ولهُ رُجوعٌ عنهُ، وعَن بعضِ مسائلهِ لا تَتَبُّعُ الرُّخَصِ[٥].

❋ ❋ ❋

---

(١) في هامش (ز) نسخة: وعند.

(٢) في (أ، ب، ز): نبيّه.

(٣) في هامش (ز) حاشية: يشبه أن يكون من آداب المعلم من هنا، والله أعلم.

(٤) في هامش (ز) نسخة: ونزاهة القلب.

(٥) في هامش (ز): بلغ على الأصل مقابلة.

كتاب الطهارة وأسرارها

أخبرَ تعالى بمحبَّةِ المُتطهِّرينَ[١]، وَرَوَى مُسلمٌ: «الطُّهورُ شطْرُ الإيمانِ»، نَعمْ؛ منهُ تركُ المنهيِّ عنهُ باطنًا وظاهرًا، وضِدُّه[٢] الشَّطرُ الثاني؛ إذ الطُّهرُ بماءٍ مِن شُروطِ صلاةٍ؛ هيَ خُمْسُ الإسلامِ، أو مِنْ لا إله إلا الله، النفيُ شطْرٌ والإثباتُ شَطْرٌ، وهوَ أولى[٣]؛ فطهارةُ البدنِ عَن حدثٍ ونجسٍ وفضْلةٍ[٤].

---

(١) في (ز): المطَّهِّرين. وكلاهما جاء في القرآن العزيز؛ قال تعالى: ﴿وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُطَّهِّرِينَ﴾ [التوبة: ١٠٨]، وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ﴾ [البقرة: ٢٢٢].

(٢) في هامش (ز): يعني: فعل المأمور.

(٣) في (هـ): أو من لا إله إلا الله؛ النفي شطرٌ، والإثبات شطر وهو أولى. وفي (ز): أو النفيُ من لا إله إلا الله، شطرٌ، والإثباتُ شطرٌ، وهو أولى.

(٤) في هامش (ز) حاشية: فضلاته ﷺ يجزم فيها بالطهارة طاهرة بالإجماع. نصّ عليه ابن القاص والقاضي حسين وقطع به البغوي في «التهذيب»، وهو ظاهر كلام «الكافي» و«البيان»، والنووي بالنسبة إلى الشعر؛ يعني: إذا قلنا بنجاسته من غيره، واختاره العلامة السبكي وولده التقي، وقال البلقيني: إنه به الفتوى، وقال التاج السبكي: وفيما علقته عن خط زين الدين عبدالله ابن ... الفارقي العالم الصالح أنه استفتي عن واعظٍ قال للحاضرين: بول النبي ﷺ جزءٌ من صلاتكم. فأفتى بتصويبه. قال بعض المتأخرين: وينبغي طردهُ في سائر الأنبياء، ووقع للرافعي أن ذكره في النكاح أنه من خصائص رسول الله ﷺ يتبرك ببوله ودمه ﷺ. حاشية القاضي جمال الدين ...وذكر صاحب «الإسعاد» نحوه. انتهت الحاشية.

وقد سئل الإمام الرملي رحمه الله: هل المعتمد نجاسة فضلاته ﷺ كغيره كما عليه الجمهور وصححه الشيخان أم لا؟

فأجاب: بأن المعتمد طهارتها كما جزم به البغوي وغيره وصححه القاضي حسين وغيره=

والنّجسُ: مُسْكِرٌ، وعصيرٌ بنوعِ تَخَمُّرٍ، وخَلٌّ عُجّلَ بطرحٍ لا البَنجُ ونَحْوُه، ولو تخلَّلَتْ طهُرَتْ ما لم يُلْقِ عَينًا وإنْ تقدَّم[١]، ولو نُزِعَ إن كان نجسًا، وكلبٌ وخِنزيرٌ -وفيه نظرٌ -[٢] وفروعُهما ومَنِيُّهما[٣]، ولو تكرَّر ولُوغُهما ونحوُه غُسلَ سبعًا بل ثمانيةً[٤]؛ لأنّها عَن ثقةٍ وزيادةُ الثّقةِ مقبولةٌ، وتتعيَّنُ لأحدِ طرَفيها لمُقيَّدِ الحديثِ ونصِّ الشّافعيِّ رحمهُ الله تُرابٌ مُطلقٌ عَمّ محلَّها بماءٍ؛ فروايةُ مسلمٍ: (أُولاهُنَّ)[٥]، والبيهَقِيُّ: (أوَّلهُنَّ أو آخرهُنَّ)[٦]، ولأبي داودَ: (السّابعةُ بالتُّرابِ)[٧]؛ فروايةُ (إحداهُهنَّ) مَحمُولةٌ على المقيَّدِ مِن (أُولاهُنَّ) أو (أُخراهنَّ).

= ونقله العمراني عن الخراسانيين وصححه البارزي والسبكي والشيخ نجم الدين الإسفراييني وغيرهم ثم قال البلقيني: وبه الفتوى، وقال ابن الرفعة: إنه الذي أعتقده وألقى الله به. قال الزركشي: وكذا أقول، وينبغي طرده في سائر الأنبياء. «فتاوى الرملي» (١: ٦٧).

(١) في هامش (ز): أي: الطرح.

(٢) قال الإمام النووي رحمه الله: مذهبنا أن الكلاب كلها نجسة؛ المعلم وغيره، الصغير والكبير، وبه قال الأوزاعي وأبو حنيفة وأحمد وإسحاق وأبو ثور وأبو عبيد، وقال الزهري ومالك وداود: هو طاهر، وإنما يجب غسل الإناء من ولوغه تعبدًا. وحكي هذا عن الحسن البصري وعروة بن الزبير.
وقال: نقل ابن المنذر في كتاب «الإجماع» إجماع العلماء على نجاسة الخنزير وهو أولى ما يحتج به لو ثبت الإجماع ولكن مذهب مالك طهارة الخنزير. ينظر: «المجموع» (٢: ٥٦٨-٥٦٩).

(٣) في (د): وميتهما. والصواب ما أثبت والله أعلم.

(٤) في (و): ثمانيًا.

(٥) صحيح مسلم (٢٧٩) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٦) السنن الكبرى للبيهقي (١: ٣٧٥).

(٧) سنن أبي داود (٧٣).

ويجبُ مزْجُه تغْكيرًا لا يسلبُ[١] اسم الماء ليورد على النَجاسة طهورًا قبْلَ مباشرةِ المحلّ، ويجبُ مزجهُ قبل مباشرة المحلّ[٢]، ويكفي سيلٌ مُترَبٌ ولو لأرضٍ لفسادِ تُرابها بالنّجاسة؛ إذ لا يكْفي ترابٌ نجسٌ، ولا دليل على الفرْقِ فوجب[٣] عُمومُ التّتريب، وما لم يزلْ إلّا بغسلاتٍ فواحدةٌ، وسرّ التّسبيع دفعًا لداءِ الكَلْبِ بولوغه؛ فافْهَمْ[٤].

ومَيتَةُ غيرِ آدميٍّ وسمكٍ ونحوه، وصيدٌ لم تُدركْ ذكاتُه، وما لا يسيلُ دمُهُ لا يَضُرُّ مائعًا وفي عُمومِهِ نظرٌ؛ لأنّ الاحتراز مما ينذر وقوعه لا يشُقُّ، ودمٌ ولو مِن كبدٍ وطحالٍ لا هُما، وقيحٌ وماءُ قرحٍ مُريِّحٌ ويسيرُها عُرْفًا، ويسيرُ دُخانِ النّجاسة، ولوثُ اللّحمِ ونحوِه، ومَحلُّ استجمارِهِ وفَصْده وحجامته، وغُبارُ روثٍ ونحوه، وما عَمّتْ به بلوى كلُّها عفوٌ، ومحلُّ العَفْوِ عن قليل الدّم ما لم يختلطْ بشيءٍ؛ كرُطوبةِ أنفٍ وفَرْج ووشامٍ ولو قَلَّ، ونحو ذلك، ويجبُ قلْعُهُ بدواءٍ مِن مُكَلَّفٍ لم يخَفْ تلفًا، وقلعُ أقلِّ دمٍ[٥] عَن عُضوٍ لتطهيرهِ فافْهَمْ[٦]؛ لا قيءٌ وروثٌ وبولٌ ورمادُ نجسٍ ومتنجسٍ ودخانُهما[٧]، ومنيّ سَلِسٍ ومُسْتَحاضةٍ ومُستجمرٍ، ومَذيٌ ووَدْيٌ ولبنُ غيرِ مأكولٍ لا آدميٍّ حَيٍّ، ومُنفصلٌ مِن حيٍّ كميتتهِ لا شعرُ

---

(١) في (هـ، و): والأولى مزْجه تغييرًا لا يسلبُ.

(٢) قوله: (ويجبُ مزجهُ قبل مباشرة المحلّ) مثبت من (و).

(٣) في (و): فيجب.

(٤) من قوله: (وسر التسبيع...) إلى هنا غير مثبت في (د).

(٥) في غير (هـ، و): وقطعٌ لكلّ دمٍ. وفي (ز): وقطع أقل دم.

(٦) في (ب، ج): وقلع أقل دم عن عضو كتطهيره فافهم. ومن قوله: (ومحلُّ العفو...) إلى هنا غير مثبت في (د).

(٧) في غير (هـ، و): ورماد نجسٍ ودخانُها.

مأكولٍ وصوفُه ونحوُه، وعَرقٌ ودمعٌ ولُعابٌ ومِسكٌ وجِلْدتهُ، فلو عَلِمَهُ أو الإنْفِحةَ والسِّنجابَ مِن مَيتةٍ حرُمَ أو شكَّ فلا، وعَلَقةٌ ومُضغةٌ وجلدةُ مَشيمةٍ ونحوها لا بلَلُها، وماءُ جَوفٍ؛ نَعمْ[١] منهُ رطوبةُ فَرْجٍ وباطنُ فَرْجِ امرأةٍ للأمْرِ[٢] بغَسْلِ الذَّكرِ منهُ، وما نُسِخَ اتِّفاقًا، وجِلدٌ نَجَّسَهُ موتٌ يَطْهُرُ بدِباغٍ حِرِّيفٍ لا بملحٍ ونحوِه، ولا يجبُ الماءُ في أثنائهِ؛ نَعمْ ليابسٍ. وغَسْلُ نجاسةٍ عَسِرةٍ فَرْكًا ونحوَه؛ للأمرِ[٣]؛ إذ يضرُّ بقاءُ لونِها مع ريحِها لا بعدَ مُبالَغةٍ في غَسْلِها.

والوَسْوَسةُ بِدْعةٌ؛ سببُها: جهلٌ أو خَبَلٌ في عقلٍ. علاجُه: عدمُ[٤] العملِ به مع إكثارِ: سُبحانَ الملكِ القُدُّوسِ، وعَقِبَ كُلِّ وِرْدٍ.

ويدخُلُ الخَلاءَ بِيُسراهُ[٥] قائلًا: بسمِ اللهِ، اللهُمَّ إنِّي أعوذُ بكَ مِنَ الخُبُثِ والخَبائثِ، ويَستترُ ويتَّقِي جهةَ الرِّيحِ والقَمَرينِ وبيتَ المقدسِ، ويحرمُ للقبلةِ واستدبارُها ولو بسُترةٍ بينَهُ وبينَها فوقَ ثلاثةِ أذرُعٍ، أو قصُرتْ عَنِ السَّترِ لا في بيتٍ أُعِدَّ[٦] لهُ أو نسيَ أو جهلَ أو اضطرَّ أو أرخى ذيلهُ؛ إذ في عُمومهِ حَرجٌ.

---

(١) في (أ): تعم. وهي تصحيف.

(٢) في هامش (ز): كذا في ثلاث نسخ، وهو مخالف لما في كتب الفقه. قال محشيًّا: لأن للمرأة ثلاث طرق؛ طريق للذكر وطريق للبول وطريق للدبر؛ فطريق البول والمذي والودي عليًا وطريق الذكر سفلًا، وكذا لذكر الإنسان طريقان؛ طريق المني وطريق للبول.

(٣) روى ابن الجارود في «المنتقى» (١٣٥) عن همام بن الحارث، قال: كان ضيف عند عائشة رضي الله عنها فأجنب فجعل يغسل ما أصابه، فقالت عائشة رضي الله عنها: كان رسول الله ﷺ يأمرنا بحتّه.

(٤) في (أ): عزم. وهي تصحيف.

(٥) في هامش (ز): آدابه الظاهرة.

(٦) في غير (هـ، و، ز): عُدّ.

ويتّقي الظّلّ، وتحتَ مُثمرةٍ، ونحوَ مُتحدّثٍ، وطريقٍ، وماءٍ راكدٍ، وشِقّ، وأرضٍ صُلبةٍ، وكلامٍ وأكلٍ ونحوه وعبثٍ وذكرٍ بلسانٍ.

فأدبُه[١]: إطراقُ عينِ قلبهِ خَجلًا، وقلّةُ مُكْثه، ثُمّ يتنحنحُ بعزمٍ ثُمّ بوُسْطى يسارهِ[٢] مِنْ عند دُبره إلى ذَكَره بقوّةٍ مُتوسّطةٍ، ثُمّ إلى رأسه ثُمّ ينترُه ثلاثًا وَسطًا.

ويتّقي كشفَ عورتهِ قبلَ قُرب جُلوسه وبعدَ نُهوضه وجُوبًا.

ويُستَحبُّ اتِّخاذُ إناءٍ[٣] يبولُ فيه ليلًا، وإلّا ضَرب برجله الأرضَ لتنْفيرِ الهوامّ. فلو استجمرَ فقط فَشرُوطُهُ: ثلاثُ مَسحاتٍ بطاهرٍ مُزيلٍ، غير مُحترَمٍ، وغيرِ مُضِرّ[٤] وإنقاءُ رُطوبةِ النّجاسةِ؛ نَعمْ وجفافُ محلّه، وكونهُ مُعتادًا؛ إذ لو جاوزَ انتشارُه العادةَ أو انتقلَ أو اتّصلَ بطارئٍ ولو بقطرةِ رشاشٍ تعيّنَ الماءُ، فما ندرَ خُروجُهُ أولى، وللأمرِ بغسلِ المَذْيِ[٥]؛ إذ المُعيّنُ لا يقعُ امتثالٌ بغيرهِ، والرُّخصةُ لا تُوسّعُ؛ فاغْسِلْ أبدًا تسلَمْ، لا بماءِ زمزمَ اختيارًا.

وخُروجُه بيُمناهُ، ثُمّ غُفرانَكَ؛ الحمدُ لله الذي أذهبَ عنّي الأذى وعافاني، ويَلحظُ بقولِهِ: غُفْرانكَ؛ طلبَ سَترِ عَوراتِه في الدّارَينِ. ويتقّي حبْسَ الخارجِ لمضّرتِهِ، ويستنجي بالماء أبدًا؛ فإنّهُ أمانٌ من الباسُور؛ رواهُ البيهقيُّ[٦].

---

(١) في هامش (ز): آدابه الباطنة.

(٢) في (ب): يسراه.

(٣) في هامش (ز): باب الاستنجاء.

(٤) في (د): مؤذٍ.

(٥) روى البخاري (٢٦٩) عن علي رضي الله عنه، قال: كنتُ رجلًا مذّاءً فأمرتُ رجلًا أن يسأل النبيّ ﷺ؛ لمكان ابنته، فسأل فقال: «توضّأ واغسل ذكرك».

(٦) السنن الكبرى للبيهقي (١: ١٧١)، ولفظه: عن أبي عمار، عن عائشة رضي الله عنها، أن نسوة من أهل البصرة دخلن عليها قال: فأمرتهن أن يستنجين بالماء، وقالت: مرن أزواجكن =

ويُطَهِّرُ[١] ماءُ مطرٍ، ثلجٍ، بَرَدٍ، جَمَدٍ، بحرٍ، نهرٍ، بئرٍ، عينٍ، نبعَ مِن بين أصابعهِ ﷺ[٢]، وما يَنْعَقِدُ منهُ، وما وقعَ على زَرْعٍ، وبخارُ غليانِهِ وزُلالُ دودِ ماءٍ يذوبُ أو ينْشَقُّ ما لم يتغيَّر تغيُّرًا مؤثِّرًا بطاهرٍ مُصانٍ عنهُ؛ كمَنِيٍّ أو لاقَى قليلُه نجاسةً؛ كمَحلِّ استجْمارِه لا ما عمَّ؛ كمَنْفَذِ فأرٍ وطيرٍ ومَيتةِ عفوٍ أو رفعَ ولو بعضَ حَدَثِ صبيٍّ أو حنفيٍّ أو كتابيّة لمسلمٍ ولو بإعادتهِ مُسلمةً، وغُسالةٌ سليمةٌ مُنفصلةٌ عمّا طهّرَتْهُ طاهرةٌ ما لم تزِدْ وزنًا، ومُطهِّرةٌ ببلوغها قُلّتينِ؛ نحو مئةِ رطلٍ وثمانيةٍ دمشقيّة، ذراعٌ وربعٌ عرضًا وطولًا وعمقًا، والذِّراعُ شِبْرانِ وسطًا. ولو زالَ تغيُّرهُ بنفسهِ أو بماءٍ وبلغَ قُلَّتينِ طَهُرَ وإلا فلا، وتضرُّ الصَّبَّةُ الواردةُ التَّغيُّرِ فقطْ.

ويحرمُ استعمالُ[٣] مغصوبٍ ومُسبَّلٍ لشُربٍ، وماءِ زمزمَ في خَبَثٍ، ويجبُ مع فقْدِ غيرِه، وغيرِ طُهورٍ لصلاةٍ وطُهْرٍ قبل انقطاعِ حيضٍ للتَّلاعُبِ، ونجسٍ، ومشكوكٍ فيه قبلَ اجتهادٍ ما لم يضطرَّ لشُربٍ وتداوٍ بشرطهِ.

ويُكرهُ شديدُ بُرودةٍ أو حَرارةٍ، ويحرمُ إنْ ضرَّ، ومياهُ الحِجْرِ ونحوِها؛ كبابلَ وبئرِ سُحِرَ فيها النبيُّ ﷺ لا مُشمَّسٍ، وماءُ البحرِ وزمزمَ وبئرُ النّاقَةِ ومُسخَّنٌ برَوثٍ ونحوِه[٤].

= بذلك، فإن رسول الله ﷺ كان يفعله. قال: وقالت: هو شفاء من الباسور. قال الإمام أحمد رحمه الله: هذا مرسل، أبو عمار شداد لا أراه أدرك عائشة.

وقوله: (ويتقّي حبس....) إلى (رواه البيهقيُّ) تقدم في بعض النسخ بعض قوله: (ثم ينترُه ثلاثًا وسطًا)، وهو مثبت هنا في (هـ، و).

(١) في هامش (ز): باب المياه.

(٢) في هامش (ز): في ثلاث نسخ (أصابع) وحذف الصلاة.

(٣) في هامش (ز): باب ما يحرم استعماله من المياه وما يكره.

(٤) في هامش (هـ، ز): بلغ مقابلة.

فصل

[في نواقض الطهارة، ومحرماته والغسل والوضوء وأسرارهما]

ينقضْ[١] ما خرجَ مِن أحد السَّبيلين؛ كمنيٍّ ورعًا، ورَجَّح لنصّ الإمام[٢] وغيرِه[٣]، وحكى ابنُ المُنذرِ فيه الإجماعَ[٤]، وإغماءٌ ونحوُه؛ كنوم غير مُمَكِّنٍ مَقْعَدَهْ لا مُحْتبٍ ونُعاسٍ ونحوه، فلو شكَّ في نومه أو تمكُّنه أو زوالِ إحدى أليتيهِ مع انتباهٍ توضَّأ ندبًا، وكذا فَصْدٌ وقيءٌ ونحوُهما، ومسُّ ذكرٍ بظهرِ كفِّهِ

---

(١) في غير (هـ، و): وينقض الوضوء.

(٢) ينظر: «الأم» (٢: ٤٠). وقوله: (لنص الإمام)، أثبتها في هامش (ز) نسخةً مع علامة التصحيح عليها، ثم قال: لم أجد هذه في نسخ المقابلة الثلاث.

(٣) قال الإمام الأسنوي رحمه الله في «المهمات» (٢: ٢١٥-٢١٦): وأما المني فلا يوجب خروجه الحدث وإنما يوجب الجنابة، ولا تغتر بقول الأئمة القول بأن الخارج من السبيلين ناقض للطهارة، فإن هذا ظاهر يعارضه قولهم: إن من أنزل بمجرد النظر أو بالاحتلام قاعدًا يكون جنبًا غير محدث... ثم قال: فقد نصّ الإمام على أن المجرد ناقض للوضوء؛ فإنه صور الجنابة المجردة بما أولج في بهيمة أو دبر رجل لف على ذكره خرقة وأولج امرأة ثم قال ما نصه: فإن قيل: إذا أنزل المني فهلّا عُدّ هذا مما يقتضي الجنابة المحضة؟ قلنا: المني لا يتصور خروجه وحده بل يخرج معه رطوبة يتعلق بخروجها وجوب الوضوء. هذه عبارته. فتلخص مما قاله الإمام أن الوضوء لا يجب في خروج المني جزمًا مع القول بأنه ناقض.

(٤) الإجماع (١: ٤٣)، حيث قال: وأجمعوا على أن خروج الغائط من الدبر، وخروج البول من الذكر وكذلك المرأة؛ وخروج المني، وخروج الريح من الدبر، وزوال العقل بأي وجه زال العقل أحداثٌ ينقض كلُّ واحد منها الطهارة، ويوجبُ الوضوء. وسقط قوله: (وغيره وحكى ابنُ المُنذر فيه الإجماع) من (ز).

ونحوه بخلافِ قَهْقَهةٍ[١]، ومِنْ كَذِبٍ وغِيبَةٍ ونحوهما؛ لأنّ التطهيرَ للتكفيرِ؛ بدليلِ: «إلَّا خَرَّتْ خَطاياهُ مَعَ الماءِ...» الحديثَ[٢]، وبالتقاءِ بَشَرَتَي رجلٍ وامرأةٍ نَعمْ ومملُوكِها الكبيرِ؛ إذ مِلْكُها غالبًا إناثٌ أو صغارٌ، وهو جوابُ أدلّةِ مَنْعِهِ لا مَحْرَمًا مُؤَبَّدًا بغيرِ وطءِ شُبْهةٍ أو لِعانٍ ويحرمُ بشهوةٍ، وكذا النّظرُ بلا شهوةٍ لأجنبيّةٍ؛ نَعمْ فأمردٌ حَسنٌ أولَى، ولا نقضَ، وبمسِّ فَرْجِ آدمي ببطنِ كفّه وحَلْقَةِ دُبُرِه، وبأكلِ لحمِ الجَزورِ؛ للأمرِ[٣]؛ إذ لحمُ الجزورِ أخصُّ ممّا مسّتِ النارُ، وهو عامٌّ بالنِّسْبَةِ إلى ما مسّتِ النارُ؛ فإنَّه يُؤكلُ نيًّا؛ قيلَ له: يا رسولَ اللهِ أنتوضّأُ مِن لحمِ الإبلِ؟ قال: «نَعَمْ تَوَضَّؤوا مِنْها»[٤]. وقال في غيرِه للسائلِ: «إنْ شِئْتَ تَوَضَّأْ، وإنْ شِئْتَ فَلا»[٥]؛ فثبتَ النقضُ به[٦].

ويَحرمُ بحدثٍ صلاةٌ ولو سجدةً، وحملُ مصحفٍ ومسُّه، ويحرمُ توسُّدُ[٧]

---

(١) في (ز): بخلاف فيهن. ثم قال في الهامش: كذا في نسخة، وفي نسخ أخرى: بخلاف قهقهة.

(٢) رواه مسلم (٨٣٢) من حديث أبي أمامة رضي الله عنه. وفي (هـ، و): إلا خرجت.

(٣) سيأتي تخريجه.

(٤) رواه ابن حبان في «صحيحه» (١١٢٤)، وأحمد في «المسند» (٢٠٩٢٥) من حديث جابر ابن سمرة رضي الله عنه. وفي (هـ، و): أيتوضّأُ من لحوم الإبل؟ قال: «نعم يتوضأ».

(٥) رواه أحمد (٢١٠١٥) من حديث جابر بن سمرة رضي الله عنه.

(٦) قال الإمام النووي رحمه الله: ومذهبنا أنه لا ينتقض الوضوء بشيء من المأكولات سواء ما مسته النار وغيره غير لحم الجزور وفي لحم الجزور - بفتح الجيم - وهو لحم الإبل قولان: الجديد المشهور لا ينتقض، وهو الصحيح عند الأصحاب، والقديم أنه ينتقض وهو ضعيف عند الأصحاب، ولكنه هو القوي أو الصحيح من حيث الدليل وهو الذي أعتقدُ رُجحانهُ، وقد أشار البيهقيُّ إلى ترجيحه واختياره والذبّ عنه. ينظر تفصيل المسألة بأدلتها في «المجموع» (٢: ٥٩) للإمام النووي رحمه الله.

(٧) في هامش (ز): قوله: وتوسد كتاب. كذا في نسختين أخريين، وفي نسخة ثالثة: ويحرم =

كتاب فقهٍ ونحوه، واستمناءٌ، وتضاجُعُ بالغين كبالغتين بتجرُّدٍ، ونحو أخ وأختِهِ بعد عشرٍ، وصُحِّح بعد سَبْعٍ - رواه الحاكم[١] - لوجود الشهوة[٢]، وكتابةُ قرآنٍ بنجاسةٍ، ويكفرُ بإهانةِ شيءٍ من الكُتب المُنزّلة أو بجحْده.

وشُروطُ وُضوءٍ: إسلامٌ، تمييزٌ - التَّمييز: فهمُ خطابٍ وردُّ جوابه -[٣] نقاءٌ عن حيضٍ ونفاسٍ، ماءٌ مُطلقٌ، عِلْمٌ بكيفيَّته ومشروعيَّته وفرضيَّته وبإطلاقِهِ، قُدرَةٌ على استعمالِه، يقينُ حدثٍ، عدمُ مانعٍ؛ كدُهْنٍ كثيفٍ ووسخٍ بظُفرٍ وقَذًى بِهُدْبٍ ونحوِه، ودخولُ وقتٍ لدائم حَدَثٍ.

وفُروضُهُ: قَرْنُ نحوِ نيَّةِ رفع الحدَثِ بأوّلِ فرْضٍ؛ نعمْ وباستِنْشاقٍ؛ إذ مِن لازمِهِ غسلُ جُزءٍ مِن واجِبِهِ ثُمَّ غسلُهُ ثانيًا حتْمٌ، وفيه نظرٌ، ولو علِمَهُ بمضمضةٍ كفى[٤]، وينوي بسُنَّةٍ ما قبلَ طُهْريهِ رفعَ الحدثِ وسُنَّتَهُ.

= توسد، وهو الظاهرُ لئلا يكون التحريم مفسدًا بالحدث كالذي قبله. وفي غير (ز): وتوسد كتاب.

(١) المستدرك (٧٠٨) من حديث عمرو بن شُعيبٍ، عن أبيه، عن جدّه، قال: قال رسُولُ الله ﷺ: «مُرُوا الصّبيان بالصّلاة لسبع سنين، واضربُوهُم عليها في عشر سنين، وفرّقُوا بينهُم في المضاجع».

(٢) قال الإمام الرملي رحمه الله: ويحرم مضاجعة رجلين أو امرأتين عاريين في ثوب واحد وإن لم يتماسا ولو أبًا أو أمًّا؛ إذا بلغ الصبي أو الصبية عشر سنين خلافًا لبعض المتأخرين؛ لعموم خبر: «وفرقوا بينهم في المضاجع»؛ أي: عند العُري كما أفاده الوالد رحمه الله تعالى؛ لأن ذلك معتبر في الأجانب فما بالك بالمحارم لا سيّما الآباء والأمهات؛ ووجه التحريم: أن ضعف عقل الصغير مع إمكان احتلامه قد يؤدّي إلى محظور ولو بالأم، ويجوز نومهما في فراش واحد مع عدم التجرُّد ولو متلاصقين فيما يظهر، ويمتنع مع التجرد في فراش واحد وإن تباعدا. «نهاية المحتاج» (٦: ٢٠١).

(٣) ما بين معترضتين غير مثبت في (هـ، و).

(٤) قال الإمام النووي رحمه الله في «المنهاج» مع شرح الرملي في «النهاية»: (ويجب قرنها=

وَرُوحُها: الإخلاصُ؛ فيلحظُ برفْعِ الحَدَثِ رفعَ سِواهُ تعالى عَنْ قلبهِ لِيُناجِيَهُ بلا غَيرٍ، ثُمَّ غَسلُ وجههِ بجُزْءٍ مِن رأسهِ ورقبتهِ وتحت ذَقْنهِ شعرًا وبشرًا لا باطنَ كثيفَةِ ذكرٍ. وسِرُّهُ: الحياءُ، والمراقبةُ كأنّكَ تراهُ، ثُمَّ يديهِ مع مِرْفقيهِ، وَسِرُّهُ: حِفظُ جوارحهِ عَنِ المنهيِّ، ثُمَّ مسحُ بعضِ رأسهِ وكُلّه أحوطُ، وسِرُّهُ: التَّواضعُ، ثُمَّ غَسلُ رجليهِ مع كَعْبَيهِ، وسرُّهُ: استواءُ سريرتهِ وعلانيتهِ، وترتيبُه؛ نَعَمْ وتتابعُه؛ إذ لم يُعْرفْ غيرُه مِن فعلهِ ﷺ، وفيهِ حَديثٌ صحيحٌ[١].

= بأول) غسل (الوجه) فما تقدم عليها منه لاغٍ وما قارنها هو أوله فتجب إعادة ما غسل منه قبلها، لأن القاعدة أنه يشترط اقتران النية بأول الواجبات كالصلاة وغيرها من العبادات، ما عدا الصوم فتضر فيه المقارنة، بل الشرط فيه تقدمها على الفجر. وأما اقترانها بما قبله من سننه الداخلة فيه ففيه خلاف ذكره بقوله: (وقيل: يكفي) قرنها (بسنة قبله) لكونها من جملة الوضوء، والأصح المنع؛ لأن القصد من العبادات أركانها والسنن توابع، أما الاستنجاء فلا يكفي اقترانها به قطعًا، وموضع الخلاف عند عزوبها قبل الوجه، فإن بقيت إلى غسله فهو أفضل ليثاب على سننه السابقة؛ لأنها عند خلوها عن النية غير مثاب عليها، بخلاف من نوى صوم نفل قبل الزوال حيث يثاب من أوله؛ لأن الصوم خصلة واحدة لا يتبعض. وأما الوضوء فأفعال متفاصلة والانعطاف فيها أبعد، وأيضًا فلا ارتباط لصحة الوضوء بسننه لصحته بدونها بخلاف بقية النهار.

ولو اقترنت النية بالمضمضة أو الاستنشاق وانغسل معه جزء من الوجه أجزأه، وإن عزبت نيته بعده، سواء أكان بنية الوجه وهو واضح أم لا لوجود غسل جزء من الوجه مقترنًا بالنية، غير أنه يجب عليه إعادة غسل ذلك الجزء مع الوجه كما في «الروضة» لوجود الصارف، ولا تحسب له المضمضة ولا الاستنشاق في الحالة الأولى لعدم تقدمهما على غسل الوجه كما قاله مجلي في المضمضة وجزم به في «العباب»، والحالة الثانية كالأولى كما هو ظاهر. «نهاية المحتاج إلى شرح المنهاج» (١: ١٠٤).

(١) في غير (هـ، و): صحّ. روى البخاري (١٤٠) عن ابن عبّاسٍ رضي اللهُ عنهُ، أنّهُ توضّأ فغسل وجههُ، أخذ غرفةً من ماءٍ، فمضمض بها واستنشق، ثُمّ أخذ غرفةً من ماءٍ، فجعل بها هكذا، أضافها إلى يده الأُخرى، فغسل بهما وجههُ، ثُمّ أخذ غرفةً من ماءٍ، فغسل بها يدهُ =

وسُنَنُهُ معْرُوفةٌ، ولا تُهمل ألبتّةَ[١]، ويستديمُ النيّة بحضورٍ، والسّواكُ أبدًا، وفي مضمضةٍ أتمُّ من أيمن فيه بيمينه أو بإصبعِ فبيُسرى لنوعِ أذًى، وبنحو خرْقَةٍ أبلغُ من إصبعٍ، وعندَ كُلِّ صلاةٍ ولو فيها لفضلها بسواكٍ[٢]، وتركُه لصائمٍ بعدَ

= اليُمنى، ثُمّ أخذ غرفةً من ماءٍ، فغسل بها يدهُ اليُسرى، ثُمّ مسح برأسه، ثُمّ أخذ غرفةً من ماءٍ، فرشّ على رجله اليُمنى حتّى غسلها، ثُمّ أخذ غرفةً أُخرى، فغسل بها رجلهُ، يعني: اليُسرى، ثُمّ قال: هكذا رأيتُ رسُول الله ﷺ يتوضّأُ.

(١) في هامش (ز): ومن سننه التي لا تهمل: السواك كما ذكره المصنف، والتسمية؛ فإن تركها عمدًا أو سهوًا تداركه، وقوله بعده: الحمد لله الذي جعل الماء طهورًا، وأخذ الماء بيديه جميعًا، وغسل الكفين، والمضمضة، والاستنشاق، والجمع بينهما بثلاث غرف، والمبالغة فيهما، ومسح جميع الرأس، وأن تكون الصفة لكل مسحة: أن يضع يديه على مقدم رأسه ويلصق إحدى سبابتيه بالأخرى وإبهاميه تلي صدغيه ويذهب بهما إلى قفاه وإلا فالذهابُ كافٍ، وأن لا يقتصر على أقل من الناصية، وإذا اقتصر كمل على العمامة، ومسح الأذنين والصماخين، وتخليل اللحية الكثة وأصابع اليدين تشبيكًا وأصابع الرجلين بخنصر اليد اليسرى، والموالاة، والتثليث في كل مفروض ومسنون مغسول أو ممسوح، والغائرة في غير الأذنين والكفين للقادر على المعية، وغير القادر تيامن في كل، وإطالة الغرة والتحجيل، والذكر المأثور، واستصحاب النية في جميع الأفعال والجمع فيها بين القلب واللسان، وتحويل الخاتم والبداءة بالوجه في أعلاه وفي الرأس بمقدمه وفي اليد والرجل بأطراف الأصابع لصبه على نفسه ولصب غيره بالمرفق والكعب، وغسل باقي العضو لمن قطعت يده من فوق المرفق، وإمرار اليد على الأعضاء واستقبال القبلة، ووضع الإناء على اليمين إن كان يغترف منه وعن يساره إن كان يصب منه والاستعانة بمن يصب؛ فإن استعان لعذر جعله عن يساره، وأن لا ينقص ماؤه عن مدٍّ، ولا يتكلم ولا يلطم وجهه بالماء، ولا يتوضأ في موضع يرجع إليه الرشاش منه، وأن يقول بعد الفراغ: أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمدًا عبده ورسوله؛ اللهم اجعلني من التوابين، واجعلني من المطهرين واجعلني من عبادك الصالحين؛ سبحانك اللهم وبحمدك أستغفرك وأتوب إليك، وصلاة ركعتين عقبه. «طراز».

(٢) روى البيهقي في «السنن الكبرى» (١٦٤) عن عائشة رضي الله عنه، قالت: قال رسول الله ﷺ: «صلاةٌ بسواكٍ خيرٌ من سبعين صلاةً بغير سواكٍ». =

خُلُوفٍ؛ نَعَمْ لقراءةٍ وإكرامِ جَليسٍ وملائكةٍ فلا؛ لأنّها تتأذّى ممّا يتأذّى منه بنُو آدمَ[١]. والتّخليلُ أبلغُ[٢]؛ لِما رواهُ أبو نُعيمٍ مرفوعًا: «نقُّوا أفْواهَكُمْ بِالخِلالِ؛ فَإنَّها مَجْلِسُ المَلَكَينِ، وإنَّ مِدادَهُما الرِّيقُ وَقَلَمَهُما اللِّسانُ، وَلَيسَ شَيءٌ أضَرَّ عَلَيهِما مِنْ بَقايا الطَّعامِ بَيْنَ الأسْنانِ»[٣].

والغُسلُ: تَعميمُ شَعْرِه وبَشَرِه معَ النيّة، وفي تثليثِ بدَنِه نظرٌ؛ إذ بصاعٍ لا يُمكنُ تثليثُ رأسِهِ وبدنِهِ[٤].

ويجبُ بموتٍ، وحيضٍ، ونفاسٍ، وتحيُّرِ مُستحاضَةٍ، ودُخولِ حَشَفةٍ أو قَدْرِها فَرْجًا ولو بحائلٍ خفيفٍ[٥]، وبخروجِ المنيّ ولو بعدَ غُسْلٍ وفي حقِّها

= فهذا إسنادٌ غيرُ قويٍّ. ورُوي في ذلك عن جُبير بن نُفيرٍ مرفُوعًا مُرسلًا، والله أعلم.

(١) روى مسلم (٥٦٤) عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال: «من أكل من هذه البقلة، الثُّوم، وقال مرّةً: من أكل البصل والثُّوم والكُرّاث فلا يقربنّ مسجدنا؛ فإنّ الملائكة تتأذّى ممّا يتأذّى منهُ بنُو آدم».

(٢) في (ب): أهم. وفي هامش (ز): أي: بعود والأراك أفضل.

(٣) تاريخ أصبهان (١: ٢٢٤).

(٤) في نظر المؤلف وجه؛ فقد قال الخطيب الشربيني رحمه الله في «مغني المحتاج» (١: ٥٩): وقد يطلب ترك التثليث؛ كأن ضاق الوقت بحيث لو اشتغل به لخرج الوقت؛ فإنه يحرم التثليث، أو قل الماء بحيث لا يكفيه إلا للفرض فتحرم الزيادة؛ لأنها تحوجه إلى التيمم مع القدرة على الماء كما ذكره البغوي في «فتاويه» وجرى عليه المصنف في «التحفة»، أو احتاج إلى الفاضل عنه لعطش؛ بأن كان معه من الماء ما يكفيه للشرب لو توضأ به مرة مرة، ولو ثلّث لم يفضل للشرب شيء؛ فإنه يحرم التثليث كما قاله الجيلي في «الإعجاز». وإدراك الجماعة أفضل من تثليث الوضوء وسائر آدابه.
لكن الإمام النووي رحمه الله قال في «روضة الطالبين» (١: ٩٠): ماء الوضوء والغسل غير مقدر، ويستحبُّ أن لا ينقص ماء الوضوء عن مُدٍّ، وماء الغسل عن صاع تقريبًا.

(٥) في (ز): خفّ. وفي هامشها نسخة كالمثبت.

إن قضتْ وطَرَها؛ نَعَمْ وبنزولهِ إلى فَرْجِ ثيِّبٍ، وهو الذي ينْفرِجُ بجلوسِها على قدَمَيْها لا بِكْر وذَكَر، وعلى الفَورِ إنْ عصى به؛ كزنا واستمْناءٍ، وضِيقِ وقتٍ؛ كغَسْلِ خَبثٍ به، أو بمسجدٍ، أو تلطَّخَ بدنهُ به، أو جهلَ جُزءًا ببدنهِ، ومن بالَ يؤخِّرُ وضوءهُ.

ولو فقدَ ماءً تيمَّمَ أو توهَّمَهُ لزمَهُ طلبُه، فلو ضاقَ وقتُها وفقَدَ تيمَّمَ، أو عَجزَ استعانَ ولو بثمنِ مثلٍ لا يضرُّه، وهي مسألةٌ مَغْفُولَةٌ جدًّا، غالبُهم يتيمَّمُ في مرضهِ ويُمكنُه الاستعانةُ، ويتيمَّمُ لعطشٍ محترَمٍ أو مرضٍ ونحوهِ؛ كشِدّةِ بَرْدٍ فتيمُّمهُ عمّا يضرُّه الماءُ، ويغسلُ باقي أعضائِه وجوبًا، وهيَ مغفولةٌ جدًّا؛ كجبيرةٍ يضرُّه نَزْعُها غسَلَ ما يُمكنهُ ومَسَحَ كُلَّها وقتَ غسلِ عَليلِه، وجُنبًا متى شاءَ، ويجبُ التنشيفُ للتيمُّم، وتُوضَعُ[1] جبيرةٌ ولَصْقةٌ على طُهْرٍ قَدْرًا لا بُدَّ منهُ، فلو لم تسْتُر غيرَ الجُرحِ فلا مسحَ.

أركانهُ: تُرابٌ مُطلَقٌ يَعْلَقُ؛ كرمْلٍ بغُبارٍ، وقصدُهُ لا قبلَ الوقتِ، ولا ما سفَّتهُ ريحٌ؛ نَعَمْ لو أخذَهُ مِن وجههِ ثم ردَّهُ فمسحَ به كفَى، وقرنُه نيّةَ استباحةِ الصلاةِ بنقلهِ إلى مسحِ شيءٍ مِن وجههِ ومسْحِه، ثم يدَيهِ مع مرفقيه، ويضرُّ مانعٌ كخاتمٍ، ويتيممُ لفرضٍ فقط، ولهُ النَّفلُ ولا عكسَ[2]، ويُبطلُه ناقضٌ، وتوهُّم ماءٍ لفاقدهِ، ووجودُه بصلاةٍ لا تسقطُ به، أو تيمَّم لمرضٍ فبرأ فيها.

وأقلُّ حيضٍ يومٌ وليلةٌ، وأكثرهُ خمسةَ عشرَ، وأقلُّ سنِّه تسعُ سنينَ؛ فلو رأتهُ أمسكتْ عَن صلاةٍ ونحوِها ثُمَّ تَقْضِي، إنْ[3] نقصَ عَن أقلِّه أو زادَ، فكلُّه

---

(١) في (ز): وبوضع.

(٢) في (ب، هـ، ز): ومن تيمم لفرض فقط فله النفل ولا عكس. وفي هامش (ز) نسخة كالمثبت.

(٣) في (ب): لو.

حيضٌ، أو عبَر أكثرَهُ فما سوى ضعيفهِ إن بلغَ أقلَّهُ، وغيرُ مميّزة عرفَتْ بَدْأَهُ فحيضُها أقلُّه، أو لها عادةٌ فلها حُكمُها ولا عِبرةَ بها مع التّمييزِ، أو نسيتْهُما حرُمَ غيرُ صَومِها وصلاتها، ولزمَ غَسلٌ لكُلِّ واجبةٍ في وقتها ما لم تعلمْ قطعَهُ بوقتٍ مُعيَّنٍ، وإلا فكُلّ يومٍ. نَعمْ يحرمُ سَرْدُ صَومٍ ونحوِه لعدمِ أمْنِها، ومُباشرةُ ما بينَ سُرَّةٍ ورُكبةٍ لتائقٍ.

وأكثرُ نِفاسٍ ستونَ يومًا وأقلُّه دَفْعةٌ، ويحرمُ بهما ما يحرُمُ بجنابةٍ، ووطؤها ما لم تَغتَسل، وأُمِرَ بالنَّظافةِ، ومَواطنُها معروفةٌ. وتتبعُ لحيضٍ ونحوِه بعدَ غسلٍ بفرجِها نحوَ مِسْكٍ ولو لِخليّةٍ وبِكْرٍ، ونحوَ قُسْطٍ لمُعتدّةٍ ومُحْرِمةٍ[١].

وبحمّامٍ ونحوِه يلزمُ سَترُ ما بينَ سُرَّةٍ وركبةٍ، ومنعُ مسٍّ ونظرٍ مِن مُدَلِّكٍ وغَيرِهِ، ونساءٌ كذا، وينفعُ غَسلُ قَدميهِ بماءٍ باردٍ؛ نَعَمْ يضرُّ إنْ تمحَّضَ بَردُه[٢]، وينفعُ[٣] نومٌ عَقِبُه، وقلّةُ مُكثٍ به لنحيفٍ، وكثرةُ صبٍّ لذي يَبَسٍ مع قِلَّةِ مُكْثٍ، وطُولُ مُكْثٍ مع قِلَّةِ صَبٍّ؛ لاستفراغِ رُطوبةٍ زائدةٍ مع تَذكُّرِ نعيمٍ وجحِيمٍ، وسُبحانَ اللهِ وبحمدهِ مئةَ مرَّةٍ فأكثرَ؛ لتكفيرِ ذُنوبِ يومِهِ، وعقِبَ كُلِّ طُهرٍ[٤] الشَّهادةُ، واللهُمَّ اجعلني مِنَ التوابينَ... إلى آخرِه[٥]؛ جمعًا بينَ طَهارتَي قلْبه

(١) في (ب): وتتبعُ لحيضٍ ونحوه مسكًا ونحوه لمُعتدّةٍ ومحرمة بعد الغُسل.

(٢) في (ب): ويكره إن قوي برده من جهة الطب.

(٣) في (ز): وينفع. وأشار إليها بأنها نسخة؛ ثم قال في الهامش: في نسخ المقابلة (ونوم) فهو معطوف على قوله: (غسلُ قدميه)، وإثبات (ينفع) أوضح.

(٤) في (هـ، و): طهارة.

(٥) روى الترمذي في «سننه» (٥٥) عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «من توضّأ فأحسن الوُضوء، ثُمّ قال: أشهدُ أن لا إله إلّا اللهُ وحدهُ لا شريك لهُ، وأنّ مُحمّدًا عبدُهُ ورسُولُهُ، اللهُمّ اجعلني من التّوّابين، واجعلني من المُتطهّرين، فُتحت لهُ ثمانيةُ أبوابِ من الجنّة يدخُلُ من أيّها شاء».

وبدَنِه، ولفتحِ أبوابِ الجنَّةِ، كما رواهُ مسلمٌ وغيرُه: «فُتِحَتْ لَهُ أبوابُها بِوُضوءٍ»، ويَدخُلُ مِن خَيرِها بصلاتِهِ؛ فافهمْ[١].

وإكرامُ الشَّعرِ تنظيفًا ودَهْنًا سُنَّةٌ[٢]، ويحلقُ تنظيفًا، وحَفُّ شاربٍ، وحلقُ عانةٍ، نَعَمْ؛ ولها أنفعُ مِن نتفِه أحيانًا؛ لأنّ دوامَ النتفِ يُورثُ الإرخاءَ[٣]، ونتفُ إبطٍ[٤]، وقصُّ شَعْرِ أنفهِ لا نتفُهُ؛ إذ في إبقائهِ أمانٌ مِنَ الجُذامِ لحديثٍ فيهِ[٥]، ورُويَ عكسُه ورجَّحهُ ابنُ الرِّفعة وغيرُه؛ لما رواهُ ابنُ دقيق العيدِ في كتابهِ المُسمَّى بـ«الإمام شرح الإلمام»[٦] وهو مجلداتٌ كثيرةٌ، لفظُه: «ونَقُّوا الشَّعْرَ

---

(١) من قوله: (ولفتح أبواب...) إلى هنا مثبتة من (هـ، و).

روى مسلم (٢٣٤) عن عقبة بن عامر رضي الله عنه، قال: كانت علينا رعاية الإبل فجاءت نوبتي فروحتها بعشي، فأدركت رسول الله ﷺ قائمًا يحدث الناس فأدركت من قوله: «ما من مُسلمٍ يتوضّأُ فيُحسنُ وُضوءهُ، ثُمّ يقُومُ فيُصلّي ركعتين، مُقبلٌ عليهما بقلبه ووجهه، إلّا وجبت لهُ الجنّةُ» قال: فقلت: ما أجود هذه! فإذا قائلٌ بين يديّ يقُولُ: الّتي قبلها أجودُ فنظرتُ فإذا عُمرُ قال: إنّي قد رأيتُك جئت آنفًا، قال: ما منكُم من أحدٍ يتوضّأُ فيُبلغُ، أو فيُسبغُ، الوضُوء ثُمّ يقُولُ: أشهدُ أن لا إله إلّا اللهُ وأنّ مُحمّدًا عبدُ الله ورسُولُهُ إلّا فُتحت لهُ أبوابُ الجنّة الثّمانيةُ يدخُلُ من أيها شاء».

(٢) روى أبو داود في «سننه» (٤١٦٣) عن أبي هريرة رضي الله عنه: أن رسول الله ﷺ قال: «من كان لهُ شعرٌ فليُكرمهُ».

(٣) أي: شعر العانة؛ وهو الشعر النابت حوالي ذكر الرجل وقُبُل المرأة وفوقهما. قال النووي رحمه الله في «تهذيبه»: والسنة في الرجل حلق العانة، وفي المرأة نتفها. ينظر: «مغني المحتاج» (٦: ١٤٤). وفي هامش (ز): نسخة: لأن النتف يوجب الاسترخاء.

(٤) في (ب): ولها أنفعُ من نتفه غالبًا، ونتفُ إبطه.

(٥) رواه أبو نعيم في «الطب النبوي» (٣٠٥)، وأبو يعلى الموصلي في «مسنده» (٤٣٦٨)، والطبراني في «الأوسط» (٦٧٢) عن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها، قالت: قال رسول الله ﷺ: «نباتُ الشّعر في الأنف أمانٌ من الجُذام». وفيه أبو الربيع السمان، وهو ضعيف.

(٦) الإمام في معرفة أحاديث الأحكام (١: ٤١٠)، وقد عزاه لـ«الكامل في ضعفاء الرجال»=

الَّذي عَلَى الآنافِ». والأوَّلُ أظهرُ؛ لأنّ هذا الحديثَ يُفهمُ ما عَلى ظاهرِ الأنفِ لا باطنِه[١]، وقَلْمُ ظُفرٍ، وتيامنٌ؛ فأصابعُه كحَلقةٍ يَبْدَأُ بأفْضَلِها؛ فيُقلِّم مُسَبِّحةَ يمينِهِ ويختمُ بإبهامِها، وربّما رُجِّحَ التَّثْنيةُ بإبهامِها؛ وشاهدُه حديثُ: «كَبِّر كَبِّر؛ فَناوَلْتُ السِّواكَ الأكْبَرَ» رواهُ البُخاريُّ[٢]، وَيَبْدأُ بخِنْصِرِ رجلِهِ اليُمْنَى، ويختمُ بخِنْصِر اليُسرَى. وَرَوَى صاحبُ «المغني»: «مَنْ قَصَّ أظْفارَهُ مُخالِفًا لَمْ يَرَ في عَينَيهِ رَمَدًا»[٣]، واختارهُ ابنُ الرِّفعَةِ وغيرُه[٤]، وفي «زيادات العبّادي»: «فرِّقُوها

= (٢: ٣٩٢)، ثم قال عقبه: وحفص بن واقد ذكر له أبو أحمد أحاديث تفرد بها، لم يحكم عليه بشيء.

لكن ابن عدي رحمه الله قال بعد أن ذكر أحاديثه: ولا أعرف لحفص هذا أنكر من هذه الأحاديث بهذه الأسانيد التي رواها. فليتأمل.

(١) «كفاية النبيه في شرح التنبيه» لابن الرفعة (١: ٢٥٠)، فإنه قال رحمه الله: وكما يستحب نتف الإبط يستحب نتف الأنف أيضًا.

وابن الرفعة هو أحمد بن محمد بن علي الأنصاري نجم الدين أبو العباس ابن الرفعة المصري شيخ الإسلام وحامل لواء الشافعية في عصره، ولد بمصر سنة خمس وأربعين وست مئة، ولقب بالفقيه لغلبة الفقه عليه وولي حسبة مصر ودرس بالمعزية بها وناب في القضاء، وصنف المصنفين العظيمين المشهورين «الكفاية في شرح التنبيه» و«المطلب في شرح الوسيط» في نحو أربعين مجلدًا، توفي بمصر في رجب سنة عشر وسبعمئة ودفن بالقرافة. «طبقات الشافعية» لابن قاضي شهبة (٢: ٢١١).

ومن قوله: (لما رواه ابن دقيق العيد ...) إلى هنا مثبت من (هـ، ز).

(٢) صحيح البخاري (٢٤٦) من حديث ابن عُمر أنّ النّبيّ ﷺ قال: أراني أتسوّكُ بسواكٍ، فجاءني رجُلان، أحدُهُما أكبرُ من الآخر، فناولتُ السّواك الأصغر منهُما، فقيل لي: كبّر، فدفعتُهُ إلى الأكبر منهُما.

(٣) المغني لابن قدامة المقدسي (١: ٦٤)، وأورده بصيغة التضعيف روي. ينظر: «المقاصد الحسنة» (١١٦٣).

(٤) «كفاية النبيه في شرح التنبيه» لابن الرفعة (١: ٢٥٠)، فإنه قال رحمه الله: والأولى في =

فَرَّقَ اللهُ هُمُومَكُمْ»[١]؛ فيُقلِّم خِنصِرًا، وُسْطَى، إبهامًا، بِنصِرًا، مُسَبِّحةً، ويَعكسُ

= قص الأظفار أن يكون مخالفًا.

(١) أورده الحافظ السخاوي رحمه الله نقلًا عنه في «الأجوبة المرضية» (١: ٩٤). وقال رحمه الله: حديث كيفية قص الأظفار. لم يثبت فيها شيء عن النبي ﷺ، وقد قال حجة الإسلام أبو حامد الغزالي في كتابه «الإحياء»: أنه يبدأ بمسبحة اليمنى ثم الوسطى ثم البنصر ثم الخنصر ثم بخنصر اليسرى إلى إبهامها ثم إبهام اليمنى. قال: ولم أر في الكتب خبرًا مرويًا في ترتيب قلم الأظفار، ولكني سمعت أنه روي عنه ﷺ أنه بدأ بمسبحة اليمنى وختم بإبهام اليمنى وبدأ اليسرى بالخنصر إلى الإبهام. انتهى.

واعترض أبو عبد الله محمد بن علي المازري المالكي الإمام في علم الأصول والكلام على صاحب «الإحياء» في ذكره ذلك، وذكر كما قال شيخ الإسلام أبو زكريا النووي في إنكاره عليه كلامًا لا أُوثر ذكره، وأن هذا الحديث لا أصل له.

قلت: ولا اعتراض عليه ـ رحمه الله ـ فإنه أعلم بأنه لم يجده في الكتب وإنما سمعه بلاغًا، وأتى به مع ذلك بصيغة التمريض. وقد قال النووي رضي الله عنه في «شرح المهذب» له عقب الإشارة إلى كلام الغزالي واعتراض المازري ما نصه: والمقصود أن الذي ذكره الغزالي لا بأس به إلا في تأخير إبهام اليمنى، فلا يقبل قوله فيه. بل يقدم اليمنى بكمالها، ثم اليسرى، وأما الحديث الذي ذكره فلا أصل له، وأما الرجلان فيبدأ بخنصر اليمنى كما في تخليل الأصابع في الوضوء. انتهى. وكذا قال الحافظ أبو الفضل العراقي في «تخريجه لأحاديث الإحياء» أنه لم يجد لهذا الحديث أصلًا انتهى. وقد وقفت في «مسند الفردوس» على حديث أخرجه من طريق الأعمش عن أبي صالح عن أبي هريرة رفعه: «من أراد أن يأمن الفقر وشكاية العمى والبرص والجنون فليقلم أظفاره يوم الخميس بعد العصر وليبدأ بخنصر اليسرى»، وهو واهٍ جدًا مع أن في سنده من لم أعرفه، وقد وقع لنا قص الأظفار يوم الخميس في خبر مسلسل بذلك إلا أنه لا يصح سندًا ومتنًا، وهو عند الطبراني وغيره بدون تسلسل. وفي «الزيادات» لأبي عاصم العبادي ما نصه: كان سفيان الثوري يقلمها يوم الخميس، فقيل له: غدًا يوم الجمعة؟ فقال: السنة لا تؤخر، ثم قال أعني العبادي: وروي عن رسول الله ﷺ أنه قال: «من أراد أن يأتيه الغنى على كره فليقلم أظافره يوم الخميس». =

ذلك في يُسرى يدِهِ ثُمَّ رجلِه، ويَغسِلُ محلَّ التقليمِ[١].

تنبيه:

مُخالفةُ الطّبعِ لموافقةِ الشرّعِ وقايةٌ؛ منها: غضُّ البَصرِ[٢] عَن الخيانةِ؛ فلا جرَم يُمنحُ من قَلمَ أظفارَهُ مُخَالفًا لِما في طبعهِ أمانًا من الرّمدِ، وتنبَّهْ لما

= قلت: وقد سبق بيانه، ثم قال العبادي: فإذا قلمت فرقت، قال ﷺ: «فرقوها فرق الله همومكم» وقد ثبت الأول، وأما هذا فلا أصل له. ونقلتها للفائدة.

والعبادي المذكور هو أبو عاصم: تكرر في «الروضة»، ولا ذكر له في غيره من هذه الكُتب، هو بفتح العين وتشديد الباء، منسوب إلى عباد جد جد أبيه، وهو أحد فقهاء أصحابنا أصحاب الوجوه. قال أبو سعد السمعاني في «الأنساب»: هو القاضي أبو عاصم محمد بن أحمد بن محمد بن عبد الله بن عباد العبادي الهروي، كان إمامًا فقيهًا مناظرًا، دقيق النظر، تفقه بهراة على القاضي أبي منصور الأزدي، وبنيسابور على القاضي أبي عمر البسطامي، وسمع الحديث الكثير، وحدث وصنّف كُتبًا في الفقه، كـ«المبسوط»، و«الهادي إلى مذهب العلماء»، وكتابًا في الرد على القاضي السمعاني، وغيرها، ولد سنة خمس وسبعين وثلاثمئة، وتوفي في شوال سنة ثمان وخمسين وأربع مئة، رحمه الله، هذا آخر كلام السمعاني. ومن مصنفاته: كتاب «الشرح»، و«كتاب الزيادات»، و«كتاب زيادات الزيادات»، و«كتاب الأطعمة»، و«كتاب أحكام المياه»، و«كتاب طبقات الفقهاء»، وله «الفتوى». «تهذيب الأسماء واللغات» للنووي (٢: ٢٤٩).

(١) قال ابن حجر رحمه الله في «التحفة» (٢: ٤٧٦): والمعتمد في كيفية تقليم اليدين: أن يبدأ بمسبحة يمينه إلى خنصرها، ثم إبهامها، ثم خنصر يسارها إلى إبهامها على التوالي، والرجلين أن يبدأ بخنصر اليمنى إلى خنصر اليسرى على التوالي، وخبر: «من قص أظفاره مخالفًا لم ير في عينيه رمدًا»؛ قال الحافظ السخاوي: هو في كلام غير واحد ولم أجده، وأثره الحافظ الدمياطي عن بعض مشايخه، ونص أحمد على استحبابه. انتهى. وكذا مما لم يثبت خبر: «فرقوها فرق الله همومكم»، وعلى ألسنة الناس في ذلك وأيامه أشعار منسوبة لبعض الأئمة وكلها زور وكذب.

(٢) في (أ): النظر.

رُوِيَ: «مَنْ غَضَّ بَصرَهُ عَنِ المَحارِمِ وَهَبَهُ اللهُ عِبادَةً يَجِدُ لَذَّتَها»[١]؛ لأنّ نَفْسَهُ تركتْ لذّتها بغضٍّ بصرِه فمُنحتْ لذَّةَ العِبادةِ.

وتقليمُه يومَ الخميسِ أتَمُّ؛ لِما في «زياداتِ العبّادي» مرفوعًا[٢]، ويستحبُّ غسلُها عقبَهُ.

وضبطُ الحركةِ بالمعاني صفةُ الأنبياءِ عليهِم السَّلامُ؛ كاكتحالِهِ ﷺ؛ بدأ باليُمنى تيمُّنًا وثلاثًا ثلاثًا: «فإنَّ الله تعالى وِتْرٌ يُحِبُّ الوترَ»[٣]، وقِسْ عليهِ.

ويأخذُ ما فحُشَ طُولُه مِن لحيتِهِ؛ دفعًا لِغِيبتِه[٤]، ويُمنعُ لغيرِ جهادٍ تسويدُها وضِدُّه، ونتفُها وتنقيتُها وزيادتُها ونقصُها، ويُكرهُ تسريحٌ تصنُّعًا وترْكُهُ، ونظرُها تعجُّبًا، وخِضابٌ بلا قَصْدٍ مشروعٍ، ويحرمُ عقْدُها وظَفرُها، وطهارةُ الباطنِ أهمُّ، وهيَ في الشَّطْرِ الثاني بحمْدِ اللهِ تعالى[٥].

* * *

---

(١) رواه الحاكم في «المستدرك» (٧٨٧٥)، والخرائطي في «اعتلال القلوب» (٢٧٣) من حديث حذيفة رضي الله عنه.

(٢) أورده الحافظ السخاوي رحمه الله في «الأجوبة المرضية» (١: ٩٤).

(٣) روى البخاري (٦٤١٠)، ومسلم (٢٦٧٧) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: «لله تسعةٌ وتسعُون اسمًا، من حفظها دخل الجنّة، وإنّ الله وترٌ يُحبُّ الوتر».

(٤) في غير (هـ، و، ز): لعيبته.

(٥) في هامش (ز): بلغ مقابلة.

كتاب أسرار الصّلاة[١]

أمّا فضلُها والمسجدُ وفِعْلُها فيهِ والجماعةُ والأذانُ ونحوه فمشهورٌ[٢]، وأما الخشوعُ شَهِدَ القرآنُ بفلاحِ مُصلٍّ خاشعٍ، والفلاحُ أجمعُ اسمٍ لسعادةِ الآخرةِ، وفَقْدُ الخُشوعِ يَنْفيهِ.

---

(١) في (ب) زيادة: وغيرها.

(٢) في (ب): مشهور.

في هامش (ز) حاشية: يدخل وقت الظهر بالزوال، وهو انتهاء الشمس إلى وسط السماء، ويمتد إلى أن يصير ظل كل شيء مثله من جهة المشرق، ثم متى زاد ظل الشيء عنه ولو زيادة يسيرة فقد دخل وقت العصر الأول، واختير إذا صار ظل كل شيء مثله، ويمتد اصفرار الشمس للغروب. والأولى فعلها في أول الوقت، ويدخل وقت المغرب بغروب الشمس ويعرف الغروب بزوال الشعاع من رؤوس الجبال وإقبال الظلام من المشرق، ويدخل أول وقت العشاء بمغيب الشفق الأحمر ويمتد إلى طلوع الفجر، وهي؛ أي: الصلاة في أول الوقت رضوان الله، وأوسطه رحمه الله وآخره عفو الله.

وفي هامشها حاشية: ووقت الظهر ما لم تحضر العصر، ووقت العصر ما لم تصفر الشمس، ووقت المغرب ما لم تسقط نور الشفق، ووقت العشاء إلى نصف الليل، ووقت الفجر ما لم تطلع الشمس؛ «مسند البزار» [٨٧٧٧] حديث جبريل، قال ﷺ: «أمّني جبريلُ مرّتين عند البيت، فصلّى بي الظُّهر حين زالت الشّمسُ، وصلّى بي العصر حين صار ظلُّ كل شيءٍ مثلهُ، ثُمّ صلّى بي المغرب حين أفطر الصّائمُ، وصلّى فيّ العشاء حين غاب الشّفقُ، وصلّى بي الفجر حين طلع الفجرُ، وأمّني الغد فصلّى بي الظُّهر حين صار ظلُّ كُلّ شيءٍ مثلهُ، وصلّى بي العصر حين صار ظلُّ كُلّ شيءٍ مثليه، وصلّى بي المغرب حين أفطر الصائمُ وقتًا واحدًا، وصلّى فيّ العشاء ثُلُث اللّيل، وصلّى فيّ الفجر حين أسفر، ثُمّ قال: يا مُحمّدُ، هذا وقتُ الأنبياء من قبلك، وما بين هذين وقتٌ؛ فالأول وقت الفضيلة، والثاني وقت الاختيار، وهُو دُونهُ».

قيل: اشتقاقُ الصَّلاةِ مِن الصَّلِي: وهو عَرْضُ خَشَبةٍ مُعوَجّةٍ على نارٍ لتقويمها وبالطَّبْعِ عِوَجٌ؛ فالمُصلِّي مِنْ وَهَجِ السَّطوة يتقوّمُ اعوجاجُهُ ثُمَّ يتحقَّقُ مِعراجُه؛ فإنَّهُ كمُصْطَلٍ، ومَن اصطلى بنارِ الصَّلاةِ وزالَ عِوَجُه لا يُعرَض على النّار، وهي صِلةٌ بينَهُ وبينَ ربِّه تعالى؛ فيخشَعُ لِصَولَةِ الرُّبوبيّةِ على العُبوديّةِ، وقيامُها لذكرِهِ ومُناجاتِه تعالى؛ فالغَفْلةُ صَدٌّ وسُكْرٌ، وعدمُ سُكونهِ وتأنِّيهِ يمنَعُ مَزيدَهُ.

وفيها سِرُّ المعراجِ بل كُلُّ عبادةٍ إيمانًا وإسلامًا وإحسانًا؛ كقصدِ الكعبة وتركِ مألُوفاتِهِ ومُفَطِّراتِهِ فافهَمْ جدًّا؛ لمّا يَطْهُر باطنًا بالشّهادتينِ وظاهرًا بالماءِ فُتِحَتْ له أبوابُ الجنّةِ بالطَّهارَتينِ ودخلَ الجنّةَ مِن خيرِ بابٍ بخيرِ عملٍ وهو الصلاةُ؛ فالأبوابُ بالوضوءِ فما الظنُّ بالصَّلاةِ؟ وكُلَّما انتقلَ مِن ذِكْرِ الغائب إلى الحاضرِ فإجابَةٌ؛ بدليلِ: «هَؤلاءِ لِعَبْدِي وَلِعَبْدِي ما سَألَ»[١]، وبركوعهِ ذِكْرٌ وسؤالٌ وبِرَفْعهِ منهُ رِفعةٌ، وحمدٍ بذكرِ حاضرٍ فيه إجابةٌ؛ بدليل القُنوتِ، وسجودُه كذا بمزيدٍ: «ارفَعْ رأسَكَ وَقُلْ يُسْمَعْ»[٢]؛ فلهذا كان ذِكْرُه دعاءً، ولمّا كان سجودُه أحبَّ كُرِّرَ وأُفرِدَ؛ كشُكرٍ وتلاوةِ سجدةٍ وبشفاعتهِ ﷺ ساجدًا، وتَسْمِية أحبّ بلاده بمساجدَ لا مَراكِعَ ومقامات[٣].

وبركعةٍ وظائفُ سبعةٌ: قائمًا، راكعًا، ساجدًا، جاثيًا، تاليًا، ذاكرًا، داعيًا، مُراعيًا لحقِّهِ تعالى ورسولِهِ وملائكتهِ وصالحِ إنسٍ وجنٍّ وباقي مُؤمنيهم بـ(اهدِنا) ونحوِها، لا جرَم خُتِمَتْ بتحِيّةٍ وَدُعاءٍ وسلامٍ، وأوَّلُ مسؤولٍ عنها[٤]؛

---

(١) رواه مسلم (٣٩٥) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) رواه البخاري (٧٥١٠)، ومسلم (١٩٣) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٣) روى ابن خزيمة (١٢٩٣)، وابن حبان (١٦٠٠) عن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال: «أحبُّ البلاد إلى الله مساجدُها، وأبغضُ البلاد إلى الله أسواقُها».

(٤) روى أبو داود (٨٦٤)، والترمذي (٤١٣) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي=

لأنها أفضلُ وأخفُّ مِن باقي المباني مِن جهادٍ وزكاةٍ وحَجٍّ؛ لافتقار كُلٍّ لمالٍ وعملٍ؛ فسُئِلَ عَن الأخَفِّ مع أنّه أفضلُ بثوابٍ أجزَلَ؛ فإذا أتى بالأخفِّ نُظِرَ في غَيرِه، ومنهُ: «البَخِيلُ مَنْ ذُكِرْتُ عِنْدَهُ، فَلَمْ يُصَلِّ عَلَيَّ»[١]؛ نبَّهَ بالأدنى على الأعلى؛ فمَن لم يَسْمَحْ بكلمةٍ بلا كُلْفةٍ فبالأولَى أنْ لا يَسمحَ بما فيه كُلْفةٌ؛ فلهذا لم يُنْظَرْ في باقي أعمالِه إذا لم يأتِ بأخفِّها كما إذا أتى بالأثْقَل صُدِّقَ في الأخَفِّ؛ لمفهومِ إتيانِه مِن بابِ أولَى، وتاركُ الأخفِّ للثقيلِ أتْركُ، وفاعلُ الثقيلِ للأخفِّ أفعلُ؛ فافهَمْ درجاتهم[٢].

وَشُرُوطُها: مُوالاةٌ، وعِلْمُ وقتِها، وبدُخولِه، وبفَرضِيّتها وفُروضِها وكَيفيتِها والقِبْلَةِ، وتَنزيهُها عَن رياءٍ وحَدَثٍ ونجسٍ لا يُعْفَى، ولأمَةٍ وذَكَرٍ سَتْرُ ما بينَ سُرَّةٍ ورُكبةٍ، وحُرَّةٍ غيرَ وجهٍ وكفٍّ، ولهما مع زوجٍ عورةُ فَرْجٍ بكُرهٍ[٣]؛ ويَحرُم حلْقةُ دُبُرٍ كمسِّهِ، وفرجا طفلةٍ وطفلٍ مَسًّا ونظرًا لغيرِ حاجةٍ، وأُبيحَ ذَكَرُ طفلٍ لحديثٍ فيه[٤].

= ﷺ أنه قال: «إنّ أوّل ما يُحاسبُ النّاسُ به يوم القيامة من أعمالهمُ الصّلاةُ، قال: يقُولُ ربُّنا جلّ وعزّ لملائكته وهُو أعلمُ: انظُرُوا في صلاة عبدي أتمّها أم نقصها؟ فإن كانت تامّةً كُتبت لهُ تامّةً، وإن كان انتقص منها شيئًا، قال: انظُرُوا هل لعبدي من تطوُّعٍ؟ فإن كان لهُ تطوُّعٌ، قال: أتمُّوا لعبدي فريضتهُ من تطوُّعه، ثُمّ تُؤخذُ الأعمالُ على ذاكُم».

(١) رواه الترمذي (٣٥٤٦)، والنسائي (٨١٠٠)، وأحمد (١٧٣٦) من حديث الحسين بن علي رضي الله عنهما. (ﷺ كلما ذكره الذاكرون وغفل عن ذكره الغافلون).

(٢) من قوله: (وفيها سر) إلى هنا غير مثبت في (ب، ز). وفي (هـ، و) سقط من قوله: (فافهم جدًّا)، ولعله سبق نظر الناسخ من فافهم إلى فافهم.

(٣) في (ز): يُكرهُ.

(٤) روى أبو داود في «السنن» (٤٤٠٤) عن عطية القرظي رضي الله عنه قال: كنتُ من سبي قُريظة، فكانوا ينظرون: فمن أنبت الشّعر قُتل، ومن لم يُنبت لم يُقتل، فكنتُ فيمن لم يُنبت.

ويَحرمُ مع نساءٍ ما بينَ سُرّةٍ ورُكْبةٍ كمَحْرَمٍ، ومع أجنبيٍّ وكافرةٍ؛ نَعمْ وفاسِقةٍ قياسًا كلُّ البدنِ عورةٌ ولو شعرةً وقُلامةً، ويُستثنى أمَةُ زَوجَتِه وأمَتُها الكافرةُ لمشقّةِ الاحترازِ، ولحاجةٍ شرعِيّةٍ كالتّداوِي ونحوِه، وفاقدُ غيرِ حريرٍ يُصلّي فيهِ لا نجسٌ ومغصوبٌ بل يُصلّي عاريًا؛ فلا يلزمُ ماءٌ كَدِرٌ؛ نَعمْ لجنازةٍ، وَيَجِبُ التطيينُ[١] وفي عُمومهِ نظرٌ للتّشْويهِ سيّما لو يبِسَ وضَرَّ أو تَشَقّقَ[٢].

وأركانُها: التكبيرةُ، وتسكينُ رائِها حَتْمٌ؛ فلو ضمَّها لم تَصحَّ؛ نَعمْ مع سُقوطِ الهَمزةِ نحو مأمومًا الله أكبرُ، ويضرُّ مَدُّ همزةٍ وزيادةُ ألفٍ أو واوٍ، وقرنُها بالنيّةِ عُرْفًا ولا أصْلَ لغَيرهِ[٣].

وقيامُ قادِرٍ ولو عاريًا أو مُعِيدًا وصبيًّا وباسْتعانةٍ ونحوِها، والفاتحةُ كُلَّ ركعةٍ إلّا المسبوقَ؛ لِما رواهُ[٤] ابنُ خُزيمةَ وابنُ حِبّانَ والدّارقُطْنيُّ عَن عُبادةَ بنِ الصّامتِ رضيَ اللهُ عنهُ يرفعهُ: «لا تُجزئُ صَلاةٌ لا يُقْرأُ فِيها بفاتِحَةِ الكِتابِ»[٥]، وعنهُ: «أُمُّ القُرآنِ عِوَضٌ مِنْ غَيرِها، وَلَيسَ غَيرُها عِوَضًا مِنْها» ـ رواتُهُ ثِقاتٌ أكثرُهُم أئمّةٌ؛ قالَه الحاكمُ[٦] ـ فلو شكَّ في حَرفٍ أو تشديدةٍ لغا ما بعدَه، أو قطعَ

---

(١) في (أ، ب): التطيُّن.

(٢) في هامش (ز): بلغ مقابلة.

(٣) في هامش (ز) حاشية: ويستحبُّ قراءةُ قل أعوذ برب الناس قبيل النية؛ دفعًا للوسواس. من «لباب الإحياء» للإمام حجة الإسلام الغزالي رضي الله عنه.

(٤) في (هـ، و): صححه. وفي (ز): صحّ.

(٥) صحيح ابن خزيمة (٤٨٨)، صحيح ابن حبان (١٧٨٧)، سنن الدارقطني (١٢٢٦).

(٦) سنن الدارقطني (١٢٢٨)، والمستدرك (٨٦٧)، قال الحاكم: ورواة هذا الحديث أكثرهم أئمة، وكلهم ثقات على شرطهما، ولهذا الحديث شواهد بألفاظ مختلفة لم يخرجاه وأسانيدها مستقيمة.

وفي (هـ، و): قال الحاكمُ: رواتُهُ ثقاتٌ وأكثرُهُم أئمّةٌ.

موالاتَها بذِكْرِ أجنبيٍّ عنها استأنَفَ، ثُمَّ رُكوعٌ، ثُمّ اعتدالٌ[١] قائمًا، ثُمّ سجودٌ ببعضِ كُلِّ عضوٍ مِن السَّبعةِ بتنكيسِهِ وتحامُلِه، وطُمأنينَتِهِ في كُلِّ رُكْنٍ، فلو سجدَ بظهرِ قدَمِهِ أو ظهرِ كفِّه أو بجبينِه وأنفِهِ أو ناصيتِه أو بلا مباشرةِ جَبْهتِهِ لغيرِ عُذْرٍ لم تصحَّ، ثُمَّ جُلوسُهُ بينَ سَجْدَتيهِ ـ وسُنّ اعتمادُهُ قائمًا على كَفَّيهِ لا كعاجِنٍ؛ إذ لا أصلَ لهُ[٢] ـ ثُمَّ تشهُّدُه آخرًا وجُلوسهُ، وأكمَلُهُ أحْوَطُ[٣]؛ لقَبولِ زيادةِ الثِّقَةِ، وصلاةٌ عليهِ ﷺ فيه، ثُمَّ سلامُهُ مرَّةً، وترتيبُها كما عُرِفَ.

وباقيها سُنَّةٌ ولا تُهْمَلُ ألبتّةَ، ومَنعُ الآلِ بأوَّلِ تشهُّدٍ شُحٌّ لا وجهَ لهُ؛ إذ لا دليلَ على الفَرْقِ، والعبادةُ بما يُجزئُ فقطْ هديّةٌ مقطوعةُ الأطرافِ، وما لم تَتِمَّ آدابُها باطنًا وظاهرًا فهديّةٌ مُشوَّهَةٌ.

ومِنْ آدابِها:

الزُّهْدُ؛ فعبادتُكَ تُعرَضُ على مَلِيكِكَ فاجتهدْ في تحسِينِها لتُقبلَ منكَ، وكلٌّ يُكرَم على قَدْرِ هديّتِهِ، والمعاني الباطنةُ بها تتمُّ.

فأُمَّهاتُها: حُضورٌ، وتَفهيمٌ، وتَعظيمٌ، وهَيبَةٌ، ورجاءٌ، وحياءٌ.

ومانعُها:

إمّا ظاهرًا كبصَرِه أو سمْعِه، فعلاجُه: قُرْبٌ مِن جِدارٍ وغَضٌّ بَصَرٍ بلا شاغلٍ،

---

(١) في (ز): ثم ركوعه، ثمّ اعتدالُهُ.

(٢) قال الإمام النووي رحمه الله في «المجموع» (٣: ٤٤٢): وإذا اعتمد بيديه جعل بطن راحتيه وبطون أصابعه على الأرض بلا خلاف، وأما الحديث المذكور في «الوسيط» وغيره عن ابن عباس أن النبي ﷺ كان إذا قام في صلاته وضع يديه على الأرض كما يضع العاجن؛ فهو حديث ضعيف أو باطل لا أصل له، وهو بالنون، ولو صح كان معناه قائمًا معتمدًا ببطن يديه، كما يعتمد العاجز، وهو الشيخ الكبير وليس المراد عاجن العجين.

(٣) في (ب، ج): وأتمه أحرى.

فلو تَشوَّشَ بنحْوِ قَمْلَةٍ أزاحها، وَحَرُمَ رمْيُها بمسجدٍ وقتْلُها بصلاةٍ وتَبْطُلُ[١]؛ إذ هي مما لا يُعفَى عنه، وفيه نظرٌ بل العفوُ أقْربُ؛ نَعمْ إن أكثرَ بطَلَتْ.

وإمّا باطنًا فعِلاجُهُ: ردُّ فِكْرِه قَهْرًا إلى قراءَتِهِ، ويُعِينُه قَضاءُ أشغالِه قَبْلَها، وحُضورُهُ في وُضوئِهِ ودوامُ[٢] وضوئِهِ، وخِفَّةُ مَعِدَتِهِ لها أثرٌ عظيمٌ، ويُردِّدُ ذكرَ آخِرتهِ وخطرَ قيامِهِ بين يدَي ربّه تعالى، وما لم ينفعْ فعِلاجُهُ الزُّهدُ وقطعُ العلائقِ؛ لئلّا يَضِيعَ عمرُه في دفْعِ ما لا ينْدفِعُ.

مِن علاماتِ قَبُولها[٣]: إقْبالُ القلْبِ[٤] على اللهِ تعالى فيها[٥]؛ كان ذو النُّونِ إذا كبَّر كأنَّهُ بلا رُوحٍ[٦]، وسَمِعَ بعضهُم آيةً فخرَّ مَيتًا[٧]، ورُئِيَ ابنُ خُثَيمٍ

---

(١) قال الإمام النووي رحمه الله في «شرح مسلم» (١٤: ٢٣٩): وأما قتل النمل فمذهبنا أنه لا يجوز، واحتج أصحابنا فيه بحديث ابن عباس أن النبيّ ﷺ نهى عن قتل أربع من الدواب: النملة، والنحلة، والهدهد، والصرد. رواه أبو داود بإسناد صحيح على شرط البخاري ومسلم.

(٢) في (أ): وإدام.

(٣) في (هـ، و): وعلامة قبولها.

(٤) في (هـ، و): إقبال قلبك.

(٥) قوله: (من علامات قبولها: إقبالُ القلب على الله تعالى فيها) ألحقها في هامش (ز) نسخة مصححة، ثم قام بالشطب عليها.

(٦) ذو النون المصري ثوبان بن إبراهيم الزاهد، شيخ الديار المصرية، أبو الفيض، ولد في أواخر أيام المنصور، كان عالمًا فصيحًا حكيمًا، سئل عن التوبة، فقال: توبة العوام من الذنوب، وتوبة الخواص من الغفلة. وقال: ثلاثة موجودة، وثلاثة مفقودة: العلم موجود، والعمل به مفقود؛ والعمل موجود، والإخلاص فيه مفقود؛ والحب موجود، والصدق فيه مفقود، توفي سنة خمس وأربعين ومئتين. وقد ترجمت له في كتابي «صور من حياة الأولياء» أسأل الله أن يتم بخير وعافية. ينظر: «سير أعلام النبلاء» (١١: ٥٣٢)، و«طبقات الأولياء» (ص٢١٨).

(٧) روى أبو نعيم في «الحلية» عن بهز بن حكيمٍ، قال: صلّى بنا زُرارةُ بنُ أوفى في مسجد =

ساجدًا كخِرْقَةٍ مُلْقاةٍ وعليهِ عصافيرُ لا يشعرُ بها[١].

ويُثمرُ خُشوعُه ونحوُه نظرَه أبدًا حقارةَ نَفسِه وجلالَ اللهِ تعالى وعظمتَه، وفَهْمَ معاني أُمورِ دينهِ؛ فإذا سمعَ النّداءَ يَفهمه للقيامةِ فيَنهضُ لإجابتهِ، ويتفهَّمُ بسُترتهِ عوراتِ باطنهِ وفضائحَ سِرِّه ما لها عنهُ تعالى ساترٌ، فيزيدهُ نَدَمًا وخوفًا، وكَما أنّهُ لا يتوجَّهُ لِقبْلَتِهِ إلا بانصرافهِ عمّا سواها فقلْبُهُ لا يتوجَّهُ لربِّه تعالى إلّا بانصرافهِ عمّا سواهُ، واستعاذتُه لغوٌ ما لم يلْجَأ بقلبهِ، ويتفهَّمُ بالبسملةِ لُطفَهُ تعالى، وبالحمدِ نعمتَهُ تعالى، وبالرَّحمنِ الرَّحيمِ لُطْفَهُ، وبمالكِ يومِ الدِّينِ عَظمتَهُ، ويتفهَّمُ كُلَّ آيةٍ وذِكْرٍ بالذَّوقِ، وبرُكوعهِ خُضوعَهُ، وبسجودِهِ مزيدَ ذُلِّه؛ فإنَّهُ ردَّ فَرْعَهُ إلى أصْلِه بسجودِه على تُرابِ خُلِقَ منهُ، وَيَلْحَظُ بتشهُّدِهِ كأنّهُ يُسَلِّم على ربِّه، وبسلامهِ على النّبيِّ ﷺ التَّشفُّعَ به، وعلى نفْسِه لومَها، وعلى الصّالحينَ شفاعتَهُم فيه إليهِ ﷺ لِيَشْفَعَ له، وبالشَّهادَتَينِ تجديدَ إسلامهِ، وبالصَّلاة عليهِ ﷺ الدُّعاءَ له شُكرًا لمَسْعاهُ فِينا، وبدُعائهِ سلامةَ عملهِ أبدًا،

= بني قُشيرٍ فقرأ: ﴿فَإِذَا نُقِرَ فِي ٱلنَّاقُورِ﴾ [المدثر: ٨]؛ فخرّ ميّتًا فحُمل إلى داره. ينظر: «مختصر قيام الليل» في باب البُكاء عند قراءة القُرآن.

(١) روى عبد الله بن أحمد بن حنبل قال: حدثنا أبي، حدثنا حسين بن علي، عن محمد، رجل من أسلم من المبكرين إلى المسجد قال: كان الربيع بن خثيم إذا سجد فكأنه ثوب مطروح فتجيء العصافير فتقع عليه. «الزهد» (٢٠٠٥). ورواها أبو نعيم في «حلية الأولياء» (٢: ١١٤).

والربيع بن خثيم بن عائذ أبو يزيد الثوري، الإمام القدوة العابد، قال له ابن مسعود: يا أبا يزيد، لو رآك رسول الله ﷺ لأحبك، وما رأيتك إلا ذكرت المخبتين، قيل: ما تكلم بكلام منذ عشرين سنة إلا بكلمة تصعد، وعن بعضهم قال: صحبت الربيع عشرين عامًا ما سمعت منه كلمة تعاب، كان الربيع بن خثيم إذا قيل له: كيف أصبحتم؟ قال: ضعفاء مذنبين، نأكل أرزاقنا، وننتظر آجالنا، توفي سنة خمس وستين. ينظر ترجمته للفائدة في «سير أعلام النبلاء» (٤: ٢٦١).

ومتى رُدَّ ولم يبقَ شفيعٌ هَربَ إلى التوحيدِ فنَجا بتجديدِ إسلامهِ ـ وعلامةُ قبولِها إقبالُ قلبهِ عليهِ تعالى؛ فافهمْ[١] ـ وبالسَّلامِ الخروجَ بأدَبٍ. فبهذهِ الشُّروطِ تلْمَحُ عَظَمةَ المعبودِ تعالى، وما يَعْقِلُها إلّا العالمونَ.

وكُلُّ رَكْعَةٍ كجُمْعةٍ: ساعتُها ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾، ودَعْوتُها ﴿ ٱهْدِنَا﴾، وإجابتُها بعدَ تأمينِ الجَمْعِ والملائكةِ: «هَؤُلاءِ لِعَبْدِي وَلِعَبْدِي ما سَأَلَ»[٢]، ومعنى ليلةِ القدرِ سُجُودُكَ: «فَسَلْ ما شِئْتَ»[٣]، ويومَ عرفةَ حمْدُكَ في رَفْعِكَ مِن ركوعكَ آخرًا؛ ولهذا ناسبَ[٤] قُنوتَكَ فافهَمْ[٥].

وأمّا الجُمُعَةُ فآدابُها تَنْظِيفُ بدَنهِ وثيابهِ مِن يومِ الخميسِ وغُسلُه في يومِها؛ فلو عجزَ تيمَّمَ ولو بغُبارِ مسجدٍ لا مُتَّصلٍ بهِ ما لمْ يَضْطَّر، وتزيُّنه لها بأخْذِ ظُفرٍ ونحوِه، وثيابٍ بيضٍ بلا عُجْبٍ ورياءٍ، ثوبٌ رثٌّ يسلمُ به منهما أفخرُ، ويروحُ ماشيًا بوقارٍ ونحوهِ[٦]، وَينْوِي زيارةَ اللهِ تعالى في بيتهِ واعتكافَهُ به، ولا يتخطَّى، ولا يُفرِّقُ بينَ اثنينِ، ولو رأى فُرْجَةً صارَ إليها برفْقٍ ما لم يَعْبُر ثلاثةَ صفوفٍ؛ نَعَمْ إن اضطَّرَ، وإلا فيَحرُم.

وصحَّ النّهيُ عَن تَخصيصِ لَيلَتِها بصلاةٍ[٧]، وتخصِيصُ غيرِها بِدْعةٌ،

---

(١) من قوله: (ومتى ردّ ولم يبق...) إلى (قلبه عليه تعالى؛ فافهم) مثبت من (هـ، و).

(٢) تقدم تخريجه قريبًا.

(٣) تقدم تخريجه قريبًا.

(٤) في (أ): أحزانًا سنة. وهي تصحيف.

(٥) من قوله: (وكُلُّ ركعةٍ كجُمعةٍ...) إلى هنا غير مثبت في (ب، ج).
وفي هامش (ز): بلغ مقابلة.

(٦) ما بين النحوين سقط من (د)، ولعله سبق نظر الناسخ.

(٧) روى مسلم في «صحيحه» (١١٤٤) عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: =

وأحاديثُ صلاةِ الرَّغائبِ والأُسبُوعِ مَوضُوعةٌ، ولا يكادُ يَثبتُ في صلاةِ الزّوالِ شيءٌ لا سيَّما تطويلُها؛ فإنَّهُ يقدحُ في أوّلِ الوقْتِ.

وصحَّحَ الحافظُ الدِّمياطيُّ حديثَ بئرِ زمزم، وروى سُويدُ بنُ سعيدٍ، عن عبدِ الله بن المباركِ، عن ابن أبي المَوالي، عن محمَّدِ بن المُنكدرِ، عن جابرٍ، عن رسولِ الله ﷺ: «ماءُ زَمْزَمَ لِما شُرِبَ لَهُ»[١]، سويدٌ روى لهُ مُسلمٌ في «صحيحه»، وابنُ أبي الموالي روى له البُخاريُّ؛ فصحَّ الحديثُ.

وحديثُ الباذنجانِ وضعتْهُ الزَّنادقةُ؛ ليطعنَ في نُبوَّةِ نبيِّنا ﷺ، وذلكَ لكثرةِ مَضارِّه، وحِكمةُ مُلوحةِ ماءِ زمزمَ لئلا يتضلَّعَ منهُ المنافقُ[٢].

= «لا تختصُّوا ليلة الجُمُعة بقيامٍ من بين اللّيالي، ولا تخُصُّوا يوم الجُمُعة بصيامٍ من بين الأيّام، إلّا أن يكُون في صومٍ يصُومُهُ أحدُكُم».

(١) بهذا السند رواه الخطيب البغدادي في «تاريخ بغداد» (١١: ٤٠٠). والبيهقي في «شعب الإيمان» (٦: ٣٠). وقال البيهقي: قال البيهقي: غريب تفرد به سويد.
قال الحافظ ابن حجر: وهو ضعيف جدًّا، وإن كان مسلم قد أخرج له فإنما أخرج في المتابعات، وأيضًا فكان أخذه عنه قبل أن يعمى ويفسد حديثه، وكذلك أمر أحمد بن حنبل ابنه بالأخذ عنه، كان قبل عماه، ولما أن عمي صار يلقن فيتلقن، حتى قال يحيى بن معين: لو كان لي فرس ورمح لغزوت سويدًا. من شدة ما كان يذكر له عنه من المناكير.
قلت: وقد خلط في هذا الإسناد، وأخطأ فيه على ابن المبارك، وإنما رواه ابن المبارك عن ابن المؤمل، عن أبي الزبير كذلك. رويناه في «فوائد أبي بكر بن المقري» من طريق صحيحة، فجعله سويد عن ابن أبي الموالي، عن ابن المنكدر، واغتر الحافظ شرف الدين الدّمياطي بظاهر هذا الإسناد؛ فحكم بأنه على رسم الصحيح؛ لأن ابن أبي الموالي انفرد به البخاري، وسويدًا انفرد به مسلم، وغفل عن أنّ مسلمًا إنما أخرج لسويد ما توبع عليه لا ما انفرد به، فضلًا عما خولف فيه. وينظر طرق الحديث كلها في «تلخيص الحبير» (٤: ١٦٤٢).

(٢) من قوله: (وصحّح الحافظُ الدّمياطيُّ...) إلى هنا مثبت من (هـ، و، ز)، وهذه الزيادة ستأتي مثبتة في النسخ الأخرى في كتاب أسرار الحج.

وصلاةُ التَّسبيحِ مُستحبّةٌ ذكرَها أئمّةٌ حتّى النوويُّ في «تَهذيبه»[١]، والبُلقينيُّ في «تدْريبِه»[٢] رحمَهُم اللهُ تعالى، وجَمعَ الخَطِيبُ فيها مُؤلّفًا، وكذا الآجُرّيُّ

---

(١) تهذيب الأسماء واللغات (٣: ١٤٤)، ولقد قال رحمه الله: وأما صلاة التسبيح المعروفة: فسميت بذلك لكثرة التسبيح فيها على خلاف العادة في غيرها. وقد جاء فيها حديث حسن في كتاب الترمذي وغيره، وذكرها المحاملي وصاحب «التتمة» وغيرهما من أصحابنا، وهي سنة حسنة، وقد أوضحتها أكمل إيضاح، وسأزيدها إيضاحًا في «شرح المهذب» مبسوطة إن شاء الله تعالى. وقال في «الأذكار» (ص٣٢١): وقد نصّ جماعةٌ من أئمة أصحابنا على استحباب صلاة التسبيح هذه، منهم أبو محمد البغوي [في «شرح السنّة» ٤: ١٥٨] وأبو المحاسن الروياني. قال الروياني في كتابه «البحر» في آخر كتاب الجنائز منه: اعلم أن صلاة التسبيح مُرغّب فيها، يُستحبّ أن يعتادها في كل حين، ولا يتغافل عنها، قال: هكذا قال عبد الله بن المبارك وجماعة من العلماء. قال: وقيل لعبد الله ابن المبارك: إن سها في صلاة التسبيح أيسبحُ في سجدتي السهو عشرًا عشرًا؟ قال: لا، وإنما هي ثلاث مئة تسبيحة؛ وإنما ذكرتُ هذا الكلام في سجود السهو، وإن كان قد تقدم لفائدة لطيفة، وهي أن مثل هذا الإمام إذا حكى هذا، ولم ينكرهُ أشعر بذلك بأنه يوافقه، فيكثر القائل بهذا الحكم، وهذا الروياني من فضلاء أصحابنا المطّلعين؛ والله أعلم.

(٢) التدريب (١: ٢٦٨-٢٦٩)، قال رحمه الله: باب صلاة التسبيح؛ عن ابن عباسٍ رضي الله عنهما أنّ النبيّ ﷺ قال للعباس: «يا عباسُ، يا عمّاهُ، ألا أُعطيك، ألا أمنحُك، ألا أحبُوك، ألا أفعلُ لك عشر خصالٍ، إذا أنت فعلت ذلك غفر اللهُ لك ذنبك أولهُ وآخرهُ قديمهُ وجديدهُ خطأهُ وعمدهُ صغيرهُ وكبيرهُ، سرّهُ وعلانيتهُ: أن تُصلّي أربع ركعاتٍ تقرأُ في كُلّ ركعةٍ فاتحة الكتاب وسُورةً، فإذا فرغت من القراءة في أول ركعةٍ وأنت قائمٌ، قُلت: سُبحان الله، والحمدُ لله، ولا إله إلّا اللهُ، واللهُ أكبرُ خمس عشرة مرةً، ثُمّ تركعُ فتقُولُها وأنت راكع عشرًا، ثُمّ ترفعُ رأسك من الرُّكوع فتقُولُها عشرًا، ثُمّ تهوي ساجدًا فتقولُها وأنت ساجد عشرًا، ثُمّ ترفعُ رأسك من السُّجود فتقُولُها عشرًا، ثُمّ تسجُدُ فتقُولُها عشرًا، ثُمّ ترفعُ رأسك، فتقولُها وأنت جالسٌ عشرًا. فذلك خمسٌ وسبعون في كُلّ ركعةٍ تفعلُ ذلك، في أربعِ ركعاتٍ، إن استطعت أن تُصلّيها في كُلّ يومٍ مرةً فافعل، فإن لم تفعل ففي كُلّ جُمُعةٍ مرةً، فإن لم تفعل ففي كُلّ شهرٍ مرةً، فإن لم تفعل ففي كُلّ سنةٍ مرةً، فإن لم تفعل ففي =

والحافظُ السَّمْعانيُّ والحافظُ المدينيُّ وصحَّحُوا حديثَها[١]، وأبو داودَ والحاكمُ وابنُ خُزيمةَ وابنُ حِبّانَ وغيرُهم[٢]؛ قال ابنُ الصَّلاحِ: حديثُها مُعتَمَدٌ[٣]،

= عُمُرك مرّةً». رواه أبو داود وابنُ ماجه بإسنادٍ صحيحٍ، وابنُ خزيمة في «صحيحه». ورواه الطبرانيُّ في «المعجم» [الكبير (١: ٣٢٩)]، وفي آخره: «فلو كانت ذُنوبُك مثل زبد البحر أو رمل عالجٍ غفر اللهُ لك».
وجاءت فيها أحاديثُ يعضُدُ بعضُها بعضًا، فهي سُنّةٌ يُندبُ العملُ بها، واللهُ سبحانه وتعالى أعلمُ.

(١) ولقد اعتنى جماعة من العلماء بالتصنيف في حديث صلاة التسبيح، وذلك مما يدل على اعتناء العلماء به قديمًا وحديثًا، منهم الحافظ الدارقطني المتوفى سنة ٣٨٥هـ ألف فيه جزءًا، والحافظ الخطيب البغدادي المتوفى سنة ٤٦٣هـ والحافظ عبد الكريم السمعاني المتوفى سنة ٥٦٢هـ، والحافظ أبو موسى الأصبهاني المتوفى سنة ٥٨١هـ، وسماه: «تصحيح صلاة التسبيح من الحجج الواضحة والكلام الفصيح»، والإمام تاج الدين السبكي المتوفى سنة ٧٧١هـ، والحافظ ابن ناصر الدين الدمشقي المتوفى سنة ٨٤٢هـ، وسماه: «الترجيح لحديث صلاة التسبيح». والحافظ ابن حجر العسقلاني المتوفى سنة ٨٥٢هـ، وسماه: «التصحيح في صلاة التسبيح». والحافظ جلال الدين السيوطي المتوفى سنة ٩١١هـ وسماه: «تصحيح حديث صلاة التسبيح». والعلامة شمس الدين محمد بن طولون المتوفى سنة ٩٥٣هـ، وسماه: «التوشيح لبيان صلاة التسبيح». والشيخ محمد بن عبد الرسول البرزنجي، المتوفى سنة ١١٠٣هـ، والشيخ أحمد الصديق الغماري المتوفى سنة ١٣٨٠هـ وسماه: «الترجيح لقول من صحح صلاة التسبيح»، والشيخ علوي بن أحمد السقاف المتوفى سنة ١٣٣٥هـ، وسماه: «القول الجامع النجيح في أحكام صلاة التسبيح». وغيرها مما ما وقفت عليه، مما يدل على فضلها واستحباب فعلها وتصحيح حديثها، والله أعلم.

(٢) سنن أبي داود (١٢٩٧)، المستدرك (١١٩٢)، صحيح ابن خزيمة (١٢١٦)، ولم أقف عليه عند ابن حبان، ولم يعزوه أحد من المتقدمين إليه. ولعله سهو من المؤلف رحمه الله، وهو عند الترمذي (٤٨٢)، وابن ماجه (١٣٨٦).

(٣) فتاوى ابن الصلاح (١: ٢٣٥)، وفيها: مسألة: إمام يُصلّي بالنّاس صلاة التّسبيح المروية عن رسُول الله ﷺ ليالي الجمع غيرها فهل يُثاب ويثابون على ذلك أم لا؟ هل هي من السّنة =

وسُئِلَ مسلمٌ عنهُ فحسَّنَهُ، وصحَّحهُ الدّارقُطنيُّ، وحافَظَ عليها سادةٌ كعبدِ اللهِ ابنِ المُباركِ؛ لخفَّتها وعِظَمِ أجرِها[١]؛ فلا عبرةَ بما قالهُ العُقَيليّ وغيرُه[٢].

= أم من البدعة؟ هل صحت عن رسُول الله ﷺ من طريق أم لا؟ هل من أنكر على مصليها مُصيب أم مُخطئ وعلى تقدير تخصيصها بليلة الجُمُعة هل هي صحيحة في نفسها أم لا؟ وعلى تقدير صحّتها فهل يُثاب ويثابون عليها؟
أجاب رضي الله عنهُ: نعم يُثاب ويثابون إذا أخلصُوا هي سنة غير بدعة هي مروية عن رسُول الله ﷺ، وحديثها حديث حسن مُعتمد معمُول بمثله لا سيّما في العبادات والفضائل، قد أخرجه جماعة من أئمّة الحديث في كتبهم المُعتمدة؛ أبُو داوُد السجستاني، أبُو عيسى التّرمذيّ، أبُو عبد الله بن ماجه النّسائيّ، غيرهم أوردهُ الحاكم أبُو عبد الله الحافظ في صحيحه المُستدرك، له طرق يعضد بعضها بعضًا ذكرها صاحب «التّتمّة»، المُنكر لها غير مُصيبٍ لا يختص بليلة الجُمُعة كما جاء في الحديث، والله أعلم.

(١) محافظة ابن المبارك عليها ذكرها الترمذي (٢: ٣٤٧). وقال الإمام البيهقي في «الشعب» (٢: ١٢٣): وكان عبد الله بن المبارك يفعلها، وتداولها الصالحون بعضهم من بعض، وفيه تقوية للحديث المرفوع، وبالله التوفيق.
وعبد الله بن المبارك بن واضح الحنظلي شيخ الإسلام، عالم زمانه، وأمير الأتقياء في وقته، وأمير المؤمنين في الحديث، أبو عبد الرحمن الحنظلي مولاهم التركي ثم المروزي، الغازي، صنف التصانيف النافعة الكثيرة. اجتمع جماعة فقالوا: تعالوا نعد خصال ابن المبارك من أبواب الخير، فقالوا: العلم، والفقه، والأدب، والنحو، واللغة، والزهد، والفصاحة، والشعر، وقيام الليل، والعبادة، والحج، والغزو، والشجاعة، والفروسية، والقوة، وترك الكلام فيما لا يعنيه، والإنصاف، وقلة الخلاف على أصحابه. وقال رحمه الله: ليكن مجلسك مع المساكين، وإياك أن تجلس مع صاحب بدعة. لما احتضر ابن المبارك جعل رجل يلقنه، قل: لا إله إلا الله. فأكثر عليه، فقال له: لست تحسن، وأخاف أن تؤذي مسلمًا بعدي، إذا لقنتني، فقلت: لا إله إلا الله، ثم لم أحدث كلامًا بعدها فدعني، فإذا أحدثت كلامًا، فلقني حتى تكون آخر كلامي. توفي سنة إحدى وثمانين ومئة. سير أعلام النبلاء (٨: ٣٧٨-٤٢٠).

(٢) في (ب، ج): وصلاة التسبيح مستحبة لا سيّما وقد صححه الحاكم وابن خزيمة وابن ماجه، لكنه قال بعد ذكرها: ففي القلب من هذا التصحيح شيء، هذا أو ومعناه، نعم وصححه الآجري في كتاب «النصيحة» له. =

قُلْتُ: وقد أسْرَفَ مَنْ عدَّهُ مِن الموضُوعاتِ(١).

وهي أربعُ ركعاتٍ، يقولُ بعدَ الفاتحةِ والسُّورةِ في كلِّ ركعةٍ خمسَ عشرةَ مرَّةً: سُبحانَ اللهِ، والحمدُ للهِ، ولا إلهَ إلا اللهُ، واللهُ أكبرُ، ورُوِيَ قبلها وهيَ ضعيفةٌ جدًّا، ثُمَّ يركعُ فيقولها عشرًا، ثُمَّ يرفعُ فيقولها عشرًا، وفي كلِّ سجدةٍ وجلسةٍ بينهُما عشرًا، وقبلَ قيامِهِ عشرًا. فتلكَ خمسٌ وسبعونَ في كلِّ ركعةٍ(٢).

= وفي (ز) لم يذكر ابن ماجه فيها، ثم شطب على العبارة كلها، وأثبت في الهامش ما أثبتناه مع التصحيح، والحمدُ لله على ما أولاه.

وبعد مراجعة ابن خزيمة تبين أن قوله: «لكنه قال» ليس من قول ابن ماجه بل من قول ابن خزيمة؛ فإنه قال: باب صلاة التسبيح إن صحّ الخبرُ؛ فإن في القلب من هذا الإسناد شيئًا.

في (أ، ب، د): (قاله العدل)، وهي تصحيف، والصواب ما أثبت، فإنه قال: ليس في صلاة التسبيح حديث يثبتُ. كما نقل عنه ابن الجوزي في «الموضوعات» (٢: ١٤٦).

(١) قال الحافظ ابن حجر في كتاب «الخصال المكفرة» (ص٤٣): قد أساء ابن الجوزي بذكره إياه في «الموضوعات».

وقال في «أماليه»: وردت صلاةُ التسبيح من حديث عبد الله بن عباس، وأخيه الفضل، وأبيهما العباس، وعبد الله بن عمرو، وأبي رافع، وعلي بن أبي طالب، وأخيه جعفر، وابنه عبد الله بن جعفر، وأم سلمة، والأنصاري غير مسمى. وقد صححه ابن خزيمة، والحاكم، وابن منده وألف فيه كتابًا، والآجري، والخطيب، وأبو سعيد السمعاني، وأبو موسى المديني، والديلمي، وأبو الحسن ابن المفضل، وابن الصلاح، والمنذري، والنووي في «تهذيب الأسماء واللغات» والسبكي، وآخرون.

وقال الزركشي في «تخريج أحاديث الرافعي»: غلط ابن الجوزي بلا شك في إخراج حديث صلاة التسبيح في «الموضوعات»، وهو صحيح وليس بضعيف، فضلًا عن أن يكون موضوعًا، وابن الجوزي يتساهل في الحكم بالوضع. وصححه أيضًا الحافظ صلاح الدين العلائي، والشيخ سراج الدين البلقيني في «التدريب».

(٢) من قوله: وهي ...إلى هنا من (هـ) فقط.

ولو مدَّ قِراءةً تُخْرِجُهُ عَن الوقتِ ولو بندرٍ[١] فبعْدَ ركعةٍ لتقعَ أداءً؛ إذ يحرُم فضلٌ ضرَّ واجبًا، وإلا فالراجحُ كتركِ زائدِ افتتاحٍ لإنصاتِ قراءةِ إمامِهِ؛ إذ قيلَ بوجوبِهِ، وتركِ مَسجدِ الجوارِ ولو الكعبةَ للجماعةِ؛ إذ قيلَ بوجوبها، وفضلِ أدنى جمعٍ كإمامٍ ومُؤتمٍّ بمسجدِ جِوارٍ جَمْعًا بين فَضْلَي الفِعْلِ والبُقعةِ، وبمنفردٍ بلا عُذرٍ لتعدِّي إسقاطِ حَرَجِ الجماعةِ عنهُ، ومَن تأخَّر وهو يرى الإمامَ على مَن تقدَّم ولم يرهُ وما لم يُرَجِّح بعد تمام البَحْثِ آثرَ ما ثقُلَ والوليُّ ما خفَّ؛ لأنّه يَستخفُّ الأرجحَ ويستثقلهُ غيرُه، فإن استويا فَزِعَ إلى ربّه سُبحانهُ وتعالى في أرضاهُما لهُ، ثُمَّ يَشرعُ بلا توقُّفٍ حفظًا لوقتهِ، ومتى سَلِمَ المفْضُولُ فقط مِن الشَّوائبِ رَجَحَ، وما لم يكن ذا مُراقبةٍ قعدَ بِقُرْبِ مَدْخَلهم لردِّ سلامِهم وإسقاطِ فرضهِ عَن إخوانهِ.

ولا يمرُّ بين يدَيْ مُصلٍّ؛ فإنّه يحرُم لا إنْ نَسِيَ أو جَهلَ أو اضطرَّ، أو قَصّرَ المصلِّي بمَوقفه؛ إذ في عُمومهِ حرجٌ، ولا يَشرعُ في نفلٍ مع بُروزِ الإمامِ، ويُجيبُ المؤذِّنَ، وإنصاتُه للخُطبةِ أهمُّ؛ إذ قيلَ بوجوبِهِ، ويُصلِّي بعدها السُّنَّةَ؛ نَعمْ وقبلَها؛ لقولهِ ﷺ للدّاخلِ ـ وهوَ سُلَيكٌ الغَطَفانيُّ[٢] ـ: «أصَلَّيتَ في بَيتِكَ» رواهُ ابنُ ماجه برجالِ الصَّحيحينِ[٣]، وتكرَّرَ فضلُ النّوافلِ في البيوتِ مِنْ قولِه وفعلِه ﷺ فأغنَى.

وصحّ النَّفيُ ـ يعني: أنّه لم يُرَ أنّهُ صلّاها ـ[٤]، وعنهُ أجوبةٌ؛ منها: المُثْبَتُ ـ

(١) قوله: (ولو بندرٍ) مثبتة من (هـ، ز).

(٢) ما بين معترضتين مثبت من (هـ، و).

(٣) سنن ابن ماجه (١١١١) عن جابرٍ رضي الله عنه، قالا: جاء سُليكٌ الغطفانيُّ ورسول الله ﷺ يخطُبُ، فقال لهُ النّبيُّ ﷺ: «أصلّيت ركعتين قبل أن تجيء؟» قال: لا. قال: «فصلّ ركعتين وتجوّز فيهما».

(٤) ما بين معترضتين مثبت من (هـ، ز) فقط.

المرادُ به «أصَلَّيتَ في بَيتِكَ» ـ مُقَدَّمٌ على النافي، وقررّنا ما يَشْفِي في غيرِ هذا الكتابِ لظنِّ بعضِهِم أنّها بِدْعَةٌ، وإنّما أُمِرَ بإيثارِها على إنصاتٍ قيلَ بوجوبهِ للتّشريعِ.

ثُمَّ يُقِيمُ إلى الغُروبِ لمُراقبةِ السّاعةِ بلا فَتْرَةٍ، ويُكثِرُ صلاةً عليهِ ﷺ، ويقرأُ الكهفَ ويتصدّقُ، ويجعلُ يومَ الجُمعةِ لآخرتِهِ؛ فإنَّهُ بعَشرةِ أيام[١]؛ لحديثٍ فيهِ وهُو: «الجُمُعَةُ إلى الجُمُعَةِ كَفّارةٌ لِما بَينَهُما، وَفَضْلُ ثَلاثَةِ أَيّامٍ»[٢]، وهو في الأيامِ كرمضانَ في الأشهرِ؛ لمزيدِ فضلِ كُلِّ عبادةٍ فيه على غيرِها بذِكْرٍ وتلاوةٍ ودُعاءٍ وصلاةٍ وصدقةٍ عنهُ قبل صلاتِه وبعدَها إلى صَبيحةِ السَّبْتِ وعَن موتاهُ؛ لِقُرْبِ الأرْواحِ مِن قُبورها خاصّةً، وفيهِ خاصَّةً تلتقي الأحياءُ وأرواحُ موتاهُم، وفيهِ القيامةُ يجتمعُ فيهِ كُلُّ الخلائقِ وأعمالُهم وأجورُهم وحسابُهم، وأهلُ السَّماءِ والأرضِ والطيرُ والوحشُ والشَّمسُ والقمرُ، ولم يجتمعوا قبلَهُ، وتلاقي الخلقِ فيه أكثرُ كلَّ جمعةٍ، وهو كليلةِ القَدْرِ ويوم عرفةَ، وفيهِ يلقَونَ ربهم، وفيه يتجلَّى في الجنةِ، وأقربُهم منهُ تعالى وأسبقُهُم لزيارةِ ربِّه سبحانَه أسبقُهُم إلى الجُمُعةِ وأقربُهم من الإمامِ؛ كما رواهُ الطَّبرانيُّ[٣].

---

(١) من هنا إلى قوله: (فصل) من (أ، هـ) فقط.

(٢) روى أحمد في «المسند» (١١٧٦٨) عن أبي سعيدٍ الخدريّ وأبي هُريرة قالا: قال رسولُ الله ﷺ: «من اغتسل يوم الجُمُعة، واستاك، ومسّ من طيبٍ إن كان عندهُ، ولبس من أحسن ثيابه، ثُمّ خرج حتّى يأتي المسجد، فلم يتخطّ رقاب النّاس، ثُمّ ركع ما شاء أن يركع، ثُمّ أنصت إذا خرج الإمامُ، فلم يتكلّم حتّى يفرُغ من صلاته، كانت كفّارةً لما بينها وبين الجُمُعة الّتي قبلها». وكان أبو هريرة يقولُ: «وثلاثةُ أيامٍ زيادةٌ، إنّ الله جعل الحسنة بعشر أمثالها».

(٣) روى الطبراني في «المعجم الكبير» (١٠: ٧٨) عن علقمة قال: رُحتُ مع عبد الله بن مسعُودٍ يوم الجُمُعة، ووجد ثلاثةً قد سبقُوهُ فقال: رابعُ أربعةٍ، وما رابعُ أربعةٍ من الله ببعيدٍ؛=

فصل
[في النوافل، والأذكار، والأوراد وأسرارها]

بضاعتُه فرائضُه، وربحُه نوافلُه، وأفضلُها الوِتْرُ؛ إذ قيلَ بوجوبهِ، ثُمَّ التهجُّدُ؛ لِما رواهُ مسلمٌ[١]، ثُمَّ الرّاتبةُ، وهي مَعروفةٌ في بيتهِ؛ لحديثِ: «فَضْلُ صَلاةِ النَّفْلِ فِيهِ[٢] عَلَى فِعْلِها في المَسْجِدِ كَفَضْلِ صَلاةِ الفَرِيضَةِ في المَسْجِدِ عَلَى فِعْلِها[٣] في البَيتِ». ذكرَ ابنُ الصَّلاحِ أنّهُ مُرسَلٌ[٤].

= إنّي سمعتُ رسُول الله يقُولُ: «إنّ النّاس يجلسُون من الله يوم القيامة على قدر رواحهم إلى الجُمُعات، الأوّلُ ثُمّ الثّالثُ ثُمّ الرّابعُ»، ثُمّ قال: رابعُ أربعةٍ، وما رابعُ أربعةٍ من الله ببعيدٍ. وفي غير (هـ، و) اختلاف في العبارة؛ وهي: يلتقي الأحياءُ وأرواحُ الموتى فيه، وفي القيامة يجتمعُ فيه كُلُّ الخلائق وأعمالهم في أُجُورهم وحسابهم، ويلقون ربّهم، وفيه يتجلّى لهم في الجنّة، وأقربُهم منهُ سُبحانهُ وتعالى وأسبقهم لزيارته أسبقُهم إلى الجمعة، وأقربهم من الإمام كما رواهُ الطبرانيُّ، يستبشرُ بالجُمعة أهلُ السماء والأرض والوحش، فيجتمعُ قبلهُ وبعدهُ، والخلقُ فيه أكثرُ، وهو كليلة القدر في الأيام.

(١) روى البخاري (١١٩٧)، ومسلم (٢٤٧٩) عن أم المؤمنين حفصة رضي الله عنها، أنّ رسول الله ﷺ قال: «نعم الرّجلُ عبدُ الله لو كان يُصلّي من اللّيل». قال سالم: فكان عبد الله بعد ذلك لا ينام من الليل إلا قليلًا.

(٢) أي: في البيت.

(٣) في (د): فضلها.

(٤) «شرحُ مشكل الوسيط» لأبي عمرو عثمان بن عبد الرحمن الشهرزوري ابن الصلاح (٢: ٢٣٠). وقال الحافظ العراقي في «تخريج أحاديث الإحياء» (١: ٥١١): رواه آدم بن أبي أياس في «كتاب الثواب» من حديث ضمرة بن حبيب مرسلًا، ورواه ابن أبي شيبة في «المصنف» فجعله عن ضمرة بن حبيب عن رجل من أصحاب النبي ﷺ موقوفًا، وفي «سنن أبي داود» بإسناد صحيح من حديث زيد بن ثابت: صلاةُ المرء في بيته أفضلُ من صلاته في مسجدي هذا إلا المكتوبة». انتهى.

قُلْتُ: ذكرَهُ[١] ابنُ الأثيرِ في «معرفة الصَّحابةِ» عن عبد العزيز بنِ ضَمرةَ بن حبيبٍ، عن أبيه عن جدِّه حبيبِ بنِ ضَمْرةَ[٢]، ورواهُ الطبرانيُّ وأسنَدَهُ مرفوعًا بنحوِ ما تقدَّمَ عن صُهيبِ بن النُّعمانِ عنهُ ﷺ[٣].

وتفضلُ نوافلُ في المسجدِ؛ منها: راتبةُ الجُمعةِ، ونوافلُ يومِها؛ لفضْلِ التّبكيرِ والتَّأخِيرِ لطلبِ السّاعَةِ. نصَّ على نحوِهِ في «الأُمِّ»[٤]، وذكرَه غيرُه.

ومنها: صلاةُ الضُّحى؛ لِروايةِ أبي داودَ عن أبي أُمامَةَ[٥] يرفَعُهُ: «مَنْ خَرَجَ مِنْ بَيتِهِ مُتَطَهِّرًا إلى صَلاةٍ مَكْتُوبَةٍ فَأَجْرُهُ كَأَجْرِ الحاجِّ والمُعْتَمِرِ المُحْرِمِ، ومَنْ خَرَجَ إلى تَسْبيحِ الضُّحَى لا يَنْصِبُهُ إلّا إيّاهُ فَأَجْرُهُ كَأَجْرِ المُعْتَمِرِ»[٦]، ورواهُ ابنُ حِبّانَ عن أبي هُريرةَ رضيَ اللهُ عنهُ قالَ: بعثَ رسولُ الله ﷺ بعثًا، فأَعْظَمُوا الغنيمةَ وأسْرعُوا الكَرّةَ، فقالَ: «ألا أُخْبِرُكُمْ بِأَسْرَعِ كَرَّةٍ وأَعْظَمِ غَنِيمَةٍ مِنْ هَذا البَعْثِ؟ رَجُلٌ تَوَضَّأَ في بَيتِهِ فَأَحْسَنَ وُضُوءَهُ ثُمَّ تَجَمَّلَ إلى المَسْجِدِ فَصَلَّى فِيهِ الغَداةَ ثُمَّ عَقَّبَ بِصَلاةِ الضُّحَى»[٧].

ومنها: صلاةُ الاستخارةِ، ويقرأ في الأولَى بعدَ الفاتحةِ قولَ اللهِ سُبحانَهُ

---

(١) ذكره؛ سقط من (د).

(٢) أسد الغابة (١: ٥٤٤).

(٣) المعجم الكبير (٨: ٤٦)، ولفظه: «فضلُ صلاة الرّجُل في بيته على صلاته، حيثُ يراهُ النّاسُ، كفضل المكتُوبة على النّافلة».

(٤) الأم (١: ٢٢٥).

(٥) في (د، هـ، و، ز): أبي أسامة، وهي تصحيف.

(٦) سنن أبي داود (٥٥٨). وتمامه: «وصلاةٌ على أثر صلاةٍ لا لغو بينهُما كتابٌ في علّيّين». وسقط من (و، ز) ما بين قوله: (المعتمر) إلى (المعتمر). ولعله سبق نظر.

(٧) صحيح ابن حبان (٢٥٣٥).

وتعالى: ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ ...﴾ الآيةَ إلى قولِه: ﴿وَلَهُ ٱلْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [القصص: ٦٨-٧٠] (١)، وفي الثانيةِ بعدَ الفاتحةِ قولَ الله سُبحانَه وتعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ ...﴾ إلى آخرِ الآيةِ [الأحزاب: ٣٦] (٢).

ونوافلُ المُعتكفِ والماكثِ في المسجدِ لتعلُّمٍ أو تعليمٍ(٣)، ولِمَنْ خافَ فوتَها، ولسفرٍ وقُدومٍ منه كما في «الصَّحيح»(٤)، وركعتا الطَّوافِ وفضلُها خلفَ المقامِ، وركعتا الإحرامِ، لو أمكنَ مسجدٌ هُناكَ وظنَّ أن نافلةَ البيتِ فَضْلُها للبُعْدِ عَن الرياء والمذكورُ في الحديثِ الصَّحيحِ خِلافُه: «اجْعَلُوا في بُيُوتِكُمْ مِنْ صَلاتِكُمْ وَلا تَتَّخِذُوها قُبُورًا»(٥)؛ فافْهَمْ.

وحيثُ فُضِّلَ النَّفْلُ في البيتِ عمَّ كُلَّ مسجدٍ حتى المسجدَ الحرامَ والمدينةَ، وهلِ المنذورةُ تفضلُ في المسجدِ أم البيتِ؟ وجهانِ ما لم يُعَيِّنْ لها مسجدًا في نَذْرِه(٦).

---

(١) والآيات: ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ * وَرَبُّكَ يَعْلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمْ وَمَا يُعْلِنُونَ * وَهُوَ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ لَهُ ٱلْحَمْدُ فِى ٱلْأُولَىٰ وَٱلْءَاخِرَةِ وَلَهُ ٱلْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾.

(٢) وتمام الآية: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًا مُّبِينًا﴾. وكيفية الصلاة غير مثبتة في (هـ، و، ز).

(٣) في غير (د): أو ليُعلّم.

(٤) روى البخاري (٣٠٨٨)، ومسلم (٧١٦) عن كعب رضي الله عنه: «أنّ النّبيّ ﷺ كان إذا قدم من سفرٍ، ضُحًى دخل المسجد، فصلّى ركعتين قبل أن يجلس».

(٥) صحيح البخاري (٤٣٢)، ومسلم (٧٧٧) من حديث ابن عمر رضي الله عنهما.

(٦) كفاية النبيه في شرح التنبيه (٣: ٣٥٣). فإنه قال: وهل الأفضل في الصلاة المنذورة فعلها في المسجد أو في البيت؟ فيه وجهان في «التتمة» في باب النذر. وفي «الحاوي الكبير»=

ويُستحبُّ إحياءُ كُلِّ ليلةٍ شريفَةٍ لا نَهْيَ فيها.

وركعتانِ لاستخارةٍ، وحاجةٍ، وزفافٍ، ونحو قِصاصٍ، وسفرٍ، وقُدومٍ، ودُخولِ مسجدٍ ومنْزِلٍ، وخروجٍ منه، وطُهرٍ، وتوبَةٍ، وبينَ المغرِب والعشاءِ، وكذا الظُّهرُ والعصرُ عِشرينَ ركعةً.

ولا تصحُّ بلا سبَبٍ بعدَ صلاةِ الصُّبْح وبعدَ الفجرِ فيما قوّاهُ النوويُّ رحمهُ الله وغَيرُه[١] لِحديثِ: «لا تُصَلُّوا بَعْدَ الفَجْرِ»[٢]، ويمتدُّ النَّهيُ إلى بُروزِ الشَّمسِ وعُلُوِّها كرُمحٍ، وعندَ قيامها[٣]، واصفِرارِها وغُروبها وبَعدَ صلاتِهِ العصرَ، وعندَ ظُهورِ الإمامِ لِخُطْبَةِ الجُمعَةِ إلى انقضاءِ صَلاتها؛ إذ مطلقُ الأمْرِ لا يتناولُ مكرُوهًا؛ فلا يصحُّ ما كُرِهَ قُربةً إلَّا بتركِهِ لا بفِعْلِهِ. صرّح بنحوِهِ الغزاليُّ في «المُسْتَصْفَى»[٤]، وتَبِعهُ ابنُ الصَّلاحِ ثُمَّ السُّبكيُّ[٥]؛ فيَقضِي مكتوبةً عَن التّحية بوقتِ نَهْيٍ تَقيهِ نهيَ الفِعْلِ وترْكَه، ويغتنمُ الأمرَ ومكتوبةً فربّما أدّاها بشائبةِ خلافٍ، ومَنْ يَسْلَم مِنْ ذلكَ فيَقضِي نَدْبًا.

وسِرُّ النَّهي عدمُ التشبُّهِ بعُبّادِ الشّمسِ ومُقارنةِ الشَّيطانِ؛ فإنها تُقارِنهُ بطُلوعِها وقيامِها وغُروبِها ويأمَنُ المَلَلَ؛ إذ النفسُ حَريصةٌ على ما مُنِعَ، فتُشغَلُ بذِكْرٍ ونحوِهِ، والمُقيَّدُ أنفعُ مِن قراءةٍ مُطلقةٍ؛ كأذكارِ حَضَرٍ وسَفَرٍ وأدعيةِ مُضَّطرٍ،

= (١٥: ٤٩٤): وتعيين المكان في الصلاة المنذورة غير لازم.

(١) ينظر «المجموع» (٤: ١٦٥). وفي (ز): النواوي. وكلاهما صواب.

(٢) رواه أبو داود (١٢٧٨) والترمذي (٤٢١) من حديث ابن عمر رضي الله عنهما.

(٣) من قوله: (ويمتد...) إلى هنا غير مثبتة في (أ).

(٤) ينظر «المستصفى» (١: ٦٤).

(٥) الإبهاج في شرح المنهاج (٢: ٦٨).

وكتَهليلٍ تعظيمًا، وتَسبيحٍ تَعجُّبًا وتنزيهًا، وتحميدٍ عِندَ نعمةٍ، وصلاةٍ عليه ﷺ كُلَّما ذُكرَ، ونحوَ: سُبحانَ اللهِ وبحمدِهِ؛ مئةَ مرَّةٍ فأكثرَ طرَفَي يومِه؛ لحَطِّ خطاياهُ ولم يأتِ أحدٌ بأفضل منهُ إلَّا مَنْ زادَ؛ كما صحَّ[1]؛ فلا تُهمل ألبتَّةَ.

ويفتقرُ الفقيهُ إلى الذِّكرِ لتنويرِ باطنِهِ؛ رُويَ: «أنَّهُ خَيرٌ مِنْ إنْفاقِنا وَقَتْلِنا في سَبيلِ اللهِ تَعالَى»[2]؛ نَعمْ لعُلُوِّ غايتهِ ومُكنةِ[3] دوامهِ، ويُثمرُ خروجًا مِن ظُلمةِ الوحشةِ إلى نورِ أُنسهِ وسلامتِه لخُنوسِ عَدُوِّهِ؛ قالَ تعالى: ﴿لِيُخْرِجَكُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ...﴾ الآيةَ [الأحزاب: ٤٣]، وقالَ تعالى: ﴿مِن شَرِّ ٱلْوَسْوَاسِ ٱلْخَنَّاسِ﴾ [الناس: ٤]، وقالَ تعالى: ﴿اذْكُرُوْنِي أَذْكُرْكُمْ﴾ [البقرة: ١٥٢][4]، وقالَ تعالى: ﴿وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ﴾ [العنكبوت: ٤٥].

وصحَّ: «لا يَقْعُدُ قَومٌ يَذْكُرُونَ اللهَ تَعالَى إلَّا حَفَّتْهُمُ المَلائِكَةُ، وَغَشِيَتْهُمُ الرَّحْمَةُ، وَنَزَلَتْ عَلَيهِمُ السَّكِينَةُ، وَذَكَرَهُمُ اللهُ فِيمَنْ عِنْدَهُ»[5].

---

(١) روى البخاري (٦٤٠٥)، ومسلم (٢٦٩٢) عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من قال حين يُصبحُ وحين يُمسي: سُبحان الله وبحمده، مئة مرّةٍ، لم يأت أحدٌ يوم القيامة بأفضل ممّا جاء به، إلّا أحدٌ قال مثل ما قال أو زاد عليه». واللفظ لمسلم.

(٢) روى الترمذي (٣٣٧٧)، وابن ماجه (٣٧٩٠) عن أبي الدرداء رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «ألا أُنبئُكم بخير أعمالكُم، وأزكاها عند مليككُم، وأرفعها في درجاتكُم، وخيرٍ لكُم من إنفاق الذّهب والورق، وخيرٍ لكُم من أن تلقوا عدُوّكُم، فتضربُوا أعناقهُم، ويضربُوا أعناقكُم؟ قالُوا: بلى. قال: ذكرُ الله تعالى».

ورواه الحاكمُ أبو عبد الله في كتابه «المستدرك على الصحيحين» (١: ٤٩٦) وقال: هذا حديث صحيح الإسناد.

(٣) في (د): ومكثة.

(٤) التلاوة: (فاذكرون) بالفاء والمثبت كما في النسخ، وهو وجه جائز نبّه عليه عبد السلام هارون في كتابه تحقيق النصوص ونشرها ص٥١.

(٥) رواه مسلم (٢٧٠٠) من حديث أبي هريرة وأبي سعيد الخدري رضي الله عنهما.

ويُكرهُ بفمٍّ مُتنجِّسٍ، وبُقعةٍ مُتنجِّسةٍ، وحالَ خُروجِ الريحِ، وفي حالةِ خروجِ البولِ والغائطِ أشدُّ كراهةً.

وفَضْلُ سِرِّه وجَهْرِه يختلفُ، وتأمَّلْ صلاةَ الجهرِ مع إسرارِ أذكارٍ فيها؛ كثالثةِ المغربِ وآخرِ العِشاءِ، وتَسبيحاتِ الكُلِّ كالتشهدِ ونحوِه في كُلٍّ؛ ليظهرَ لكَ فضلُ الجهرِ بحالٍ والسرِّ بحالٍ، وحِكمةُ تأخيرِ السِّرِّ عَنِ الجهرِ أوّلًا؛ لقُربِهِ[١] مِنَ الخلقِ، وفي أواخرِ الصلاةِ يكونُ أحضَرَ مع الحقِّ؛ فالسرُّ أولى لصفاءِ الودِّ، وجَهْرُ الصُّبحِ في كُلٍّ قرآتها لقُرْبنا مِنَ النَّومَ؛ فكان الجهْرُ أدفعَ بخلافِ المغربِ والعِشاءِ لبُعدنا عَنِ النوم[٢]. ومِن أدِلَّة الجهرِ: ﴿كَذِكْرِكُمْ ءَابَآءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا﴾ [البقرة: ٢٠٠]، و«مَنْ ذَكَرَنِي فِي مَلَإٍ...»الحديثَ[٣]، وأفتى النَّوويُّ[٤] رحمهُ اللهُ تعالى بتفضيلِهِ ما لم يَشُبْهُ حَظٌّ أو تشويشٌ[٥].

وفضلُ كلامهِ سُبحانَه وتعالى كفَضْلِه، وصحَّ: «خَيرُكُمْ مَنْ تَعَلَّمَ القُرْآنَ وَعَلَّمَهُ»[٦]، فيَعملُ بمُحكَمِه، ويُؤمِنُ بناسخِهِ ومنسوخِهِ ومُتشابهِهِ، وهو ما تفرّد

---

(١) في (ب): أولى لقربه. وفي غير (هـ): وحكمةُ تأخير السّرّ؛ لأنّ الجهر أولًا لقُربه.

(٢) من قوله: (وفضلُ سرّه) إلى هنا غير مثبتة في (ج).

(٣) رواه البخاري (٧٤٠٥)، ومسلم (٢٦٧٥) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٤) في (ز): النواوي. وكلاهما صواب، وقد وجد رحمه الله بخطه النواوي بالألف.

(٥) قال الإمام النووي رحمه الله: مسألة: في الحديث: «خير الذكر الخفي، وخير المال ما يكفي» هل هو ثابت، وما معناه؟ الجواب: ليس بثابتٍ، ومعناه: أن الذكر الخفي أبعدُ من الرياء والإعجاب، ونحوهما، وهذا محمول على من كان في موضع يخاف فيه الرياء والإعجاب أو نحوهما، فإن كان خاليًا في برية أو غيرها وأمن ذلك فالجهر أفضل. فتاوى النووي المسماة بـ«المسائل المنثورة» (ص٢٦٢).

(٦) رواه البخاري (٥٠٢٧) من حديث عثمان بن عفان رضي الله عنه.

تعالى بعِلْمِه وربما عُلِمَ منهُ مُعتبرًا بأمثالِه، ممُتثِلًا أوامرَهُ، مجتنبًا نواهيَهْ وتفسيرَه بغيرِ عِلْمٍ.

وأفضلُ قراءتِهِ قائمًا في تهجُّدِهِ، ثُمَّ صلاتِهِ فرضًا ونفلًا مِن خَتمةٍ إلى سُبعِها ونحوِها، مُرتِّلًا بتحزينٍ مُتدبِّرًا مُتفهِّمًا مِن كُلِّ آيةٍ ما يليقُ بها؛ كآيةِ النُّطفةِ مثلًا، ماءٌ ينقسمُ إلى عَظْمٍ ولحمٍ وعُروق وعَصبٍ وأعضاءٍ وأنواعِ عَجيبةٍ[١]، ويُردِّدُ آيةً لحاجةٍ[٢]، ولا يَفترُ لحظةً عَن رُؤيةِ المِنَّةِ لله تعالى، ويُردِّدُ ﴿بَلِ ٱللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ...﴾ الآيةَ [الحجرات: ١٧].

وأُمِرَ بالدُّعاءِ، وهوَ مُخُّ العِبادةِ[٣]؛ لمزيدِ حُضورٍ، فليسَ فِعْلُه كتَرْكِه: ﴿وَإِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ فَذُو دُعَآءٍ عَرِيضٍ﴾ [فصلت: ٥١]، ﴿مَا يَعْبَؤُاْ بِكُمْ رَبِّى لَوْلَا دُعَآؤُكُمْ﴾

---

(١) كقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّنَ ٱلْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِن مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِّنُبَيِّنَ لَكُمْ وَنُقِرُّ فِى ٱلْأَرْحَامِ مَا نَشَآءُ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوٓاْ أَشُدَّكُمْ وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰٓ أَرْذَلِ ٱلْعُمُرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِنۢ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْـًٔا﴾ [الحج: ٥].

(٢) روى ابن ماجه (١٣٥٠)، والحاكم (٨٨٢)، وابن خزيمة (٥٨٣) عن جسرة بنت دجاجة قالت: سمعتُ أبا ذرٍّ يقولُ: قام النبيُّ ﷺ بآيةٍ حتى أصبح يُردِّدُها، والآيةُ: ﴿إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [المائدة: ١١٨].

(٣) روى الترمذي (٣٣٧١) عن أنس بن مالكٍ، عن النبي ﷺ قال: «الدُّعاءُ مُخُّ العبادة». قال العلقمي: قال شيخنا: قال في «النهاية»: مُخُّ الشيء خالصُه، وإنما كان مخَّها لأمرين؛ أحدهما: أنه امتثال أمر الله تعالى حيث قال: ﴿ٱدْعُونِىٓ﴾ فهو مُخُّ العبادة وخالصها. والثاني: أنه إذا رأى نجاح الأمور من الله تعالى قطع أمله عمّن سواه ودعاه لحاجته وحده، وهذا هو أصل العبادة، ولأن الغرض من العبادة الثوابُ عليها وهو المطلوب بالدعاء. وقال الحكيم الترمذيُّ في «نوادر الأصول»: إنما صار مُخًّا لأنه تبرأ من الحول والقوة واعترف بأن الأشياء كُلّها له. «السراج المنير» (٣: ١٥٩).

[الفرقان: ٧٧]، ﴿فَلَوْلَآ إِذْ جَآءَهُم بَأْسُنَا تَضَرَّعُوا۟﴾ [الأنعام: ٤٣].

وتركَهُ بعضُهم وحُجَّتُه: ﴿فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَىٰهَا ...﴾ [البقرة: ١٤٤] الآيةَ.

سأَلَ بعضُهم فسَمِعَ هاتفًا يقولُ[١]:

وَيَزْعُمُ أَنّهُ مِنّا قَريبٌ وأنّا لا نُخَيِّبُ مَنْ أتانا
وَيَسْأَلُنا القَوِيْ عَجْزًا وَضَعْفًا كَأنّا لا نَراهُ وَلا يَرانا[٢]

والتعرُّضُ جامعٌ لرضى السّاكتِ وافتقارِ السّائلِ بلا شائبةٍ، وفيهِ مددُ إيثارِهِ تعالى فافهَمْ: ﴿وَقَالُوا۟ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ﴾ [آل عمران: ١٧٣]، وكـ: ﴿لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَٰنَكَ إِنِّى كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [الأنبياء: ٨٧]؛ يُنجِي بوَعْدِه تعالى؛ لأنّها توحيدٌ، ثُمَّ تنزيهٌ، ثُمَّ اعترافٌ. مفاتيحُ النجاةِ[٣] هيَ ثلاثُ كلماتٍ، وثلاثُ مفاتيحِ ظُلماتٍ[٤]، وثلاثُ هِباتٍ، وثلاثةُ[٥] عُلومٍ، وثلاثةُ أذكارٍ، تُكرَّرُ وترًا بآخِرِ سَجدةٍ سَحرًا لكُلِّ دَفْعٍ[٦].

---

(١) في (ز): (شعر) بدل (يقول).

(٢) رواه ابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٥: ١٤١)، وأوردها الكلاباذي في «التعرف» (ص١٥١). قال أبو سعيد السّكري: قال أحمد بن عيسى الخرّاز: كنت في البادية فنالني جوع شديد، فغلبتني نفسي أن أسأل الله عز وجل طعامًا. فقلت: ليس هذا من أفعال المتوكلين، فطالبتني أن أسأل الله صبرًا، فلما هممتُ بذلك سمعتُ هاتفًا يقول: فذكر البيتين ـ وهما من البحر الوافر ـ قال أبو سعيد: وأخذني الاستقلال من ساعتي وقمت ومشيت.

(٣) قوله: (مفاتيح النجاة) غير مثبتة في (أ)، ومكانها بياض.

(٤) قوله: (ثلاث مفاتيح ظلمات) غير مثبتة في (د).

(٥) في (أ، ب): وثلاث.

(٦) في هامش (ز): فائدة: الوتر في الأذكار لدفع ضرٍّ، والشفع لجلب نفع. ذكره مؤلفه، كذا وجد في نسخة قوبلت عليه نفع الله به.

ويُكرّرُ لتنجيزِ مرغوبٍ: يا حَيُّ يا قيُّوم؛ نَجِّزْ[١] لي رحمةً تُسعِدُنِي بها في الدّارينِ؛ فهي سِرُّ اللهِ تعالى بها نجَّزَ لمحمّدٍ ﷺ لمّا كرَّرها ساجدًا يومَ بدرٍ؛ كما صحَّ[٢]. وَقَعَ لِي لَيلًا[٣] وأنا في خَوفِ مَوتِي ناقِصًا أو سَلْبَ الكَمالِ بَعدَ نَيْلِه؛ فَأُلهِمْتُ: اللهُمَّ تَمِّمْ لي إحسانكَ في الدّارينِ، وهَبْ لِي ـ ربِّ ـ الكمالَ والسَّلامةَ في الدارينِ، واشفعْ لنا بنفسِكَ عندَ نَفْسِكَ؛ إذ لا أرحمَ بنا[٤] منكَ؛ فرأيتُ بعدَها لُطفًا.

ونحوُ هذا السؤال لا يَردُ على تفضيلِ التعريض؛ لإيثارِهِ تعالى بالثناءِ على المسألةِ كـ﴿ ٱهۡدِنَا﴾، ونُرجِّحهُ؛ لأنّه ربّما صادفَ المشيئةَ فنفذَ، ولو بغيرِ إخلاصٍ بخلافِ الثناءِ؛ إذ شرطُه الإخلاصُ، ومَنْ شَغَلهُ به تعالى كفاهُ، ودُعاءُ الكَرْبِ ونحوِه حُجّةٌ للتعريضِ[٥].

---

(١) في (ج): أنجز.

(٢) روى البيهقيُّ في «دلائل النبوة» (٣: ٤٩) عن عليّ بن أبي طالب رضي الله عنهُ قال: لمّا كان يومُ بدرٍ قاتلتُ شيئًا من قتالٍ، ثُمّ جئتُ مُسرعًا لأنظُر إلى رسول الله ﷺ: ما فعل؟ فجئتُ فإذا هو ساجدٌ يقولُ: يا حيُّ يا قيُّومُ، يا حيُّ يا قيُّومُ، لا يزيدُ عليها، فرجعتُ إلى القتال... الحديث.

وروى مسلمٌ (١٧٦٣) عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما، قال: حدثني عمر بن الخطاب، قال: لما كان يوم بدر نظر رسول الله ﷺ إلى المشركين وهم ألف، وأصحابه ثلاثُمئة وتسعة عشر رجلًا، فاستقبل نبي الله ﷺ القبلة، ثم مدّ يديه، فجعل يهتف بربه: «اللهُمّ، أنجز لي ما وعدتني، اللهُمّ آت ما وعدتني، اللهُمّ إن تُهلك هذه العصابة من أهل الإسلام لا تُعبد في الأرض. فما زال يهتفُ بربّه مادًّا يديه مُستقبل القبلة حتّى سقط رداؤُهُ عن منكبيه... الحديث.

(٣) في (ب، ج، ز): سحرًا.

(٤) في (ب): لنا.

(٥) في (أ، هـ، و): شعرًا.

إذا أَثْنى عَلَيكَ المَرْءُ يومًا كَفاهُ مِنْ تَعَرُّضِهِ الثَّناءُ[١]

أوصى ﷺ بعضَ مَنْ رآه في المنامِ: إذا طلبتَ خيرًا لنفْسِكَ فاطلبهُ لغيركَ.

ودعاؤهُ لأخيهِ مُجابٌ[٢]؛ لقول الملَكِ: «آمِينَ وَلَكَ بِمِثْلٍ...» الحديثَ؛ رواهُ مُسلمٌ[٣].

وصحَّ: «مَنْ كانَ في حاجَةِ أخِيهِ كانَ اللهُ في حاجَتِهِ»[٤].

طلبَ موسى عليهِ الصَّلاةُ والسَّلامُ لغيرِهِ حاجةً لعلَّهُم يصْطَلُونَ[٥]؛ أوصلهُ اللهُ تعالى بالوادي المقدَّس، وطلبَ الخَضِرُ عليهِ السَّلامُ لغيره حاجةً أوصلَهُ اللهُ تعالى بماء الحياةِ، وطلبَ الهُدْهُدُ لغيرهِ رأى الأرضَ كزُجاجةٍ وآثَرَ نفْسَهُ ببُرَّةٍ فهلكَ ولم يرَ الفَخَّ؛ فافهمْ وتأمَّل وجوهَ الشَّفاعاتِ وتخصيصَ أهلِها[٦].

شُروُطُه: إخلاصٌ، وسؤالٌ لائقٌ به يعلمُه بلا إثمٍ.

---

(١) روى الخرائطي في «فضيلة الشكر» (٩٧)، قال رجل لسفيان بن عيينة: يا أبا محمد، ما حديث تحدثونه؟ قال: ما هو؟ يا ابن أخي. قال: تقولون إن الله يقول: أيما عبد كانت له إليّ حاجةٌ فشغله شاغل عن مسألتي حاجته أعطيته فوق أمنيّته، فقال: وما تنكر من هذا؟ أما سمعت قول أمية بن أبي الصلت: [البحر الوافر]

إذا أثْنَى عَلَيهِ المَـرْءُ يَومًا كَفـاهُ مِـنْ تَعَرُّضِـهِ الثَّنـاءُ

وعند الخطابي في «شأن الدعاء» (ص٢٠٧) زيادة قال ثم قال سفيان: يا حسين، هذا مخلوق يكتفى بالثناء عليه دون مسألته فكيف بالخالق جل وعز؟

(٢) في هامش (ز): الدعاء وآدابه.

(٣) صحيح مسلم (٢٧٣٢).

(٤) رواه البخاري (٢٤٤٢)، ومسلم (٢٥٨٠) من حديث ابن عمر رضي الله عنهما.

(٥) قال تعالى: ﴿إِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِأَهْلِهِۦٓ إِنِّيٓ ءَانَسْتُ نَارًا سَـَٔاتِيكُم مِّنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ ءَاتِيكُم بِشِهَابٍ قَبَسٍ لَّعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ ۞ فَلَمَّا جَآءَهَا نُودِيَ أَنۢ بُورِكَ مَن فِى ٱلنَّارِ وَمَنْ حَوْلَهَا وَسُبْحَـٰنَ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ﴾ [النمل: ٧-٨].

(٦) في هامش (د): بلغ مقابلة والحمد لله.

وأركانُـه: التّوبـةُ، والـورعُ: «وَقَدْ غُـذِّيَ بِالحَـرامِ فَأَنّى يُسْـتَجابُ لِذَلِكَ»؟ الحديثَ؛ رواهُ مُسلمٌ[١].

وَآدابُـه[٢]: طهارةُ باطنِه وبَدنِه وثيابِهِ وبُقعتِه، وخُلوُّها، وطِيبُ رائحةٍ، وتقديمُ عملٍ صالحٍ وتصـدُّقٍ وَوُضُـوءٍ وصـلاةٍ وتوبـةٍ واعتـرافٍ، مُستقبِلًا جاثيًـا مُطْرِقًـا رأسَـهُ، وخُـلُوُّ معدَتِهِ، وجمعُ قلبِهِ، وتوجُّهُ هِمّتِه مع خُشوعٍ وقُوّةِ خُضوعٍ، وسؤالٌ بأسمائِهِ الحُسنَى وصِفاتِه العُلى، والتوسُّلُ بالنبيِّ ﷺ وبالمُقرَّبينَ، ويدعُو بما صحَّ عنهُ ﷺ وبالجوامعِ منهُ[٣]؛ بعَزمٍ وقُوّةِ رغبةٍ ورَهْبةٍ ورقَّةٍ ومخافةٍ نِداءً خفِيًّا، بلا تَغنٍّ بالأنغامِ، وأنْ يعُمَّ بهِ جميعَ المؤمنينَ، ويُلحَّ فيهِ ولا يُطيلَ، وأن لا يدعوَ بأمرٍ قد فُرِغَ منه[٤]، ولا بمُستَحِيلٍ ونحوِه، وأن لا يَتَحجَّر ولا يستعجلَ، وأنْ يؤمِّنَ ـ وثلاثًا أتمُّ لحديثٍ في ذلكَ[٥] ـ وأنْ يستَقبلَهُمْ إن كانَ إمامًا برجالٍ؛ لِما رواهُ البُخاريُّ رحمهُ اللهُ والطَّبرانِيُّ[٦]، لارتباطِ دُعائِهِ بتأمِينهِمْ؛ كالخُطبةِ والاستسقاءِ.

وَأَفْضَلُهُ: الاستقبالُ غالبًا لا دائمًا، وما رُوِيَ مِن غَيرِه فللجَوازِ حيثُ لا حرجَ، والترغيبُ في ميامِنِ الإمامِ؛ لِما رُوِيَ: «إنَّ اللهَ تَعالى وَمَلائِكَتَهُ يُصَلُّونَ

---

(١) صحيح مسلم (١٠١٥) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) في (أ): وكذا الذكر.

(٣) من قوله: (مع خشوعٍ ...) إلى هنا غير مثبت في (د).

(٤) من قوله: (وأن يعم...) إلى هنا غير مثبت في (أ). وقوله: (ولا يطيل) غير مثبت من (ز).

(٥) روى أبو داود (١٥٤) عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: أنّ رسول الله ﷺ كان يُعجبُه أن يدعُو ثلاثًا، ويستغفر ثلاثًا. وعند الطبراني في «الدعاء» (٥٣) قال عبدُ الله رضي الله عنهُ: كان أحبُّ الدُّعاء إلى الرّسُول ﷺ أن يدعُو بثلاثٍ.

(٦) صحيح البخاري (١٠١٤)، صحيح مسلم (٨٩٧)، والدعاء للطبراني (٩٥٨) من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه.

عَلَى مَيامِنِ الإمامِ»[١]، والإقبالُ على بعضٍ دونَ بعضٍ فيه تخصيصٌ في غير محلِّه؛ فالراجحُ ما سبقَ؛ نَعَمْ ويمسحُ وجهَهُ بكفيهِ؛ لما رواهُ أبو داودَ والترمذيُّ والبزّارُ وابنُ حِبّانَ وابنُ ماجه والحاكمُ في «المستدرك» بأسانيدَ جيِّدةٍ جدًّا[٢].

ووَقْتُهُ[٣]: كَسَحَرٍ ومطرٍ وعَرفةَ وليلتي القدرِ والجُمعةِ ويومِها، وطرَفَي النهارِ ووسَطِه، وساعةُ الجمعةِ أرجى، وأحقُّها بينَ الخُطبتين وقُبيلَ آمينَ، ثُمَّ السُّجود، وقُبيلَ آمينَ مِنْ كُلِّ مُصلٍّ في كلِّ وقتٍ سيَّما جماعةٍ ليعقُبَ دعوتَه تأمينُهم وتَأمينُ الملائكة، ويقولُ اللهُ: «هَؤلاءِ لِعَبْدِي وَلِعَبْدِي ما سَأَلَ»[٤] ـ فافهمْ ـ وعَقِبَ نداءٍ[٥] وصلاةٍ، وبينهُما سيّما لِمن أجابهُ، ثُمَّ سأَلَ الوسيلةَ، وعقِبَ حَيعَلَتيهِ لمكروبٍ ـ رواهُ الحاكمُ وابنُ السُّنيِّ[٦] ـ وعَقِبَ طُهْرٍ وتوبةٍ

---

(١) قوله: (والترغيب ...) إلى هنا من (أ، هـ، و). والحديث رواه أبو داود (٦٧٦)، وابن ماجه (١٠٠٥) من حديث عائشة رضي الله عنها.

(٢) سنن أبي داود (١٤٩٢)، سنن الترمذي (٣٣٨٦)، البحر الزخار (١٢٩)، المستدرك (١٩٦٧) عن عُمر بن الخطّاب رضي اللهُ عنهُ، قال: «كان رسول الله ﷺ إذا رفع يديه في الدُّعاء، لم يحُطّهُما حتّى يمسح بهما وجههُ». وابن ماجه (١١٨١)، وابن حبان في «المجروحين (١: ٣٦٨) عن ابن عبّاسٍ رضي اللهُ عنهما، قال: قال رسُولُ الله ﷺ: «إذا دعوت الله فادعُ بباطن كفّيك، ولا تدعُ بظُهُورهما، فإذا فرغت فامسح بهما وجهك». قال الإمام السخاوي في «الأجوبة المرضية» (٣: ١٠٧١): ومفرداتها وإن كانت ضعيفة فبمجموعها ثبتت السنية، والله الموفق.

وسقط لفظ (الترمذي) من (ز).

(٣) يعني: أوقات الإجابة.

(٤) تقدم تخريجه.

(٥) من هنا إلى قوله: (وحمد وثناء) غير مثبت في (ب، ج). ونداء: يعني: الأذان.

(٦) روى الحاكم في «المستدرك» (٢٠٠٤)، وابن السني في «عمل اليوم والليلة» (٩٨) عن أبي أمامة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ، قال: «إذا نادى المُنادي فُتحت أبوابُ السّماء، =

وطاعةٍ؛ كذِكْرٍ، ورمضانَ وطرَفي الليلِ ووسَطه، وتلاوةِ سيّما الختمُ ومِن القارئ[١]، وبينَ خُطبتَي الجُمعةِ وبينَ الحيعلتينِ، والتحام حرْبٍ وقُبيلَهُ في سبيلِ الله تعالى، وعندَ شُربِ ماء زمزم[٢] ـ وصحَّحهُ الدّمياطيّ وغيرُه[٣] ـ وعندَ الكعبةِ[٤]، وصياحِ الدِّيَكة، واجتماعِ على خيرٍ، وتغميضِ مَيْتٍ، وعندَ

= واستُجيب الدُّعاءُ. فمن نزل به كربٌ أو شدّةٌ فليتحيّن المُنادي، فإذا كبّر كبّروا، وإذا تشهّد تشهّدُوا، وإذا قال: حيّ على الصّلاة، قال: حيّ على الصّلاة، وإذا قال: حيّ على الفلاح، قال: حيّ على الفلاح، ثُمّ يقُولُ: اللهُمّ، ربّ هذه الدّعوة الصّادقة المُستجابة المُستجاب لها، دعوة الحقّ، وكلمة التّقوى، أحينا عليها وأمتنا عليها، وابعثنا عليها، واجعلنا من خيار أهلها أحياءً وأمواتًا، ثُمّ يسألُ الله حاجتهُ». وقال الحاكم: هذا حديثٌ صحيحُ الإسناد، ولم يُخرّجاهُ.

(١) روى ابن أبي شيبة في «المصنف» (٣٠٦٦٣) قال: كان مُجاهدٌ وعبدةُ بنُ أبي لُبابة وناسٌ يعرضُون المصاحف، فلمّا كان اليومُ الّذي أرادُوا أن يختمُوا أرسلُوا إليّ وإلى سلمة بن كُهيلٍ، فقالُوا: إنّا كُنّا نعرضُ المصاحف، فأردنا أن نختم اليوم، فأحببنا أن تشهدُونا. إنّهُ كان يُقالُ: إذا خُتم القُرآنُ نزلت الرّحمةُ عند خاتمته، أو حضرت الرّحمةُ عند خاتمته.
وروى الدارمي في «السنن» (٣٥٢٤) عن حُميدٍ الأعرج، قال: «من قرأ القُرآن ثُمّ دعا أمّن على دُعائه أربعةُ آلاف ملكٍ».

(٢) روى ابن ماجه (٣٠٦٢) عن جابر بنِ عبد الله رضي الله عنهُ قال: سمعتُ رسُول الله ﷺ يقولُ: «ماءُ زمزم، لما شُرب لهُ». وفي (هـ، ز): بعد شرب ماء زمزم.

(٣) قال الإمام السخاوي في «المقاصد الحسنة» (ص٥٦٨): قال شيخنا: إنه حسن مع كونه موقوفًا. وأفرد فيه جزءًا، واستشهد له في موضع آخر بحديث أبي ذر رفعه: «إنها طعام طعم وشفاء سقم»، وأصله في مسلم، وهذا اللفظ عند الطيالسي قال: ومرتبة هذا الحديث أنه باجتماع هذه الطرق يصلح للاحتجاج به، وقد جربه جماعة من الكبار، فذكروا أنه صح، بل صححه من المتقدمين ابن عيينة، ومن المتأخرين الدمياطي في جزء جمعه فيه، والمنذري، وضعفه النووي.

(٤) في (هـ، و): وكذا الكعبة.

احتضارِه، وإقامةِ صلاةٍ، ومع رؤيةِ الكعبةِ[١]، وبينَ جلالَتي سورةِ الأنعامِ[٢] ـ حُفِظَ وجُرِّبَ عَن غيرِ واحدٍ، ونصَّ عليهِ الحافظُ عبدُ الرَّزاق في «تفسيره»[٣] عَن العِمادِ المقدسيِّ[٤] ـ وبُقعةٍ شريفَةٍ سيَّما عِندَ قَبْرِ النبيِّ ﷺ.

ويُجابُ غالبًا مُضطرٌّ ما لم يدعُ بإثمٍ وما لم يَعجل، ومظلومٌ ولو كافرًا، ووالدٌ، وعادلٌ، وصالحٌ، وولدٌ بارٌّ لأبويهِ، ومسافرٌ في خيرٍ، وصائمٌ سيَّما عندَ فطرِه، ومُسلمٌ لمسلمٍ غائبٍ[٥]، واسمُ اللهِ الأعظمُ سيَّما «اللهُ لا إلهَ إلّا هوَ الحيُّ القيومُ»، وحمدٌ وثناءٌ وصلاةٌ على النبيِّ ﷺ في دعوتهِ بتأدُّبٍ ـ رواه مُسلمٌ موقوفًا

---

(١) في غير (هـ، و): حضوره.

(٢) في (هـ): وبين جلالتي الأنعام.

(٣) لم أقف عليه في القسم المطبوع من «تفسير عبد الرزاق الصنعاني».

وهي عند قوله تعالى: ﴿وَإِذَا جَآءَتْهُمْ ءَايَةٌ قَالُواْ لَن نُّؤْمِنَ حَتَّىٰ نُؤْتَىٰ مِثْلَ مَآ أُوتِىَ رُسُلُ ٱللَّهِ ٱللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُۥ سَيُصِيبُ ٱلَّذِينَ أَجْرَمُواْ صَغَارٌ عِندَ ٱللَّهِ وَعَذَابٌ شَدِيدٌۢ بِمَا كَانُواْ يَمْكُرُونَ﴾ [الأنعام: ١٢٤].

قال الشيخ سليمان الجمل رحمه الله في «الفتوحات الإلهية» (٢: ٤٣٣): قال بعضهم: يسن الوقف هنا ويستجاب الدعاء بين هاتين الجلالتين. ووجدتُ بخط بعض الفضلاء ما نصه: دعاءٌ عظيمٌ يدعى به بين الجلالتين بسورة الأنعام؛ وهو: «اللُّهمّ، من الذي دعاك فلم تجبه؟ ومن الذي استجارك فلم تجره؟ ومن الذي سألك فلم تعطه؟ ومن الذي استعان بك فلم تُعنه؟ ومن الذي توكل عليك فلم تكفه؟ يا غوثاه! يا غوثاه! يا غوثاه! بك أستغيثُ؛ أغثني يا مغيث، واهدني هداية من عندك، واقض حوائجنا، واشف مرضانا، واقض ديوننا، واغفر لنا ولآبائنا ولأمهاتنا بحق القرآن العظيم والرسول الكريم برحمتك يا أرحم الراحمين». ونقله أيضًا الشيخ أحمد الصاوي في «حاشيته على الجلالين» (١: ٤٨٧).

(٤) قوله: (عن العماد المقدسيّ عن غير واحدٍ) مثبتة من (و، ز). في (ز) تقدم قوله: (غير واحد) كما أثبتت.

(٥) في غير (هـ، و، ز): بغيب.

وأبو داودَ والبزارُ والحاكمُ[1] ـ ورفعُ يديهِ حَذْوَ مَنكِبيهِ ـ رواه البُخاريُّ وأحمدُ وأبو داودَ والحاكمُ[2] ـ وبسطُهما رواهُ ابنُ ماجه والحاكمُ[3]، ورفعُ بطنِ كفَّيهِ مكشوفتينِ لرغبةٍ، وظَهرِهما لرهبةٍ، وبقنوتٍ ولو بآيةٍ بقصدِ القُنوتِ في الصُّبحِ؛ لِما صحّ عَن أبي هُريرةَ رضي الله عنه يرفعهُ: «قَنَتَ ﷺ بَعْدَ الرُّكُوعِ في صَلاتِهِ شَهْرًا يَدْعُو لِفُلانٍ وَفُلانٍ ثُمّ تَرَكَهُ»، زادَ الدارقطنيُّ والحاكمُ والبيهقيُّ وصحَّحوهُ:

---

(١) سنن أبي داود (١٤٨١)، مسند البزار (٣٧٤٨)، المستدرك (٨٤٠) من حديث فضالة ابن عبيد الأنصاري رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ رأى رجلًا صلى لم يحمد الله، ولم يمجده، ولم يصل على النبي ﷺ وانصرف، فقال رسول الله ﷺ: «عجل هذا» فدعاه، فقال له ولغيره: «إذا صلّى أحدُكم فليبدأ بتحميد ربه والثّناء عليه، ثُمّ ليُصلّ على النّبيّ ﷺ، ثُمّ يدعُو بما شاء». قال الحاكم: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولا تعرف له علة، ولم يخرجاه، وله شاهد صحيح على شرطهما.

وروى عبد بن حميد في «المسند» كما في «المنتخب» (١١٣٠) من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما: أن رسول الله ﷺ قال: «لا تجعلُوني كقدح الرّاكب، إنّ الرّاكب إذا علّق معاليقهُ أخذ قدحهُ فملأهُ من الماء، فإن كان لهُ حاجةٌ في الوُضُوء توضّأ، وإن كان لهُ حاجةٌ في الشُّرب شرب، وإلّا أهراق ما فيه. اجعلُوني في أوّل الدُّعاء، وفي وسط الدُّعاء، وفي آخر الدُّعاء».

وروى البيهقي في «الشعب» (١٤٧٥) عن علي رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: الدعاء محجوب عن الله حتى يُصلّى على محمد، وعلى آل محمد. قال البيهقي: ورويناه من وجه آخر، عن مالك بن دينار، عن أنس بن مالك مرفوعًا.

(٢) صحيح البخاري (٦٣٤١)، مسند أحمد (٨٨٣٠)، سنن أبي داود (١١٧٠)، المستدرك (١٢٢٥) من عن أنس رضي الله عنه أن النبي ﷺ كان لا يرفع يديه في شيء من الدعاء إلا في الاستسقاء، فإنه كان يرفع يديه حتى يُرى بياضُ إبطيه.

(٣) سنن ابن ماجه (١١٨١)، المستدرك (١٩٦٨) من حديث عبد الله بن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا دعوت الله فادعُ بباطن كفّيك، ولا تدعُ بظُهُورهما، فإذا فرغت فامسح بهما وجهك».

«فِي صَلاتِهِ شَهْرًا يَدْعُو لِفُلانٍ وَفُلانٍ ثُمَّ تَرَكَ الدُّعاءَ لَهُمْ»[١]. أخرجاهُ[٢]. ولهُما عن أنسٍ: «قَنَتَ شَهْرًا يَدْعُو عَلَى أَحْياءٍ مِنَ العَرَبِ ثُمَّ تَرَكَهُ»[٣]. فأمّا في الصُّبحِ: «فَلَمْ يَزَلْ يَقْنُتُ حَتَّى فارَقَ الدُّنْيا ﷺ»[٤]، وكذا في الوِتر أبدًا؛كما في السُّننِ الأربعةِ وابنِ حِبّانَ والحاكمِ وابنِ أبي شيبةَ[٥]، أو لنازلةٍ فمُطلقًا. ومسحُ الوجهِ في القُنوتِ لا أصلَ لهُ[٦]. وله تكرُّرُ دعوةٍ لائقةٍ مَسجوعةٍ حَفِظَها؛ إذ لا تكلُّفَ.

---

(١) سنن الدارقطني (١٦٩٠)، السنن الكبرى (٢: ٢٨٥)، ولم أقف عليه عند الحاكم.

(٢) صحيح البخاري (٤٥٦٠)، صحيح مسلم (٦٧٥).

(٣) صحيح البخاري (٤٠٨٩)، صحيح مسلم (٦٧٧).

(٤) رواه أحمد في «المسند» (١٢٦٥٧).

(٥) سنن أبي داود (١٤٢٥)، سنن الترمذي (٤٦٤)، سنن النسائي (١٧٤٥)، سنن ابن ماجه (١١٧٨)، صحيح ابن حبان (٩٤٥)، المستدرك (٤٨٠٠)، مصنف ابن أبي شيبة (٣٠٣٢٣) من حديث الحسن بن علي رضي الله عنه.

(٦) قال الإمام النووي رحمه الله: أما مسح الوجه باليدين بعد الفراغ من الدعاء فإن قلنا: لا يرفع اليدين، لم يشرع المسح بلا خلاف، وإن قلنا: يرفع، فوجهان أشهرهما أنه يستحبُّ ـ وممن قطع به القاضي أبو الطيب والشيخ أبو محمد الجويني وابن الصبّاغ والمتولي والشيخ نصر في كتبه والغزالي وصاحب «البيان» ـ والثاني: لا يمسح، وهذا هو الصحيحُ؛ صحّحه البيهقيُّ والرافعيُّ وآخرون من المحققين، قال البيهقيُّ: لستُ أحفظُ في مسح الوجه هنا عن أحد من السلف شيئًا، وإن كان يروى عن بعضهم في الدعاء خارج الصلاة؛ فأما في الصلاة فهو عملٌ لم يثبت فيه خبرٌ ولا أثرٌ ولا قياسٌ؛ فالأولى أن لا يفعله، ويقتصر على ما نقله السلف عنهم من رفع اليدين دون مسحهما بالوجه في الصلاة. ثم روى بإسناده حديثًا من «سنن أبي داود» عن محمد بن كعب القرظي عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما: أن رسول الله ﷺ قال: «سلوا الله ببطون كفوفكم ولا تسألوه بظهورها، فإذا فرغتم فامسحوا بها وجوهكم». قال أبو داود: رُوي هذا الحديث من غير وجه عن محمد ابن كعب كلُّها واهيةٌ هذا متنها وهو ضعيف أيضًا، ثم روى البيهقي عن علي الباشاني قال: سألت عبد الله ـ يعني ابن المبارك ـ عن الذي إذا دعا مسح وجهه قال: لم أجد له ثبتًا.=

وأمّا تَوزِيعُ أوقاتِهِ بأورادِهِ فكُلفَةٌ تَفنَى بنعيمٍ يَبقَى، والغفلةُ تَمضِي وسمُومُها لا تنقَضِي؛ وفَقْدُ لذَّةِ العِبادَةِ مرضٌ كبُغضِ الخُبزِ وشهوةِ الطِّينِ؛ فـ:«أكْثِرُوا ذِكْـرَ اللهِ تَعالى حَتَّى يُقالَ[1]: مَجْنُونٌ»؛ رواهُ أحمدُ وابنُ حِبّان وأبو يَعْلَى المَوصلِيُّ وابنُ السُّنِّي[2].

وسُنَّ فصلٌ ما بينَ ركعتي الفجرِ وصلاةِ الصُّبحِ باضطجاعٍ أو بكلامٍ مع غيرِ لحُرمةِ جليسٍ أولى كما في البُخاريِّ[3].

فمِن طُلوعِ الفجرِ إلى طُلوعِ الشّمسِ كرُمحٍ وِرْدٌ تَرى بركتَه لوقتِه، وأجرُهُ

= قال علي: ولم أره يفعل ذلك. قال: وكان عبد الله يقنت بعد الركوع في الوتر، وكان يرفع يديه. هذا آخر كلام البيهقي في كتاب «السنن»، وله رسالة مشهورةٌ كتبها إلى الشيخ أبي محمد الجويني أنكر عليه فيها أشياء من جملتها مسحهُ وجهه بعد القنوت وبسط الكلام في ذلك. وأما حديث عمر رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم: «كان إذا رفع يديه في الدعاء لم يحطّهما حتى يمسح بهما وجهه» رواه الترمذيُّ، وقال: حديث غريب انفرد به حماد بن عيسى وحماد هذا ضعيف، وذكر الشيخ عبد الحق هذا الحديث في كتابه «الأحكام» وقال الترمذي: وهو حديث صحيح، وغلط في قوله: إن الترمذي قال: هو حديث صحيح، وإنما قال: غريب.
والحاصل لأصحابنا ثلاثة أوجه: الصحيح: يستحب رفع يديه دون مسح الوجه. والثاني: لا يستحبان. والثالث: يستحبان. وأما غير الوجه من الصدر وغيره فاتفق أصحابنا على أنه لا يستحب، بل قال ابن الصباغ وغيره: هو مكروهٌ، والله أعلم. «المجموع شرح المهذب» (٣: ٥٠٠).

(١) في غير (هـ، و): يقولوا. وجاءت لفظ بعض الروايات.

(٢) مسند أحمد (١١٦٧٤)، صحيح ابن حبان (٨١٧)، مسند أبي يعلى (١٣٧٦)، عمل اليوم والليلة (٤) من حديث أبي سعيد رضي الله عنه.

(٣) روى البخاري (١١٦٨) عن عائشة رضي اللهُ عنها: «أنّ النّبيّ ﷺ كان يُصلّي ركعتين، فإن كُنتُ مُستيقظةً حدّثني، وإلّا اضطجع». قُلتُ لسُفيان: فإنّ بعضهُم يرويه ركعتي الفجر، قال سُفيانُ: هُو ذاك.

كحَجّةٍ وعُمرةٍ تامّةٍ.. الحديثَ؛ كما رواهُ الترمذيُّ والنّسائيُّ والطبرانيُّ وابنُ السُّنّي بركعتينِ بعدَه[١].

وشَرْطُه: عَدمُ الفَتْرَةِ، فإذا انتبهَ قال ما صحَّ: الحمدُ للهِ الذي أحيانا بَعْدَما أماتَنا وإليهِ النُّشورُ[٢]، وقراءتُه في الفَجرِ مشهودةٌ بركعتينِ بعدَه؛ مِنْها: سورةُ يس، والواقعة، وتبارك، وقل هو الله أحد، والمعوِّذتينِ؛ ثلاثًا ثلاثًا، أبدًا بعدَ أصْبَحنا وأصبحَ الملكُ للهِ، والحَمْدُ للهِ، ولا إله إلا الله وحْدَهُ لا شريكَ لهُ، لهُ الملكُ ولهُ الحمدُ، وهو على كلِّ شيءٍ قديرٌ، ربِّ أسأَلُكَ خيرَ ما في هذا اليـومِ وخَيْرَ ما بعدَهُ، وأعوذُ بكَ مِن شرّ ما في هذا اليوم وشرِّ ما بعدَهُ، ربِّ أعوذُ بكَ مِنَ الكسلِ وسُوءِ والكِبَرِ، وأعوذُ بكَ مِن عذابٍ في النّارِ وعذابٍ في القبرِ، بسم الله الذي لا يضرُّ مع اسمهِ شيءٌ في الأرضِ ولا في السَّماءِ وهو السَّميعُ العليمُ، أعوذُ بكلماتِ الله التّامّاتِ مِن شرِّ ما خلقَ ثلاثًا، رَضِيتُ باللهِ ربًّا وبالإسلامِ دينًا وبمحمَّدٍ ﷺ نبيًّا ورسولًا ـ يقولُها ثلاثًا ـ وعَقِبَ صلاتهِ وهو ثانٍ رِجْلَيهِ ـ رواهُ التِّرمذيُّ والنّسائيُّ والطبرانيُّ وابنُ السِّنّي[٣] ـ وقبلَ كلامهِ.

---

(١) سنن الترمذي (٥٨٦) عن أنسٍ رضي الله عنه، قال: قال رسُولُ الله ﷺ: «من صلّى الغداة في جماعةٍ، ثُمّ قعد يذكُرُ الله حتّى تطلُع الشّمسُ، ثُمّ صلّى ركعتين، كانت لهُ كأجر حجّةٍ وعُمرةٍ». قال: قال رسول الله ﷺ: «تامّةٍ تامّةٍ تامّةٍ»، المعجم الكبير (٧٧٤١) عن أبي أمامة رضي الله عنه، عمل اليوم والليلة (١٤٦) عن معاذ رضي الله عنه بلفظ: «لكن عنده: إلا كان له حجابًا من النار». ولم أجده في «سنن النسائي».

(٢) رواه البخاري (٦٣٢٤) من حديث حذيفة رضي الله عنه، ومسلم (٢٤١١) من حديث البراء رضي الله عنه.

(٣) قوله: (رواه الترمذيُّ والنّسائيُّ والطبرانيُّ وابنُ السّنّي) جاءت في (ز) بعد قوله: (كما صحّ). ولفظ ابن السني في «عمل اليوم والليلة» (١١٤) من حديث زيد بن أرقم رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يدعو في دبر الصلاة، يقول: «اللهم، ربنا وربّ كل شيء، أنا =

رواهُ التِّرمذيُّ والطَّبرانيُّ وسندُهما حَسَنٌ[(١)].

وفكُّ عِقالِهِ: لا إلهَ إلَّا اللهُ وحدَهُ لا شريكَ لهُ، له الملكُ وله الحمدُ، يُحيي ويميتُ وهو على كُلِّ شيءٍ قديرٌ؛ عشرًا، ثُمَّ مئةً بزيادةِ: بيدهِ الخَيرُ؛ فقدْ رواها الإمامُ أحمدُ والطَّبرانيُّ[(٢)]، ومئتينِ؛ رواها البُخاريُّ وأحمدُ، وثلاثَ مئةٍ، رواها البزّارُ عقِبَ كُلِّ صلاةِ الصُّبحِ والعَصرِ والمغربِ مئةً مئةً، وهو حيٌّ لا يموتُ؛ رواها ابنُ السّنيِّ، ولِما فيهِ مِنَ الفضلِ العظيمِ؛ كما صحَّ[(٣)].

= أشهد أن محمدًا عبدك ورسولك. اللهم، ربنا وربّ كل شيء، أنا أشهد أن العباد إخوة. اللهم، ربنا وربّ كل شيء، اجعلني مخلصًا لك في كل ساعة، واهدني في الدنيا والآخرة، يا ذا الجلال والإكرام. اللهم، اسمع واستجب. الله الأكبر الله الأكبر، نور السموات والأرض، الله الأكبر، حسبي الله ونعم الوكيل، الله الأكبر الله الأكبر».

(١) لفظ الترمذي (٣٤٧٤) عن أبي ذر رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ قال: «من قال في دبر صلاة الفجر، وهو ثانٍ رجليه قبل أن يتكلم: «لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد يحيي ويميت وهو على كل شيء قدير» عشر مرات، كُتبت له عشرُ حسنات، ومُحي عنه عشرُ سيئات، ورُفع له عشرُ درجات، وكان يومُه ذلك كلُّه في حرز من كل مكروه، وحُرس من الشيطان، ولم ينبغ لذنب أن يدركه في ذلك اليوم إلا الشرك بالله».
وقال: هذا حديث حسن صحيح غريب.
وهو عند الطبراني في «المعجم الأوسط» (٤٦٤٣) من حديث أبي الدرداء رضي الله عنه.

(٢) الدعاء (٦٨٠)، مسند أحمد (١٧٩٩٩). ولفظ الترمذي (٣٤٧٤) عن أبي ذر رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ قال: «من قال في دبر صلاة الفجر، وهو ثان رجليه قبل أن يتكلم: «لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد يحيي ويميت وهو على كل شيء قدير» عشر مرات، كُتبت له عشر حسنات، ومُحي عنه عشرُ سيئات، ورفع له عشر درجات، وكان يومه ذلك كلّه في حرز من كل مكروه، وحُرس من الشيطان، ولم ينبغ لذنبٍ أن يدركه في ذلك اليوم إلا الشرك بالله». وقال: هذا حديث حسن صحيح غريب.
وهو عند الطبراني في «المعجم الأوسط» (٤٦٤٣) من حديث أبي الدرداء رضي الله عنه.

(٣) روى أحمد في «المسند» (١٧٩٩٠) عن عبد الرّحمن بن غنمٍ، عن النّبيّ ﷺ أنّه قال: =

وسيِّدُ الاستغفارِ ثلاثًا، وهوَ: اللهُمَّ أنتَ ربِّي، لا إلهَ إلا أنتَ، خلقتَنِي وأنا عبدُكَ، وأنا على عهدكَ ووعدكَ ما استطعتُ، أعوذُ بكَ مِن شرِّ ما صنعتُ، وأبوءُ لكَ بنعمتكَ عليَّ، وأبوءُ لكَ بذَنْبِي، فاغفرْ لي فإنَّهُ لا يغفِرُ الذُّنوبَ إلا أنتَ[1]، واللهُمَّ أنتَ ربِّي لا إلهَ إلَّا أنْتَ، عليكَ توكَّلتُ وأنتَ ربُّ العرشِ العظيمِ، ما شاء اللهُ كانَ وما لم يشأ لم يكنْ، ولا حولَ ولا قُوَّةَ إلا باللهِ العليِّ العظيمِ، أعلمُ أنّ الله على كُلِّ شيءٍ قديرٌ، وأنّ الله قد أحاطَ بكلِّ شيءٍ عِلْمًا، اللهُمَّ إنِّي أعوذُ بكَ مِن شرِّ نَفْسِي ومِن شرّ كُلِّ دابّةٍ أنتَ آخذٌ بناصِيتِها. إنّ ربِّي على صراطٍ مُستقيمٍ.

وشرطُ كُلِّ ذِكْرٍ بحيثُ يُسْمِعُ نفسَهُ، وكُلُّ طاعةٍ ذِكْرٌ[2]. والمأثورُ أسلمُ؛ ربّما دعا بما ناقضَ ما ثبتَ بالسَّمعِ، وبيّناهُ في آفاتِ اللّسانِ وهُو مغفولٌ عنهُ؛ فتأمّلْهُ جدًّا، فيأتي منهُ اختياره صباحًا ومساءً.

واعلم: أنّهُ سبحانَهُ وتعالى ضَمِنَ لك الإجابةَ فيما يُريدُ وفي الوقتِ الذي يُريدُ لا فيما تُريدُ؛ فافهم واقصدْ بدُعائِكَ مَحْضَ المناجاةِ، وهُو دُعاءُ الأدبِ[3]؛ فإنَّ الإجابةَ لا تعدُو ما قُسِمَ لكَ فافهم جِدًّا.

وتأمّلْ دُعاءَ الأبْدالِ على ما قيل بـ: ﴿لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَا ...﴾ الآيَةَ

= «من قال قبل أن ينصرف ويثني رجلهُ من صلاة المغرب والصُّبح: «لا إله إلّا اللهُ، وحدهُ لا شريك لهُ، لهُ المُلكُ ولهُ الحمدُ، بيده الخيرُ، يُحيي ويُميتُ، وهُو على كُلّ شيءٍ قديرٌ» عشر مرّاتٍ، كُتب لهُ بكُلّ واحدةٍ عشرُ حسناتٍ، ومُحيت عنهُ عشرُ سيّئاتٍ، ورُفع لهُ عشرُ درجاتٍ، وكانت حرزًا من كُلّ مكرُوهٍ، وحرزًا من الشّيطان الرّجيم، ولم يحلّ لذنبٍ يُدركُهُ إلّا الشّرك، وكان من أفضل النّاس عملًا، إلّا رجُلًا يفضُلُهُ يقُولُ أفضل ممّا قال».

(١) من قوله: (وهو اللهم...) إلى هنا مثبت من (هـ، و، ز). والحديث رواه البخاري (٦٣٠٦) من حديث شداد بن أوس رضي الله عنه. وفي (ز): أبوء بذنبي.

(٢) هذه الفقرة غير مثبتة في (ب، هـ).

(٣) في (ب): الأبدال.

[البقرة: ٢٨٦]، وقد عفا إجماعًا فلَم يَبْقَ إلّا مَحْضُ المُناجاةِ بلا طلبٍ.

ونَوافلُه ـ إلا ما استَثنيناهُ وسبقَ بيانُه ـ في بيتِهِ أفضلُ، وبخروجِهِ يَرفعُ بصرَهُ إلى السَّماءِ قائلًا: اللهُمَّ إنِّي أعوذُ بكَ أن أضِلَّ أو أُضَلَّ، أو أزلَّ أو أُزَلَّ، أو أظْلِمَ أو أُظْلَمَ، أو أجهَلَ أو يُجهلَ عَلَيَّ[1]، بسمِ الله توكَّلتُ علَى اللهِ، لا حولَ ولا قُوَّةَ إلّا باللهِ[2]. اللهُمَّ رضِّني بقَضائكَ، وبارِكْ لي فيما قُدِّرَ لي حتّى لا أُحِبَّ تعجيلَ ما أخرّتَ ولا تأخيرَ ما عَجّلْتَ[3]. وَبِدُخُولِه المسْجِدَ: اللهُمَّ افتحْ لِي أبوابَ رَحْمتِكَ، وسهّلْ لي أبوابَ رِزْقكَ. وبخروجِهِ: اللهُمَّ إنِّي أسأَلُكَ مِنْ فَضْلِكَ[4]. وينتظرُ الجماعةَ مُعْتَكفًا بأوّلِ صفٍّ تاليًا بفِكْرٍ، ثُمَّ ذِكْرٍ ويخْتِمُه بركعَتي شُكْرٍ.

ثُمَّ وِرْدٌ ثانٍ إلى رُبعِ نهارِهِ فيه صلاةُ الإشراقِ.

ثُمَّ وِرْدٌ ثالثٌ إلى الزّوال فيهِ صلاةُ الضُّحى؛ كانَ رسُولُ الله ﷺ يُصلّي الضُّحى أرْبعًا ويَزيدُ ما شاءَ؛ رواهُ مُسلمٌ[5]. وأمّا صلاتُه في بيتِ أُمِّ هانِئٍ يومَ الفَتح فتلكَ صلاةُ الفَتحِ؛ فَعلَها أُمراءُ السَّلفِ[6]؛ كسعدِ بنِ أبي وقّاصٍ يومَ فتحِ المدائنِ؛ يُصلّي فردًا بتسليمةٍ واحدةٍ سرًّا ويختِمُه بقَيلولةٍ وسَعْيٍ صالحٍ.

---

(١) في (ب، ج): كما صح.

(٢) رواه أحمد في المسند (٢٦٦١٩)، وابن السني في «عمل اليوم والليلة» (١٧٦) من حديث أم سلمة رضي الله عنها. وعندهما بتقديم: باسم الله، توكّلتُ على الله، لا حول ولا قوّة إلّا بالله.

(٣) رواه ابن السني في «عمل اليوم والليلة» (٣٥٠)، والطبراني في «الدعاء» (٣٥٠) من حديث ابن عمر رضي الله عنهما.

(٤) رواه مسلم (٧١٣) من حديث أبي أسيد رضي الله عنه. وقوله: (وسهّل لي أبواب رزقك) رواه أبو يعلى في «المسند» (١٢٣٦) من حديث أبي حميد رضي الله عنه.

(٥) صحيح مسلم (٧١٩).

(٦) في (أ): بعض السلف.

ويتوضّأ لكُلِّ مَكْتُوبةٍ قُبيلَ وقتِها.

ثُمَّ وِردٌ رابعٌ وهو أفضلُ؛ مُعظمُهُ دعاءٌ.

وبعدَ الظُّهرِ وِردٌ خامسٌ يُحييهِ بِصلاةٍ ونحوِها، والمُتسبّبُ بذكرٍ ونحوِه.

والعَصرُ إلى الاصفرارِ وِردٌ سادسٌ يُحييهِ بقِراءةٍ وتعليمٍ ونحوِه.

ثُمَّ وِرْدٌ سابعٌ إلى الغُروبِ بتسبيحٍ واستغفارٍ، وعَقدُهما بأصابعِ يمينهِ ونحوِه سُنَّةٌ.

ثُمَّ وِرْدُ أوَّلِ اللّيلِ إلى صلاةِ العِشاءِ يُحييهِ بعِشرينَ ركعةً.

ثُمَّ وِرْدٌ ثانٍ قبلَ نومِه يُتقِنْهُ جِدًّا، وبقراءةِ السُّوَرِ المُتقدِّمةِ ومُصليًّا.

ثُمَّ وِرْدٌ ثالثٌ الوترُ، وآخرُ تهجُّدِهِ أتمُّ للأمرِ، وعلّلَهُ بقولهِ ﷺ: «فَإِنَّ صَلاةَ آخِرِ اللَّيلِ مَشْهُودَةٌ، وَذَلِكَ أَفْضَلُ»[1]، ولقولهِ ﷺ: «بادِرُوا الصُّبْحَ بِالوِتْرِ»[2] ـ رواهُما مُسلمٌ ـ وأوصَى بضدِّه لأبي هُريرةَ رضي الله عنهُ لمصلحةٍ[3]؛ كمنْ يُصلِّي أولًا وينام آخرًا، أو لأمر آخرَ؛ ولهذا أمرَهُ ﷺ بركعتي الضُّحَى عِوضًا عَن تهجُّدِه، فتأكدّتْ صلاةُ الضُّحى لِمَنْ لا تهجُّدَ لهُ، ولا يشفعُ بركعةٍ لفقدِ المُوالاةِ، وبركْعتَين قاعدًا بعدُ؛ إذ ليستا بركعةٍ بل أجرُهما.

وركعتا الفجرِ ونحوِهما لا تُشترطُ لقاعدٍ أربعًا اتِّفاقًا، ولفْظُه: «كانَ يُصَلِّي

---

(١) رواه مسلم (٧٥٥) من حديث جابر رضي الله عنه. وأوله: «من خاف أن لا يقُوم من آخر اللّيل فليُوتر أوّلهُ، ومن طمع أن يقُوم آخرهُ فليُوتر آخر اللّيل».

(٢) رواه مسلم (٧٥٠) من حديث ابن عمر رضي الله عنهما.

(٣) روى البخاري (١٩٨١)، ومسلم (٧٢١) عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: «أوصاني خليلي ﷺ بثلاثٍ: صيام ثلاثة أيامٍ من كُلّ شهرٍ، وركعتي الضُّحى، وأن أُوتر قبل أن أنام».

بَعْدَ الوِتْرِ» في الحديثِ الذي رواه مُسلمٌ[١] لا يُفِيدُ دوامًا ولا أكثريّةَ هنا بل وقوعُ الفِعْلِ تشريعًا للصلاةِ بعدَ الوِتْرِ، وغَلِطَ مَنْ ظنَّها سنّةً راتبةً؛ فإنّه ﷺ ما داومَها، ولقولِه ﷺ: «فإذا خَشِيَ الصُّبْحَ صَلَّى رَكْعَةً»[٢]، وقولِه: «بادِرُوا الصُّبْحَ بِالوِتْرِ»[٣]، ولا تُشبَّهُ السُّنَّةُ بالفَرْضِ حتى يَكُونَ للوِتْرِ صَلاةٌ بعده.

وَسُنَّ عقِبَهُ: سُبحانَ الملكِ القُدُّوسِ؛ مرارًا[٤].

ونومُهُ وِرْدٌ بنيّةِ المعُونةِ بشَرْطِ قِلّتِه، وبهِ رُطوبةٌ تَقِيهِ يُبوسةَ يقظتِهِ ووسوسةَ عدوِّه، وهوَ كمَلْحُودٍ أو مُسَجًّى، ويُمناهُ تحتَ خَدِّه قائلًا ما صحّ مِن دُعاءٍ واستغفارٍ ثلاثًا، والمُعوِّذاتِ ثلاثًا، ونفخُ كفَّيهِ ومسحُ جسَدِه ورأسِه وآيةُ الكُرسيِّ؛ نَعَمْ وآخرُ الكَهفِ ليسألَ إيقاظَه بعدَ وُضوءٍ، وخِفّةِ مَعِدةٍ، وتوبةٍ، وسلامةِ صدرٍ.

قُلْتُ: ويقرأُ: ﴿ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَٱلَّتِى لَمْ تَمُتْ فِى مَنَامِهَا ...﴾ إلى قوله: ﴿أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ [الزمر: ٤٢]، ثُمَّ يَسألُ إيقاظَهُ كيفَ شاءَ. وهو سِرٌّ عَجيبٌ.

وعندَ رأسِهِ ماءٌ لوضوئِهِ، وسِواكُهُ، ووصيّتُه؛ فقد لا يُصبحُ، وكُلَّما انْتَبَهَ قال: لا إله إلّا اللهُ وحدَه لا شريكَ لهُ، له المُلكُ وله الحمدُ، وهو على كلِّ شيءٍ قديرٌ، والحمدُ للهِ، وسُبحانَ اللهِ، ولا إلهَ إلّا اللهُ، واللهُ أكبرُ، ولا حولَ ولا قوّةَ إلا

---

(١) صحيح مسلم (٧٤٦) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما. ولفظه: (ثُمّ يُصلّي ركعتين بعدما يُسلّمُ وهُو قاعدٌ).

(٢) رواه البخاري (٩٩٠)، ومسلم (٧٤٩) من حديث ابن عمر رضي الله عنهما.

(٣) سبق تخريجه قريبًا.

(٤) روى أبو داود وغيره (١٤٣٠) عن أُبيّ بن كعب قال: كان رسولُ الله ﷺ إذا سلّم في الوتر، قال: «سُبحان الملك القُدُّوس». زاد النسائي في عمل اليوم والليلة (٧٣٠) ثلاث مرّاتٍ يمدُّ في آخرهنّ.

باللهِ العليِّ العظيم، ثُمَّ يدعُو فَمُجابٌ، وصلاتُهُ مقبولةٌ كما صحَّ عنهُ ﷺ بزيادةِ التَّهلِيلةِ الثّانية؛ حقَّقَها النَّوويُّ رحمهُ الله تعالى[1]. وذِكْرُ قِيامِه مِن نَومِه سبقَ[2]، ويقرأُ آخرَ آل عِمرانَ.

وقلبٌ انفردَ بذكرِ ربِّه في نومهِ ويقظتِه ـ وغالبًا في عِبادتهِ؛ فيموتُ على ما عاشَ عليه؛ كما رواهُ مسلمٌ[3] ـ تُرجَى عاقبتُه.

وأفضلُ تهجُّدِه غالبُ ليلهِ أبدًا، ثُمَّ نصفُه الثاني، ثُمَّ ثُلثُه الثّاني، ثُمَّ رُبْعُه الثالث، ثُمَّ الرابعُ، ثُمَّ طرفَي ليلِه، ثُمَّ آخرُهُ، ثُمَّ بينَ المغربِ والعشاءِ لا يُتركُ ألبتّةَ.

ويُكرهُ تركُ فضلِ اعتادَهُ؛ فيَقضِي ندبًا مِن فَضلِه[4]: ﴿ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ

---

(١) روى البخاري (١١٥٤)، وأبو داود (٥٠٦٠)، وابن حبان (٢٥٩٦) عن عبادة بن الصّامت، قال: قال رسول الله ﷺ: «من تعارّ من اللّيل، فقال: لا إله إلّا اللهُ وحدهُ لا شريك لهُ، لهُ المُلكُ ولهُ الحمدُ، وهُو على كُلّ شيءٍ قديرٌ، الحمدُ لله، وسُبحان الله، ولا إله إلّا اللهُ، واللهُ أكبرُ، ولا حول ولا قُوّة إلّا بالله، ثُمّ قال: اللهُمّ اغفر لي، أو دعا، استُجيب لهُ، فإن توضّأ وصلّى قُبلت صلاتُهُ».
قال الإمام النووي رحمه الله في «الأذكار» (ص١٨٠): هكذا ضبطناه في أصل سماعنا المحقق، وفي النسخ المعتمدة من البخاري، وسقط قول: «ولا إله إلّا الله» قبل، «والله أكبر» في كثير من النسخ، ولم يذكره الحُميديُّ أيضًا في «الجمع بين الصحيحين»، وثبت هذا اللفظ في رواية الترمذي وغيره، وسقط في رواية أبي داود، وقوله: «اغفر لي أو دعا»، هو شكٌّ من الوليد بن مسلم أحد الرواة، وهو شيخ شيوخ البخاري، وأبي داود والترمذي وغيرهم في هذا الحديث.
وقوله ﷺ: «تعارّ» بتشديد الراء، ومعناه: استيقظ.

(٢) ينظر (ص١٩٤-١٩٥).

(٣) صحيح مسلم (٢٨٧٨) من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما، ولفظه: «يُبعثُ كُلُّ عبدٍ على ما مات عليه». وما بين معترضتين غير مثبت في (ز).

(٤) في غير (ز): فضل التهجد.

﴿أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ...﴾ [السجدة: ١٧] الآيةَ، وهيَ الغايةُ، فيُبادِرُ بطُهْرِه وركعتيهِ يخفِّفُهما لِحَلِّ عُقَدِ الشّيطانِ؛ كما صحَّ[١].

فإن قيل: أوترَ ﷺ بإحدَى عشْرَةَ ركعةً فما تهجّدُهُ؟

فقُلْ: هاتانِ الركعتانِ؛ فثبتَ الفرقُ بين تهجُّدِه ووتْرِه، وقد أوترَ بثلاثٍ وخمسٍ ونحوِ ذلكَ، فيكونُ التَّهجُّدُ ما بقيَ.

ويُطيلُ قيامَه وركُوعَه وسُجودَه، فإنَّه أبلغُ وأشبهُ بصلاتهِ ﷺ باستراحةٍ بين كُلِّ ركعتينِ، فلو ملَّ خفَّفَ وأكثرَ مِن ركوعِه وسُجودِه.

وجوفُ ليلهِ وِردٌ أفضلُ؛ لحديثِ: «خَيرُ اللَّيلِ جَوفُهُ»[٢].

والسَّحَرُ وِردٌ سادسٌ بهِ وِتْرُه واستغفارُه وقراءتُه، ودعاؤُه مسموعٌ؛ فالعابدُ عَلِمَ وَظِيفَةَ أوقاتهِ، وعالمٌ ينفَعُ مع طَرَفَي يومِهِ التَّسْبِيحُ ونحوُه.

ويتَّقِي المُهلِكاتِ؛ كَكِبَرٍ ورياءٍ وطَعْنِه في قُرَنائهِ ومحبّةِ تَفرُّدِهِ ونحوِها، براءتُهُ منها فرضُ عينٍ، وفُتياهُ ونحوها قامَ الغَيرُ بِها؛ فإصلاحُه أهمُّ مِن وظيفةٍ أجرُها للواقفِ وعَزّ قيامُه بشرطِها.

ويتردّدُ إلى شيخٍ بصِدْقِ محبَّةٍ لينفَعهُ، وليلُهُ تصنيفٌ ونحوُه إن تأهَّلَ، وتحريرُ[٣] ما أَلَّفهُ على الكُمَّلِ ليتِمَّ، وثُلثهُ الثّاني تهجّدٌ، وثالثُه نومٌ، ومتعلِّمٌ كذا بدرسٍ ونحوِه.

---

(١) روى البخاري (٣٢٦٩)، ومسلم (٧٧٦) عن أبي هُريرة رضي الله عنه، أنّ رسول الله ﷺ، قال: «يعقدُ الشّيطانُ على قافية رأس أحدكُم إذا هُو نام ثلاث عُقدٍ، يضربُ كُلّ عُقدةٍ مكانها: عليك ليلٌ طويلٌ فارقُد، فإن استيقظ فذكر الله انحلّت عُقدةٌ، فإن توضّأ انحلّت عُقدةٌ، فإن صلّى انحلّت عُقدُهُ كُلُّها، فأصبح نشيطًا طيّب النّفس، وإلّا أصبح خبيث النّفس كسلان».

(٢) رواه النسائي في «الكبرى» (٤٢٠٢) من حديث أبي ذرٍّ رضي الله عنه.

(٣) في غير (هـ، و، ز): حرر.

وأفضلُ وِرْدِ المُتَولِّي بعدَ فرائِضهِ قِيامُهُ بالمصالِح شرعًا نفعُه يتعدّى، وتأمَّلْ مَن يُحملُ إلى قصرهِ ويُحملُ إليهِ ما يَشتهِي كالشَّهدِ؛ اصدُقوا دعوى المحبَّةِ ببرهانِ بَذْلِ المُهجةِ ووطِّنوا النفوسَ على بذلِ الرُّوحِ لنيلِ الفُتوحِ ليسوقَ إلى غيرهِ ما يَشتهي مِن سلامةِ نفسٍ ومالٍ لآخرةٍ، مُنحَ حملُه إلى ما يشتهي مِن مسكنٍ ومأكلٍ ومُشْتَهى[(١)].

ويتقي الهَوَى فإنهُ الطّامَّةُ الكُبرَى، والرّشوةَ فإنَّها سُمُّ دِينهِ: بها حتْفُهُ، ولا تزيدُ رزقَه، وَيَوَدُّ في القيامةِ لو كانَ كلبًا يصيرُ ترابًا ويسلمُ مِن حِسابها، واعتَبرْ مَن تولَّى، هلْ هُوَ على ما كانَ قبلَها مِنْ زُهدٍ وسَلامةِ صَدرٍ ونحوِهما؟

ومجلسُه سالمٌ مِن غِيبةٍ ومُداهَنةٍ ونحوِها، هَيهاتَ فيفرُّ بدِينهِ عنها، ويَقْنَعُ بهِدْمَةٍ ونحوِها وجوبًا، ويَعيشُ بسلامةِ صَدْره وَدِينِه، ويُردِّدُ: ﴿تِلْكَ ٱلدَّارُ ٱلْءَاخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ...﴾ الآيةَ [القصص: ٨٣].

وينظرُ آفاتِ المالِ ويتقيهِ والجاهِ ونحوِهما في الرُّبعِ الثّالثِ[(٢)]، ثمّ الثاني ليرَى فوائدَ العُزلةِ، ويُخالطَ الصُّلحاءَ ليَسْلُو غيرَ الله[(٣)] ويغنمَ ما بقيَ؛ نَعَمْ مَن كان أهلًا ولا قائم تعيَّنت بالشُّروطِ مع زُهدٍ وحُسْنِ خُلقٍ.

وَوِرْدُ المُحترِفِ[(٤)]: دوامُ الذّكرِ وبفراغه يُنشئُ أورادهُ، وبإتقانِها[(٥)] ليلًا غِناهُ، ونجحُ مقاصدِه نهارًا.

---

(١) من قوله: (ويتأمل...) إلى هنا مثبت من (هـ، و، ز).

(٢) ينظر (ص٣٢٧).

(٣) في غير (هـ، و، ز): عن غير الله.

(٤) أي صاحب حرفة، ومثله الصانع صاحب صنعة.

(٥) في (أ): ويعانها. وفي (ب): ويسلم عطابها.

ومَن غَلبَتهُ محبّةُ ربّه تعالى فبِدَوامِ أورادِه صلاحهُ، وإلّا مُنِعَ مَزيدَه إنْ سلِمَ ويتركُ وِرْدَهُ لزائرٍ حاجتُه أهمُّ، ثُمَّ يَقْضِي[1].

وأعْلَى كرامةِ الاستقامةُ؛ وهيَ يَقِينٌ بلا بقيّةِ شكٍّ، وتوبَةٌ بلا بقيّةِ ذنبٍ، وزُهدٌ بلا بقيّةِ رَغبةٍ، وتجريدٌ بلا فَتْرةٍ، مُلازمُها واصلٌ قطعًا، ولا بُدَّ لكلٍّ مِن فَقْدِ زائدِ طعامٍ ومنامٍ وكلامٍ وخُلطةٍ؛ فيَسلَمُ ثُمَّ يُفتحُ بمنّه تعالى عليهِ، وقد تمَّ المُنى بمَنِّه تعالى.

خاتمة

يقولُ طَرَفي يومهِ:

اللهُمَّ، إنّي أحتسبُ عندكَ كُلَّ ما أصابَني حَدِيثًا وقدِيمًا، وكُلَّ ما أصابَ هذهِ الأُمَّة كذلكَ.

اللهُمَّ، إنّي أحتسبُ عندكَ جميعَ ذلك. وأقولُ فيهِ استرْجاعًا: إنّا لله وإنّا إليهِ راجعونَ، يقولها ثلاثًا.

اللهُمَّ، اؤْجُرْني وإيّاهُم في جميعِ ذلك أبدًا، واخْلُفْ لي ولهمْ خيرًا مِن ذلكَ، واجعلنا مِنَ الشّاكرينَ أبدًا.

ويقولُ:

اللهُمَّ؛ إنّي أستودِعُكَ أبدًا ما تُحِبُّ ومَنْ تُحبُّ وكُلَّ هذهِ الأُمَّةِ وما أنعمتَ بهِ عليَّ وعليها، فأجْرِني[2] وإيّاهُم ومُتعلّقاتي ومُتَعلّقاتِهم على أجْمَلِ عَوائِدكَ أبدًا.

---

(١) قوله: ثم يقضي. من (د، هـ).

(٢) في (هـ): وأخراي.

وأقولُ في ذلكَ تحوِيطًا[١]: ما شاءَ اللهُ لا قوَّةَ إلّا باللهِ؛ يقولها ثلاثًا.

اللهُمَّ؛ ارحمْ ما خلقتَ، واغفرْ ما قدَّرتَ، وتمِّمْ ما أنعمتَ، وطيِّب ما رزقتَ، ولا تهتكْ ما سترتَ، ولا تسلُبْ ما وَهَبْتَ، واجْعَلنا منَ الشّاكرينَ أبدًا؛ آمينَ[٢].

* * *

(١) في (أ): تحوُّطًا.

(٢) في هامش (ز): بلغ ثاني بالأصل.

كتاب أسرار الزكاة

أعْلاها: خُروجُهُ عن مالِهِ وشهواتِهِ للهِ تعالى؛ قالَ اللهُ تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم...﴾ الآية [التوبة: ١١١]، ثُمَّ صرْفُ ما سوى حاجتِهِ، وأدناها رُبْعُ عُشْرِ مالِه، وعُشْرُ زَرعِهِ وثمرِهِ كما عُرِفَ.

قلتُ: وينبغي وُجوبُها في التِّينِ؛ فإنَّه أكثرُ اقتياتًا مِن زبيبٍ، وغالبُ قُوتِ قَومٍ منهُ اختيارًا لا اضطرارًا، ويُشْبهُ التَّمرَ في بلادِه، ورجَّحهُ بعضُ المُتأخرينَ، وفِي «الودائع» لابن سُريجٍ[١] قولٌ للشافعيِّ رحمه الله تعالى بهِ، وهو الوَرعُ، وهيَ مسألةٌ مغفُولَةٌ أحْيا اللهُ مَن أحْياها.

ويتعيَّنُ نيّةُ فرضِ زكاةٍ كذا، ولا تُجزئُ قيمةٌ ما لم يُضْطرّ لها؛ إذ لوازمُ الشّرعِ ثلاثةٌ:

تعبُّدٌ مَحضٌ كرَمْي الجمارِ، وحظٌّ مَحضٌ[٢] كرَدِّ حقِّ آدمي، ومُركّبٌ

---

(١) أحمد بن عمر بن سُريج، القاضي أبو العباس البغدادي، حامل لواء الشافعية في زمانه وناشر مذهبه، تفقه بأبي القاسم الأنماطي وغيره، وأخذ عنه الفقه خلقٌ من الأئمة، ولي قضاء شيراز، وكان يُفضّل على جميع أصحاب الشافعي حتى على المزني، شرح المذهب ولخصه، وعمل المسائل في الفروع، وصنّف كُتبًا في الرد على المخالفين من أصحاب الرأي وأهل الظاهر. مات سنة ست وثلاثمئة عن سبع وخمسين سنة ببغداد. «طبقات ابن شهبة» (١: ٨٩)، و«تهذيب الأسماء واللغات» (٢: ٢٥١).

(٢) في (أ): وحضٌّ محضٌ.

جَمعهُما كالزّكاةِ؛ فحظُّ الفقير سدُّ خَلّته، والتَّعبدُ حقُّ الشَّرعِ معرفةُ مواطِنها ونحوه، ولا عِبْرةَ بوزنِ لِثِقَلِ مَكيلٍ وخِفَّتِه.

مِنْ آدابه:

فَهمُ معانِيها، وابتلاءُ مُدّعي المحبّةِ بخروجهِ عَن محبوباتِهِ، وطُهْرتُه مِن ذُنوبهِ وبُخْلِه، وعُلوُّ درجتهِ، ونموُّ مالهِ وطُهْرُه، بدليلِ: ﴿تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا...﴾ الآيَةَ [التوبة: ١٠٣]، وشُكْرُ نعمتهِ، وصرفُ نفلِها سِرًّا أسلمُ له وللفقيرِ، ولا يُبْطِلُها بمنّهِ وإيذائهِ ورياءٍ وكِبْرٍ ونحوِه، ويُتمِّمُ معروفَهُ ولو جَلَّ بصِغَرِه في عينيهِ وسَترهِ[1] وتعجيلهِ وطِيبهِ وأحبِّهِ وأشرفهِ لقَبولهِ تعالى، وبرِّهِ[2] وتعظيمِ أمرهِ، وكُلَّما قَويَ حُبُّه لشيءٍ قرَّبهُ؛ كابنِ عُمرَ وابنِ خُثيمٍ وغيرِهما رضيَ اللهُ عنهُما[3].

---

(١) في (أ، ب، د): وسره.

(٢) من قوله: (ولو جلّ بصغره...) إلى هنا غير مثبت في (أ).

(٣) أخرج أحمد في «الزهد» (ص١٢٤): عن مُجاهد قال: قرأ ابن عمر، وهُو يُصلّي، فأتى على هذه الآية: ﴿لَن تَنَالُوا۟ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُوا۟ مِمَّا تُحِبُّونَ﴾، فأعتق جارية لهُ وهو يُصلّي؛ أشار إليها بيده.

وأخرج عبد بن حميد والبزّار عن ابن عمر قال: حضرتني هذه الآية: ﴿لَن تَنَالُوا۟ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُوا۟ مِمَّا تُحِبُّونَ﴾، فذكرت ما أعطاني الله فلم أجد شيئًا أحب إليّ من مرجانة جارية لي رُومية، فقلت: هي حرّة لوجه الله؛ فلو أنّي أعُود في شيء جعلته لله لنكحتها، فأنكحها نافعًا.

وأخرج ابن المُنذر عن نافع قال: كان ابن عمر يشتري السُّكّر فيتصدّق به، فنقُول لهُ: لو اشتريت لهُم بثمنه طعامًا كان أنفع لهُم من هذا. فيقُول: إنّي أعرف الّذي تقولُون، ولكن سمعت الله يقُول: ﴿لَن تَنَالُوا۟ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُوا۟ مِمَّا تُحِبُّونَ﴾ وابن عمر يحبُّ السكر. «الدر المنثور» (٢: ٢٦٢).

وأخرج الإمام أحمد في «الزهد» (ص٣٣١) أن الربيع بن خُثيم جاءه سائل في ليلة باردة، فخرج إليه فرآه كأنه مقرُور، فقال: ﴿لَن تَنَالُوا۟ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُوا۟ مِمَّا تُحِبُّونَ﴾، فنزع برنسًا له، فأعطاه إياه.

وتُصرَفُ لعابدٍ جمعًا لهمِّه، وعالمٍ تقويةً للشريعةِ، وفقيرٍ ذي عِفّةٍ، وتقيٍّ مهمومٍ بعيالٍ أو دَينٍ أو مَرَضٍ إطلاقًا لِحَصْرِهِ، ومَن يرى المنّة لله تعالى ولا يَذمُّ بالمنعِ، وذِي رَحِمٍ وقَرابةٍ؛ فإنّه صدقةٌ وصِلةٌ[١].

وَقابِضُها آدابُه:

كونُه يستحِقُّها، وإلّا فتحرُم، ويعلمُ أنّ الله ما صرفَها إليهِ إلا ليَشتغلَ بطاعتهِ، ويدعُو لمُعطيهِ، ويستعظمُ عطيّتهُ، ويسترُ عيبها بلا ذمٍّ؛ فلو كانتْ شُبهةً تورّعَ عنها، والفتوى[٢] أنّ له التَّصدُّق بحرامٍ لم يَعلم مالِكَه؛ فيأخذُ منه لضرورةٍ، وغارمٌ في مصلحتهِ يأخذُ عَن حاجةٍ أو لمصلحةِ غيرِهِ، أو غازٍ لا حقّ له في الدِّيوان يأخذُ مع الغِنَى، وفاقدُ بعضِ كِفايتهِ يأخذُ ما يُتمّها أبدًا وبفَقدِها يأخذُ كفايةَ سنةٍ ليُوثرَ غيرَه؛ نَعَمْ على كُلِّ زكاةُ باطنِه مِن كُلِّ رذيلةٍ، وبيَّناها في الفِكْرِ والمحبَّةِ وشرحِ المُهلكاتِ؛ فتأمَّلها جدًّا[٣].

ثُمَّ زكاةُ ظاهرِه بتركهِ ما نُهيَ عنهُ وفِعْلهِ ما أُمِرَ بهِ.

وأمّا فَضِيلةُ نَفْلِها فكثِيرٌ: الدِّرهمُ بعَشَرةٍ[٤]، ومِنْ سالِكٍ فبسبْعِمئةٍ لِشرفِ

---

(١) روى البخاري في باب الزكاة على الأقارب، معلقًا: قال النبي ﷺ: «لهُ أجران: أجرُ القرابة والصّدقة». ثم أورد حديث أبي طلحة رضي الله عنه (١٤٦١)، وفيه: «وإنّي أرى أن تجعلها في الأقربين».

(٢) في (هـ، و): والمذهب.

(٣) ينظر (ص٢٩٥).

(٤) في هامش (ز) حاشية: فائدة في معرفة الدرهم والمُد والصاع والفرق: الدرهم الشرعي: وزنه خمسون حبة وخُمُسا حبة شعير مقطوع الطرفين. والمُد: رطل وثلث بغدادي. والرطل البغدادي: مئة وثلاثون درهمًا شرعيًا وهو المتقدم أعلاه. والصاع: خمسة أرطال وثلث. والفرق: ستة عشر رطلًا من الوزن المتقدم. حكاه ابن ...في الدماء عن ابن الرفعة.

سُلوكه، أو كاملِ قَرْضَ حبّةً بِمقراضِ التفريدِ فبأضعافٍ، وعِدْلُ تمرةٍ مِن طيِّبها يُربِّيها تعالى حتى تكونَ مِثلَ الجَبلِ[1]، وتُطفئُ الخطيئةَ، وتَقِي الفاقةَ ومِيْتَةَ السُّوءِ والنارَ، وفضلُها لا يُحصَرُ وَغَبْنُ مَنعِها لا يُحصى.

شعر:

المالُ عِنْـدَكَ مَخزُونٌ لِوارِثِهِ ما المالُ مالُكَ إلَّا يومَ تُنْفِقُهُ[2]

وأنشدوا:

وَمَنْ يُنْفِقِ الأيّامَ في حِفْظِ[3] مالِه مَخافَـةَ فَقْرٍ فالَّذِي فَعَـلَ الفَقْرُ[4]

---

(١) روى البخاري (١٤١٠)، ومسلم (١٠١٤) عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «من تصدّق بعدل تمرةٍ من كسبٍ طيّبٍ، ولا يقبلُ اللهُ إلّا الطّيّب، وإنّ الله يتقبّلُها بيمينه، ثُمّ يُربّيها لصاحبه، كما يُربّي أحدُكم فلُوّهُ، حتّى تكُون مثل الجبل».

(٢) البيت من البحر البسيط، ونسب للعطوي ـ هو أبو عبد الرحمن أحمد بن إبراهيم بن أبي عطية البصري، شاعر كان في زمن المأمون ـ قال المبرد: سمع العطوي رجلًا يحدّث عن عمر بن الخطاب أن رجلًا قال له: إن فلانًا قد جمع مالًا. فقال عمر رضي الله عنه: فهل جمع أيامًا؟ فأخذ العطوي هذا المعنى، فقال:

أرْفِـهْ بعَيـشِ فتـى يَغـدُو على ثِقَـةٍ إنّ الذي قَسَـمَ الأرزاقَ يرزقُهُ
فالعِـرْضُ منـه مَصـونٌ ما يدنّسُـه والوجـهُ منه جديـدٌ ليس يُخلقـهُ
جمعتَ مالًا، فقلْ لي: هل جمعتَ لهُ يـا جامـعَ المـالِ أيّامًـا تُفرّقهُ
والمـالُ عنـدك مخزونٌ لوارثـه مـا المـالُ مالُـكَ إلا حيـن تُنفقُـهُ

ينظر: «التذكرة الحمدونية» (٨: ٨٦).

(٣) في (أ، د): جمع.

(٤) البيت من البحر الطويل، وقائله أبو الطيب المتنبي كما في «ديوانه» (ص١٧٥) إلا أن فيه (الساعات) بدل (الأيام). أي: من جمع المال خوف الفقر كان ذلك هو الفقر؛ لأنه إذا جمع منع، والمنع فقر، وهذا كما قيل قديمًا: الناس في الفقر مخافة الفقر.

وأفضلُها: إيثارٌ في صِحّتِه[١] وعافيتِه، وتحرُمُ معَ دَينٍ لا يَرْجُو وفاءَهُ، وأخذُ نفْلِها أسلمُ وتارةً فرضُها، ويتأمَّلُ الفقيرُ بابَ الفَقْرِ والزُّهدِ ونحوَه جدًّا ليترقَّى، وكُلُّ مَعروفٍ صدقةٌ، فيتمُّ أدبُه في كلِّ معروفٍ فِعْلًا وتركًا وقصدًا[٢]؛ قالَ اللهُ تعالى: ﴿لَا تُبۡطِلُواْ صَدَقَٰتِكُم بِٱلۡمَنِّ وَٱلۡأَذَىٰ﴾ [البقرة: ٢٦٤].

تنبيه:

مَنْ أطْفأ حُرْقَةَ الحاجَةِ ببرْدِ العَطاءِ أطفأ اللهُ تعالى عنهُ الغضبَ والنّارَ؛ فافهمْ وتأمّلِ المغفرةَ لزانيةٍ سقتْ كلبًا كما صحَّ[٣].

* * *

---

(١) في (ب): محبته.

(٢) من قوله: (فيتمُّ أدبه ...) إلى هنا مثبتة من (هـ، و). وشطب عليها في (ز).

(٣) روى البخاري (٣٣٢١) عن أبي هُريرة رضي الله عنه، عن رسول الله ﷺ، قال: «غُفر لامرأةٍ مُومسةٍ، مرّت بكلبٍ على رأس ركيٍّ يلهثُ، قال: كاد يقتُلُهُ العطشُ، فنزعت خُفّها، فأوثقتهُ بخمارها، فنزعت لهُ من الماء، فغُفر لها بذلك».

كتاب أسرار الصوم

أضافَه إليهِ سُبحانَه وتعالى(١)؛ لأنّهُ سِرٌّ فُقِدَ رياؤهُ، ولا حظَّ للنّفسِ فيهِ، وبه كسْرُها وقَهرُ الشيّطان؛ فالشِّبعُ نَهرٌ في النّفْس تَرِدُه الشّياطينُ، والجُوعُ نهرٌ في الرّوحِ ترِدُه الملائكةُ، وبه وصَلَ مَن وصَلَ؛ وصحَّ: «مَنْ صامَ يَومًا في سَبِيلِ اللهِ تَعالَى بَعَّدَ اللهُ وَجْهَهُ عَنِ النّارِ سَبْعِينَ خَرِيفًا»(٢)؛ فاغنمْ ولا تُفطرْ ثلاثةَ أيّام مُتواليةٍ أبدًا بلا عُذرٍ. وقيلَ: إذا تعلَّقَ مظلومٌ بحسناتِ صومِ ظالمِهِ يقولُ اللهُ تعالَى: «الصَّومُ لِي وأنا أجْزِي بِهِ»(٣).

---

(١) يشير إلى ما رواه البخاري (٧٤٩٢)، ومسلم (١١٥١) عن أبي هُريرة رضي اللهُ عنهُ، عن النّبي ﷺ، قال: «يقُولُ اللهُ عزّ وجلّ: الصّومُ لي وأنا أجزي به...».

(٢) رواه البخاري (٢٨٤٠)، ومسلم (١١٥٣) من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.

(٣) قوله: (الصوم لي وأنا أجزي به) رواه البخاري (٧٤٩٢)، ومسلم (١١٥١) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

وفي هامش (ز) حاشية: يجب على العبد أن يستقبل شهر رمضان بطيبة من قلبه وابتهاجٍ بوروده واستبشارٍ بدخوله، وإن وجد ثقلًا في صدره من قدومه علم أن ذلك من مرض في قلبه وعلة حلّت في صدره، ويجب عليه تعظيم قدره وتفخيم منزلته والتشمير بالقيام بحقّه، في المسارعة في الخيرات والمسابقة بحقه إلى الطاعات وأن يستروح بمصاحبته ويستأنس، ولا يزري به التفخيم من الخطيئات والخوض في السيئات، ولا يحقره بقلة المبالاة والتهاون به؛ فقد روي عن رسول الله ﷺ أنه قال: من هان عليه تعبده كان ذلك على الله أهون. وروي عنه أنه قال: أهون الصيام ترك الطعام والشراب. وروي عن عمر رضي الله عنه أنه قال: رُبّ صائم ليس له من صيامه إلا الجوع والعطش. ثم يجب عليه أن ينظر إلى حقه بعين التعظيم منه لربه الذي لو كلف عباده أن يمسكوا عن الأكل والشرب =

ويصحُّ نفلُه بنيّةٍ قبلَ الزّوالِ لا فرضُه بغيرِ نيّةِ صومِ غَدٍ مِنْ رمضانَ أو النَّذرِ أو الكفّارةِ كُلَّ ليلةٍ.

هُوَ[1] إمساكُ نهارِه عَن جماعٍ ونحوِه وقَيءٍ مختارًا، أو وُصولِ عينٍ ظاهرةٍ جوفًا مِن مَنفذٍ نافذٍ، فلو شكّ في وصولِها أو نَسِيَ أو أُكرِهَ لم يُفطِرْ، وبِغِيبَةٍ ونحوِها أثِمَ ومُنِعَ ثوابَه إجماعًا؛ ذكرهُ السُّبكيُّ في «شرحه»[2]، وفيه نظرٌ لمشقةِ

= إلى الممات لكان أقل من الواجب في حقه واللازم في حرمته، وذلك على قدر التعظيم الذي في قلب العبد؛ فأما من لم يعرف عظم حق الله تعالى بما توصله إلى ما ذكرنا؛ فهو الجهل والبطالة وهو لا يفهم ما ذكرنا، وروي عن النبي ﷺ أنه شكا إليه بعض أصحابه من الجهد والشدة التي كانت بهم، فقال النبي ﷺ: ما هذه الشكوى؟ وقد كان قبلكم من يمشط بأمشاط الحديد لحمه وجلده، فما كان ذلك يردعه عن دينه. من «تحقيق السلمي» رضي الله عنه.

(١) أي: الصيام.

(٢) قال السبكي رحمه الله في «شرح المنهاج» (ص٢٢٠-٢٢١) عند قول المصنف النووي رحمه الله: (وليصُن لسانه عن الكذب والغيبة): هذا واجب على كل أحد ويتأكد في حق الصائم، لقوله ﷺ: «من لم يدع قول الزور والعمل به فليس لله حاجة في أن يدع طعامه وشرابه» رواه البخاري، وعنه ﷺ: «ليس الصيام من الأكل والشرب فقط، الصيامُ من اللغو والرفث» قال الحاكم: صحيح على شرط مسلم. وقال الأوزاعي: يبطل الصوم بالغيبة والكذب، ويجب قضاؤه، ومذهبنا ومذهب جمهور العلماء لا يبطل، والحديث الذي ورد: «خمس يفطرن: الغيبة، والنميمة، والكذب، والغفلة، واليمين الفاجرة» حديث ضعيف، وأجاب الماوردي وغيره بأن المراد بطلانُ الثواب لا نفس الصوم.

وقال في «الفتاوى» (١: ٢٢٠)، (مسألة: حفظ الصّيام من فوت التّمام) قال رحمه الله: واجتناب الغيبة ونحوها على الاختلاف بين العلماء في كونها مفطرة أم لا، والجمهور على أنها ليست مفطرة؛ فاجتنابها على مذهب الجمهور واجتناب سائر المعاصي والمكروهات التي لا تفطر بالإجماع من باب كمال الصوم وتمامه. ثم نقل قول الإمام أبي عبد الله محمد ابن نصر المروزي في كتاب «تعظيم قدر الصلاة»: أهل العلم مجمعون على أنه إذا شغل جارحة من جوارحه بعمل من غير أعمال الصلاة أو بفكر وشغل قلبه بالنظر في غير عمل الصلاة إنه منقوص من ثواب من لم يفعل ذلك فاقدًا جزءًا من تمام الصلاة وكمالها. ثم قال: =

الاحتراز؛ نَعَمْ إنْ كثُرتْ توجَّهتِ المقالةُ لا نُصحًا وتظلُّمًا ونحوَهما لحاكمٍ ونحوه[١]، وبيّناهُ في آفاتِ اللسانِ[٢]، ويَستفتِي[٣] مُبهِمًا حتمًا حيثُ لا حاجةَ إلى هَتْكِ سِتْرِ المسلمِ ويجرُّ حِقدًا وآفاتٍ، وفي غِيبَتِها لأبي سُفيانَ نوعُ تَظُلمٍ[٤]، وفي هذا التّأويلِ السَّترُ وسلامةُ الصّدر، ونصٌّ خالفَ يجبُ تأويلهُ، فقَوِي براءةُ مُغتابِه مُبهمًا، وقِصّةُ أبي ضَمْضمَ حُجّةٌ[٥]، وقيلَ: له تعريفُ أخيهِ ما قيلَ عنْهُ.

قلتُ: يَرُدُّهُ تغيُّره ﷺ ورجوعُ الناقلِ، أي: في قولِهِ لهُ ﷺ عمَّنْ قالَ: «هَذِهِ قِسْمةٌ ما أُرِيدَ بها وَجْهُ اللهِ...» الحديثَ؛ فتغيَّرَ وجهُه ﷺ، وقال: «رَحِمَ اللهُ أخِي مُوسَى فَقَدْ أُوذِيَ أكْثَرَ مِنْ هَذا فَصَبَرَ»[٦].

ولا يَرِدُ علَينا قولُه ﷺ: «ما أُوذِيَ نَبِيٌّ ما أُوذِيتُ»[٧]؛ لأنّ أنواعَ أذاهُ ﷺ أكثرُ،

= وانظر نقل محمد بن نصر على جلالته الإجماع على نقص الصلاة بهذه الأمور وأكثرها ليس بحرام على المعروف من مذاهب الجمهور. وقد تكرر في كلام محمد بن نصر الذي حكيناه إنكار جواز الالتفات، ولا يستبعد ما قاله؛ فما قاله من الدليل قوي فيه، وحقيق بالمسلم أن يروض نفسه حتى يصير كذلك. ولينظر تمام كلامه ففيه ما يجلو الصدر.

(١) من قوله: (نعم...) إلى هنا غير مثبت في (أ).

(٢) ينظر (ص٣١٤).

(٣) في (أ): يستثنى.

(٤) روى البخاري (٢٢١١) عن عائشة رضي الله عنها: قالت هندُ أُمُّ مُعاوية لرسول الله ﷺ: إنّ أبا سُفيان رجُلٌ شحيحٌ، فهل عليّ جُناحٌ أن آخذ من ماله سرًّا؟ قال: «خُذي أنت وبنُوك ما يكفيك بالمعرُوف».

(٥) روى أبو داود (٤٨٨٧) عن عبد الرحمن بن عجلان، قال: قال رسولُ الله ﷺ: «أيعجزُ أحدُكُم أن يكُون مثل أبي ضمضمٍ؟» قالُوا: ومن أبُو ضمضمٍ؟ قال: «رجُلٌ فيمن كان من قبلكُم»، بمعناهُ، قال: «عرضي لمن شتمني».

(٦) رواه البخاري (٣١٥٠)، ومسلم (١٠٦٢) من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه. وفي غير (هـ، و، ز): (لقد) بدل (فقد).

(٧) رواه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (٣١٥٠) من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه.

وأيضًا يردُّه النّهيُ عنهُ ليُصبحَ سليمَ الصَّدرِ؛ كما صحَّ[١]؛ نعَمْ إنْ كانتْ نُصحًا ليُحَذرَ وإلّا فلا، ومصلحةٌ شرعيّةٌ لم تُنلْ بغيرِ كذبٍ إنْ وجبتْ وجبَ وإلّا أُبيحَ.

وأكملُ صَومهِ باطنًا عمّا سواهُ تعالى وظاهرًا عمّا لا يَعْنِي، وأوسطُه عَن ذُنوبهِ ومُفطّراته؛ في «البُخاريِّ»: «مَنْ لَمْ يَدَعْ قَولَ الزُّورِ والعَمَلَ بِهِ فَلَيسَ للهِ تَعالَى حاجَةٌ في أنْ يَدَعَ طَعامَهُ وَشَرابَهُ»[٢].

وآدابُه: غضُّ بصرِه، وحِفْظُ جوارحِهِ، ومتى شَبِعَ ضيّعَ[٣] ليلَهُ أو بسحُورهِ ضيَّعَ نهارَهُ. والمُرادُ مِنْ صومِه عدمُ شِبَعِهِ ليدومَ نشاطُه.

وَسُنَّ[٤] صومُ أيّامٍ فاضلةٍ، والأشهرِ الحرُم، ثُمَّ شعبانَ لا إفراد نصفِه الثّاني، والعيدينِ والتَّشريقِ، واستثنى البُخاريُّ أيامَ التشريقِ لِمن لَم يجدِ الهَدْيَ[٥]، وهو قَوِيٌّ جِدًّا.

ويُكرهُ إفرادُ جُمعةٍ أو سبتٍ وكذا الأحدُ، وحَسُنَ صومُهُما بنيّةِ مُخالفةِ اليهودِ والنّصارى، وفيهِ حديثٌ صحيحٌ[٦].

---

(١) رواه أبو داود (٤٨٦٠)، والترمذي (٣٨٦٩) عن عبد الله بن مسعودٍ، قال: قال رسولُ الله ﷺ: «لا يُبلّغُني أحدٌ عن أحدٍ من أصحابي شيئًا؛ فإنّي أُحبُّ أن أخرُج إليهم وأنا سليمُ الصّدر».

(٢) صحيح البخاري (١٩٠٣).

(٣) في (ز): ضاع.

(٤) في (أ، د): ويُسنُّ.

(٥) حيث قال رحمه الله: باب صيام أيّام التّشريق. ثم قال: وقال لي محمّد بن المثنّى، حدّثنا يحيى، عن هشامٍ قال: أخبرني أبي، كانت عائشة رضي الله عنها تصُومُ أيّام التّشريق بمنًى، وكان أبوها يصومها. ثم روى (١٩٩٧) عن عائشة، وعن سالم عن ابن عُمر رضي الله عنهم، قالا: «لم يُرخّص في أيّام التّشريق أن يُصمن، إلّا لمن لم يجد الهدي».

(٦) روى ابن خزيمة (٢١٦٧)، وابن حبان (٣٦١٦): أنّ ابن عباس رضي الله عنهما وناسًا من أصحاب رسول الله ﷺ بعثوه إلى أم سلمة، أسألها الأيام كان رسول الله ﷺ أكثر لها =

وصومُ عيدِهم أبلغُ في مُخالفةِ اليهودِ والنَّصارى، وحديثُ الكراهةِ ضعيفٌ، وقال الأذرعيُّ: لم أجدْ مَن طعنَ في حديثِ أمِّ سلمةَ[1]؛ يعني: في صومِ يوم السبتِ بنيةِ مُخالفةِ اليهودِ[2].

وصومُ داوُدَ عليهِ السَّلامُ أسْلمُ، جمعًا لحَظِّه وتعبُّدِهِ وصبرِهِ وشُكرِهِ بفِطرِه؛ نَعَمْ وَسَرْدُه لبعضِهم، وقد لا يُكرهُ؛ لأنَّهُ ﷺ أقرَّ حمزةَ بنَ عمْرٍو عليهِ[3]، وسَردَ هشامُ بنُ عُروةَ وعائشةُ وأبو طلحةَ[4]. وتقليلُه لبعضِهمْ تقويةٌ لخيرٍ أهمّ، والعاقِلُ

= صيامًا؟ قالت: يوم السبت والأحد، فرجعت إليهم، فأخبرتهم وكأنهم أنكروا ذلك، فقاموا بأجمعهم إليها، فقالوا: إنا بعثنا إليك هذا في كذا وكذا، وذكر أنك قلت: كذا وكذا، فقالت: صدق، إن رسول الله ﷺ أكثر ما كان يصوم من الأيام يوم السبت والأحد، كان يقول: «إنَّهُما عيدان للمُشركين، وأنا أُريدُ أن أُخالفهُم».

(١) قوت المحتاج في شرح المنهاج (١: ٥٥٧)؛ إلا أنه نقله عن النسائي؛ فقال رحمه الله: قال الحافظ عبد العظيم: وقال الأوزاعي: ما زلت كاتمًا حتى رأيتُه انتشر، ثم حكى عن النسائي بعد ذكره طرق النهي أنه قال: هذه أحاديثُ مضطربة، ولم أر من طعن في حديث أم سلمة السابق. ثم نقل عن «البحر» قوله: لا يكره إفراد عيد من أعياد أهل الملل بالصوم كيوم الشعانين وفصح النصارى وفطر اليهود ويوم النيروز والمهرجان، ووجهُه ـ والله أعلم ـ المخالفة لهم، وقد يقال: يكره صومه كالسبت؛ لأن فيه تعظيمًا له.

(٢) من قوله: (وصومُ عيدهم...) إلى هنا مثبت من (هـ، و، ز).

(٣) روى البخاري (١٩٤٣)، ومسلم (١١٢١) من حديث أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها زوج النبي ﷺ: أن حمزة بن عمرو الأسلميّ قال للنبي ﷺ: أأصومُ في السفر؟ وكان كثير الصيام، فقال: «إن شئت فصُم، وإن شئت فأفطر».

(٤) روى ابن أبي شيبة في «المصنف» (٨٩٠٤) عن أنسٍ رضي الله عنه أن أبا طلحة كان يُكثرُ الصوم على عهد رسُول الله ﷺ، وكان لا يُفطرُ بعدهُ، إلا من وجع. وروى أيضًا (٨٩٠٥) عن نافع عن ابن عُمر رضي الله عنه أنهُ كان لا يكادُ يُفطرُ في الحضر إلا أن يمرض. وروى أيضًا (٨٩٠٦) عن سعد بن إبراهيم قال: كان ممن يُكثرُ الصوم ابن عُمر، وعائشةُ، وسعيدُ ابنُ المُسيب. وروى أيضًا (٨٩٠٧) عن نافع، عن ابن عمر رضي الله عنهما: أن عُمر سرد الصوم قبل موته بسنتين. وروى أيضًا (٩٥٦٢) عن عبد الواحد، قال: كان عُروةُ يصُومُ الدهر في السفر وغيره.

يتعرَّفُ ما يُصلحُه، ويَقضِي يومَ غِيبةٍ ونحوِها وكُحْلِه ودُهْنِه وفِطرِه ناسيًا أو مُتطوِّعًا لخلافٍ فِيهنّ، ولا يُفطرُ خَوفًا مِن رُكونِهِ إلى صَومِه فيركنُ إلى فِطْرِهِ عُقوبةً لإبطالِ صَومِهِ، ويَتقي فِطرَه لحظٍّ بحُجَّةِ جَبْرِ قلبٍ؛ فيُمسكُ عَن حظِّه وعَن تشويشِ قلبِ غيرِه.

واعْتِكافُهُ سُنَّةٌ، وأكملُه عُكُوفهُ[1] بالطّاعةِ، وكفُّهُ عمّا سواهُ تعالى، وفي رمضانَ وأواخرِه آكدُ لليلةِ القَدْرِ؛ نَعمْ وفي الجمعةِ للساعةِ؛ نوى اعتكافًا كفى لحظةً وسُنَّ يومًا.

أركانُه: عكُوفُ[2] مسلمٍ عاقلٍ بمسجدٍ[3]، ونيتُه بلا جنابةٍ ونجاسةٍ سائلةٍ، وتحرمُ مُباشرةٌ بشهوةٍ، ولو أنزلَ بطلَ، ونُهيَ عَن النَّذرِ؛ نَعمْ يَتقرَّبُ بجعلِ مُباحهِ ندبًا، ونَفْلهِ فرضًا بالنذرِ؛ لثنائهِ تعالى على مريمَ عليها السَّلامُ فيهِ وقَبولهِ منها؛ إذ رُتبةُ الفرضِ أعلى، والكُلْفةُ واحدةٌ سِيَّما المُختلَفُ فيه؛ فإنّه يأتي به على اعتقادِ الوجوبِ بنيةٍ جازمةٍ، ولا يُتصوّر بغيرِهِ، والنّهيُ يُفهمُ المُعلَّقَ فقطْ؛ لاقترانهِ بحظٍّ يُوهمُ انحرافًا؛ إذ يُستخرجُ به مِنَ البَخيلِ كما صحَّ[4]، ويَصحُّ لله تعالى فقطْ نَذرُ كُلِّ فَضِيلةٍ وفرضُ كفايةٍ فقط، ولفظُه شرطٌ، وما علَّقهُ لمرغوبٍ فنذرُ تَبرُّرٍ يَلزمُ به ما شرطَه، ولا يصحُّ قبلَه؛ نَعَم الكفّارةُ بغيرِ صومٍ وبعدَ حِنْثِه أكملُ، أو رغبةً عنهُ فنذرُ لَجاجٍ يَكفيهِ عمّا التزمَه كفارةُ يمينٍ؛ لأنّه صِيغةٌ كصِيغةِ قَسَمٍ.

---

(١) في غير (أ، ب، د): تعلُّقهُ.

(٢) في (هـ، و): عكف.

(٣) في (د) زيادة: حل.

(٤) روى البخاري (٦٦٠٨) عن ابن عمر رضي الله عنهما، قال: نهى النبي ﷺ عن النذر، وقال: «إنّهُ لا يرُدُّ شيئًا، وإنّما يُستخرجُ به من البخيل».

كتاب أسرار الحج

فرضُه: مرّةً فَوريًّا بخوفِ عَجزِه.

شرطُه: إسلامٌ.

ولمباشرتِه: تمييزٌ[١].

ولفرضيتهِ[٢]: حُرِّيةٌ، وبُلوغٌ، وعقلٌ، ووُجوبُه باستطاعةٍ بأنْ يجدَ راحلةً لمسافةِ قَصْرٍ ومَحْملًا لضررٍ؛ نَعَمْ لا شَريكٍ[٣] لو أمْكَنهُ الزّادُ ونحوُه في الشّقِّ الآخَرِ.

أركانُه ستّةٌ[٤]:

إحرامُه بحجٍّ وعُمرةٍ قرانٌ، وبعُمرةٍ وبعدها بحجٍّ تمتعٌ، وعكسُه إفرادٌ، وهو

---

(١) في هامش (ز): حاشية: المميز: من يأكل وحده، ويشرب وحده، ويتوضأ وحده، ويصلي وينام وحده.

(٢) في غير (هـ، و، ز): ولفرضه.

(٣) في غير (هـ، و، ز): نعم لا شريك.

(٤) في هامش (ز) حاشية: ذكر شيخ الإسلام نقلًا عن الرافعي أن الترتيب يعدُّ ركنًا كما في الوضوء والصلاة، وقد فعل هذا المؤلف رحمه الله تعالى تبعًا للرافعي، فعدها من أركان الإحرام والوقوف وطواف الإفاضة ويسمى طواف الصدر والسعي والحلق، والواجبات فاثنان متفق عليهما، وأربعة مختلفة فيها؛ فإنشاء الإحرام من الميقات والرمي متفق عليهما، والأربع المختلف فيها؛ فأحدهما الجمع بين الليل والنهار بعرفة، والمبيت بمزدلفة، ومبيت ليالي منى للرمي، وطواف الوداع، والأصح وجوب الأربعة؛ قاله النووي في «الإيضاح».

أفضلُ إن اعتمرَ في سَنَتِهِ، فيَحرمُ في إحرامِهِ سَترُ رأسِه بما يُعدُّ ساترًا ولو بياضًا وراءَ أُذُنه ووجهًا لا بيدٍ وحملِ شيءٍ؛ نَعَمْ لو استرخَى زَنْبيلٌ[١] حَرُمَ، ولُبسهُ مَخيطًا ومُعقّدًا ومَخلولًا ومُلصقًا ومُلَبدًا، ولها لُبسُه لا في يدِها، ولهُ أن يلتحفَ ويتّزرَ بهِ، وسَتْرُ وجهِهِ، وتَسترُه ممّا يلي رأسَها وتظليلهُما بلا مَسٍّ، ولهُ لفُّ رجليهِ بخِرقةٍ ونحوِها.

ويَحرمُ تطييبٌ ولو بنعلٍ مع عِلْمٍ واختيارٍ، وضابطُه: كونُ مُعظَم الغرض منهُ التّطيُّبَ، ويحرمُ دَهْنُ رأسِها[٢] ولحيتهِ لا شعرِ غيرِهما، وبشرةٍ وقَرعٍ وصَلَعٍ وذقْنِ أمرَد ونحوِه، وغيرِ مطيَّبٍ لشَجّةٍ لا كُحْلٍ مُطيّبٍ، ويحرمُ إزالَةُ بعضِ شعرةٍ أو ظُفرٍ ولو بشَرارةٍ بعدَ مُكنةِ إطفائها، ويلزمُ بكلٍّ مُدٌّ وبثلاثةٍ دمٌ.

ويفسُد حجُّهُ بدُخولِ حَشَفَةٍ أو قَدْرِها قُبُلًا أو دُبرًا قبلَ تَحَلُّلهِ لا بينهُما وفيهِ شاةٌ، وتَفسُدُ عُمرتهُ قَبل تحلُّلِها؛ لأنّها فرضٌ كحَجِّه وفيها ما فيه، ويَكفِي لهُما استطاعةٌ، ويلزَمُ مُفسِدَ أحدِهما بدَنةٌ مع المُضِيِّ فيهِ، والقضاءُ على الفورِ ولو كان مُتطوِّعًا، ويحرمُ صيدُ مأكولٍ ولو مِلْكٌ أو خَرجَ إلى الحِلِّ مُضطرًّا أو مُتولِّدًا وأذاهُ وتنفيرهُ، وما عَيشُهُ في ماءٍ وبَرٍّ وجَرادٌ ومُستأنسٌ؛ كدجاجِ الحَبشِ وطيرِ ماءٍ، وبيضٌ يَنْفَعُ ولبنٌ فيُضْمَنانِ بالقِيمةِ في الحِلِّ والحرمِ، وعلى حَلالٍ وكافرٍ في الحرمِ فقط، وما لا نَقْلَ فيهِ يَحكُم بمثلِه عَدْلانِ عارفانِ، وفي حَمامٍ شاةٌ وهوَ ما عَبَّ أو هَدَرَ، ومنهُ كلُّ مُطوَّقٍ قُمْريٍّ، ولا دليلَ على تَحْريمِ أكلِ الزُّرافةِ، والأصلُ الحِلُّ، والنصُّ[٣] إليهِ أقربُ؛ صرَّحَ به ابنُ كَجٍّ وغيرُه[٤].

(١) الزنبيل: القفّة الكبيرة.

(٢) في هامش (ز): لا لعلة رأسه.

(٣) في (هـ، و، ز): وهو.

(٤) قال في «مغني المحتاج» (٤: ٣٠٣): وبتحريمها جزم صاحب «التنبيه»، وقال المصنف =

ويَحرمُ شجرٌ حَرميٌّ وشوكُه؛ لصريحِ النَّهيِ عنهُ؛ لا يابسٌ ومانعُ مُرورٍ وإذخرٌ ونَباتُه علفًا لا بيعًا؛ ففي شجرةٍ كبيرةٍ بقرةٌ، ودونها إلى قَدْرِ سُبْعها شاةٌ، وما صغُرَ جِدًّا والكلأُ بالقيمةِ، وكذا المدينةُ للحديثِ[1].

الرّكنُ الثّانِي: الوقوفُ كما عُرِفَ.

الثّالثُ: طوافُهُ، وشَرْطُه جعلُ البيتِ عَنْ يسارهِ مُبتدِئًا بالحجرِ الأسودِ؛ مُحاذيًا لَهُ بكلِّ بدَنِهِ، وطوافُه سبْعًا، فلو أحْدَثَ فيه أو كُشِفَتْ عَورتهُ مُنِع طوفَتَه؛ فيتطهَّرُ ويَسترُ ويَبْنِي، ويمتنعُ الحِجْرَ وفَتْحَتيهِ والشّاذِروانَ، ومسُّهُ جُدُرَ الكعبَةِ في طوافهِ.

= في «المجموع»: إنه لا خلاف فيه، ومنع ابن الرفعة التحريم، وحكى أن البغوي أفتى بحلها واختاره السبكي، وحكاه عن «فتاوى القاضي» و«تتمة التتمة»، وقال الأذرعي: وهو الصواب نقلًا ودليلًا ومنقول اللغة؛ أنها متولدة بين مأكولين من الوحش واقتضى كلام ابن كجٍّ نسبته للنصّ. وقال الزركشي: ما في «المجموع» سهو وصوابه العكس. انتهى. وهذا الخلاف يرجع فيه إلى الوجود إن ثبت أنها متولدة بين مأكولين؛ فما يقوله هؤلاء ظاهر، لكن ظاهر كلام الشيخ في «التنبيه» أنها مما تتقوى بنابها، واعترض بأنها لا تتقوى بنابها، وأن الشيخ لم يرها، وظن أنها تتقوى به كسائر السباع.

وابن كجٍّ: يوسف بن أحمد بن كج القاضي أبو القاسم الدينوري، أحد الأئمة المشهورين وحفاظ المذهب المصنفين وأصحاب الوجوه المتقنين، تفقه بأبي الحسين ابن القطان، انتهت إليه الرئاسة ببلاده في المذهب ورحل الناس إليه رغبة في علمه وجوده، كان يضرب به المثل في حفظ المذهب، وكج: هو في اللغه الجص الذي تبيض به الحيطان، ومن تصانيفه «التجريد»، وهو مطول، وقد وقف عليه الرافعي، قتله العيّارون ليلة السابع والعشرين من شهر رمضان سنة خمس وأربعمئة. «طبقات الشافعية» لابن قاضي شهبة (١: ١٩٨).

(١) روى البخاري (٣٣٦٧)، ومسلم (١٣٦٥) عن أنس بن مالك رضي الله عنه: أن رسول الله ﷺ طلع له أُحُدٌ، فقال: «هذا جبلٌ يُحبُّنا ونُحبُّهُ. اللهُمّ، إنّ إبراهيم حرّم مكّة، وإنّي أُحرّمُ ما بين لابتيها».

ومِن سُنَنِهِ: موالاتُه، ويستلمُ الحَجرَ الأسودَ ويُقبِّلُه ويمسُّه بجبهتِهِ واليمانيَّ بيدِهِ فقَطْ ثُمَّ يُقبلُها إلا الشّاميينَ والحجرَ لزحمةٍ، وتستلمُ أُنثى بخلوةٍ فقطْ، وَيُسْرِعُ مشيَهُ ثلاثةَ أشواطٍ[1] إنْ أعقبَهُ سعيٌ، وقُربُهُ مِن البيتِ وبُعْدُه؛ لزحمةٍ.

الركنُ الرابعُ: ترتيبُ هذهِ الثلاثةِ فقطْ.

الركنُ الخامِسُ والسّادسُ: سعيُه وحلْقُه، وهما معروفانِ.

وأركانُ العُمرةِ ما سوى الوقوف.

وواجِباتُه سِتّةٌ: إحرامهُ مِن مِيقاتِه، ورَميُهُ، ووقوفُه إلى اللَّيل ـ وفيهِ نظرٌ ـ ومبيتُهُ بمُزدلفَةَ ـ وقيلَ: هو ركنٌ، وقوّاهُ السُّبكيُّ[2] ـ ومبيتُه بمِنًى، وطوافُ الوداعِ؛ شَرْطُه سفرُه عَقِبَه على الفَورِ، ومَنْ تركَهُ لخوفِ ظالمٍ ونحوِه فَدَى[3] لا حائضٌ ونفَساء؛ نَعَمْ لو طَهُرَتا قَبْلَ مُفارقةِ البناءِ. والباقي سُنّةٌ.

والموانعُ ستّةٌ: إحصارٌ خاصٌّ وعامٌّ، ورِقٌّ، وزوجيّةٌ[4]؛ نَعَمْ لَيس له منعُها بعدَ الوقوف.

قُلْتُ: وينبغي، ولا لأبوَي قَرُبت المسافةُ؛ كسفرِ التِّجارةِ ولِمَن له دينٌ حالٌّ

---

(١) في (أ): ثلاثة أشواطه.

(٢) الابتهاج في شرح المنهاج، كتاب الحج، رسالة دكتوراة (ص٤٢٢).
وقال الإمام النووي رحمه الله: المشهور من مذهبنا أنه ليس بركن؛ فلو تركه صحّ حجُّه؛ قاله القاضي أبو الطيب وأصحابنا، وبهذا قال جماهير العلماء من السلف والخلف، وقال خمسة من أئمة التابعين: هو ركن لا يصح الحج إلا به كالوقوف بعرفات؛ هذا قول علقمة والأسود والشعبي والنخعي والحسن البصري، وبه قال من أصحابنا ابن بنت الشافعي وأبو بكر بن خزيمة. ينظر: «المجموع» (٨: ١٥٠) فقد ذكر أدلة الفريقين وردهما.

(٣) في غير (هـ، و): أفدى.

(٤) في (ب): وزوجة.

منعُ مُوسرٍ منهُ قبلَ إحرامِهِ؛ فلو فاتَهُ الحجُّ تحلَّلَ بعُمرةٍ، وحصرٌ خاصٌّ كعام في نفي القضاء، ولو تحلَّل مِن فرضٍ مُستقرٍّ بَقِيَ في ذمَّتِهِ وإلّا اعتُبِرَت اسْتِطاعَتُه بعدُ، ومَن فاتهُ الوقوفُ تحلّلَ وُجُوبًا بطوافٍ وسَعيٍ وحَلْقٍ، وليسَ بعُمرةٍ وعليهِ دمٌ والقضاءُ على الفَور.

وفِدْيةُ حَلْقٍ أو لُبسٍ أو قلمٍ أو دَهْنٍ أو طيبٍ أو مُباشرةٍ بشهوةٍ أو جِماعهِ ثانيًا، أو بين تَحَلُّلَيهِ دمٌ، أو ثلاثةُ آصُعٍ لستّةِ مساكينَ، ويجبُ تسويتهُم فيه، أو صومُ ثلاثةِ أيام، ودمُ تركِ مأمورٍ؛ كدَم التمتُّع شاةٌ؛ فلو عجزَ صامَ ثلاثةَ أيامٍ وسبعةً بوطَنهِ، ودمُ صيدٍ مِثْليٍّ بمثلِه مِن النّعَمِ أو بقِيمتِهِ طعامًا، أو صامَ عن كُلِّ مُدٍّ يومًا، وغيرُ مثليٍّ يُقَوّمُ بمحلِّ إتلافِهِ، والمثليُّ بمكةَ.

ودمُ الجماعِ بدنةٌ، فبقرةٌ، فسبعُ شياهِ أُضحِيّةٍ، فطعامٌ بقيمَةِ البَدَنةِ، ويجبُ ترتيبُهُ كذا.

ودمُ إحصارٍ شاةٌ، فطعامٌ، فصومٌ، وكلٌّ لثلاثِ مساكينَ فصاعًا بالحَرَمِ إلّا بحصرٍ وصومٍ، ودمُ فِعْلِ مَنْهيٍ لا يختصُّ بزمنٍ[1]، وفي مُتَعدٍّ بهِ على الفور.

ويحرمُ استصحابُ تُرابِ أحدِ الحرمينِ الشّريفينِ وما عُمِلَ منهُ وأحجارِهما ونحوِه، وسِتْرِ الكعبةِ وطِيبِها، ويلزمُ الردُّ؛ نَعَم اسْتَثنى ابنُ الصّلاحِ سِترتَها تبرُّكًا[2].

---

(١) من قوله: (مساكين فصاعًا...) إلى هنا غير مثبت في (ب).

(٢) نقل الإمام النووي رحمه الله في «روضة الطالبين» (٣: ١٦٨) هذه المسألة عن ابن الصلاح فقال: قال الشيخ أبو الفضل بن عبدان: ولا يجوز قطع شيء من ستر الكعبة، ونقله، وبيعه، وشراؤه، خلاف ما تفعله العامة، يشترونه من بني شيبة، وربما وضعوه في أوراق المصاحف، ومن حمل منه شيئًا لزمه رده.
وأما ستر الكعبة فقد قال الحليمي رحمه الله أيضًا: لا ينبغي أن يؤخذ منها شيء. وقال=

وآدابُه: توبةٌ تامَّةٌ، ورَدُّ ودائعَ ونحوِها، واستحلالٌ تامٌّ، وإيصاءٌ، ودفعُ نفقةِ عِياله إلى رُجوعِهِ، وتوسعةُ نفقةٍ طيّبةٍ جدًّا؛ إذْ بخَبَثِها يُقال له: لا لبَّيكَ ولا سعدَيكَ[1] مردودٌ عليكَ؛ يؤيِّدهُ: «فَأَنّى يُسْتَجابُ لِذَلِكَ...» الحديثَ؛ رواهُ مُسلمٌ[2].

ويتوقّى بالصَّدقةِ مع خُروجِهِ بُكرةَ الخميسِ بعدَ ركعتيهِ بمنزِلِه، ثُمَّ يدعُو ويستودعُ اللهَ أهلَه ومالَه، ويقولُ: بسم اللهِ توكَّلتُ على اللهِ، لا حولَ ولا قوّةَ إلا باللهِ العليِّ العظيمِ، اللهُمَّ أنتَ الصّاحبُ في السَّفرِ والخليفةُ في الأهلِ[3]، اللهُمَّ زوِّدني في سفري هذا البِرَّ والتّقوى ومِنَ العملِ ما تَرْضَى، ولُطفكَ الجميلَ، وكُنْ لي صاحبًا في المقامِ والرَّحيلِ، اللهُمَّ بكَ انتشرتُ، وإليكَ توجّهتُ، وبكَ اعتصمتُ، وعليكَ توكّلتُ، أعوذُ بكلماتِ الله التّامّاتِ مِن شرّ ما خلقَ، اللهُمَّ إنّي أعوذُ بكَ مِنْ وَعْثاءِ السَّفَرِ، وكآبَةِ المنظرِ، وسُوءِ المُنقَلبِ في الأهلِ والمالِ والولدِ[4].

= صاحب «التلخيص»: لا يجوز بيع أستار الكعبة. وقال الشيخ أبو عمرو بن الصلاح رحمه الله بعد أن ذكر قول ابن عبدان والحليمي: الأمر فيها إلى الإمام، يصرفها في بعض مصارف بيت المال بيعًا وعطاء، واحتج بما رواه الأزرقي صاحب كتاب «مكة»: أن عمر ابن الخطاب رضي الله عنه، كان ينزع كسوة البيت كل سنة، فيقسمها على الحاج. وهذا الذي اختاره الشيخ حسن متعين، لئلا يتلف بالبلى، وبه قال ابن عباس، وعائشة، وأم سلمة رضي الله عنهم. وقال في «المجموع» (٧: ٤٦٠): لا يجوز أخذ شيءٍ من طيب الكعبة لا للتبرك ولا لغيره، ومن أخذ شيئًا منه لزمه ردُّه إليها؛ فإن أراد التبرك أتى بطيب من عنده فمسحها به، ثم أخذه. والله أعلم.

وفي (ز): سترها.

(١) قوله: (ولا سعديك) لم تثبت في (هـ، و، ز).

(٢) صحيح مسلم (١٠١٥) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٣) في (هـ، و، ز): المنزل.

(٤) روى هذه الأذكار ابن السني في «عمل اليوم والليلة» (ص٤٤٠) في باب ما يقول إذا خرج=

ويأتي به وبأذكارِ المساءِ والصَّباحِ أبدًا بعدَ جَبْرِ قُلوبِ معارفِهِ، وإتْقانِ مَنْسَكٍ؛ كـ«إيضاحِ النّوويّ» رحمَه الله تعالى على مُفْتٍ، ثُمَّ يأخُذه وسِواكًا ومكحُلةً ونحوَهما، ويُظهِرُ لمُكْرِيهِ ما مَعَهُ؛ منعَ بعضُهم رُقعَةً إلَّا بإذنِهِ، ويرافِقُ أتقياءَ فقَط، ويُؤمّرُ أتقاهُم لينتظمَ أمرهُم بنظرِهِ التّامِّ، ويجعل نفْسَهُ لهم وقايةً، ويتّقي ما لا يَعْنيهِ جدًّا بدوامِ الصلاةِ عليهِ ﷺ انفرادًا وباجتماعِهِمْ مُذاكَرة آدابِ زيارتِه ﷺ.

وشروطُ التّيمُّمِ والجَمْعِ والقَصْرِ مَغفولٌ عنها؛ فيَشغَلُهم عَن ضَجَرٍ وما لا يَعني بذلكَ، وبعدَ إحرامِهم بآدابِ حَجِّهم وعُمرتِهم ومأموراتِهما ومَنهياتِهما، وبانفرادِهم دوامُ التلبيةِ، وكُلٌّ يتَّقِي التقصيرَ وسُوءَ خُلقهِ؛ فراكبًا أتمُّ لا مع قُرْبٍ وسلامةٍ.

حَجَّ بَعضُهم فما نامَ إلَّا ساجدًا؛ فيُجَرِّدُ قلبَهُ عَن السَّهوِ، ونَفْسَه عَن اللهوِ، ولسانَهُ عَن اللَّغْوِ ليَتِمَّ أمرُه.

فصل[1]

[في آداب الحج]

لا وصولَ إلى كعبةِ الرِّضا والمغفرةِ[2] بغَيرِ محبَّةٍ وتجرُّدٍ وانفرادٍ ومُجاهدةٍ، وفيهِ أُنشدَ:

أيــا كَعْبَةَ الحُسْــنِ الَّتِــي لِجَمالِها ... قُلُوبُ أُولِي الألبابِ حَجَّتْ وَلَبَّتِ[3]

= في سفر، والطبراني في «الدعاء» باب القول عند الخروج إلى السفر (١: ٢٥٦).

(١) في (أ، د): (فصل في أسرار الحجّ).

(٢) في (ب): المعرفة. وليست مثبته في (أ).

(٣) البيت من الطويل، وهو لابن الفارض رحمه الله كما في «ديوانه» (ص٢٦). وفي (هـ، و): بجمالها.

والحجُّ نوعُ رَهبانيّةٍ؛ فآدابُه: عَدَمُ تجارةٍ وزينَةٍ ونحوِهما، بحالةِ شَعْثَةٍ ورَحْلٍ رَثٍّ؛ تأسّيًا به ﷺ، وبمثْله يُباهِي اللهُ تعالى ملائكتَه، وعظَّمَ اللهُ تعالى بَيتَهُ ونصبَهُ مقصدًا وما حَولَهُ حرَمًا آمنًا؛ تفخيمًا لأمْره وتعظِيمًا لشأنِه، وعَرَفَةُ مَيدانًا بِفِنائه يُتضَرَّعُ به إليهِ، ثُمَّ بقُرباتِهم وطُهْرِهم مِن ذُنوبهم رَفَعَ حِجابَهُمْ، وأمرَهُمْ بالزِّيادة على الطّهارةِ ولَمْ يُصَوِّمهُم؛ لأنّهم أضيافُه، ثُمَّ يَعتبرُ بزادِهِ وفَسادِه بَعْدُ برطوبةٍ ونحوِها عندَ حاجتِهِ فيَتَحَيّر، فيتقِي فسادَ زادِه لآخرتِهِ برياءٍ وسُمعةٍ وجَهْلٍ ونحوِه، ويَعتبرُ بفِراقِ وطَنِه ورؤيةِ الباديةِ وعَقَباتِها فِراقَ دُنياهُ إلى القيامةِ وأهوالِها، ويعتبرُ بإحرامِهِ فَقْدَ ما أَلِفَهُ لِيَلْقَى ربَّهُ تعالى بشَعْثِه وغَبْرته وذِلّته، وكفنَ موتِ شهواتِهِ للهِ تعالى، وبتلبيتِهِ إجابةَ ربِّهِ برغبَةٍ ورهبَةِ طردٍ كما قِيلَ شِعرًا[1]:

وَما في الأرْضِ[2] أشْقَى مِنْ مُحِبٍّ ... وإنْ وَجَدَ الهَوَى حُلْوَ المَذاقِ
تَراهُ باكِيًا أَبَدًا حَزِينًا ... لِخَوفِ تَفَرُّقٍ أو لاشْتِياقِ
فَيَبْكِي إنْ نَأوا شَوقًا إليهِمْ ... وَيَبْكِي إنْ دَنَوا خَوفَ الفِراقِ[3]

وإذا رأى بيتَ ربِّه تعالى استَحْضرَ عظمتَه بقَلْبِهِ وشكرَ وفُودَه إليهِ، ويُعَظِّمُ طوافَهُ به ـ فإنّهُ صلاةٌ ـ وباستلامِهِ الحجَرَ مُبايعَةَ اللهِ تعالى عَلى طاعتهِ؛ فيعزمُ

(١) في (ز): شعر. وفي هامشها: حاشية:

فَكَّرْتُ لَيلةَ وَصْلِها في هَجْرِها ... فَجَرَتْ بَقايا أدْمُعِي كالعَنْدَمِ

والبيت من البحر الكامل، وهو لابن رُشيقٍ كما في «ديوانه» (ص١١٩)، وتمامه:

فَطَفِقْتُ أَمْسَحُ مُقْلَتي في نَحْرِها ... إذْ عادَةُ الكافُورِ إمْساكُ الدَّمِ

(٢) في (هـ، و، ز): الدهر.

(٣) الأبيات من بحر الوافر، وهي لأبي بكر محمد بن الحسن بن دريد الأزدي (ت ٣٢١هـ)، كما في «ديوانه» (ص٧٩)، وفيها زيادة بيت آخر:

فَتَسْخُنُ عَينُهُ عِنْدَ التَّنائي ... وَتَسْخُنُ عَينُهُ عِنْدَ التَّلاقِي

على الوفاءِ ـ رُوِيَ: «الحَجَرُ الأسْوَدُ يَمِينُ اللهِ تَعالَى في الأرْضِ»[١]. قُلْتُ: سَوَّدَتْهُ الذنوبُ؛ هذا فِعْلُها في حَجَرٍ كيفَ فِعْلُها في القُلوبِ؟ ـ وبالتصاقِهِ بالمُلتزمِ وتعلُّقِهِ بأستارِ الكعبةِ التجاءَ المُذنبِ إلى سيِّده أو قُرْبَ مُحبٍّ مِن محبوبِهِ؛ كما قيلَ[٢]:

سُتُورُ بَيتِكَ ذَيلُ الأمْنِ مِنْكَ، وَقَدْ عَلِقْتُها مُسْتَجِيرًا، أيُّها البارِي
وَما أظُنُّكَ لَمّا أنْ عَلِقْتُ بها خَوفًا مِنَ النّارِ تُدْنِينِي مِنَ النّارِ
وَها أنا جارُ بَيتٍ أنْتَ قُلْتَ لَنا: حُجُّوا إلَيهِ، وَقَدْ أوصَيتَ بِالجارِ[٣]

بعضُهم تكرّرَ حَجُّه ووقعَ في نفْسهِ منهُ، فسَمعَ هاتفًا: هلْ تدعُو إلى بيتكَ إلّا مَنْ تُحبُّ؟!

ويَعتبرُ بسَعْيهِ تردُّدَهُ بينَ كِفَّتي ميزانِ القيامةِ، أو إلى بابه تعالى؛ لإظهارِ خُلوصِ خدمتهِ ورجاءِ مُلاحظتهِ بعَيْنِ الرَّحمةِ وقضاءِ حاجتهِ.

ويَعتبرُ بعرفةَ موقفَ الخلقِ وازدحامَهُمْ وارتفاعَ أصواتهم بأنواعِ لغاتِهم في القيامةِ؛ قيلَ لساكتٍ بعرفةَ: سَلْ. قال: وقعتْ وَحْشةٌ فأُلزِمَ؛ فرفعَ يديهِ وصرخَ فماتَ رحمهُ الله تعالى.

ويَستغرقُه ابتهالًا ودُعاءً بآدابهِ، وينوي بالجمارِ امتثالَ أمرهِ سُبحانَهُ وتعالى، ويُحقِّقُ بمبيتهِ بمنًى تركَ فُضولِ المُنى، وبالتقصيرِ تركَ التقصيرِ، وبحلْقِه قطعَ علائقهِ، وبهَدْيهِ ذبحَ طمَعهِ بمُدْيَةِ زُهْدهِ فيما سواهُ تعالى؛ تفريغًا لمحلِّ حُبّهِ ونَيلِ قُرْبهِ، وقِسْ عليهِ.

---

(١) رواه الأزرقي في «أخبار مكة» (١: ٣٢٤)، وأبو سعيد الجندي في «فضائل مكة» (٣٦) من قول ابن عباس رضي الله عنه. وينظر: «المقاصد الحسنة» (١١٠٩).

(٢) في (ز) زيادة: شعر.

(٣) الأبيات من البحر البسيط، وقائلها أبو الحسن الدويدة، كما في «تاريخ دمشق» (٦٦: ١٤٥).

وضررُ ذَنْبِهِ بعدَ حَجّهِ عظيمٌ جدًّا.

وَوَقتُ الدِّماءِ لقارنٍ بَعْدَ إحرامِه، ومُتمتِّعٍ بعدَ عُمرتِهِ، وفي إحرامِهِ بالحجِّ أتمُّ، ولصيدٍ بعدَ جَرْحِهِ لا قبلَه؛ نَعَمْ فِدْيَةُ لُبْسٍ ونحوِه لعُذْرٍ، وفي مُتَعدٍّ به بعْدَه جَزْمًا، ويجبُ دمُ الفَواتِ بعدَ إحْرامِه بالقضاءِ.

روى مسلمٌ: «ماءُ زَمْزمَ طَعامُ طُعْمٍ»[١]، زاد الحافظُ الطَّيالِسيُّ: «وَشِفاءُ سِقْمٍ»[٢]، و«لِما شُرِبَ لَهُ». صحَّحهُ البيهقيُّ في «شعب الإيمان»[٣]، وصحَّحهُ ابنُ عُيينةَ؛ نقلهُ ابنُ الجوزيِّ في كتاب «الأذكياء»[٤]، ووثَّقَ رجالَه الحافظُ الدِّمياطِيُّ، وصحَّحهُ الحاكمُ وابنُ حِبّانَ[٥]، ورواهُ أحمدُ وابنُ ماجه والدّارقُطنيُّ بسندٍ حسنٍ[٦]؛ فلا عِبرةَ بمَن ضعَّفه، وروى الدارقُطنيُّ والبيهقيُّ مرفوعًا: «آيَةُ ما بَيْنَنا وَبَينَ المُنافِقِينَ أَنَّهُمْ لا يَتَضَلَّعُونَ مِنْ زَمْزَمَ»[٧]؛ فيشربُ مُستقبِلًا ويتضلَّعُ

---

(١) صحيح مسلم (١٤٧٣) من حديث أبي ذر رضي الله عنه.

(٢) مسند أبي داود الطيالسي (٤٥٧).

(٣) شعب الإيمان (٣٨٣٢).

(٤) الأذكياء (ص٨٩)، وفيه قصةٌ جميلة مع أمير المؤمنين في الحديث ابن عيينة رحمه الله؛ قال الحُميديُّ: كُنّا عند سُفيان بن عُيينة فحدّثنا بحديث زمزم أنه لما شرب لهُ؛ فقام رجل من المجلس ثمّ عاد، فقال له: أبا مُحمّد، أليس الحديثُ بصحيح الذي حدثتنا به في زمزم أنهُ لما شُرب لهُ؟! فقال سُفيان: نعم، فقال: إنّي قد شربتُ الآن دلوًا من زمزم على أن تُحدّثني بمئة حديث، فقال سفيان: اقعد فحدّثهُ بمئة حديثٍ. فاعجب لحرص الطالب على سماع الحديث، وللعالم إلى التحديث، وإلى الوسيلة التي اتبعها الطالب ليسمع مئة حديث. ربّنا زدنا علمًا نافعًا.

(٥) المستدرك (١٧٣٩)، صحيح ابن حبان (٧١٣٣).

(٦) مسند أحمد (٢١٥٢٥)، سنن ابن ماجه (٣٠٦٢) من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما، سنن الدارقطني (٢٧٣٩) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما.

(٧) سنن الدارقطني (٢٣٥)، سنن البيهقي (٩٩٣٦).

ثلاثًا؛ ناويًا لعِلْمٍ نافعٍ ورزقٍ واسعٍ حلالٍ[1] وشفاءٍ مِن كُلِّ داءٍ، ويَحملُ منهُ[2].

وطَيبة اختارها اللهُ تعالى لنبيِّه ﷺ ولهجرتهِ وتُربتهِ؛ فتذكرْ مواقعَ أقدامِه ﷺ[3] بها وخُشوعَهُ وسكينتَه وهيبتَه ﷺ، وأحضرْ قلبكَ في زيارته بتعظيمهِ وهَيبتهِ، ومثِّلْ صورتَهُ الكريمةَ أمامكَ، وعظِّم مرتبتَهُ، ثُمَّ استقبلهُ وسلِّمْ عليهِ مِرارًا بعدَ ركعتينِ وصَدَقةٍ بما تيسّرَ على الفُقَراءِ، مُتأخِّرًا عَنِ الحُجرةِ نحوَ ثلاثةِ أذرُعٍ؛ والذِّراعُ شِبْرانِ وَسَطًا، ثُمَّ بَعْدَ خُطوةٍ شرقًا تُسلِّمُ على أبي بكرٍ، ثُمَّ عُمَرَ بعدَ خُطوةٍ أُخرى رضيَ اللهُ عنهُما، ثُمَّ عُدْ فسلِّمْ عليهِ ﷺ كسَلامِكَ؛ فإنَّه عَلِمَ بكَ؛

---

(١) في (ز): طيب.

(٢) روى الحاكم في المستدرك (١٧٨٣) عن هشام بن عروة، عن أبيه، أن عائشة رضي الله عنها كانت تحمل ماء زمزم، وتخبر أن رسول الله ﷺ كان يفعله.

وفي (أ، د) اختلفت العبارة، ولفظها: ويتضلّعُ من ماء زمزم؛ لحديثٍ فيه صحّحهُ الدّمياطيُّ وغيرُهُ عن سُويد بن سعيدٍ وهو ثقةٌ روى له مُسلمٌ في «صحيحه»، عن عبد الله بن المُبارك عن ابن أبي الموالي وهو ثقةٌ روى له البخاريُّ في «الصحيح»، عن محمّد بن المُنكدر، عن جابر بن عبد الله: أنّ رسول الله ﷺ قال: «ماءُ زمزم لما شُرب لهُ»؛ فصحّ الحديثُ.

وأمّا حديثُ الباذنجان وضعتهُ الزّنادقةُ لكثرة مضارّه باتّفاق الأطباء ليُطعن في النُّبوّة لمضرّته؛ ذكرهُ ابنُ الجوزيّ في «الموضوعات» [٢: ٣٠١]، ومن شُفي فيحسن اعتقاده لا بحديث موضوع.

وقد أثبتها في هامش نسخة (ز) عارف حكمت، ثم شطب عليها، وقال: هي مثبتة من النسخة المنقولة الأصل، ثم رآها مثبتة في هامش أخرى في الهامش غير مصححة، وفي نسخة ثالثة في الأصل، وفي نسخة رابعة مثبتة فيها إلى قوله: (وأمّا حديثُ الباذنجان) وترك بياضًا نحو سطر من مكان المصنف، بيض له أولًا ثم زاده.

قلت: وقد تقدمت هذه الزيادة وأثبتها في كتاب أسرار الصلاة، كما أثبتت في (هـ، و، ز)، ومكانها المناسب هناك، والله أعلم.

(٣) ما بين الصلاتين سقط من (أ).

أمَرَ ﷺ بعضَ مَنْ سلَّم عليهِ في منامهِ بالصَّلاةِ والسَّلامِ.

ويمتنعُ هُجومُ حُجْرَتِهِ وطوافُها ولمسُ القبرِ، ويُنْهَى فاعِلُهُ برفقٍ وغضّ صوتٍ وجوبًا.

ويتّقِي نومَهُ وشِبَعَهُ وما لا يَعْنِيهِ جِدًّا بالحرمينِ، وغَفْلَتَه وضَجرَه، ومُجاورٌ كذا.

منعَ[١] بَعْضُهُم وضْعَ جنبِهِ ومَدَّ رجلِه[٢] واستنادَ ظَهْرِهِ عامًا، وكان غائطُ بعضِهم بالحِلِّ أبدًا.

وَمِنْ آدابِهِ: دَوامُ وضُوئِهِ، وأورادُ لَيلِه ونهارِه، ورِياضةٌ ونحوُها[٣].

تَمَّ[٤] رُبعُ العِباداتِ[٥]

ويَتْلُوهُ رُبعُ العاداتِ[٦]

* * *

---

(١) ضبطت في (ز) بالمعلوم والمجهول معًا، وكذا ما عطف عليها.

(٢) في (أ): وضع جنبيه ومدّ رجليه.

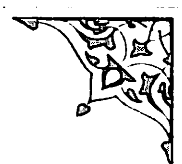
(٣) في هامش (ز): بلغ مقابلة، بلغ مقابلة، بلغ مقابلة، بلغ مقابلة رابعًا.

(٤) في (ب، ج، ز): كمل.

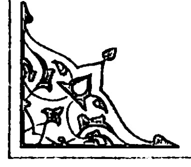
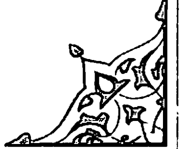
(٥) في (ج): بحمد الله تعالى وحسن عونه.

(٦) في (ب): بسم الله الرحمن الرحيم، صلى الله على سيدنا محمد النبي الكريم وآله وسلم، وأما ربع العادات فهي.

وفي هامش (د): بلغ مقابلة ولله الحمد.

ربع العادات



[كتاب آداب الأكل]

وهيَ بنيّةِ عَونهِ بها على العبادةِ عباداتٌ، وتأمّلها جِدًّا في بابِ النّيَّةِ[١]؛ فمنها أكلُه، وفيه علومٌ، وبه مصالحُ الدّارينِ وبمعدَتِهِ طبائعُ أربعةٌ، وبطعامِهِ مثلُها، إذا أرادَ اللهُ سبحانهُ وتعالى صحَّةً أخذَتِ الطبائعُ ضِدّها؛ كحرارةٍ لبُرودةٍ، ويُبوسةٍ لرُطوبةٍ، أو أرادَ مرضًا أخذَتِ الطبائعُ مِثلَها؛ كحرارةٍ لحرارةٍ[٢].

شرْطُه: حِلُّهُ، وفَقْدُ جُوعِه وشبعِه؛ بهذِهِ الثَّلاثةِ صلاحُ الدّارينِ، وبعَدمِها خرابُهما؛ فَعِلْمُ ما حلَّ وما حَرُمَ مُهِمٌّ جدًّا، وكلُّ حلالٍ طيِّبٌ، وبعضُه أطيبُ، وأُمِرَ بأكلهِ بقَدَرٍ وبالطاعةِ شُكرًا[٣]، وهو جمادٌ وحيوانٌ ذُكِّيَ في حياةٍ مُستقرّةٍ بشدّةِ حَركَةٍ أو تدفُّقِ دَمٍ، وصيدٌ جُرِحَ ولم تُدرَكْ ذَكاتُهُ؛ لا نجِسٌ ومُستَقْذَرٌ كنُخامَةٍ، وَمُضِرٌّ وحشَراتٌ وسِباعٌ وجوارحُ ونحوُها؛ كابنِ آوَى، وسِنَّوْرٍ بريٍّ وأهْليٍّ، وبَغلٍ تولَّدَ مِن مأكولٍ وغيرِ مأكولٍ، وحِمارٍ أهلِيٍّ، وغُرابٍ أسوَدَ وأبقعَ وغُدافٍ لا غُراب الزّرعِ ونحوِه، وما عَيشُهُ في ماءٍ وبَرٍّ كسرطانٍ واللَّقْلَقُ فقطْ من طَيرِ الماءِ، ومُتنجسٌ ما لم يَطْهُرْ، ومَغْصُوبٌ ونحوُه، وبعضُ الحرامِ أخبثُ.

فالورَعُ عمّا حَرُمَ[٤] فرضٌ، وعمّا كُرِه كشُبهةٍ سُنّةٌ، وأعلى منه[٥] تركهُ بعضَ

---

(١) ينظر (ص٤١٥).

(٢) في (أ، د، ز): كحارٍّ لحارٍ.

(٣) من قوله: (وبعضه أطيب...) إلى هنا غير مثبت في (أ).

(٤) في (د): حرم الله.

(٥) في هامش (ب) نسخة: من ذلك.

حلالِهِ مخافةَ حرامِهِ؛ كتَركِ ابنِ أدهَمَ رضيَ اللهُ عنهُ أُجرَتهُ لشكِّه في وفاءِ عَمِلِه، وطوى عَن جُوعٍ شديدٍ[١].

باللهِ ما لم تعلَمْ حِلَّهُ يقينًا اترُكْهُ؛ كتركِهِ ﷺ تَمرةً خشيةَ أن تكُونَ منَ الصَّدَقةِ؛ كما في البُخاريِّ[٢].

وتركُ الشُّبهةِ مُهِمٌّ؛ فلو اضطرّ إلى ما فيهِ شُبهةٌ فبَعدَ تمامِ البحثِ وسؤالِ المُحَقِّقينَ؛ قيلَ: مَنْ عَلِمَ ما يدخُلُ جوفَهُ كانَ صِدِّيقًا، وعمّا ليسَ لله تعالى ورعُ الصّديقينَ، والأورعُ أسْرَعُ على صراطِ القيامةِ، ومَن ترخَّصَ نَدِمَ، وكشْفُ الشُّبهةِ أهمُّ.

فمحضُ الحلالِ كماءِ مَطَرٍ أُخِذَ قبلَ وُقُوعِه، وضدُّه كخَمْرٍ وربًا ونحوِهما، ويتغيَّرُ كصَيدٍ يُمكنُ مُلْكُه بصَيدٍ ونحوِه ثُمّ انفلتَ؛ فورعُهُ عنْهُ وسْوَسَةٌ لا بعلامةٍ.

---

(١) أورد أبو نعيم في «حلية الأولياء» (٧: ٣٧٩) عن بقية قال: قلت لرفيق لإبراهيم: أخبرني عن أشد شيء مر بكم منذ صحبته؟ قال: نعم؛ كنا يومًا صيامًا، فلما كان عند الإفطار لم يكن عندنا شيء نفطر عليه، فقلت له: يا أبا إسحاق، هل لك في خصلة أن نأتي باب الرستن فنكري أنفسنا مع هؤلاء الحصادين؟ قال: وذاك، فأتينا باب الرستن، فجاء رجل فاكتراني بدرهم، قال: قلت: وصاحبي؟ قال: صاحبك ضعيف لا أريده، قال: فما زلت به حتى اكتراه بأربعة دوانق. قال: ونحن صيام، فلما كان عند المساء أخذت الكراء منه؛ فأتيت السوق فاشتريتُ ما احتجت إليه، وتصدقت بالباقي، فقال: أما نحن فقد استوفينا أجرينا؛ فليت شعري، أوفيناه أم لا؟ قال: فلما رأيت ذلك غضبتُ؛ فلما رأى غضبي قال: لا بأس، تضمن لي أنا أوفيناه عمله؟ قال: فلما رأيت ذلك أخذت منه الطعام فتصدقت به. فهذا أشد شيء مرّ بي منذ صحبته.

(٢) روى البخاري (٢٤٣١)، ومسلم (١٠٧١) عن أنس رضي الله عنه، قال: مرّ النبيُّ ﷺ بتمرة في الطريق، قال: «لولا أنّي أخافُ أن تكُون من الصّدقة لأكلتُها».

وحدُّ الشُّبهةِ: تعارضُ احتمالَينِ ومُثاراتُها[١] كثيرةٌ، والأهمُّ شكُّهُ في سبَبِ حِلِّه وتحريمهِ؛ فَمِنْهُ ما فُقِدَ عِلْمُ حِلّهِ ثُمَّ شُكَّ في سببِهِ فيَحرُمُ كمَيتةِ صَيدٍ بماءٍ وشَكّ بماذا ماتتْ؟ أو عَلِمَ حِلَّهُ وشَكَّ في تحريمهِ تورّعَ نَدْبًا، وكَذا لَو طرأ مُحَلِّلُهُ بغَلَبَةِ ظَنِّهِ شرعًا وأصلُهُ التحريمُ؛ كميتَةِ صَيْدٍ غابتْ عنهُ ولا أثرَ فيها غيرَ سَهْمِه أو بها أثرٌ آخرُ حَرُمَ، أو عَلِمَ حِلَّهُ وطرأ محرمُه بغَلَبةِ ظَنِّهِ شرعًا؛ كاجتهادٍ بعلامةٍ تُوجِبُ مَنْعَ طُهْرٍ مِنْ أحدِ الإنائينِ حرُمَ إذا اشتبهَ طَهورٌ بنَجِسٍ، وحرُمَ ذَوقُهُ[٢]؛ نَعَمْ يَجِبُ إنْ عَلِمَ بهِ تمييزَه وفقدَ غيرَه؛ ذكرَ نحوهُ الأذرعيُّ[٣]، وأمّا شُبْهَةُ خَلْطِ حِلٍّ بحرام؛ كمَيْتةٍ بمُذَكَّياتٍ أو مَحْرمٍ بأجنبياتٍ؛ فكلُّهُنَّ حرامٌ لا مع غَيرِ مُنْحَصرٍ؛ كمَحْرَمِهِ[٤] ببلدٍ كبيرٍ، وحرامٍ لا يَنْحصِرُ بحلٍّ لا ينحصِرُ؛ كأموالِ زمانِنا، ويحرُم بقرينَةٍ؛ كأموالِ الظَّلمةِ، وفيه نظرٌ، وما جُهلَ تحريمهُ مِن هَدِيّةٍ ومبيعٍ ونَحوِهما فرُخصَةٌ، ويحرُمُ بحثُهُ عنهُ لإيذاءِ مالكِه ويَدُهُ دليلُ مُلكِه، ويجبُ

---

(١) في (أ، ز): ومثاراتهما.

(٢) في (أ): من أحد الإنائين بنجسٍ، ويحرُم ذوقُهُ. وفي (و): ويحرم ذوقه.

(٣) قوله: (ذكر نحوه الأذرعي). مثبتة من (هـ، و، ز).

قال عبد الحميد الشرواني رحمه الله في «حاشيته على التحفة» (١: ١٠٦): (قوله: وحرمة ذوق النجاسة) عبارة «النهاية»: وما تقرر من جواز الذوق هو ما قاله الجمهور وهو المعتمد، وما نقله في «المجموع» عن صاحب «البيان» من منع الذوق لاحتمال النجاسة ممنوعٌ؛ إذ محل حرمة ذوقها عند تحقُّقها، ويحصل بذوقهما، وهنا لم نتحققها. انتهى. قال (علي الشبراملسي): أي: فإذا ذاق أحدهما لا يجوز له ذوق الآخر، ويصرح بذلك قول (ابن قاسم) على «المنهج»: فلو ذاق أحدهما فهل له ذوق الآخر؟ اعتمد الطبلاوي أن له ذلك، واعتمد الجمال الرملي المنع انتهى. أقول: فلو خالف وذاق الثاني وظهر له أنه الطاهر عمل به، وإن لم يظهر له فهو متحير فيتيمم بعد تلفهما أو تلف أحدهما، ويجب غسل فمه لتحقق نجاسته. انتهى بحذف.

(٤) في (ب): كمحرمٍ. وفي (أ، د): كمحرمة.

بحثهُ عمّا عُلِمَ غالبُه مُحَرّمًا فَقَطْ وإلّا تورَّع، أو اشتبَه بمالِهِ حَرامٌ ردَّ مثلَهُ، ومِن غيرِهِ أولى وتركُه أعلى، أو نَسِيَ قدْرَه ردَّ بغَلَبَةِ ظنّه مِنْ غَير المُخْتَلِطِ[١]، أو تَلِفَ ولا مِثْلَ لَهُ فَأعْلَى قِيَمِهِ، ولو جُهِلَ مالكُه ووارثُه[٢] تصدَّق به عنهُ بنيّةِ الغَرامةِ متى وجدَ مُستحقَّهُ. ومَنْ بأحدِ مالَيهِ شُبهَةٌ فما تيقَّنَ حِلَّه فلقُوْتِه وكُسْوتِه والشُّبهةُ لمنافِعَ مُنْفصِلَةٍ، وإن اختلطَ شرى على ذمَّتِه ونقدَ[٣] ما اشتبَهَ ثَمنًا ويُعْلِمُهُ به، ويجتنِبُ الأُمراءَ وعطيَّتَهمُ جِدًّا فإنّها سُمومٌ، وفي سَلامةِ مُدّعِيها فِتَنٌ دَقيقَةٌ، وكَيْلا يَقْتَدِيَ به ضَعِيفٌ فيَهلِكَ إلّا لدَفعِ ضُرٍّ بشرطِهِ، ولو عَبَرُوا عليهِ نصحَهم بلا مُداهِنةٍ ونحوها، وبزُهدِهِ عمّا عِندَهُم ينفعُهُم نُصْحُهُ، وبوفُورِ عِلْمِه وصِدْقِ همَّتِهِ يرى قيامَهُ لبعضِهم وتارةً تركَه تألُّفًا وتأديبًا، ومقامُه ومُرورُه ببُنيانِهم شُبهَةٌ.

مِن سُننِ أكْلِه: رؤيةُ المُنعمِ؛ رُوِيَ غَسلُ يدَيهِ قَبْلَهُ يَنفِي فاقتَهُ[٤]؛ لأنّهُ استقبلَ النِّعمةَ بأدبٍ، وهو شكرٌ بهِ مزيدُه، وتسميتُه بكُلِّ لُقْمَةٍ وحمدُه عَقِبها أزكى، أو نَسيَها فيُسَمِّ اللهَ في أوّلِه وآخرِه؛ فإنَّها دِرْياقُه وبركةُ طعامِه، وبمزيدِ لُقمةٍ انحرافُ مِزاجِ قلبِهِ بحرارةِ طَيْشِه، أو بُرودةِ كَسلِه، أو رُطوبَةِ شهوتِه وغفلتِهِ، ويُبوسةِ همِّه

---

(١) قوله: (من غير المُختلط) غير مثبت (هـ، د).

(٢) في (ب): وورثته.

(٣) في (ج): ونقل.

(٤) أخرجه القضاعي في «مسند الشهاب» (٣١٠) من رواية موسى الرضا عن آبائه متصلًا قال: قال رسُولُ الله ﷺ: «الوُضُوءُ قبل الطّعام ينفي الفقر، وبعدهُ ينفي اللّمم ويُصحح البصر»، وللطبراني في «الأوسط» من حديث ابن عباس عن ابن عباس، عن النبي ﷺ قال: «الوُضُوءُ قبل الطّعام وبعدهُ ممّا ينفي الفقر، وهُو من سُنن المُرسلين». فيه نهشل بن سعيد وهو متروك، ولأبي داود (٣٧٦١)، والترمذي (١٨٤٦) من حديث سلمان رضي الله عنه قال: قرأت في التوراة، أنّ بركة الطعام الوضوءُ قبله، فذكرتُ ذلك للنبيّ ﷺ، فقال: «بركة الطعام الوضوء قبله والوضوء بعده». وضعفها الحافظ العراقي رحمه الله.

بحظوظهِ وبها موتُه، ويُفكِّرُ فيما هيّأ تعالى لطعامهِ مِن سماءٍ وأرضٍ وماءٍ وحَرٍّ وبَردٍ ونحوِها وخَشبٍ وبَقَرٍ وآلةٍ؛ أُمورٌ عديدةٌ، وأسنانُه منها كاسِرةٌ وطاحنةٌ، بريقٍ حُلْوٍ لذوقهِ وسَوغهِ، وقوّةٍ هاضمةٍ ودافعةٍ، وإذا استوى طعامُه بحرارةِ كبدهِ ونحوِه أعطى اللهُ سبحانهُ وتعالى لِكُلِّ جُزءٍ وشعْرةٍ نصيبًا، ثُمَّ طرَفَي طَعامِه بملحٍ على سُفْرةٍ بكثرةِ الأيدي، ومدُّ يدهِ[1] بعدَ مُشارٍ إليهِ ممّا يليهِ، وصِغَرُ لُقْمَته، وكثرةُ مَضْغِها، ويتَّقِي كلامَهُ ما بَقِيَ بفيهِ طعامٌ، ومدَّ يدِه إلى لُقمةٍ قَبلَ بلعِها، مُبرّدًا بصيفٍ حارًّا، بشتاءٍ رطبًا[2] لذِي طبيعةٍ يابسةٍ وعكسه، قاعدًا على رِجْلٍ ناصِبًا يُمناهُ، وكذا شُربُه، ويأكلُ فُتاتةً[3] تقعُ ونحوَها، ورفعُ يدهِ مع آخِرهم أكلًا مُتأنيًا ناظرًا بين يديهِ مُنَزِّهًا للمائدةِ ممّا يُلقيهِ. ويتّقِي نفخَ طعامٍ ونفضَ يديهِ، وأكلًا بإصبعٍ ـ فإنَّهُ تكبُّرٌ[4] ـ وقُربَ رأسهِ منهُ لوضعِ لُقمتهِ، وغَمْسَ باقِي لُقمةٍ أو إصبعٍ وما به دسمٌ بِخَلٍّ وعكسُهُ؛ نَعَمْ يُكْسَرُ الخُبزُ لقلّتهِ، أو إيناسِ آكليهِ وإلّا فأرغفةٌ أفضلُ، والأكلُ مِن جوانِبها بلا امتهانهِ؛ كمَسْحِ يدهِ ونحوِه، ووَضعِ لحمٍ عليهِ[5]؛ ولا ينتظرُ به غيرَهُ، ولا يَذمُّ طعامًا ولا يَحتقرهُ، والخلُّ ببيتِه أبدًا ومائدتهِ مُهِمٌّ، وأكلهُ بلا رياءٍ، وتركُهُ طعامَ سُمْعَةٍ وبلا دعوةٍ ونحوِه. وسُنَّ لَعْقُ أصابِعَ وقَصْعَةٍ[6]، وإطعامُ مَن أتاهُ بطعامٍ منهُ.

---

(١) في (أ) زيادة: إلى لُقمةٍ قبل بلعها مُبردًا بصيفٍ حارٍ.
(٢) في (ب) زيادة: مُبرّدًا بصيفٍ حارٍ أو بشتاءٍ رطبًا، ويكرهُ شديد برودةٍ أو حرارةٍ، وكذا رطبًا.
(٣) في غير (أ، ب، ج): لبابة.
(٤) من قوله: (وأكل بأصبعه...) إلى هنا غير مثبت في (ب، ج).
(٥) من قوله: (كمسح يده...) إلى هنا غير مثبت في (ب، ج).
(٦) روى مسلم في «صحيحه» (٢٠٣٣) عن جابر رضي الله عنه، أن النبي ﷺ أمر بلعق الأصابع والصحفة، وقال: «إنّكم لا تدرُون في أيّه البركةُ».

ويجبُ على الفَورِ إجابَةُ دَعوةِ وليمةِ مُسلمٍ تقرُّبًا[١]، بأوَّل يوم حيثُ لا أذًى ولا منكرًا لم يَزُلْ به؛ لأمر: «فَلْيُجِبْ؛ عُرْسًا كانَ أو نحوَهُ»؛ رواهُ مُسلمٌ[٢]، وفي روايةٍ: «أو غَيرَهُ»[٣]، وصحَّ: «مَنْ دُعِيَ وَلَمْ يُجِبْ فَقَدْ عَصَى»[٤]، وكذا أكلُ مُفطرٍ؛ لأمر: «ومَنْ كان مُفطرًا فَلْيَطْعَمْ»، رواهُ مُسلمٌ[٥]، وجزَمَ به النَّوويُّ في «شَرحِهِ»[٦]. ومعنى الوجوبِ راجعٌ إلى تألُّفِ الدَّاعي لا للوليمةِ؛ فلا يختصُّ بالعُرسِ، وفي امتناعِهِ لفرشِ حريرٍ ونحوِهِ نظرٌ؛ لخِلافٍ فيهِ[٧].

ويأكلُ بثلاثَةِ أصابع وبِكُلِّها ثريدًا ونَحْوَه؛ نَعمْ يُملَكُ بابتلاعهِ أو قُبَيلَهُ فقطْ؛ إذْ يحرُمُ إطعامُ غيرِهم ولو هِرَّةً والحَمْلُ إلا برِضاهُ، ويُكرهُ أكلهُ وشربُه

(١) في (ب): تقي.

(٢) روى مسلم (١٤٢٩) عن ابن عمر رضي الله عنهما، عن النبي ﷺ قال: «إذا دُعي أحدُكُم إلى الوليمة فليُجب؛ عُرسًا كان أو نحوهُ».

(٣) قوله: وفي روايةٍ «أو غيره». زيادة من (هـ)، وقد رواها أبو عوانة في «المستخرج» (٤١٩٢).

(٤) روى البخاري (٥١٧٧)، ومسلم (١٣٢) عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه كان يقول: «شرُّ الطّعام طعامُ الوليمة، يُدعى لها الأغنياءُ ويُتركُ الفُقراءُ، ومن ترك الدّعوة فقد عصى الله ورسُولهُ ﷺ».

(٥) صحيح مسلم (١٤٣١) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه. ولفظه: «إذا دُعي أحدُكُم، فليُجب، فإن كان صائمًا فليُصلّ، وإن كان مُفطرًا فليطعم».

(٦) شرح النووي على صحيح مسلم (٩: ٢٣٦).

(٧) قال ولي الدين أبو زرعة العراقي في «تحرير الفتاوى» (٢: ٦٥٣): قول «الحاوي» في تمثيل المنكر: (كفرش حرير) أحسن من قول «المنهاج»: (فراش حرير) لأن المحرم الفرش الذي هو المصدر لا الفراش نفسه؛ فقد يكون مطويًا ولا إنكار فيه، ثم محل ذلك: في الفرش للرجال، أما النساء فالأصح: حل افتراشهن، خلافًا للرافعي، فلو كانت الدعوة للنساء لم يكن هذا من المنكر على الأول.

قائمًا؛ لِما رواه مُسلمٌ[١]، أو يُباحُ لروايةِ البُخاريِّ[٢].

قُلتُ: جانبُ النَّهيِ مُقدّمٌ لأنّ النَّهيَ هُنا للطبِّ.

ويشربُ سلًّا واللَّبنَ عَبًّا ثلاثًا بعدَ نظرٍ إلى الإناءِ بلا تنفُّسه فيهِ، وتسميتُه بكلٍّ، ثُمَّ حَمْدُهُ، وعقبَ كُلِّ أكْلَةٍ وشَربَةٍ وحَسْوةٍ ونحوِها[٣]؛ فالعادةُ عورةٌ وسِترتُها الأدَبُ فافهَمْ.

وسُنَّ بَسْطُه لأضْيافِهِ وتَعجيلُ ما تيَسَّرَ، ويُبقِي لأهلِهِ، وَقُبَيلَهُ فاكهةٌ، ومُوسِرٌ بلحمٍ مَشْويٍّ ثُمَّ مطبوخٍ ثُمَّ مَرَقٍ ثُمَّ ثريدٍ ثُمَّ حُلْوٍ كِفايتَهم مِنْ كُلٍّ، ثُمَّ ماءٍ باردٍ، ثُمَّ صَبُّه مُفتّرًا على أيديهم بصابُونٍ ونحوِه، لا سِيَّما الأتقياءُ أو قَرابَةٌ، ومَشْيُهُ معَهُم، وَيُتْبِعُهُمْ نظرُهُ إلى غَيبتهم، ولا يتشهّوا عليهِ ما لم يَعلموا سُرورَه ويُسرتَه أو خيّرهُم؛ فالأيسرُ، وليجلِسُوا بتواضعٍ ونحوِه، وغضِّ بصرٍ، وخروجُهم برضاهُ، وشُكرُهم له ولو قَصّر[٤].

* * *

(١) روى مسلم (٢٠٤٢) عن أنس رضي الله عنه، عن النبيّ ﷺ: «أنّهُ نهى أن يشرب الرّجُلُ قائمًا». قال قتادة: فقُلنا: فالأكل؟ فقال: «ذاك أشرُّ، أو أخبثُ».

(٢) روى البخاري (١٦٣٧) أن ابن عباس رضي الله عنهما قال: «سقيتُ رسول الله ﷺ من زمزم، فشرب وهو قائمٌ».

قال الإمام النووي رحمه الله: وليس في هذه الأحاديث بحمد الله تعالى إشكال ولا فيها ضعف بل كلها صحيحة، والصواب فيها: أن النهي فيها محمول على كراهة التنزيه، وأما شربه ﷺ قائمًا فبيان للجواز فلا إشكال ولا تعارض. وهذا الذي ذكرناه يتعين المصير إليه. «شرح مسلم» للنووي (١٣: ١٩٥).

(٣) في (أ): كل أكلة وشربة وحسوة. وفي (هـ، و): وجشوة ونحوها.

(٤) في هامش (د): بلغ مقابلةً ولله الحمد. وفي هامش (ز): بلغ ثالثًا.

كتاب النكاح(١)

هوَ سُنَّةٌ لمُحتاجٍ قادرٍ.

فَوائدُه: بقاءُ نَسْلِه وأثَرِه، ومحبَّةُ اللهِ تعالى لبقاءِ بَنِي آدمَ، ومحبَّةُ رسولِ اللهِ ﷺ بتكثيرِ أُمَّتِه، ونَفعُ وَلدٍ ولو بموتِهِ ولو كبيرًا؛ فلِمَن احتسبَهُ بيتُ الحَمْدِ في الجنَّةِ المُشْعِرُ بترجيحِ حُسْنِ الخاتمةِ؛ فإنّه إذا مَنَّ اللهُ تعالى على عبدٍ ببَيتٍ في الجنّةِ لا يُسْكِنُه غيرَه(٢). ماتَ لمُشركٍ ولدٌ، فأسلمَ الوالدُ وقال: عَلِمتُ بموتِ ولدِي أنّ اللهَ تعالى واحدٌ أحدٌ؛ إذ لو كانَ له ولدٌ لَما أذاقَه طَعْمَ الموتِ. هذا بعضُ ثوابِه. فافْهَمْ.

لا يَشْهدُ العطاءَ في المنعِ إلا صِدّيقٌ.

وصيانَتُه مِن فِتنٍ جمّةٍ، وترويحُ نَفْسِه وإيناسُها، وقيامُ أمورِ بيتِهِ، وفراغُه لعِلْمٍ وعَملٍ وجهادٍ برياضةٍ ورعايةٍ وولايةٍ، وقيامُهُ بحقُوقها بصبرِه عليها وحِلْمِهِ

---

(١) في (أ، د): باب النكاح.

(٢) العبارة في (ب، ج): فلمن احتسبه منه بيت الحمد في الجنة لمن حمد واسترجع كما ورد؛ ففيه إشعارٌ بحُسن الخاتمة حيث لا يسكن في غير بيته المعدّ له في الجنة بكرمه تعالى.
وفي (و) زيادة: فاز.
والحديث الوارد هو ما رواه الترمذي (١٠٢١) عن أبي موسى الأشعريّ، أنّ رسول الله ﷺ قال: «إذا مات ولدُ العبد قال اللهُ لملائكته: قبضتُم ولد عبدي، فيقُولُون: نعم، فيقُولُ: قبضتُم ثمرة فُؤاده، فيقُولُون: نعم، فيقُولُ: ماذا قال عبدي؟ فيقُولُون: حمدك واسترجع، فيقُولُ اللهُ: ابنُوا لعبدي بيتًا في الجنّة، وسمُّوهُ بيت الحمد».

واحتمالهِ منها وأولادِها، وسعيهُ في مَصالحهِم دِينًا ودُنيا بكسبِ حلالٍ جهادٌ، وإنفاقهُ عليهِم أتمُّ منهُ في رقبةٍ وجِهادٍ وصَدَقةٍ كما صحَّ[1].

فلو قصَّر لا سيَّما عَنِ الحلالِ أو منعَ به مُهمًّا؛ كمُريدٍ ما تَمَّ أمرُه؛ فتركَهُ بصومٍ وذكرٍ دائمٍ وجوعٍ وسهرٍ وعُزلةٍ ونَفْيِ خواطـرِ شهواتِـه وغَيبَـةٍ عمّا يُشْتَهى ودوامِ ابتهالِه لربِّـه تعالى وصُحبَةِ أخْيارٍ يُسْلُونَه[2]، أو قويتْ حاجتُه، تزوّجَ ديِّنَةً جميلـةً وَسَطًا فقيرةً بخِفَّةِ مَهْرٍ بكرًا ولودًا ودودًا عاقلةً بالغَةً، خَليّةَ ولدِ غيرٍ إلا لِمَصلحةٍ، وخليّةَ مُطلِّقٍ ترغَبُ فيهِ، نسيبَةً بعيدةَ القَرابَةِ، بعَقْدٍ عارٍ مِن كُلِّ شُبهةِ خلافٍ، ويُزَوّجُها وليُّها تَقِيًّا فقطْ؛ فإنَّهُ لو لم يُحبَّها لم يَظْلِمها.

وَآدابُه: وليمَةٌ، وحُسْنُ خُلُقٍ بمُلاعبَةٍ ونحوِها، بعدَ وضعِ يدِهِ على ناصيَتِها قائلًا: اللهُمَّ إنِّي أسألُكَ خيرَها وخيرَ ما جَبَلْتَها عليهِ، وأعوذُ بكَ مِن شرِّها وشرِّ ما جَبَلْتَها عليهِ. وكذا إذا ملكَ دابّةً أو أمَةً أو عبدًا[3]، مع هَيبةٍ وتوسعَةِ نفقةٍ مُعتَدِلَةٍ، ولا يُوثرُ نفسَه بطعامٍ، ويتعلَّمُ ما يلزمهُ في الحيضِ وغيرِه، وما لزِمَها مِن اعتقادٍ وأحْكامِ حَيضٍ ونفاسٍ واستحاضةٍ، وبانْقطاعِ حَيضِها قُبيلَ الغُروبِ بقَدْرِ تكبيرَةٍ تقْضِي ظُهْرَها وعصرَها؛ لأنّ الظهرَ تُفعلُ في وقتِ العصرِ بنيّةِ التأخيرِ أداءً، أو انقطعَ قبلَ الفجرِ تَقْضِي المغربَ والعشاءَ؛ لأنها تُجمعُ معها وتكونُ

---

(١) روى مسلم (١٠٠٢) عن أبي مسعود البدريّ، عن النبي ﷺ، قال: «إنّ المُسلم إذا أنفق على أهله نفقةً، وهُو يحتسبُها، كانت لهُ صدقةً».

(٢) في (ج): يسلونه. وفي (ز): يسلوه. وسقط من (د) قوله: وصُحبة أخيارٍ يُسلونه.

(٣) روى أبو داود (٢٢٥٢) عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جدّه قال: قال رسولُ الله ﷺ: «إذا اشترى أحدُكُمُ الجارية فليقُل: اللهُمّ إنّي أسألُك خيرها وخير ما جبلتها عليه، وأعُوذُ بك من شرّها وشرّ ما جبلتها عليه، وليدعُ بالبركة، وإذا اشترى أحدُكُم بعيرًا، فليأخُذ بذروة سنامه، وليدعُ بالبركة، وليقُل مثل ذلك».

أداءً[١]، ولا يتغافَلُ عنْ أُمورٍ يُخشَى غوائلُها بلا ظنٍّ، وعَدْلُهُ مع نِسائهِ بتسويةِ مَبيتِه وعَطائهِ لا بمحبةٍ ووطءٍ؛ إذ لا يملكهُما، ولا يتركُ الوطءَ بالكُلّيةِ؛ لأنه يُفْضِي إلى فِتَنٍ جمَّةٍ ممّا لا يخفَى[٢]؛ فيذَرُها كالمُعَلَّقةِ، فتسويةُ وطئهِ، وواحدةٌ أسلمُ.

ولهُ بنشُوزها تأديبُها بوَعْظٍ، ثُمَّ تخويفٍ، ثُمَّ هَجْرٍ، ثُمَّ ضربٍ لا مُبرِّحٍ ولا وجهَها.

والجِماعُ آدابُه: طُهْرٌ، وتسميةٌ، ثُمَّ: «اللهُمَّ جَنِّبنا الشَّيطانَ وجَنِّبِ الشَّيطانَ ما رزقْتَنا»[٣]، ونيّةُ إعفافِهما، ومَسَرّتِهما، ووَلَدٍ، بَعْدَ مُلاعَبةٍ ونحوِها، وغَسْلُ فَرجٍ مُسْتَجمرٍ، بلا تجرُّدٍ واستقبالٍ ونظرِ فَرْجٍ، وليسَ لها مَنْعُه، ويتأنّى لتقَضِي وطَرها، ومتى أنْزَل قالَ: «اللهُمَّ لا تجعَلْ للشيطانِ فيما رزَقْتَنا نَصِيبًا»؛ رواهُ ابنُ أبي شَيْبةَ[٤].

ويَحرمُ وطءُ الدُّبُرِ؛ رُويَ: «مَلْعُونٌ فاعِلُهُ»[٥]، ولأبي داودَ: «بَرِئَ مِمَّا نَزَلَ

(١) قوله: لأنها تُجمع معها وتكونُ أداءً. مثبتة من (ب، ج).

(٢) العبارة في (ب، ج): وفي ترك الوطء بالكلية نظر؛ لأنه يفضي إلى فتن جمة. وفي (د): مما لا يحصى.

(٣) روى البخاري (٦٣٨٨)، ومسلم (١٤٣٤) عن ابن عباس رضي الله عنهما، قال: قال رسول الله ﷺ: «لو أنّ أحدهُم إذا أراد أن يأتي أهلهُ قال: باسم الله، اللهُمّ جنّبنا الشّيطان وجنّب الشّيطان ما رزقتنا؛ فإنّهُ إن يُقدّر بينهُما ولدٌ في ذلك لم يضُرّهُ شيطانٌ أبدًا».

(٤) من قوله: (ومتى أنزل...) إلى هنا لم تثبت في (ب، د)، والأثر عند ابن أبي شيبة في «المصنف» (١٧٤٣٩) كما أشار المؤلف: عن علقمة أن ابن مسعود كان إذا غشي أهله فأنزل قال: اللهُمّ لا تجعل للشّيطان فيما رزقتنا نصيبًا.

(٥) رواه أبو داود (٢١٦٢)، وأحمد (١٠٢٠٦) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

علَى مُحَمَّدٍ»[١]، وسمَّاهُ اللهُ تعالى فاحِشةً؛ فافهَمْ[٢].

ويُكرَهُ عَزلُهُ، وفَصْدٌ، وقَلْمُ ظُفرٍ ونحوُها قبلَ غَسْلِه، وحَلِفُه بطلاقٍ جدًّا.

ولو رُزِقا ولدًا فآدابُه: عدَمُ شدّة فَرَحٍ بذكرٍ وحُزْنٍ بأُنثَى؛ فإنّهُ لا يَدْرِي أيُّهما أنفعُ، ويحرُمُ تثقيبُ آذانِهما ووشمٌ ونحوُه، ويُؤذَّنُ في أذُنهِ لوقتِهِ، ويُقيمُ في اليُسرى، ويحنّكُ بتمرَةٍ ونحوِها، ودمُ أُضحيّةٍ لأُنثى واثنانِ أو دمٌ لذكرٍ، ينوي بذبحِهِ لهُ بسابعِ يومٍ عقيقةً، وسُنَّ تَسْمِيَتُه عبدَ اللهِ ونحوَه، لا بمكروهٍ كمُرَّةَ وبركةَ ونحوِهما، ويُغَيَّرُ باسمٍ حَسَنٍ.

وحُكمُها[٣] كأُضحيّةٍ وَفَخِذُها لدايَته، وطَبْخُها بحُلوٍ، وبعثُ غالِبِها للفُقراءِ، وبلا كَسْرِ عظمٍ، ثُمَّ يتصَدَّقُ بزنَةِ شعرهِ ذهبًا أو فضةً، ثُم خِتانُه حتمًا وفي صِغرهِ وفي السَّابعِ أولى[٤].

وسُنَّ حِينَ يُفصِحُ تعليمُه (لا إله إلا اللهُ)، ثُم ﴿ وَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٌ فِى ٱلْمُلْكِ ...﴾ الآيةَ [الإسراء: ١١١] رواهُ ابنُ السُّنِّي مرفوعًا[٥].

---

(١) سنن أبي داود (٣٩٠٤) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) من قوله: وسماه...إلى هنا من (أ) فقط.

(٣) أي: العقيقة.

(٤) في (أ، د): (ثم ختانه، وعليها صيانة...) إلخ. وقوله: (وفي صغره وفي السّابع أولى) لم يثبت في (ز).

(٥) عمل اليوم والليلة (٤٢٣، ٤٢٤) عن عمرو بن شعيب، قال: وجدت في كتاب جدي الذي حدثه عن رسول الله ﷺ قال: «إذا أفصح أولادُكُم فعلّمُوهُم لا إله إلّا اللهُ، ثُمّ لا تُبالُوا متى ماتُوا، وإذا أثغرُوا فمُرُوهُم بالصّلاة». وعنه (٤٢٤) قال: كان النبي ﷺ إذا أفصح الغلام من بني عبد المطلب علّمهُ هذه الآية: ﴿ وَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا ...﴾.

= مسألة: وردت من المغرب، فيما ذكره الشيخ أبو عبد الله البلالي في «مختصر الإحياء» حيث قال في كتاب الأضحية: وتتأكد الأضحية عن رسول الله ﷺ، وقد بحثنا عن هذا الفرع في كتب السادة المالكية، فما وجدنا ما يثلج الصدر ويزيل اللبس، فكتبنا لكم فيه لتبينوا لنا أصله من السنة.

الجواب: قال الإمام أحمد في «مسنده»: ثنا أسود بن عامر قال: ثنا شريك عن أبي الحسناء، عن أبي الحكم، عن حنش، عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال: أمرني رسول الله ﷺ أن أضحي عنه، فأنا أضحي عنه أبدًا. وقال ابن أبي الدنيا في «كتاب الأضاحي»: حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة، ثنا شريك عن أبي الحسناء، عن الحكم، عن حنش، عن علي قال: أمرني رسول الله ﷺ أن أضحي عنه بكبش، فأنا أحب أن أفعله، وقال أبو داود في «سننه»: ثنا عثمان بن أبي شيبة، ثنا شريك عن أبي الحسناء، عن الحكم، عن حنش قال: رأيت عليًا يضحي بكبشين، فقلت له: ما هذا؟ فقال: إن رسول الله ﷺ أوصاني أن أضحي عنه، فأنا أضحي عنه.

وقال الترمذي في «جامعه»، وابن أبي الدنيا معًا: ثنا محمد بن عبيد المحاربي الكوفي، ثنا شريك عن أبي الحسناء، عن الحكم، عن حنش، عن علي أنه كان يضحي بكبشين، أحدهما عن النبي ﷺ، والآخر عن نفسه، فقيل له: فقال: أمرني به ـ يعني النبي ﷺ ـ فلا أدعه أبدًا».

قال الترمذي: هذا حديث غريب، لا نعرفه إلا من حديث شريك انتهى، وقد نص على هذه المسألة بخصوصها من المالكية القاضي أبو بكر بن العربي في «الأحوذي»، ومن أصحابنا الشافعية أبو الحسن العبادي، والقفال في «فتاويه»، وجزم القفال بأنه لا يجوز للمضحي أن يأكل منها شيئًا، وكذا قال ابن العربي، وعلله بأن الذابح لم يتقرب بها عن نفسه، وإنما تقرب بها عن غيره، فلم يجز له أن يأكل من حق الغير شيئًا، وكذا نقله الترمذي في «جامعه» عن ابن المبارك قال: فإن ضحى فلا يأكل منها شيئًا، ويتصدق بها كلّها. قال البلقيني في «تصحيح المنهاج»: حديث علي إن صح محمولٌ على أنه خصوصية للنبيّ ﷺ.

باب
[في البيع وكسب الحلال]

أُمِرَ بكَسْبِ حِلٍّ، وكَفافُهُ أتمُّ بعملِ يدِه، وبلا مُؤنةٍ أو بدُعاءٍ فكرامةٌ - تَسبَّبَ ﷺ وأصحابُه رضيَ الله عنهُم - ويضُرُّ ما كَثُرَ وألهى.

فآدابُه: بحِرفةٍ مُهمّةٍ؛ كزراعةٍ وتجارَةٍ، وتُمَيَّزُ الزِّراعَةُ عليها مِن وجُوهٍ منها: مزِيدُ زكاةٍ ونفعٍ، وهيَ أهمُّ وأنزهُ مِن وجوهٍ، ويُعامَلُ غيرُ صَبيٍّ ومجنونٍ وأعمى لم تَسْبِقْ لهُ رؤيَةُ المبيعِ وعبدٍ لَمْ يُؤذنْ لَهُ وظُلمةٍ ونحوِها.

شُروطُ البَيعِ: طَهارةُ المبيعِ، ونفعُهُ، ومُكنَةُ تسليمِهِ، وعِلْمُ عَينِهِ ونوعِه وقَدْرِهِ وصِفَتِهِ، وبقَدْرِ ثمَنِهِ في الذِّمَّةِ، وبنوعِهِ وتعيُّنِه مع غَلبةِ نُفوذٍ[1] وملكِ البائعِ، وإيجابٌ كبِعْتُكَ، وَقَبُولٌ كتَملَّكْتُ، ومُوالاتُهما عادةً، ويصحُّ بمُعاطاةٍ تُعَدُّ بيعًا، وبِعتُكَ هَذِه الصُّبرةَ كُلَّ صاعٍ بدرهمٍ لا مِنْها؛ لأنه مجهولٌ كرطلِ لبنٍ في ضَرْعٍ، ويُكرَهُ بيعُ صُبْرةٍ جُزافًا وبِصُبرةِ دراهمَ، ولا يصحّ رِبَويٌّ بجنسِه جُزافًا أو تخمينًا.

ويتَّقِي مسألَةَ العِينَةِ جِدًّا[2] - فإنّها حِيلةُ ربًا - ومسألَةَ الجَرِّ[3]، والرِّبا في

---

(١) في غير (ز): غلبة نقود.

(٢) في هامش (و): وهو أن يبيعه عينًا بثمن كثير مؤجل ويُسلّمها له ثم يشتريها منه بنقد يسير ليبقى الكثير في ذمته ونحوه، أو يبيعه عينًا بثمن يسير نقدًا ويُسلّمها له ثم يشتريها منه بثمن كثير مؤجل سواء قبض الثمن الأول أو لا. انتهى.
وفي (ز) ضبطت (ويتقي مسألة) (ويُتقى مسألةُ) بالضبطين معًا.

(٣) في (هـ): الجز.

ذهبٍ وفضّةٍ وتبْريهِما وحِليِّهما وآنيتِهما وطُعْمٍ ولو نَدَرَ؛ كَزَعْفرانٍ ودُهْنِ بنفسجٍ ووَرْدٍ وبانٍ.

وشرطُ بيعِه بمثلِه: حُلُولٌ، وتماثلٌ، وتقابضٌ في المجلسِ، وكَذا بربويٍّ غَير جِنْسهِ؛ كحِنْطةٍ بشعيرٍ ولحمِ بَقَرٍ بضَأنٍ لا تماثُلَ، ويفسدُ بيعُ قمحٍ به زُوانٌ ونحوُه بمثلِهِ لا دِقاقِ تِبْنٍ قلَّ، وتُعتبرُ عادةُ الحِجازِ بزمنهِ ﷺ؛ فلو جُهِلَ وقِطعُهُ كبارٌ عُرْفًا فَوَزْنًا وإلا فكيلًا بلا هَزٍّ، ويُعتبرُ جَفافُهما وما لا يتزَبَّبُ[١] ونحوُه، والبُقُولُ لا تُباعُ بمثلِها، ولا قَمحٌ بما يُتَّخذُ منهُ أو فِيهِ منهُ؛ كدَقيقهِ ومَصْلِه، ولا بمَقْلُوٍّ ومبْلُولٍ ولو جفَّ، ولا ربا في المنافعِ؛ كإيجارِ حُلْي بنقْدِه، ولا في ماءِ وَرْدٍ وعُودٍ ونحوِهما وحيوانٍ.

وشُرُوطُ السَّلَمِ كالبَيعِ، وتسلُّمُ ثَمنِه في المجلسِ، وعِلْمُ أجَلِه، وبيانُ محلِّ تسليمِ ما في نَقْلِه مؤنةٌ حيثُ لم يَصلُحْ محلُّ العقدِ للتسليمِ؛ فلو أتاهُ بغيرِ جِنْسهِ أو نوعِه حَرُمَ قَبولُه، أو بالصِّفَةِ فأعلى لزمَ أو أدنى قُبِلَ ندْبًا.

والقِراضُ: دفعُ جائزِ التّصرُّفِ لمثلِهِ أحدَ النَّقدينِ فقطْ يتَّجِرُ فيهما، لا ليبتاعَ غزلًا وينسجَه أو مِلكًا ليُكريهِ ونحوَه، ويضمَنُ نقصَه لو فعلَه بنقصهِ ولا أُجرةَ، وربحُه بينهُما وإيجابٌ؛ كقارضتُكَ على أن الرِّبحَ بينَنا كذا، وقَبولٌ مُتَّصِلٌ، ويدهُ على مالِ مُضارَبَةٍ وشرِكَةٍ ومُستأجرٍ ونحوِها يدُ أمانةٍ لا عاريّةٍ، وسَوْمُ مبيعٍ ونحوِهما.

وتصحُّ شَركةُ جائزَي التَّصُرفِ بإذنِ كُلٍّ بعدَ خلطِ ماليهما مِن نَقْدٍ واحدٍ بلا تمييزٍ، والرِّبحُ وضِدُّه على قدْرِ المالَينِ، ولكُلٍّ فَسْخُها وبمانعٍ كجُنونٍ، وكَذا الفَسْخُ في الوكالةِ.

---

(١) في (ز): لا يتزيت.

وتَصحُّ إجارةُ جائزَي التصرُّف في مَنفعةٍ مُتقوَّمةٍ بأُجرةٍ[١] أو مُسْتَقْبَلةٍ لمالكِ نَفْعِها لا كلمة بلا تعبٍ وطُعْمٍ ونَقْدٍ وزينَةٍ وحراسةِ كلبٍ وصيدِه وظِلِّ شجرةٍ وأُنسِ طَيرٍ وضِرابِ فَحْلٍ، ومعصيةٍ بنحو: أجّرتُكَ هذا، وقَبولٌ مُتصلٌ كقَبلتُ.

وإجارةُ الذمّةِ بالتسليمِ في المجلسِ، وأركانُها كالبيعِ، وتُغْنِي رُؤيتُها عَن معرفةِ وَصْفِها، وتفسُدُ بأُجرتِهِ ممّا يحصلُ بعِلمِهِ؛ كَسَلْخِ دابّةٍ أو حمْلِها بجِلْدها، أو طحنِهِ بجُزءٍ من دقيقِهِ، أو قطفِ ثَمَرٍ[٢] بجزءٍ منهُ بَعْدَ قِطافِهِ، أو نسجِ ثوبٍ ببعضِهِ، أو إرضاعِ رقيقٍ ببعضِهِ بعدَ فِطامِهِ، ولهُ أُجْرَةُ مثلِه، ويَصِحُّ طَحْنُه بجُزءٍ منهُ حَبًّا، وقِطافُهُ بجزءٍ منه على شجرةٍ ونحوها، وتبطلُ بفسادِ العَينِ لا ببيعِها، ولا بموتِ المتعاقِدَينِ.

والهِبةُ تمليكٌ مُنجَّزٌ مُطْلقٌ بلا عِوضٍ بإيجابٍ وقَبولٍ وإذنٍ وقبْضٍ؛ فيحرُمُ الرُّجوعُ لغيرِ أُصولِ الموهوبِ لهُ قبلَ إتلافهِ.

ويتّقِي ما يضرُّ كشراءِ أقواتٍ كثيرةٍ في غَلاها، ويحرمُ غِشُّهُ في كُلِّ شيءٍ كثَنائه على سِلْعتِه بغيرِ ما فيها، وكَتْمُ عَيبِها ولو رَفيًا[٣]؛ فَيأْخُذُ ناقصًا ويُعطِي راجحًا أبدًا؛ ويلٌ لعَلّافٍ[٤] خَلطَ تُرابًا، وقصّابٍ خلطَ عِظامًا زائدةً، فيتورَّعُ عَن كُلِّ شائبةٍ بتمامِ بحثِه وسؤالِه، ويُحسنُ بمُسامحةٍ[٥] وإنْظارٍ وإقالَةٍ ونحوِها تارةً، وبقلَّةِ رِبْحٍ ونقدٍ تارةً.

---

(١) في (أ، ب): ناجزةٍ.

(٢) في (ب): تمر.

(٣) رفأ الثوب يرفؤه رفأً: لأم خرقه وضمّ بعضه إلى بعضٍ وأصلح ما وهى منهُ، مُشتقٌّ من رفء السّفينة. «لسان العرب» مادة (رفأ).

(٤) في هامش (و) نسخة: حناط.

(٥) في (ز): وتحسن مسامحةٌ.

ويتّقي شُغْلَهُ عَنْ مَعادهِ بحُسنِ خُلُقهِ، ونيّتهُ بمعاشِهِ غِناهُ وعائلتَهُ عَن مسألةٍ وغيرِها، ونُصحُه وقيامُه بهم لا صِياغَةٍ وصِباغةٍ ونقّاشٍ ومُشيِّدٍ وجزّارٍ ونحوِها.

ولا يأخذُ على فرُوضِ الكِفاياتِ أُجرةً، فيُتمُّ كُلَّ عَقْدٍ بصحَّةٍ وعدلٍ، وإحسانٍ وشَفَقةٍ، وطَرفي يَومِه لآخرتهِ بمسجدٍ، ويُؤَدِّي فرائِضَه بأوّلِ الوقتِ، ويُحْكِمُ أورادَهُ كما بيّنّاها، ويتّقي دُخُولَه السُّوقَ أوّلًا وخروجَه آخرًا وغفلَته؛ ليجمعَ بينَ التِّجارتينِ(١).

❊ ❊ ❊

---

(١) في هامش (ز) حاشية:

وَكُلُّ امْرِئٍ لَمْ يَرْتَحِلْ بِتجارَةٍ إلى دارِهِ الأُخْرَى فَلَيسَ بِتاجِرِ

باب الصحبة والعزلة

رجّحَ كُلًّا منهُما قومٌ؛ نَعَمْ بِهما كمالُهُ؛ فبصُحبتهِ تعلُّمُه وتعليمُه، وصحّةُ عَقْدِه وعِباداتِه وأدبِهِ وحُسنِ خُلُقه بِحلْمٍ واحتمالٍ وتواضعٍ وأُلفةٍ ومعرفةِ أمورٍ لازمةٍ؛ لِما رواهُ البُخاريُّ مرفوعًا: «إنَّما العِلْمُ بِالتَّعَلُّمِ» في حديثِ: «مَنْ يُرِدِ اللهُ بِهِ خَيرًا يُفقِّهْهُ في الدِّينِ، وَيُلْهِمْهُ رُشْدَهُ»[1]، وسبقَ أوَّلَ الكتابِ[2].

وبعُزلتِه عَمَلُهُ بما عَلِمَ؛ لأُنسهِ بدَوامِ ذِكْرٍ أو معرفتِه بدوامِ فِكْرٍ يُثْمِرُ حُبَّه سبحانَهُ وتعالى، وهي الغايةُ.

وسِيلَتُها: قطعُ عَلائقِه، وإخراجُ محبَّةِ الغَير، ودوامُ المُجاهدةِ بيقينٍ بلا شكٍّ، وتوبةٍ بلا ذنبٍ، وزُهدٍ بلا رَغْبةٍ، وتجريدٍ بلا فترةٍ.

مَطِيَّتُها[3]: العُزْلَةُ بعد صُحبةِ مُرشدٍ يُرَقِّيهِ بصدقهِ وإخلاصهِ وفناءِ مُرادِه؛ ليبقى بصفاتِ مُرشدهِ ليتِمَّ أمرُه بربِّه سُبحانهُ وتعالى؛ فهناكَ نِتاجُ المَوهِبَةِ بازْدِواجِ الصُّحبةِ والعُزلةِ؛ نَعمْ ويحتاجُ إليهما كُلُّ مُرشدٍ؛ إذ قلبُه كالمُوسَى يُسِنُّهُ بخَلْوَتهِ ويُحلِّقُ بصُحبتهِ كما سيأتي، فيحذَر أُنْسَهُ بهم ولفظهُ قبلَ فِكْرِه واستجلائِها[4]

(١) رواه البخاري (٧١)، ومسلم (١٠٧٣) من حديث معاوية رضي الله عنه. وقوله: (ويُلهمهُ رُشدهُ) غير مثبت في (ز).

(٢) في باب فضل العلم.

(٣) في غير (ز): مظنتها.

(٤) في (ز): واستحلاها.

وعجلةً وغيرَ الحاجةِ بتمامِ حُسْنِ خُلُقِهِ، ويَجلِسُ وهو مِنْ عَملِهِ مُفْلِسٌ بِكَسْرةِ وأدبٍ، ويَقْرعُ بأناملِ افتقارِهِ أبوابَ كَرمِه سُبحانَه وتعالى ليُمْنَح الفتوحاتِ الرّبّانيّةَ؛ بدليلِ: ﴿إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ لِلْفُقَرَآءِ وَٱلْمَسَٰكِينِ ...﴾ الآيةَ [التوبة: ٦٠][1].

ولا يُهْمِلُ الخلْوةَ، وفي بابِ العلمِ والصُّحبةِ باقي الآدابِ.

والوُصلةُ بواسطةٍ؛ بدليلِ: ﴿وَٱتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ ...﴾ الآيةَ [لقمان: ١٥]، ونحوِها، وكجبريلَ عليه السَّلامُ لمُحمّدٍ ﷺ، وهو لأصحابِهِ[2] رضيَ اللهُ عنهُم، وهُم للتّابعينَ رحمهم اللهُ، ثُمَّ لتابعِيهم، ثُمَّ كذا أبدًا، ورفعَ اللهُ تعالى بعضَنا فوقَ بعضٍ للقُدوةِ؛ فالعُزلةُ تخليةٌ[3]، والصُّحبةُ تربيةٌ، والخَلْوةُ ترقيةٌ؛ إذ الفرقُ بين العُزلةِ والخَلْوةِ: أنّ العُزلةَ عزلُ نفسهِ[4] وما تدعُو إليه، والخَلْوةُ مُراقبةُ قلبهِ وما يَرِدُ عليهِ.

فأعظمُ آدابها: وسِيلةُ محبَّتِه تعالى، ودوامُ ذِكْرِ مَوتِهِ، ووَحْدتِهِ، وقِصَرُ أمَلِه، ومَنْ لم يأنْسَ بربِّه[5] تعالى في خَلوةٍ مُوحِشةٍ أوحَشَهُ اللهُ تعالى بوَحْدةِ قبرِهِ: ﴿بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ...﴾ الآيةَ [آل عمران: ١٦٩]؛ فكلُّ مُتجرِّدٍ للهِ تعالى في جهادِ نفْسِه شهيدٌ؛ رُوِيَ: «أكْثَرُ شُهَداءِ أُمَّتِي أصْحابُ الفُرُشِ، وَرُبَّ قَتِيلٍ بَيْنَ الصَّفَّينِ اللهُ أعْلَمُ بِنِيَّتِهِ...» الحديثَ[6].

---

(١) وتمام الآية: ﴿إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ لِلْفُقَرَآءِ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱلْعَٰمِلِينَ عَلَيْهَا وَٱلْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي ٱلرِّقَابِ وَٱلْغَٰرِمِينَ وَفِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ فَرِيضَةً مِّنَ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾.

(٢) في (ب): لهم.

(٣) في (ز): تحلية.

(٤) في (أ): عن نفسه.

(٥) في (ب، ج): به.

(٦) رواه أحمد في المسند (٣٧٧٢) من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه.

وَصَمْتهُ لدوامِ ذِكْرٍ بلا فَتْرَةٍ، وتأمَّلْها مِن زكريا ومريمَ عليهما السَّلامُ، وما أثمرا في يحيَى وعيسى عليهما الصَّلاةُ والسَّلامُ؛ فدعْ زكريا نُطقِكَ، ومريمَ نفْسِكَ يَسْكُتا إيثارًا له تعالى بذكرِهِ، عسَى عِيسَى قلبكَ في مَهْدِ صدْرِكَ بالحِكْمةِ ينطقُ صبيًّا، ويَحْيَى سرِّكَ يَحْيا بأُنسهِ تعالى نجيًّا؛ فافْهَمْ واترُكْ ما لا يَعْنِي حركةً وسُكُونًا وفِكْرةً وكافةَ حُظوظه؛ سُلِبَ شيخٌ بقُبْلَةٍ، وعَمِيَ آخرُ بنظرةٍ[١]، وخَصَّ بعضُهم ذِكْرَها بالتهليلةِ بقُوَّةٍ، تَكْسِرُ حَجَر قَسوتهِ وتقدحُ نارَ محبّتهِ بحُجبهِ فيَخْرِقها إليه تعالى، وهيَ معنى دينِه نَفْيًا ثُمَّ إثباتًا، ومتى انتحلها فَهِمَ الحقائقَ.

ودوامُ وضوئهِ بصَلاةٍ عقبه، وتأمَّلْ ثمرتهما لبلالٍ رضي الله عنهُ[٢]، وصومُه

---

(١) في (أ، د، ز) زيادة: مشموم. روى ابن الجوزي في «ذم الهوى» في ذكر إثم النظر وعقوبته (ص١٧٢) عن أبي معاوية الضرير، عن أبي سنان، عن عمرو بن مرة قال: نظرتُ إلى امرأة فأعجبتني فكُفَّ بصري؛ فأرجو أن يكون ذلك جزائي. وروى أيضًا (ص١٢٨) عن أبي عبد الله الشيرازي قال: أخبرني أبو يعقوب النهرجوري قال: رأيت في الطواف رجلًا بفرد عين وهو يقول في طوافه: أعوذ بك منك! فقلت له: ما هذا الدعاء؟ فقال: إني مجاور منذ خمسين سنة، فنظرت إلى شخص يومًا فاستحسنته، فإذا بلطمة وقعت على عيني، فسالت عيني على خدي، فقلت: آه؛ فوقعت أخرى، وقائل يقول: لو زدت لزدناك.

(٢) روى الترمذي (٣٦٨٩) عن بُريدة رضي اللهُ عنه قال: أصبح رسول الله ﷺ فدعا بلالًا فقال: «يا بلالُ بم سبقتني إلى الجنّة؟ ما دخلتُ الجنّة قطُّ إلّا سمعتُ خشخشتك أمامي، دخلتُ البارحة الجنّة فسمعتُ خشخشتك أمامي، فأتيتُ على قصرٍ مُربّعٍ مُشرفٍ من ذهبٍ، فقُلتُ: لمن هذا القصرُ؟ فقالُوا: لرجُلٍ من العرب، فقُلتُ: أنا عربيٌّ، لمن هذا القصرُ؟ قالُوا لرجُلٍ من قُريشٍ، فقُلتُ: أنا قُرشيٌّ، لمن هذا القصرُ؟ قالُوا: لرجُلٍ من أُمّة مُحمّدٍ ﷺ، فقُلتُ: أنا مُحمّدٌ لمن هذا القصرُ؟ قالُوا: لعُمر بن الخطّاب». فقال بلالٌ: يا رسُول الله، ما أذّنتُ قطُّ إلّا صلّيتُ ركعتين، وما أصابني حدثٌ قطُّ إلّا توضّأتُ عندها ورأيتُ أنّ لله عليّ ركعتين. فقال رسول الله ﷺ: «بهما».

أبدًا وسبقَ بيانهُ، وأكلُه واحدةً بعدَ العِشاءِ؛ لصفاءِ وقْتهِ بينَ المغربِ والعِشاءِ، وتأخيرهُ إلى السّحَرِ أتمُّ[1] بعدَ وِرْدِه؛ فقد فعلَه قومٌ فنالوا به ما لم ينلْهُ غيرُهم، ونومهُ بقَدرِ الضَّرورةِ فقط بالنِّيَّةِ، وجُلُوسُه مُفْتَرشًا والمُنتَهِي مُتربّعًا لحفظِ وُضوئهِ في غَيبتهِ، وخَلْوةٌ بلا ضَوءٍ ولا حِسٍّ ألبتّةَ؛ بسَدِّ حواسِّهِ ظاهرًا تنفتحُ باطنًا كالنَّومِ فافْهَمْ، ومَحضُ رضاهُ بالقضاءِ، ودوامُ عَزْمهِ وصَبْرِهِ، ومُلازمةُ خَلْوتهِ.

نَظرَ شَيخٌ ظَبْيَةً وردتْ ماءً فرجعتْ خوفًا مِن خَيالِها، فعلتْ ذلك مرارًا ولم تشربْ، فغمّضتْ عينيها ورَمَتْ بنَفْسِها في الماءِ فشربَتْ إلى الرَّيِّ؛ فقال الشَّيخُ: لي زمانٌ أرجعُ عَن المُجاهدةِ خوفًا؛ فما لي إلّا أن أُغَمِّضَ العينينِ عَن الكونينِ: إمّا وَصْلٌ وإمّا قَتْلٌ، فَفَعلَ فبلغَ مَبْلغًا عَظيمًا.

وذِكْرٌ بقلبهِ لا يفترُ لحظةً، والجمعةُ إن وجبتْ، والجماعةُ، وقَطْعُ نظَرِه عمّا سواهُ تعالى، ونَفْيُ كُلِّ خاطرٍ، ويُميّزها المُنتهِي في غيرِ أوانِ التَّوجُّهِ؛ إذ لا بُدَّ في التوجُّه مِن نفي كُلِّ خاطرٍ برعايةِ صورةِ الذِّكرِ ومعناهُ بالمُبالغةِ في تعظِيمه وتعظيمِ جِلْسَتِه مع ربّهِ سبحانَهُ وتعالى؛ فإنَّه جليسُ مَنْ ذكَرهُ[2]، فنفْيُ الخواطِر خُلاصةُ

(١) في هامش (ز) نسخة: (أكمل).

(٢) روى البخاري (٧٤٠٥)، ومسلم (٢٦٧٥) عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: قال النبي ﷺ: يقُولُ اللهُ عزّ وجلّ: «أنا عند ظنّ عبدي بي، وأنا معهُ حين يذكُرُني، إن ذكرني في نفسه ذكرتُهُ في نفسي، وإن ذكرني في ملإٍ ذكرتُهُ في ملإٍ هُم خيرٌ منهُم، وإن تقرّب منّي شبرًا تقرّبتُ إليه ذراعًا، وإن تقرّب إليّ ذراعًا تقرّبتُ منهُ باعًا، وإن أتاني يمشي أتيتُهُ هرولةً».

وروى أبو نعيم في «الحلية» (٦: ٤٢) عن كعب قال: قال موسى عليه السلام: يا رب أقريب أنت فأناجيك أم بعيد فأناديك؟ قال: يا موسى أنا جليس من ذكرني.

وفيه (٨: ٢١٧) عن عبيد الله بن محمد الكرماني قال: دخلت على محمد بن النضر =

الخَلْوَةِ وزُبْدَةُ المُعاملةِ، وأهمُّ شُروطِها، وفي تمييزِ الخواطرِ في التوجُّهِ مَضَرَّةٌ ظاهرةٌ فتفرقةٌ يُصَيِّرُها الشيطانُ وساوسَ عائقةً، بل يستمرُّ بمُلازمةِ الذِّكْرِ ومعناهُ، المُغيِّبِ عمّا سوى المذكورِ بلا فُتورٍ، بالقُوَّةِ الشَّديدةِ أبدًا ليصلَ إلى التَّفريدِ والأُنسِ به سبحانَه وتعالى، فتتبدَّلُ وساوسُه بإلهامٍ وحديثُ نفسِه بمُكالمةِ القلبِ والرّوحِ ومُناجاتِهما معهُ سُبحانَهُ وتعالى على اختلافِ المراتبِ فيه مع تَصَوُّرِ الشَّيخِ رفيقًا بكمالِ الاعتقادِ وحُسْنِ الظنِّ فيهِ أبدًا ليتمَّ أمرُه؛ فافْهَمْ[1].

فواردٌ مُتصرّفٌ فربّانيٌّ[2]، ومنهُ الإلهامُ إيقاعٌ في القلبِ يَثْلَجُ له الصَّدرُ ينفردُ به الخاصَّةُ[3]، وليس بحُجَّةٍ لفَقدِ العِصمَةِ[4]، وهو مع غَيبةٍ أقوى.

وهَمٌّ بخيرٍ فقلبيٌّ، ومتى صارَ عَزْمًا فمَلَكيٌّ؛ لمزيد جُودِهِ ﷺ بمجيء الملَكِ بالوَحْيِ كما صحَّ[5]، ومُلِحٌّ بحظٍّ فنَفْسانيٌّ وباضطرابٍ فشَيطانيٌّ، وربما التبسا وهيَ مكيدةٌ عظيمةٌ؛ فواردُ الخيرِ يَعقُبُ راحةً، ووارِدُ الشَّرِّ يَعقُبُ تعبًا.

= الحارثي، فقلت له: كأنك تكره مجالسة الناس، قال: أجل، قلت له: أما تستوحش؟ قال: كيف أستوحش وهو يقول: أنا جليس من ذكرني؟

(١) من قوله: (إذ لا بُدّ في التوجُّه...) إلى هنا غير مثبت في (ب).

(٢) في هامش (ز): مطلب: محل تقسيم الخواطر.

(٣) من قوله: (ومنه الإلهام...) إلى هنا غير مثبت في (أ).

(٤) في هامش (ز) حاشية: قال الشيخ أبو الحسن الشاذلي رضي الله عنه: قد ضمن الله لنا العصمة في جانبي الكتاب والسنة ولم يضمنها في الإلهام؛ فالعصمةُ فيهما موجودة وفي الإلهام مفقودة؛ كما قال هذا المؤلف رحمه الله تعالى.

(٥) روى البخاري (١٩٠٢)، ومسلم (٢٣٠٨) عن ابن عباس رضي الله عنهما، قال: «كان النّبيُّ ﷺ أجود الناس بالخير، وكان أجود ما يكونُ في رمضان حين يلقاهُ جبريل، وكان جبريلُ عليه السّلامُ يلقاهُ كُلّ ليلةٍ في رمضان حتى ينسلخ، يعرضُ عليه النبيُّ ﷺ القُرآن، فإذا لقيهُ جبريلُ عليه السّلامُ كان أجود بالخير من الرّيح المُرسلة».

تنبيه :

أرشدَ بعضُ الشُّيوخِ إلى امتحانِ مَيْلِ هذا الواردِ بعشرةِ آلافِ (لا إله إلا الله) النَّفي والإثبات؛ فإن استحضرَ الخاطرَ عقِبَها فخيرٌ، وإن فَنِي وانمحقَ فشرٌّ[١]؛ فَيُصرفانِ بسُبحانَ اللهِ الملكِ القُدُّوسِ الخلّاقِ الفعّالِ أبدًا، وفي أثنائهِ: ﴿إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ ...﴾ الآيةَ [النساء: ١٣٣]، ويستعيذُ بالله عشرًا طرفَي يومهِ أبدًا، ويقرأُ آخرَ الحشرِ، ولا يتركهُ ألبتّةَ للحديثِ[٢]، والاستعاذةُ لغوٌ ما لم يلجأ بقلبهِ، وبـ «يا غِياثَ المُستَغِيثينَ أغِثْنِي» مع تجوُّعٍ وأورادٍ مُتواصلةٍ تُلهي عَن فحشاءِ المُخالفاتِ ومُنكرِ الغَفلاتِ، وتخويفٍ لتهرُبَ وترغيبٍ لتطلُبَ، واستعانةٍ به سبحانَهُ وتعالى ليأتيها تقواها، وعدم المُبالاة بخاطرٍ شيطانيٍّ ونحوِه، ما لم تَلْتفِتْ إلى نَبيحِ الكَلْبِ ترككَ، وسيأتي مزيدُ بيانٍ.

ووارِدُ الشَّيطانِ أصْعبُ[٣] وفُنونُه أكثرُ، وكمْ نفسٍ زكيّةٍ فتنَها لجهْلِها وعِلْمِه وضعفِها وقُوّتِه! وما ضعُفَ إلا بنصرِ الله تعالى كما في الآيةِ[٤]، ورُبّما

---

(١) من قوله: (وربما التبسا وهي مكيدةٌ...) إلى هنا مثبت من (هـ، و).

(٢) روى الترمذي (٢٩٢٢) عن معقل بن يسارٍ رضي اللهُ عنهُ عن النّبيّ ﷺ، قال: «من قال حين يُصبحُ ثلاث مرّاتٍ: أعُوذُ بالله السّميع العليم من الشّيطان الرّجيم، وقرأ ثلاث آياتٍ من آخر سُورة الحشر وكّل اللهُ به سبعين ألف ملكٍ يُصلُّون عليه حتّى يُمسي، وإن مات في ذلك اليوم مات شهيدًا، ومن قالها حين يُمسي كان بتلك المنزلة».

(٣) في (ب): أضعفُ.

(٤) قال الله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱلطَّٰغُوتِ فَقَٰتِلُوٓا۟ أَوْلِيَآءَ ٱلشَّيْطَٰنِ ۖ إِنَّ كَيْدَ ٱلشَّيْطَٰنِ كَانَ ضَعِيفًا﴾ [النساء: ٧٦].

وقال الله تعالى: ﴿وَإِذْ زَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ وَقَالَ لَا غَالِبَ لَكُمُ ٱلْيَوْمَ مِنَ ٱلنَّاسِ وَإِنِّى جَارٌ لَّكُمْ ۖ فَلَمَّا تَرَآءَتِ ٱلْفِئَتَانِ نَكَصَ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ وَقَالَ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّنكُمْ إِنِّىٓ أَرَىٰ مَا لَا تَرَوْنَ إِنِّىٓ أَخَافُ ٱللَّهَ ۚ وَٱللَّهُ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾ [الأنفال: ٤٨].

=

صَعْبَ الهوى لِمُلازمتهِ وضعُفَ الشَّيطانُ لغَيبتِه.

ومتى غلبَتْ خواطرُ الخير آثَر خيرَها؛ فإن استوتْ فأثقَلُها، والوليُّ يُؤثرُ أخفَّها، وقد يلتبسُ خيرُها بشرِّها؛ فما خَفَّ وأعقبَ تعبًا تُركَ أو عكسُهُ فُعِلَ - فافْهمْ - ومتى غلبتْ خواطرُ سُوءٍ دُفعتْ بالنوم.

ولا بُدَّ مِن صَمْتِ نَفْسِه عَن حدِيثها ونَفْيِ حُجُبها، وهيَ فِكْرٌ وذِكْرٌ ووهَمٌ وخَيالٌ، وحاسَّةٌ وباقي شُروط الخَلوةِ في الدُّعاءِ؛ فتأمَّلْهُ جِدًّا.

وغُسلُهُ عَقِبَ العِشاءَ لدُخولِه، وكُلَّما كَسِلَ بعدَ إتمامِ التّوبةِ والوصيّةِ وكَتْبِها، ونيّةُ[1] سلامةِ النّاسِ منهُ؛ لحديثِ: «يَعْبُدُ رَبَّهُ وَيَدَعُ النّاسَ مِنْ شَرِّهِ»[2]؛ مُفَوِّضًا مُستثنيًا في كُلِّ ما يستقبلهُ قائلًا: بسم اللهِ وباللهِ ومِنَ اللهِ وفي[3] اللهِ، ﴿رَّبِّ أَدْخِلْنِى مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِى ...﴾ الآيةَ [الإسراء: ٨٠][4].

وأقلُّها: ثلاثةُ أيامٍ.

وشُروطُها: الطّيُّ[5]، واستغراقُها، ولها تأثيرٌ عَظيمٌ جِدًّا وأصلٌ كبيرٌ، وتأمّل

= وقال تعالى: ﴿ فَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ۞ إِنَّهُۥ لَيْسَ لَهُۥ سُلْطَٰنٌ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴾ [النحل: ٩٨].
وقال تعالى: ﴿ إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنٌ ۚ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ وَكِيلًا ﴾ [الإسراء: ٦٤].

(١) في (أ، ب): ونيته.

(٢) روى الترمذي (١٦٦٠) عن أبي سعيدٍ الخُدريّ قال: سُئل رسول الله ﷺ: أيُّ النّاس أفضلُ؟ قال: «رجُلٌ يُجاهدُ في سبيل الله»، قالُوا: ثُمّ من؟ قال: «ثُمّ مُؤمنٌ في شعبٍ من الشّعاب يتّقي ربّهُ ويدعُ النّاس من شرّه». وقال: هذا حديثٌ حسنٌ صحيحٌ.

(٣) في (ز): وإلى. وفي هامشها نسخة كالمثبت.

(٤) وتمام الآية: ﴿ وَقُل رَّبِّ أَدْخِلْنِى مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِى مُخْرَجَ صِدْقٍ وَٱجْعَل لِّى مِن لَّدُنكَ سُلْطَٰنًا نَّصِيرًا ﴾.

(٥) في (أ): الوطيُّ.

ما للثلاثةِ[١] في كلِّ مُثلَّثٍ مِن تكفيرٍ وتطهيرٍ وتنْوِيرٍ، ولها في التكفيرِ نسبةُ الصَّلاةِ إلى الصَّلاةِ، ثُمَّ سبعةٌ ولها نسبةُ الجمعةِ إلى الجمعةِ، وأصلٌ لتعبُّدِهِ ﷺ في الغارِ الأيامَ ذواتَ العددِ؛ كما صحَّ[٢]، ثُمَّ شهرٌ؛ لقولِهِ ﷺ: «جاوَرْتُ بِحِراءَ شَهْرًا، فَلَمّا قَضَيتُ جِوارِي نَزَلْتُ فاسْتَبْطَنْتُ بَطْنَ الوادِي فَنُودِيتُ...» الحديثَ بطولِهِ[٣]؛ فخُلوتُه بغارِ حِراءٍ متَّفقٌ عليها، ولفظةُ الشَّهرِ أفْرَدها مُسلمٌ[٤]، ولأنَّ مُدَّتَه مُعتَبرةٌ مِن وجوهٍ ونسبةُ القَمرِ زيادةً ونقصًا وغَيبةً على التَّدريجِ كالسُّلوكِ، ولم يصحَّ عنهُ ﷺ أكثرُ منهُ، ورَوى الأربعينَ سوارُ بنُ مُصعبٍ وهو متروكُ الحديثِ؛ قالهُ الحاكمُ وغيرُه[٥].

﴿وَوَٰعَدْنَا مُوسَىٰ ثَلَٰثِينَ لَيْلَةً وَأَتْمَمْنَٰهَا بِعَشْرٍ...﴾ الآيةَ [الأعراف: ١٤٢] حُجَّةُ الشَّهرِ، والزِّيادةُ إتمامًا للثلاثينَ حيثُ استاكَ أو أكلَ فيها كسُجودِ السَّهْوِ، فقوِيَ تقييدُها بالشَّهرِ، وأنّها سُنَّةٌ، ومنعَ الصَّحابةَ منها الفتوحُ ونحوُه، ومنعَ غيرَهُم الجهلُ والغفلةُ وصُعوبةُ تركِ المألوفِ وخوفُ اقتحامِ غيرِ المألوفِ، ولا نهيَ

---

(١) في (أ، ب) زيادة: أي: كاستغفاره ثلاثًا وصومه ثلاثًا. وهي حاشية في هامش (ز).

(٢) رواه البخاري (٣) من حديث عائشة رضي الله عنها.

(٣) رواه مسلم (١٦١).

(٤) روى مسلم (١٦١) قال جابر بن عبد الله رضي الله عنهما: أحدثكم ما حدثنا رسول الله ﷺ، قال: «جاورتُ بحراء شهرًا...».

(٥) سوار بن مصعب الهمداني أبو عبد الله الكوفيُّ الأعمى المؤذن، قال البخاري: منكر الحديث. وقال النسائي وغيره: متروك. وقال أبو داود: ليس بثقة. وقال أحمد وأبو حاتم: متروكَ الحديث. وقال النسائي في «التمييز»: ليس بثقة ولا يكتب حديثه. وفي «سؤالات المروذي» عن أحمد: ليس بشيء. وقال أبو عبد الله الحاكم: ليس بالقوي عندهم. وقال أبو داود: غير ثقة. وقال أبو عبد الله الحاكم: روى عن الأعمش وابن خالد المناكير وعن عطية الموضوعات. وقال ابن عدي: عامة ما يرويه ليس بمحفوظ وهو ضعيف. لسان الميزان (٣: ١٢٨).

في الزِّيادةِ؛ ولأنّ الأربعينَ ثمرةُ نِتاجِ النُّطفةِ عَلقةً فمُضغةً فصُورةً، والدُّرُّ في صَدفِهِ، وتوبةُ داودَ عليهِ السَّلامُ؛ فافْهَمْ.

فإنْ قيلَ: أمرُ الغارِ قبلَ الرِّسالةِ فلا حُكمَ.

قلنا: صحَّ: «أوَّلُ ما بُدِئَ بِهِ رَسُولُ اللهِ ﷺ مِنَ الوَحْيِ الرُّؤْيا الصّالِحَةُ، ثُمَّ حُبِّبَ إلَيهِ الخَلاءُ، فَكانَ يَخْلُو بِغارِ حِراءَ»[١]؛ فدلَّ على أنَّ الخلوةَ حُكمٌ مُرتَّبٌ على الوحي؛ لأنّ كلمةَ ثُمَّ للترتيبِ، وأيضًا لو لم تكُنْ مِن الدِّينِ لنُهِيَ عنها، بل هيَ ذريعةٌ لمجيء الحقِّ وظُهورِهِ، مُباركةٌ عليهِ ﷺ وعلى أُمَّتِهِ تأسِّيًا به ﷺ، وسلامةٌ مِن رؤيةِ المناكيرِ وضررِها ومِن رياءٍ ونحوِه ومُداهنةٍ ونفاقٍ ومُسارقةِ طبْعٍ مِن سُوءِ أخلاقِهم، وهو داءٌ دفينٌ، ومِن فتنِهم وخُصُوماتِهم وغلبةِ الهوى، وعُزلتُه صيانةُ نفسِهِ ودِينِهِ عَن غِيبةٍ ونميمةٍ وسوءِ ظنٍّ وتُهَمةٍ وأطماعٍ كاذبةٍ وحَسَدٍ وعَداوةٍ ومُهلكاتٍ عديدةٍ ممن عُرِفَ، وبعُزلتِهِ غُنْمُ السَّترِ، والسَّلامةُ، وقطعُ طمعِهِ منهم وطمعِهِم منهُ، وفقدُ رُؤيةِ ثُقَلائِهِم وحُمقائِهِم، ولو آذوهُ كافأهُم وفسدَ دينه؛ فلزمتِ العُزلةُ عن فُضولِ دُنيا وأنامٍ؛ لأنَّهُما ضياعُ وقتٍ لشُغلِهِ بهم، وفسادُ ماضيهِ لِمَحبَّةِ المدْحِ لحَظٍّ، في كُلِّ أحَدٍ شرٌّ يُتَّقى، ومَن كثُرَ أصحابُه كثُرَ ما يتقيهِ؛ فصارَ البشرُ ثُلثاهُ شرٌّ[٢]؛ كما قيلَ:

لا تَرْجُ خَيرًا شامِلًا لِلْبَشَرْ ... فَشَرُّهُمْ أشْمَلُ لَو تَعْتَبِرْ
ثُلْثاهُمُ شَرٌّ وَمِصْداقُ ما ... حَكيتُهُ حَصْرُ حُرُوفِ البَشَرْ[٣]

---

(١) رواه البخاري (٣) من حديث عائشة رضي الله عنها.

(٢) في غير (ب، ز): البشر ثلثيه شرًّا.

(٣) البيتان من البحر السريع، وهما لعلي بن الحسن بن علي بن أبي الطيب الباخرزي، أبو الحسن (ت ٤٦٧هـ)؛ كما في ديوانه (ص١٣٥).

فالرّجلُ مَنْ وجَدَ فعبدَ، ووحَّدَ فتوحَّدَ، وسلكَ فرأى، وسَمِعَ فوعَى، وأثبتَ ونفَى، وعَبرَ فشفى؛ يأخذُ مِن حركاتِهِ وسكناتِهِ وأوقاتِه، فلا يدَعْها تأخذُ منه لإيثارِ ما رُجِّحَ شرعًا، ويقدّمها بعُزلةٍ ورياضةٍ ومجاهدةٍ.

وتجبُ العُزلةُ لفقيهٍ لا يسلمُ دينُه بخُلطةٍ، وتجبُ الصُّحبةُ لمنْ عرفَ الحقَّ فاتَّبعهُ، والباطلَ فاجْتنبَهُ، ويجبُ على مَنْ جهلَ ذلكَ ليَعلمَه.

فصل

[في آفات العزلة]

آفاتُ العُزلةِ للمُريد: تعلُّق نفْسِهِ بسببٍ، أو رُكونُ قلبهِ لجهةٍ مخصوصةٍ، وقناعتُه بما نالَ، وخاطرٌ يصدُّه عن مُرادهِ، وآفاتُها للمُرادِ ميلُه[١]، أو وسوسةٌ[٢]، أو رجُوعُه إلى الخلقِ والتجريدُ في الوقتِ، وتلقِّي هواتفِ الحقِّ سبحانَه وتعالى على زَعمِه بمعهودِ حواسِّه، ثُمَّ يدفعُ المريدُ الأوَّلَ بتقريرِ جَهلهِ بسببِ ما نال، وبعِلْمهِ بسَبْقِ القِسْمةِ ويُفنِي الجهةَ والسببَ في توحيده، ويدفعُ قناعتَهُ بحالهِ بخوفِ السّابقةِ ودوامِ سَيرِه، ويصدُّ ما صدَّهُ بإثباتِ (إلّا اللهُ)، ونفْيِ ما سواهُ تعالى، ويَدفعُ المُرادَ توهُّمَهُ بإلهامهِ برجُوعهِ إلى القاطعِ شرعًا؛ إذ فيهِ العِصمةُ لا بالتوهُّم، وفرحُه بشيءٍ أو حُزنُه بفَقْدِ شيءٍ أو همُّهُ به أو ركونُه إليهِ قاطعٌ عَن مُرادهِ[٣].

---

(١) في (ز): مثله.

(٢) في (هـ، و، ز): أو وسواسه.

(٣) في هامش (ز): بلغ مقابلة.

فصل
في فتوح الخلوة والسير بالقلب

غِطاؤهُ ظُلمةُ الوجودِ عندَ طَبْقِ الأجفانِ، والوجودُ مُركَّبٌ مِن ماءٍ وهواءٍ ونارٍ وترابٍ: ظُلماتٌ بعضُها فوقَ بعضٍ؛ فالسّالكُ تحتَ هذهِ كُلِّها لا مَطْمعَ لهُ في الانفصالِ عنها إلا بإيصالِ الحقِّ إلى المُستحقِّ. فإذا غلبتِ التُّرابيّةُ في العبدِ حصلتِ البُرودةُ واليُبوسَةُ؛ فمِنَ اليُبوسةِ المَلَلُ والسّآمةُ؛ فلا يجدُ لَذّةَ العبادةِ، ومِنَ البُرودةِ الكسلُ، فيُحرمُ العبادةَ ويُضيّعُ العمرَ، وإذا غلبتِ المائيةُ حَصَلتِ الرُّطوبةُ والبُرودةُ؛ فمن الرُّطوبةِ السَّهوُ والغفلةُ، فلا يجدُ بركةً في العُمرِ؛ فتفوتُ فائـدةُ تعلُّـقِ الرُّوحِ بالقالبِ[1] لفواتِ اصطيادهِ بشبكةِ البدنِ. وإذا غلبتِ الهوائيةُ حصلَتِ الرُّطوبةُ والحرارةُ؛ فمِنَ الحرارةِ الطيشُ والاستخفافُ وعدمُ التأنِّي وفقدُ النَّشاطِ ونحوُ ذلكَ[2]. وإذا غلبتِ الناريّةُ حصلتِ الخُشونةُ والحرارةُ؛ فمِنَ الخُشونةِ واليُبوسةِ سوءُ الخُلُقِ، والسَّآمةُ، وغلبةُ نارِ الشَّيطَنةِ ونارِ النَّفسِ والنيرانِ المذمومةِ؛ ككِبْرٍ وحَسَدٍ وعداوةٍ وجُوعٍ وعطشٍ وتحرُّكِ نفسهِ فيما لا يعنيهِ.

وكُلُّ هذه مِحنةٌ[3] عظيمةٌ وأمراضٌ، والموفَّقُ مَنْ سلكَ الصِّراطَ المستقيمَ، وعلاجُها بما في الرُّبعِ الثالثِ من الرِّياضةِ[4].

والوجودُ في المُشاهدةِ ظُلمةٌ، ثُمَّ بصفاتهِ[5] يبدُو كغَيمٍ كَدِرٍ، ومع الشَّيطانِ

---

(١) في (هـ): بالقلب.

(٢) من قوله: (وإذا غلبت الهوائية...) إلى هنا سقط من (أ).

(٣) في (ز): محن. وفي هامشها نسخة كالمثبت.

(٤) ينظر (ص٢٩٧).

(٥) في (ب): بصائفة.

كغَيمٍ أحمرَ، ومع فناءِ الحُظوظِ كغَيمٍ أبيضَ، والنفسُ تبدو كلَونِ السَّماءِ لها نبعانِ؛ كماءٍ مِنْ ينبوعِه، ومع الشيطانِ كماءٍ ونارٍ مُظلمةٍ. والشَّيطانُ نارٌ كَدِرةٌ، وقد يُرى أسودَ طويلًا فقُلْ بقلبكَ: «يا غِياثَ المُستغيثينَ أغِثْني» بِصدْقٍ لَجأ إليهِ سبحانهُ وتعالى يَفِرُّ عنكَ ما لم تلتفتْ إليهِ، وإلا عبثَ بكَ[١].

والذِّكْرُ يُرى كَنارٍ تَصْعَدُ بحركةٍ تَحرِقُ الحُظوظَ، وهي أجزاءٌ وُجوديّةٌ ولَّدَها الفُضولُ، وكذا تحرقُ كدرَ الشُّبهاتِ سيَّما بمَسْبَكِ[٢] الرِّياضةِ، فيُخيَّلُ إليكَ مفاوزُ تقطعُها، ثُمَّ كأنّكَ ببئرٍ ينزلُ مِن فوقِكَ وبلادٍ وقُرى ونحوِها، وتفنى مِن تحتِكَ لصُعودكَ وتشهدُ عِيانًا ما علمتَ عقلًا؛ فالخُضرةُ علامةُ حياةِ قلبكَ، والنارُ الصّافيةُ قُوَّةُ الهِمَّة، والزُّرقةُ علامةُ حياةِ نفسكَ، والصُّفرةُ ضَعفُها؛ فعلامةُ شُهودِ الخُضْرةِ انشراحُ صدرٍ بحياةٍ؛ كخُضرةِ زرْعٍ ونُموِّه، والصُّفرةُ ضعفٌ واختلاطُ الألوانِ حالةُ تلوينٍ، وثباتُ الخُضرةِ تمكينٌ، وهوَ آخرُ لَونٍ يبْقَى ومعَهُ تَسْطعُ الأنوارُ وكُدرةٌ لغلبةِ الوجودِ.

والقلبُ مِرآةُ الوجودِ وهو كالمياه[٣] الصّافيةِ؛ لأنّهُ نورٌ في قلبِ قليبِ الوجودِ، والوجودُ[٤] يُرى كأنّهُ بئرٌ عَمِيقٌ جِدًّا تراهُ فوقكَ ثُمَّ أمامكَ ثُمَّ تحتَكَ، وهو نهايةُ طريقكَ، ويعقبُه نورٌ أخضرُ وهو نهايةُ الوجودِ، وهذا السَّيرُ بنومٍ أو يقظةٍ يُؤنسُ أو بغَيبةٍ يُتعبُ جدًّا؛ فافزعْ إلى الذِّكرِ ترى عجائبَ مع نيلِ أحوالٍ، وقد تُرَى مُضطربةً بكَدرٍ ثُمَّ تتمُّ ثُمَّ تفنى.

---

(١) في هامش (د): بلغ مقابلةً، والحمد لله.

(٢) في (هـ): بمسك.

(٣) في (هـ، و): كالمرآة.

(٤) ما بين الوجودين سقط من (أ).

والفناءُ يُرى بئرٌ مِن نورٍ فيه خُضرةٌ؛ فظُلمتهُ لنزولِ الشَّيطانِ مُبطلًا للملائكةِ والرَّحمةِ، ثُمَّ يصعدُ الجنسُ إلى جنسهِ، وأكثرُ ورُودِ الملائكةِ مِن خَلْفِه، وكذا السَّكينةُ تَرِدُ على القلبِ، فيجدُ طمأنينةً ويَفنى الغَيرُ.

وعلامةُ الخيرِ تكرُّر الصَّلاةِ على النبيِّ ﷺ بلا قصدٍ، ويتبدَّلُ الشَّوقُ بالمُشاهدةِ، وهيَ تَكْشِفُ الغطاءَ عَن البصيرةِ.

والذّوقُ والشَّوقُ[1] تبديلٌ ووُجْدانٌ بما تكرَّرَ منهُ قلبُ حواسّكَ بنومٍ ونحوِه، بغيرها ترى وتسمعُ وتبطشُ بوجودٍ آخرَ، وقد تجدُ تأثيرَ لُقمةٍ أو شَربةٍ ونحوِها مُدَّةً، ولا يمنعُكَ بحرٌ ولا نارٌ ولا عُلْوٌ ولا سُفْلٌ حتى قد تطيرُ وتمشي على الماءِ، وهو أكملُ الوُجُودينِ بنومٍ أو موتٍ أو غَيبَةٍ ونحوِها فتتصرَّفُ بيدِ هِمَّتكَ، ومَنْ عِندهُ ظُلمةٌ جَهِلَ ذلكَ.

وأوَّلُ مُشاهدةٍ صورٌ وخيالٌ؛ لأنَّهُما قويّانِ، بهما العقلُ يَصيدُ المعاني بالمُخيِّلَةِ والمُصوّرةِ، ثُمَّ يتصرَّفُ العقلُ فيها؛ فالمُخيِّلَةُ تُخيِّلُ المعنى، والمُصَوّرةُ تُصوِّرُ العدُوَّ الخسيسَ كَكَلْبٍ، والنَّفْسَ كأسدٍ، والرَّجُلَ العظيمَ كجبلٍ، والسُّلطانَ كنمرٍ، والرَّجُلَ النّافعَ كشجرةٍ مُثمرةٍ، وغيرَ نافعٍ كشجرةٍ غيرِ مُثمرةٍ، والدُّنيا كنجاسةٍ أو عجوزٍ إلى غيرِ ذلكَ، وهو سِرُّ عِلْمِ التعبيرِ، ثُمَّ يسيرُ فيظهرُ له لونُ المعاني لثبوتِ رابطةٍ بينَه وبينَ بصيرتِه، ثُمَّ يفنى في القلبِ، ويستمرُّ لونُ الخُضْرةِ فقطْ، وهوَ حياةُ القلبِ، ثُمَّ يظهرُ لونُ العقيقِ، وهو لونُ العقلِ الكبيرِ؛ يحملهُ على الخيرِ ويمنعُ ضِدّه، ويُطاعُ فيهِ، وهو ثمرةُ تمامِ المُجاهدةِ مع الصِّدقِ والإخلاصِ وتنزلُ الوارداتُ الثِّقالُ كالجبالِ.

---

(١) في غير (هـ، و): والذوق.

فصل
[في الاستغراق في الذكر]

الاستغراقُ أوَّله الوجودُ في الذّكـرِ؛ فإذا فَنِيَتْ حُظوظُـه يجـدُ لكُلِّ جُزءٍ منهُ ذكرًا وبدوامهِ يفنَى؛ فيعقُبُهُ قُرَّةُ العينِ، ثُمَّ يجدُ كهَديرِ الماءِ ودَويِّ الرِّيحِ وضوءِ نارٍ مُضرَمَةٍ وخَبْطِ الخيلِ وهَفيفِ الشَّجر، وسرُّه كونُ الآدَميّ رُكِّبَ مِن جوهرٍ شريفٍ ووضيعٍ، ثُمَّ يُفتحُ للذّاكرِ بابٌ[١] مِن فوقِ رأسهِ؛ لأنّ الذِّكرَ كلمةٌ طيّبةٌ تصعدُ فتُثمرُ نُزولَ الوارداتِ، فيمتلئُ نُورًا حتّى كأنّ القلبَ قَليبٌ والذِّكر كأنّهُ دلْوٌ يُستَقى؛ فعِندَهُ تقعُ حركةٌ بلا قصْدٍ؛ فلو فتَر عَن الذِّكْرِ تحرّك قلبُه في صَدْرِهِ؛ كولدٍ في بَطنِ أمِّه، وذكرُ القلبِ يُشْبِهُ رنَّةَ النَّحلِ فقطْ.

والاستغراقُ الخاصُّ وقوعُ الذِّكرِ إلى السِّرِّ بغَيبةِ الذّاكرِ بهُيام ونحوِه. ومِن علامتهِ أن لا تخمُدَ نيرانُه ولا أنوارُه؛ منها صاعدةٌ ونازلةٌ؛ فذِكْرُ اللِّسانِ ذِكْـرُ الحروفِ بلا حضورٍ، وذكرُ الحُضُورِ بالقلبِ، وذِكْرُ الغَيبَةِ عَن الحُضورِ في المذكورِ[٢]، وهُوَ ذِكْرُ السِّرِّ[٣].

فصل
[في علامة النفس الأمارة]

علامةُ النَّفْسِ الأمّارةِ دائرةٌ كأنّها قمرٌ، ثُمَّ كأنّها غيمٌ، ثُمَّ يُكْشَفُ عَن حافاتهِ؛

---

(١) في (هـ، و، ز): ثم يفتح الذكر بابًا.

(٢) في (ب): عن الحضور عما سوى المذكور. وفي (ج): وذكر الغيبة عن سوى المذكور.

(٣) هذا الفصل ذكره نجم الدين كبرى في «فوائح الجمال وفواتح الجلال» (ص١٥١). وعنه نقل المؤلف رحمه الله.

كهِلالٍ يُرى طرفُه والعقلُ يُرى كشمسٍ حمراءَ ويُرى دائرةً، وبينَهُما منازلُ غريقةٌ، والمشاهدةُ أدنى سُفْلَى وأعلى كشَمْسٍ ونورٍ ونحوِهما، فلا تشهدُ شيئًا إلّا بجنسهِ، فإذا شهدتَّ فقدْ زكتْ منكَ المُناسِبَة. وعوالمُ الغَيبِ أجَلُّ: أوَّلُها العِلْمُ، ثُمَّ المُشاهَدةُ، ويتَّصِفُ قلبُك بتأثيرِ الصِّفاتِ ويتخلَّقُ بالأخلاقِ.

فصل

[في محبة أنس الله تعالى بخلوته بنزول الذكر إلى قلبه]

أنوارٌ تصعَدُ فقلبيّةٌ، والنّازلةُ عَرشيّةٌ، ومتَى فَنِيَ الوُجودُ بينهُما حَنَّ النُّورُ إلى النُّورِ، فَيصعَدُ منكَ وينزلُ منهُ، وجواهرُكَ تقبَلُ الزِّيادَةَ لا جواهرُ السَّماءِ، فيَحنُّ ناقِصُكَ لكامِلِه، ثُمَّ يَستوِيانِ فيَحنَّانِ برحمتِهِ تعالى وينجذبانِ بقُدْرتِهِ، ثُمَّ يكبُر جوهرُكَ[1] على مُناسبهِ فيَجذِبهُ فيَنزلُ عليكَ، وهو سِرُّ السَّيرِ، والجَذْبُ والسَّيرُ تصفِيَةُ الجَوهرِ إنْ زادَ جَذَبَ أو نَقصَ حَنَّ، وبصفاءِ دائرةِ الوجْهِ تَجِدُ النُّورَ كأنّهُ يَنبُعُ بينَ حاجبَيكَ وعَينَيكَ، ثُمَّ يعُمُّ الوجهَ فَترى أمامكَ وجهًا كوجِهكَ مِنْ خلفِ ستُورٍ بين شمسٍ تجيءُ وتذهبُ كالأُرجوحَةِ ـ فذلكَ وجهكَ حقيقةً ـ والشّمسُ شمسُ رُوحِكَ تتَرَدّدُ في بدَنكَ، ثُمَّ يعمُّ بدَنكَ الصّفاءُ، فتشهَدُ بينَ يديكَ شخصًا تتولّدُ منهُ الأنوارُ، ويُسمَّى هذا الشّخصُ شيخَ الغَيبِ ومِيزانَ الغَيبِ، ومتَى رأيتهُ بسوادٍ أو خُضْرةٍ أو شيءٍ مِن الدَّوائرِ فنقصٌ؛ فظُهورُه خيرٌ، وفناءُ الدَّوائرِ نهايةٌ لا الشَّخصُ أبدًا بل بهِ سيرُكَ وعُروجكَ رحمةً منهُ سُبْحانَهُ وتعالى، ثُمَّ تشهدُ كُتبًا[2] بألسنَةٍ وتفهَمُ منها عِلمًا لَدُنّيًا، والنّهايةُ المعرفةُ، وثمرتُها المحبَّةُ.

---

(١) في (هـ، و): ثم تكثر جواهرك.

(٢) في هامش (ب): كتبه.

شرطُ البدايةِ[١]: اعتدالُ جَناحَي رَهْبتهِ ورغبتهِ، والسَّيرُ اعتدالُ جَناحَي قَبْضهِ وَبَسطهِ، والنّهايَة: اعتدالُ جَناحَي هَيبتِه وأُنْسِهِ لِيَتِمَّ طيرانُه وإلّا فلا، وبينَهُما سرٌّ أدقُّ مِنْ شَعْرةٍ، ومتَى زلَّ جناحُه زلَّ قدَمُه إلى جَحِيمهِ وزمهريرهِ؛ نَعَمْ يُمكنُ تسويَةُ قَبْضِه وبَسطِه، وكَذا الهَيْبَةُ والأُنسُ وتلوينُه بقُوّةِ أحدِهما وتمكينُه باجتماعِهما، وجناحُ المحبّةِ والمعرفةِ يُثمرانِ فناءً أو بقاءً، ويَتمُّ القبضُ والبسْطُ ببقاءِ صَبرهِ وشُكرِه، والهَيْبَةُ والأُنسُ ببقاءِ رضاهُ وتفويضِهِ، وتتنوّعُ الهِمَّةُ إرادةً، ثُمَّ طلبًا، ثُمَّ ربطًا، ثُمَّ تصرُّفًا، ثُمَّ تكَوُّنًا، وبقوّةِ إرادتهِ وصدقِ طلبهِ يجدُ رابطةً بينَهُ وبينَ مطلوبهِ، وبينَهُ وبينَ السَّماءِ إلى قلبهِ، والهِمَّةُ القُدرَةُ، وهيَ ثمرَةُ الجَمْعِ، وسرُّه لحوقُ قلبهِ بالعَرْشِ، وهذهِ محبّةُ أُنسِ اللهِ تعالى بخَلْوَتهِ بنزولِ الذِّكْرِ إلى قلبهِ، فإذا لازمَ خَلْوَتهُ هَجمتْ عليهِ جُنودُ الذِّكرِ كجرادٍ ولها رنّةٌ كرنّةِ النَّحلِ، وقد يراها يمينَه ويسارَه، وتفنَى الجماداتُ لقُوَّةِ[٢] الوارداتِ، فيراها كزُجاجٍ، ثُمَّ يُوصلُه دَوامُ الذِّكرِ إلى تركِه ظاهرًا ليراهُ باطنًا.

ومِن علامةِ ولايتهِ: المُلازمةُ. ومنها: حفظُ اللهِ تعالى لهُ بأمورٍ يعرفُها. ومنها: افتقارُه إليهِ تعالى ليصيرَ أدَلَّ على اعتنائهِ بهِ من الإحسانِ وإجابةِ دَعْوَتِه إلى قَلْبِه بلا نُطقٍ. ومنها: يُؤتَى باسمٍ أعظمَ ليُجابَ بهِ. ومنها: معرفةُ شيءٍ مِن (كُنْ)، ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ﴾ [التكوير: ٢٩]، ومعنى (كُنْ) في حقِّه تعالى: سرعةُ الإيجادِ لهُ تعالى عَن الحاجةِ إلى لفظٍ أو غيرِه، ومَنْ تمَّ يقينُه تَمَّ أمرُه، فيَفنى عَن الكُلِّ لصدقهِ وإخلاصهِ وتعشُّقِه.

---

(١) في (هـ، و): شروط البداية.

(٢) في (أ): بقوة.

والموتُ الاختياريُّ به العُروجُ، وهو جمعيتُه بلطيفةِ قلبهِ مع فناءِ عِلْمهِ وجهلِهِ؛ ناظرًا بقلبهِ ما بينَ عينيهِ قائلًا به فقط: الله، الله، الله؛ مُكرِّرًا أبدًا مع الهَيبَةِ والتَّعظيمِ؛ لعلَّهُ يسمعُ قلبَهُ، فهو أوَّلُ فتحهِ فلا يقفُ معهُ ليتمَّ أمرُه.

وَآدابُهُ سَبقَتْ، ويجلسُ مُتربعًا للقبلةِ وراحتيهِ على فخِذَيهِ، مُغمضًا عينيهِ مع بقاءِ توجُّهِهِ بينَ عينيهِ، ويتصوَّرُ الشَّيخَ رفيقًا في الطَّريقِ مع سُكونٍ وسُكوتٍ قُبيلَهُ ليحصُلَ الصِّدقُ، ويقولُ بقلبه: الله، الله؛ بهَيبةٍ تُفنِي[١] السِّوى، ثُمَّ يُوافقُ بلسانهِ يقولُ[٢]: لا إله إلا الله؛ جهرًا بتعظيمٍ وقُوَّةٍ جدًّا؛ فهو الصِّدقُ، وكذا كُلُّ شيءٍ فلا يُبديهِ قبلَ سَكْتَةٍ يُحصِّلُ بها الصّدقَ، ويقصدُ بـ(لا إلهَ) نفيًا للسِّوى، وينزِّلُ (إلَّا اللهُ) على صَنَوبرةِ القلبِ مع حُضورِهِ المعنويِّ فيه، ثم إحضارُ معنى الذِّكرِ مع كلِّ مرَّةٍ قائلًا به فقط مع حضورِ[٣] غيرِ لا معبودَ إلا الله، وبفقدهِ لا موجودَ إلّا الله؛ ينوي بها شُكرًا لنعمةِ فناءِ الموجوداتِ بصحَّةِ نيتهِ لوجهِ الله تعالى بكلِّ قُربةٍ، وعونَكَ تركُ ما لا يعنيكَ صدقًا وإخلاصًا، ثُمَّ ترجعُ عَن ذَنْبِكَ لوجهِ الله لا خَوفًا مِن عِقابه، ثُمَّ عَن الكسلِ إلى الجِدِّ، ثُمَّ عَن غفلتكَ بالحُضورِ إليه سبحانَه وتعالى بذِكْرِ القلبِ كُلَّما فرغتَ[٤]: الله، الله، الله، بإعراضٍ عنكَ ومُلازمَتكَ لقلبكَ[٥] المعنويِّ لوجهِ[٦] اللهِ تعالى لا لخوفِ القطيعةِ، واحذرْ فَتْرةً تدخُلُ عليكَ ذِكْرَ ذَنْبٍ يمنعُ حُسنَ ظَنِّكَ، فقدْ أُخِذَ منهُ خلقٌ كثيرٌ، واجتهدْ

(١) في غير (هـ، و، ز): تنفي.
(٢) في (ز): بقوله.
(٣) في (هـ، و، ز): ظهور.
(٤) في (هـ): فزعت.
(٥) في (ز): لقطبك. وفي هامشها نسخة كالمثبت.
(٦) في (أ): وملازمتك لفظك المعنوي لرحمة الله تعالى.

على أُنْسكَ به تعالى لا بالخَلْوةِ، وإيّاكَ والميلَ إلى واردٍ إلا بقاطعٍ شرعيٍّ. لخَّصتُه من «فواتح الشيخِ نجمِ الدِّين الكُبْرى»، وزدتُه نفائسَ أُخرى نفعَ اللهُ بها آمينَ[1].

فصل
[في الصحبة والأخوة]

وصُحبةُ الصُّلحاءِ وأُخُوَّتُهم عونٌ كبيرٌ؛ قالَ اللهُ تعالى: ﴿وَتَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ﴾ [المائدة: ٢]، وقال تعالى: ﴿أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ﴾ [الفتح: ٢٩]، وتأمّلْ تأثيرَ الصُّحبةِ في كُلِّ شيءٍ حتّى بواشقُ بالصُّحبةِ رُفعتْ[2] على أيدي الملوكِ، ومعادِنُ صارتْ جواهرَ في خزائنِ الملوك، حتّى الحطبُ بصُحبةِ النَّجّارِ يُعتَقُ مِن النّار.

فعليكَ بصُحبةِ الأخيارِ بشُروطِها:

---

(١) «فوائح الجمال وفواتح الجلال» لنجم الدين الكبرى (ص٣٠-١٥٠).
ونجم الدين أحمد بن عمر بن محمد أبو الجنّاب الكبراء أو الكبرى. كان إمامًا زاهدًا صوفيًا فقيهًا مفسرًا، له عظمة في النفوس وجاه عظيم ولد بقرية من خيوق من قرى خوارزم، طاف البلاد وسمع بها الحديث وصنف تفسيرًا في اثنتي عشرة مجلدة، واجتمع به الإمام فخر الدين الرازي فأقر بفضله، واستوطن خوارزم إلى أن قصدها التتار سنة ثمان عشرة وستّمئة، فخرج فيمن خرج لقتالهم مع جماعة من مريديه، فقاتلوا إلى أن استشهدوا جميعًا على باب البلد، وكان صاحب حديث وسنة وملجأ للغرباء عظيم الجاه لا يخاف في الله لومة لائم. «طبقات ابن شهبة» (٢: ٥٠-٥١).
وفي هامش (ز): بلغ رابعًا، بلغ خامسًا.

(٢) في (أ): رعب. وفي (د) تصحفت (بواشق) إلى (فواسق).

فمنها: دوامُ صَفائِهِمْ[١] ووَفائِهم. قال بعضُهم لأخيهِ: لمَّا غرقتُ في البحرِ لِمَ رميتَ نفسكَ فيهِ؟ قال: ظننتُ أنّكَ أنا. ومنهُم مَن طوَى أربعينَ ليلةً يبتهلُ لأخِيهِ حتَى عُوفيَ مِن شهوةٍ كبيرةٍ أصابَها. فعظِّم اهتمامكَ بِكَسْرِه بذنبٍ ونحوِه، وانْصَحْهُ سرًّا فقط، وآثِرْهُ بما تقدرُ عليه مع رُؤيةِ فَضْلِه أبدًا، ومَن آثرَ النّاسَ بما يُحِبُّونَه شرعًا أُوثرَ بما يُحِبُّه؛ فالصُّحبَةُ مع كافرٍ حَرْبيٍّ بقتلِهِ وإرقاقِهِ فقطْ[٢]، وذميٍّ بإهانتِهِ بإعراضٍ عَن مُعاملتِه ومُكالمتِه وتوسِعَةِ طَريقِهِ ونحوِها، ويحرمُ إيذاؤهُ، وصَحَّ: «مَنْ قَتَلَهُ لَمْ يَرَحْ رائِحَةَ الجَنَّةِ»[٣]، ولا يُسامِحُ داعيًا إلى بِدْعةٍ لنحوِ: «مَنْ رَغِبَ عَنْ سُنَّتِي فَلَيسَ مِنِّي»[٤]، ويُنْهَى ويُنَفَّرُ ويُنصحُ، ويَهجرُ أهلَ الأهواءِ وجُوبًا.

وعَقْدُ الأُخوَّةِ: واخيتُكَ للهِ، وأسقَطْنا الحقوقَ والكُلْفةَ، ويقولُ الآخرُ مثلَه. ويدعوهُ بأحبِّ أسمائهِ، ويُثني عليهِ، ويُعْلِمْهُ بمحبّتِهِ، وثناءِ غيرِه عليهِ، ويذُبُّ عنهُ؛ ويدعُو لهُ أبدًا في غَيبَته. وهو أنفعُ لهُما، وبيَّناهُ في الدُّعاء.

ولا يسمعُ فيه ولا في مُسلمٍ سُوءًا، ولا يُصادِقُ عدُوَّهُ، وموتُ كُلٍّ على وُدِّه ورعايتِهِ شرطٌ؛ لنحوِ: «تَحابّا في اللهِ اجْتَمَعا عَلَى ذَلكَ وافْتَرَقا عَلَيهِ...» الحديثَ[٥]، وإكرامُ أهلِ وِدِّه بعدَهُ؛ لنحوِ إكرامِهِ ﷺ صُوَيحباتِ خديجةَ

(١) في (هـ، و): صفاتهم.

(٢) في (أ، ب): إسترقاقه.

(٣) رواه البخاري (٣١٦٦)، وابن ماجه (٢٦٨٦) من حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما، واللفظ لابن ماجه، وتمامه: «وإنّ ريحها ليُوجدُ من مسيرة أربعين عامًا».

(٤) رواه البخاري (٥٠٦٣)، ومسلم (١٤٠١) من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه.

(٥) رواه الترمذي (٢٣٩١)، ومالك في «الموطأ» (٢: ٩٥٢)، وابن حبان في «صحيحه» (٧٣٣٨) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

رضيَ اللهُ عنها بعدَها[١]، وبخفّةِ المُؤنةِ دوامُ الألفةِ؛ فصُحبةُ راجحٍ بإرادةٍ[٢] وخِدمةٍ، أو مثلِه فبِشَفَقةٍ وحُرْمَةٍ، أو دُونه فبتربيةٍ ورَحْمَةٍ، وتوقيرٍ[٣] مُتواضعًا، تاركًا ما لا يعنيهِ، وتشبيكَ أصابعِه، ونَقْبَ أنْفِه وكثرةَ بصْقٍ[٤] ونحوِه لغيرِ يسارهِ خِفيةً، وكثرةَ التفاتهِ، وتحدُّثَه عُجْبًا بولدٍ وجاريةٍ ونحوِهما، ونحوِ تصنُّعٍ وتزيُّنٍ، وكثرةَ مزحٍ وعُنفٍ، وفقدَ لينهِ لأهلِه، ويتّقي جُشاءَهُ وتخلُّلَهُ وتثاؤبَهُ بمَحْضرٍ، ويسدُّ فاهُ وبعُطاسهِ، ويتَّقي إيثارَ مالهِ على عِرضهِ، ونحوَ قُعودهِ مع العوامِّ وفي طريقٍ ونحوِه بلا غَضٍّ ونُصرةِ مظلومٍ وإرشادٍ نُدبَ وتركِ خوضٍ ونحوِه[٥]، وإجابةِ داعٍ وتَشميتِ عاطسٍ سمعَ تحميدَهُ، وتذكيرِ مَن نَسِيَ، ويدعو لِمَنْ عطسَ ثلاثًا بلا تَشميتٍ.

ويبدأُ بسلامهِ لمُطيعٍ وعجوزٍ ومَحْرَمٍ ونساءٍ فقطْ، وردِّهِ على مُكَلَّفٍ، وأقلُّه: عليكُم السَّلامُ، وعكسُه جهرًا يُسْمِعُهُ على الفورِ، وعليكُمْ فقطْ لذميٍّ، ولا يُجزئُ عنهُم ردُّ غيرِهِم وصَبيٍّ ونحوِهِ؛ فلو سلَّمَ صبيٌّ ولو أخرسَ مع إشارتهِ

---

(١) روى البخاري (٣٨١٨)، ومسلم (٢٤٦٣) عن عائشة رضي الله عنها قالت: ما غرتُ على نساء النبيّ ﷺ، إلا على خديجة وإني لم أُدركها، قالت: وكان رسول الله ﷺ إذا ذبح الشّاة فيقول: «أرسلُوا بها إلى أصدقاء خديجة».
وروى الطبراني في «المعجم الكبير» (٢٣: ١٤) عن عائشة رضي الله عنها قالت: دخلت على رسول الله ﷺ امرأةٌ، فأُتي رسول الله ﷺ بطعام، فجعل يأكل من الطعام ويضع بين يديها، فقلت: يا رسول الله لا تغمر يديك، فقال رسول الله ﷺ: «إنّ هذه كانت تأتينا أيّام خديجة، وإنّ حُسن العهد ـ أو حفظ العهد ـ من الإيمان».

(٢) في (أ): بإدارة.

(٣) في (د، ز): ويتوقّر.

(٤) في (ب): بصاق.

(٥) في (هـ، و): وندب ترك خوض ونحوه.

على مثلِه ردَّ وجوبًا بلفظِهِ وإشارتهِ للآيةِ[١]؛ إذِ الردُّ حقٌّ لآدميٍّ لا يتوقَّفُ على البُلوغِ وهوَ الورعُ، ورجَّحهُ العَلائِيُّ وغيرُه[٢]، لا بغائطٍ ونحوِه، وبحمّامٍ وفيهِ نَظرٌ، والردُّ بحمّامٍ أسلمُ[٣]، ومُستغرِقٌ بدُعاءٍ ونُعاسٍ[٤].

ويَرُدُّ قارئٌ وَآكِلٌ خَلا فَمُه فقطْ وُجوبًا، وفي أذانٍ وإقامةٍ ونحوِهما ندبًا، ولو سلَّمَ بأكملِهِ ولو عندَ المُفارقةِ رَدّ مثلَه وُجُوبًا للحديثِ[٥]، وزادَ بَشاشةً

---

(١) قال جل جلاله: ﴿وَإِذَا حُيِّيتُم بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا۟ بِأَحْسَنَ مِنْهَآ أَوْ رُدُّوهَآ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ حَسِيبًا﴾ [النساء:٨٦].

(٢) خليل بن كيكلدي بن عبد الله صلاحُ الدين أبو سعيد العلائي الدمشقي المقدسي، ولد بدمشق سنة أربع وتسعين وستّمئة، بلغ عدد شيوخه بالسماع سبعمئة، أقام بالقدس مدة طويلة يدرس ويفتي ويحدث ويصنف إلى آخر عمره، ولم يخلف بعده مثله. من تصانيفه «القواعد»، و«عقيلة المطالب في ذكر أشرف الصفات والمناقب»، و«تنقيح الفهوم في صيغ العموم»، توفي بالقدس في المحرم سنة إحدى وستين وسبعمئة. «طبقات ابن شهبة» (٣: ٩١-٩٣). وقد رجعت إلى كتاب «الفتاوى» المشهور بالفتاوى المستغربة»، فلم أقف على قوله فيه، فلعله في غيرها، والله أعلم.

(٣) قوله: والرد بحمام أسلم. سقطت من (ب).
قال الإمام الدميري رحمه الله في «النجم الوهاج» (٩: ٣٠٢): لوضع السلام في غير محله. زاد الشيخ شهاب الدين في «النكت» أنه يكره الرد في حال البول والجماع، ويندب للآكل ومن في الحمام.
وعبارة «الروضة» (١٠: ٢٣٢): وأما الآكل ومن في الحمام فيستحب له الرد، وأما المصلي فيسن له الرد إشارة.

(٤) ونعاس. سقط من (أ).
قال الإمام النووي رحمه الله: أما إذا كان مشتغلًا بالدعاء مُستغرقًا فيه مُجمع القلب عليه، فيحتمل أن يُقال: هُو كالمشتغل بالقراءة على ما ذكرناه. والأظهر عندي في هذا أنه يكرهُ السلامُ عليه، لأنه يتنكد به، ويشقُّ عليه أكثر من مشقة الأكل.

(٥) روى البخاري (١٢٤٠)، ومسلم (٢١٦٢) عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: سمعت =

ولُطفًا ندبًا ومُصافحتُه لمثلِه، وعِناقُ قادمٍ، وتقبيلُ طفلٍ ومَحْرَمٍ وصالحٍ ولو ميّتًا، ويحرمُ بشهوةٍ وبغيرِها لأمردٍ حسنٍ.

ويستأذنُ ثلاثًا فقطْ في الدُّخولِ بعدَ سلامِه، وينصرفُ ما لم يؤذَنْ لهُ؛ نَعمْ وقيامُه لله تعالى فقطْ إكرامًا لفُضَلاءَ وجَبْرًا لفقراءَ وتألُّفًا لضُعفاءَ؛ إذْ تركهُ يُوغِرُ الصُّدورَ غالبًا، لا لصاحبِ المجلسِ لتكرُّرِه كما سقطَ القيامُ في النفلِ لتكرُّرِه؛ بدليلِ عدمِ قيامِهم لهُ ﷺ في مجلسِه، ويجبُ دفعًا لفتنةٍ، ويُكرهُ لحظٍّ وربّما حَرُمَ؛ لحديثِ: «مَنْ تَواضَعَ لِغَنِيٍّ لِأَجْلِ غِناهُ ذَهَبَ ثُلُثا دِينِهِ»[1].

= رسول الله ﷺ يقول: «حقُّ المُسلم على المُسلم خمسٌ: ردُّ السّلام، وعيادةُ المريض، واتّباعُ الجنائز، وإجابةُ الدّعوة، وتشميتُ العاطس».

قال الإمام النووي رحمه الله: قال أصحابنا: فإن قال المبتدئ: السلام عليكم حصل السلامُ، وإن قال: السلامُ عليك، أو سلامٌ عليك، حصل أيضًا. وأما الجوابُ فأقلهُ: وعليك السلامُ، أو وعليكم السلامُ؛ فإن حذف الواو فقال: عليكمُ السلامُ، أجزأهُ ذلك وكان جوابًا. هذا هو المذهب الصحيح المشهور الذي نصّ عليه إمامنا الشافعي رحمه الله في «الأُم»، وقاله جمهور أصحابنا. وجزم أبو سعدٍ المتولّي من أصحابنا في كتابه «التتمة» بأنه لا يجزئه ولا يكون جوابًا؛ وهذا ضعيف أو غلطٌ، وهو مخالفٌ للكتاب والسنّة ونصّ إمامنا الشافعي.

أما الكتاب، فقال الله تعالى: ﴿فَقَالُواْ سَلَٰمًاۖ قَالَ سَلَٰمٌۖ﴾ [هود: ٦٩] وهذا وإن كان شرعًا لما قبلنا، فقد جاء شرعنا بتقريره، وهو حديثُ أبي هريرة الذي قدمناهُ في جواب الملائكة آدمَ ﷺ، فإن النبي ﷺ أخبرنا: أن الله تعالى: قال: «هي تحيتك وتحية ذرّيتك»، وهذه الأمة داخلة في ذرّيته؛ والله أعلمُ.

واتفق أصحابنا على أنه لو قال في الجواب: عليكم، لم يكن جوابًا، فلو قال: وعليكم، بالواو، فهل يكون جوابًا؟ فيه وجهان لأصحابنا، ولو قال المبتدئ: سلامٌ عليكم، أو قال: السلامُ عليكم، فللمُجيب أن يقول في الصورتين: سلامٌ عليكم، وله أن يقول: السلام عليكم، قال الله تعالى: ﴿فَقَالُواْ سَلَٰمًاۖ قَالَ سَلَٰمٌۖ﴾ [هود: ٦٩]. «الأذكار» (ص٤٢١).

(١) رواه الشاشي في «المسند» (٦٠٩) من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه.

قُلْتُ: لثنائهِ بمحلِّ إقرارهِ وتواضعِه بأركانهِ، فبَقِيَ مجرّدُ التصديقِ فقطْ وهو الثُّلثُ، لا اتِّقاء غِيبَةٍ[١] بلا انحناءٍ ألبتّةَ.

وللمُسلمِ على المسلمِ صِيانةٌ، ورِعايةٌ، وما يُؤنسهُ شرعًا سِيَّما لأيتامٍ وفقراء وضُعفاءَ.

وَآدابُ عائدٍ، ومريضٍ وجنازةٍ وزيارةٍ بيّناها آخِرًا[٢]، والحمدُ للهِ تعالى.

وعليهِ ندبًا لجارهِ احتمالُه، ورِفقُه بهِ، وإحسانُه إليهِ، ويضعُ خَشبةً بجِداره وترابَه بفِنائهِ، وسترُه وصيانتُه، وغضُّ بصرهِ عمّا يحملهُ إلى دارهِ وعَن أهلِه، وقضاءُ حوائجِهِ، ويعفو عنهُ، ويُهنّيهِ ويُعَزّيهِ، ويتّقِي طُولَ كلامهِ معهُ كيلا يُصادَ بغِيْبةٍ ونحوِها؛ فلذميٍّ حقُّ جوارهِ، ولمسلمٍ حقًّا جوارهِ ودينهِ وقَرابةٍ فحقوقٌ ثلاثةٌ؛ صحَّ حَلِفُهُ ﷺ ثلاثًا: «لا يُؤْمِنُ حَتَّى يَأْمَنَ جارُهُ بَوائِقَهُ»[٣]، وصَحَّ: «مَنْ وَصَلَ رَحِمَهُ وَصَلَهُ اللهُ، وَمَنْ قَطَعَها[٤] قَطَعَهُ اللهُ»[٥].

ولا يخفى ما لأبيهِ ومزيدِ برِّ أُمّهِ وقَرابتهِ ومِلْكهِ مِن عَفْوٍ وإكرامٍ بلا كُلْفَةٍ ونحوِها، وبيَّنا ما للوَلدِ في الرِّياضةِ[٦].

* * *

(١) في (هـ، و): غيبته.

(٢) ينظر (ص٤٤٢).

(٣) رواه البخاري (٦٠١٦) من حديث أبي شريح رضي الله عنه.

(٤) في (أ): قطع رحمه.

(٥) روى البخاري (٥٩٨٩)، ومسلم (٢٥٥٥) من حديث عائشة رضي الله عنها.
وفي (أ) زيادة: (والرّحمُ: كُلُّ قرابةٍ حرُم نكاحُها).

(٦) ينظر (ص٣٠٩).

باب
[في آداب السفر]

أدبُ سفرهِ لطاعةٍ طلبًا أو هربًا؛ فأهمُّه مِن الصِّفةِ البشريّةِ إلى الصِّفةِ الملكيّةِ، ومِن أسبابِها سَفرُه ببدنِه قطعًا لعلائقهِ ومعرفةِ عُيوبهِ بغُربتهِ ومشقّاتها، وطلبًا لمُرشِدٍ يصلُ به، ورؤيةُ آياتهِ تعالى بأرضهِ ونباتِها وحيوانِها وسُهولِها وجِبالِها عِيانًا أدلُّ مِن الخَبرِ.

شعرٌ:

تَأمَّــلْ سُــطُورَ الكائنــاتِ؛ فَإنَّها مِنَ المَلِكِ الأعْلَى إلَيكَ رَسائِلُ[1]

دالةٌ على صانِعها تعالى، ومنهُم مَن تمَّ مُقيمًا، ومنهُم مسافرًا، ومنهُم في بدايتهِ فقطْ، ومنهُم في نهايتهِ، والرَّشيدُ عالمٌ بما يُصلِحهُ.

وآدابُهُ: كالحجِّ، وقَصْرِ رُباعيَّة مُؤداةٍ وفائتَةِ سفَرِ قَصْرٍ فقطْ، وهو مَرْحلتانِ بسَيرِ الأثقالِ بقَصْدٍ معلوم مُباحٍ، وبمراحلَ أفضلُ؛ للخُروجِ مِن الخلافِ، وإتمامُه جماعةً أفضلُ مِن قَصْرهِ فردًا[2]، لا دائمَ حَدَثٍ ينقطعُ مُدّةَ قَصْرِها فقطْ، ولو مرَّ بوطنهِ أتمَّ لا إنْ نوى إقامةً دُونَ أربعةِ أيامٍ غيرَ يومَي دُخولِه وخُروجِهِ بموضعِ غيرهِ أو ببلدٍ بنيّةِ سفرٍ، ومتى تمكَّنَ قصرَ تسعةَ عشرَ يومًا وهوَ أصحُّ ما

(١) البيت من البحر الوافر، ولم أقف على قائله، وتمامه بيت آخر:

وَقَدْ خَطَّ فيها لَو تَأمَّلْتَ خَطَّها: ألا كُلُّ شَيءٍ ما خَلا اللهَ باطِلُ

(٢) في (أ، ب) زيادة (للخُروج من الخلاف).

جاء[١]، أو عَلِمَه[٢] مُدّةً طويلةً، أو لم يعلموا قَصْدَ أميرِهمْ فلا قَصْرَ؛ نَعَمْ بعدَ المسافةِ وبوقوفِهِ بعدَ سيرِهِ بنيةِ رُجُوعِهِ يُتمُّ، وسفرُه بعدُ جديدٌ، أو أتمَّ إمامُه لزِمَه الإتمامُ.

وَشُرُوطُهُ: نيَّتهُ، وعِلْمُ جَوازِهِ، وتحرُّزهُ عَن المنافي، وكونُه مسافرًا في جميعِها، وقيامُه لثالثةٍ بلا نِيّةٍ إتمامٌ يضرُّ لا سهوًا فيعودُ، ثُمّ يُتمُّها لو شاءَ، ويُؤثِرُ صومَه حيثُ لا ضرَر، وفطرُه للمَعونةِ أفضلُ.

وَيَجْمعُ بسفرِ قَصْرٍ؛ نَعَمْ وبمرضٍ كمطرٍ ونحوِه، وتركهُ أفضلُ بغيرِ عرفةَ تقديمًا ومُزدلفةَ تأخيرًا، ظُهرَه بعصرِهِ والمغربَ بالعشاءِ تقديمًا وتأخيرًا، وهو حالَ سيرِهِ أفضلُ.

شروطُ تقديمِهِ فقط نيَّتُه في الأُولى، وتقديمُها، والموالاةُ، وينوي بتأخيرِهِ الجمعَ وجوبًا، والقِبْلَةُ شرطٌ، ولو لسَجْدةٍ لا بشِدَّةِ خوفٍ، ونفلِ سفرٍ مُباحٍ ماشيًا وراكبًا غير سفينةٍ إلّا ملّاحها لجهةِ مقصدِه وقِبلتِه فقطْ، ومشيهُ في قيامِهِ وتشهدِهِ؛ مُستقبلًا بتحرُّمِه وسلامِه وفي ركوعِه وسُجودِه ويُتمُّها وجوبًا، وبِهَودَجٍ ونحوِه إنْ أمكَنهُ، ويستقبلُ بتحرُّمِهِ فقطْ[٣]، وإلا يُومئُ بركوعِه وسجودِه، وسجودُه أخفضُ بشرطِ بقاءِ سفرِهِ وسيرِهِ فيها، ويصحُّ فرضُه بأركانهِ على دابّةٍ واقفةٍ وزورَقٍ جارٍ ونحوِه؛ وسَوقًا وعَدْوًا كيفَ كانَ بلا صياحٍ مِن حريقٍ وغريمٍ مُعْسرٍ ونحوِهما[٤]؛

---

(١) روى البخاري (٤٢٩٨) عن ابن عباس رضي الله عنهما، قال: أقام النبيُّ ﷺ بمكة تسعة عشر يومًا يُصلّي ركعتين.

(٢) في (أ) زيادة: أهل ودّه بعدهُ لنحو إكرامه ﷺ.

(٣) في (أ، ب) زيادة: وفي قيامه وتشهده فقط. وقد تقدمت في النسخ الأخرى موضعها.

(٤) في (ب): وشرقًا وغربًا من طريق كان بلا مُباحٍ وغريم مُعسرٍ ونحوهما. وسقطت من (أ).

نعَمْ وفَوتُ حجٍّ مُوميًا ثُمَّ يَقْضِي، وأولى مِن فاقدِ ماءٍ وترابٍ، وتُكرهُ إمامةُ مَن كرهَه واحدٌ لأمرٍ دينيٍّ لا كلّهُم لحظٍّ.

وعِلْمُ القبلةِ فرضٌ وما لم يُمكنهُ عِلمُها قلّدَ ثِقَةً أو تغيَّرَ اجتهادُه؛ نَعَمْ لَزِمهُ الأقوى وإلّا كرّرَ صلاتَه حصرًا للقبلةِ، ولو صلاها مرَّةً لجهاتٍ قضى[1] حتمًا؛ ليقينِ الخطأِ. اختارَهُما السُّبكيُّ وغيرُه[2].

قلتُ: رُخَصُ السّفرِ أحَدَ عشرَ: تخصُّ السَّفرَ الطويلَ: القَصْرُ، والجَمْعُ، وفِطْرُ رمضانَ، ومزيدُ مُدَّة مسحِ الخُفِّ، ويعُمُّ التنفُّلَ راكبًا، والتيممُ، وتركُ الجمعةِ، وأكلُ الـمَيتةِ، وعدمُ قضاءِ المسافةِ لضرّاتِ زوجةٍ أُخِذَتْ بالقُرعةِ، وسفَرُه بوديعةٍ وعاريّةٍ لعُذرٍ. وحدَّ البَغويُّ أقلَّ السَّفرِ بمسافةٍ تمنعُ سماعَ نداءِ الجُمعةِ[3]، وضبطَه غيرُه بنحوِ المِيلِ[4].

---

(١) في (هـ، و): قضاها.

(٢) الابتهاج في شرح المنهاج (كتاب الصلاة) رسالة دكتوراة (ص٣٢٤-٣٢٥).

(٣) فتاوى البغوي (ص١١٣) مسألة (١٠٢): حيث قال: السفر القصير يجوز فيه ترك الجمعة، قال شيخنا: هذا إلى قرية لا يبلغهم نداء البلد.
والبغوي الحسين بن مسعود محيي السنة أبو محمد، أحد الأئمة تفقه على القاضي الحسين وكان دينًا عالمًا عاملًا على طريقة السلف، وكان لا يلقي الدرس إلا على طهرة، وكان قانعًا باليسير، يأكل الخبز وحده فعدل في ذلك فصار يأكله بالزيت، جامع لعلوم القرآن والسنة والفقه، من تصانيفه «التهذيب»، و«الفتاوى»، و«معالم التنزيل» في التفسير، و«المصابيح»، و«الجمع بين الصحيحين»، وغير ذلك. توفي سنة ست عشرة وخمسمئة. «طبقات ابن شهبة» (١: ٢٥٨).

(٤) ينظر: «البيان في مذهب الإمام الشافعي» للعمريطي (٢: ٤٥٣). والميل: مقدار مدى البصر من الأرض قاله الأزهري، وعند القدماء من أهل الهيئة: ثلاثة آلاف ذراع، وعند المحدثين أربعة آلاف ذراع، قال الفيومي: الخلاف لفظي، لأنهم اتفقوا على أن مقداره =

ولا يُهمِل[١] أذكارًا وردتْ في السَّفرِ؛ فمنها إذا دخلَ بلدًا قال: «اللَّهُمّ بارِكْ لَنا فِيها ـ ثَلاثًا ـ وَحَبِّبْنا إلَى أهْلِها، وَحَبِّبْ صالِحِي أهْلِها إلَينا»[٢].

ولدُخولِ منزلٍ: «أعُوذُ بِكَلِماتِ اللهِ التَّامَّاتِ مِنْ شَرِّ ما خَلَقَ؛ لَمْ يَضُرَّهُ شَيءٌ حَتَّى يَرْتَحِلَ»[٣].

وفي سفرٍ قراءةُ: ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ﴾، و﴿إِذَا جَآءَ نَصْرُ ٱللَّهِ﴾، و﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾، والفلق، والناس، صباحًا ومساءً، بركة عظيمة؛ رواهُ أبو يَعْلَى مرفوعًا[٤].

= ست وتسعون ألف إصبع، والإصبع ست شعيرات بطن كل واحدة إلى الأخرى، ولكن القدماء يقولون: الذراع اثنتان وثلاثون إصبعًا، والمحدثون يقولون أربع وعشرون إصبعًا، وعلى ذلك فالخلاف في الذراع وليس في الميل.

والميل في اصطلاح الفقهاء مختلف فيه بينهم على أقوال: فذهب الحنفية إلى أنه أربعة آلاف ذراع. وللمالكية قولان، ذهب ابن عبد البر إلى أنه ثلاثة آلاف ذراع وخمس مئة ذراع، وقال ابن حبيب: الميل ألف باع، والباع ذراعان فيكون الميل ألفي ذراع، وقال الدسوقي: المشهور أن الميل ألفا ذراع، والصحيح أنه ثلاثة آلاف ذراع وخمس مئة.

وقال الشافعية: الميل أربعة آلاف خطوة، والخطوة: ثلاثة أقدام. وقال الحنابلة: الميل الهاشمي ستة آلاف ذراع بذراع اليد، وهي اثنا عشر ألف قدم.

(١) في (ز): ولا تهمل.

(٢) رواه الطبراني في «المعجم الأوسط» (٤٧٥٥) من حديث ابن عمر رضي الله عنهما. وقال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١٠: ١٣٤): إسناده جيد.

(٣) رواه مسلم (٢٧٠٨) من حديث خولة بنت حكيم السلمية رضي الله عنها.

(٤) روى أبو يعلى الموصلي في «المسند» (٧٤١٩) عن جبير بن مطعم رضي الله عنه قال: قال لي رسول الله ﷺ: «أتُحبُّ ـ يا جُبيرُ ـ إذا خرجت سفرًا أن تكُون من أمثل أصحابك هيئةً، وأكثرهم زادًا؟» فقلت: نعم، بأبي أنت وأمي، قال: «فاقرأ هذه السُّور الخمس، ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ﴾، و﴿إِذَا جَآءَ نَصْرُ ٱللَّهِ وَٱلْفَتْحُ﴾، و﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾، =

وروى الطَّبرانِيُّ يرفعهُ: «ما مِنْ راكِبٍ يَخْلُو في مَسِيرِهِ بِاللهِ وَذِكْرِهِ إلَّا أَرْدَفَهُ اللهُ تَعالى بِمَلَكٍ، وَلا يَخْلُو بِشِعْرٍ وَنَحْوِهِ إلَّا أَرْدَفَهُ اللهُ شَيطانًا»[1].

* * *

= و﴿قُلۡ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلۡفَلَقِ﴾، و﴿قُلۡ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ﴾، وافتح كُلّ سُورةٍ ببسم الله الرّحمن الرّحيم، واختم قراءتك ببسم الله الرّحمن الرّحيم». قال جبير: وكنت غنيًّا كثير المال، فكنتُ أخرجُ مع من شاء الله أن أخرج معهم في سفر، فأكون أبذهم هيئة، وأقلهم زادًا، فما زلت منذ علمنيهنّ رسول الله ﷺ، وقرأت بهنّ أكون من أحسنهم هيئة وأكثرهم زادًا حتى أرجع من سفري ذلك.

(١) المعجم الكبير (١٧: ٣٢٤) من حديث عقبة بن عامر رضي الله عنه. وقال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١٠: ١٣١): إسناده حسن. ومن قوله: (ولا يُهملُ أذكارًا...) إلى هنا مثبت من (أ، هـ).

باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

أمرُه بما يجبُ اتِّفاقًا أو في مُعتقَدهما، ونهيهُ عَن ضِدّهِ أعظَمُ قُطْبٍ.

شَرْطُهُ[١]: إسلامٌ وتمييزٌ وعِلْمٌ، ويجبُ مع بُلوغٍ وعقلٍ وقُدرةٍ، ولو شَتْمٍ لا معَ ضربٍ أو غرامةٍ وما فيه خلافٌ مُعتَبرٌ.

وندْبُهُ ليبرأ مِنَ الشُّبهةِ حَسَنٌ؛ للإجماعِ على استحسانِ[٢] الخُروجِ مِن الخلافِ ما لم يُخِلَّ بسُنَّةٍ صحيحةٍ.

وحِسْبتُه: بتعريفٍ ثُمَّ نُصحٍ، ثُمَّ وعْظٍ بلُطفٍ، ثُمَّ بعُنفٍ بلا فُحشٍ، ثُمَّ تهديدٍ ونحوِه، وللإمامِ فقط ضربُه حتّى يمتنعَ، وعلى عبدِهِ وزوجَتِه وولده نُصحُه بوعظٍ ولُطفٍ فقطْ، وإراقةِ الخمرِ ونحوِه، والسُّلطانُ يُعرَّفُ ويُنصحُ فقطْ، وغيرُه كذا في مُنكرٍ ماضٍ ومُستقبلٍ ومُختلَفٍ فيهِ.

ويحرمُ بحثُه وسُؤالُه وتجسُّسُه، لا بقرينةٍ ظاهِرةٍ، ويُنكِرُ على غَيرِ مُكلّفٍ وجُوبًا.

فأدَبُه: بذِلَّةٍ ورأفةٍ وصِيانةٍ وحياءٍ ورحمةٍ وقطعِ طَمعٍ، وأعظَمُها عِلْمهُ بمواقِعَ حِسْبَتِه وحُدودِها، وما اختُلِفَ فيهِ، وما اتُّفِقَ علَيهِ، وتحقُّقُ ورَعِهِ وحُسنُ خُلقِهِ ليَبْرأ مِنْ إفراطِه وتفريطِه.

---

(١) في (هـ، و): شروطه.

(٢) في (أ): استحباب.

وليسَ لأحدٍ حَملُ الناسِ على مذهبِهِ، ولا أمرُهم بما لم يرَهُ ولا نهيُهم عمّا يرَونَه واجِبًا، وعلى الإمامِ أمرُهم بصَلاةِ العيدِ ونحوِها، ويُمتَثلُ وُجوبًا.

ولَو لم يُزِلِ المأمورُ المُنكرَ كَسَرَ الآمِرُ مِن الملاهي ما يمنَعُ الفسادَ، وأراقَ الخمرَ بكسرِ ما لا بُدَّ منهُ فقطْ، وإخراجُه مِن دارٍ مغصوبةٍ بما لا بُدَّ منهُ، وما افتَقَر لأعوانٍ يتوقَّعُ قتالهمُ فبإذنِ الإمامِ[1]، والرِّفقُ مُهِمٌّ؛ لقولهِ تعالى: ﴿فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا...﴾ الآيةَ [طه: ٤٤]. أُتِيَ الحسنُ رضيَ اللهُ عنه بجامٍ مِن فضّةٍ فيه خَبيصٌ، فقَلَبَهُ على رغيفٍ وأصابَ منهُ، فَقِيلَ لَهُ: هَذا نهيٌ في سُكونٍ[2].

ومُنكراتُ مسجدٍ: إساءةُ صلاةٍ، وتغَيُّرُ هَيئةٍ؛ كجهرٍ نهارًا وعَكسِه، وخُطبَةٌ بلُبسِ حريرٍ وسيفٌ مُذَهَّبٌ، ودعاءٌ ببقاءِ ظالمٍ ونَحوِه، وطُولُ صلاةِ إمامٍ بمَسجدٍ مطرُوقٍ، ولَحنُ مُؤَذِّنينَ، وخَوضُ قُصّاصٍ، وبيومِ الجُمعةِ: حَلِفٌ لبيعٍ، وإنشادُ شِعْرٍ مَذمومٍ ونحوهما.

وبأسواقٍ: غِشٌّ، وكذبٌ، وعلى مَن عَلِمَه تغييرُه ولَو بحاكمٍ، ويُظْهِرُهُ لمُشْتَرِيهِ وجُوبًا؛ كشُروطٍ فاسِدَةٍ، وربا، وبيعِ مَلاهٍ، وصورٍ ونحوِها.

وبشَوارِعَ: بناءٌ خارجٌ، وغرسٌ مُضيقٌ؛ كربطِ دابّةٍ وأمتعةٍ لا قدرًا لا يضرُّ، وتحمِيلُ دابّةٍ غير طاقتها، وقراءةٌ بتمطيطٍ، وما ضرَّ مِن كُناسةٍ، وقُشورِ بطيخٍ ورشِّ ماءٍ، وماءِ مِيزابٍ، وعلى الولاةِ إزالةُ ما ضرَّ مِن مطرٍ ونحوِه.

ويَحرمُ فلسفَةٌ، وكِهانةٌ، وتنجُّمٌ، وضربٌ برملٍ وحصًى وشَعيرٍ، وشَعْبذَةٌ، وعِلْمُها وتعليمُها، وأُجرتُها، وكذا سِحْرٌ، وبَعْضُ صُورِه كُفر، ويَكفرُ مُعْتقِدُ إباحَتِهِ، وتصرُّفُ كوكبٍ أو فِعلٌ بغيرِ قُدرتِه تعالى.

---

(١) في (هـ): وما افتقر إلا أعوان يتوقّع قتالهمُ فبإذن الإمام.

(٢) رواه الخلال في «الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر» (٣٧).

وبِحَمّاماتٍ: صورةُ حيوانٍ ببابِه أو داخِله، ويكفِي ذهابُ وجْهِها وإلا مُنعَ دُخوله - وفيهِ نظرٌ - وكشفُ عَورةٍ ومسُّها ونظرُها مِن مُدَلِّكٍ وغيرِه، وغَمْسُ نجسٍ بماءٍ قليلٍ.

وبضيافاتٍ: حريرٌ ونحوُه لذَكَرٍ، وآنِيَةُ ذهبٍ أو فِضَّةٍ كمِبْخَرةٍ، واستعمالُ شيءٍ منه، ولهوٌ بشبّابةٍ وطُنْبُورٍ ونحوِهما، وبامرأةٍ أغلظُ، ونظرُ نساءٍ شابًّا ونحوَه، واختلاطُهنّ برجالٍ ومُؤاخاتهنَّ، ومُتكلِّمٌ في بِدْعةٍ وتغييرُهم فرضٌ؛ فلا يكْفِي مُجرّدُ النَّهيِ؛ إذ مقصُودُ الشَّرعِ زوالُ المَفْسَدةِ؛ بدليلِ: «فَلْيُغَيِّرْهُ...» الحديثَ[1] - فافْهَمْ - وعاجزٌ يلزمهُ الخروجُ، ومُضحكٌ بفُحشٍ ونحوِه، ومَزْحٌ طويلٌ، أو بباطِلٍ، وقادرٌ عَلِمَ مُنكرًا يخرجُ إليهِ وجوبًا؛ كرجلٍ مع امرأةٍ بغيرِ شارعٍ مطروقٍ، ويُختَبرُ مُعاملُ النساءِ، ويُمنَعُ بخيانةٍ وقُضاةٍ حَجَبُوا الخصُومَ، وقصَّروا في النَّظَرِ والخُصوماتِ.

ويبدأُ بصلاحِهِ ثُمَّ أهلِه وأقاربِه ثُمَّ جِيرتِهِ[2] ثُمَّ كذا إلى أقصى العالمِ، ومَن قامَ به سقطَ عَن غيرِهِ.

وتَرْكُ السَّماعِ أسلمُ لشُبْهَةٍ مِن خلافٍ فيهِ؛ للإجماعِ على استحسانِ الخروجِ مِنَ الخلافِ، وشِعْرٌ مُغَزّلٌ ولهوٌ، وقُدْوةُ ضعيفٍ؛ فالتّعبُّدُ أصلحُ لهُ لا نادرًا عاريًا مِن كُلِّ حظٍّ وشُبهةِ خلافٍ؛ للإجماعِ على الخروجِ مِنَ الخلافِ.

فأدبُه[3] فِكْرُه فيما ينفعُ شرعًا فقطْ، وضبطُ نفْسِه ما أمكنَهُ بلا انتقادٍ ونحوِه

---

(١) رواه مسلم (٤٩) من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «من رأى منكُم مُنكرًا فليُغيّرهُ بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه، وذلك أضعفُ الإيمان».

(٢) في (أ، ب): جيرانه.

(٣) في (ب، د): فآدابه.

بشرطِ غَلَبةِ حُبِّه تعالى؛ لئلا يُنزّلَ ما سَمِعَهُ على غرضٍ فاسدٍ، وعِلْمُ ما يجبُ لهُ تعالى ويستحيلُ عليهِ؛ لئلا يُنزِّل ما يسمعهُ على ما لا يليقُ بجلالهِ تعالى، وفتحُ شيءٍ مِنَ الملكوتِ لينتفعَ بالمَعْنَى لا بالمَغْنَى، وهي لِمن بَقِيَ بربّه تعالى ترقيةٌ ولغيرِه تفرقةٌ ـ فافْهم ما قلَّ ونفعَ ـ وفي الكتابِ والسُّنَّةِ والسِّيرةِ الصّالحةِ سيَّما مِنْ خَلِيّ الباطنِ مَحْزُونِ الغايةُ؛ فهذا سَماعٌ مُجمعٌ على خَيرهِ دونَ غيرِه[1].

❊ ❊ ❊

---

(١) في هامش (هـ): بلغ مقابلة.

باب من آدابه وأخلاقه ﷺ (١)

سَرائرُ(٢) القُلوبِ مَنابعُ(٣) الأفعالِ، ونُورُ السِّرِّ يُشرِقُ على الظّاهِرِ فيَزينُه. كانَ ﷺ خُلُقُهُ القُرآنُ؛ يَغضبُ لغضبِه ويرضَى لرضاهُ(٤)، ولمّا كلَّمهُ تعالى أثنى عليهِ بقولِه تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [القلم: ٤]؛ فسُبحانَ مَن أعطى وأثنى! فهُو ﷺ سيِّدُ الخلقِ بصِفاتِه العَليّةِ وأخلاقِه السَّنِيّةِ، وصحّ أنّهُ ﷺ كانَ أحلمَ النّاسِ، وأسخاهُم وأعفَّهُم مع القُدرةِ وأصدقَهُم وأوفاهمُ وأشجَعُهم، وأحيا مِنَ العَذْراءِ في خِدْرِها، وألينَهُم عَريكةً، وأكرَمهُمْ عَشِيرةً(٥)، مَنْ رآهُ بَدِيهةً هابَهُ ومَنْ عاشَرَه أحبَّه، يخصِفُ النَّعلَ، ويُرقِّعُ الثّوب، يقُمُّ البيتَ ـ أي: يَكْنُسه ـ يَخدمُ في مَهنَةِ(٦) أهلِه، يُجيبُ دَعوةَ المملوكِ، يمشِي وحدَهُ وتارةً حافِيًا، يُردِفُ خَلْفَه،

---

(١) في (أ): آدابه وأخلاقه ﷺ.
وجميع هذه الأخلاق والآداب والصفات المحمدية مروية في كتب الشمائل، لم أعزها واكتفيت بسرد المؤلف، وهي في كتب الشمائل والسيرة؛ فلتنظر.

(٢) في (أ) تصحفت إلى شرائع.

(٣) في (ز): منافع.

(٤) رواه الحكيم الترمذي في «نوادر الأصول» (٨٢٤) من حديث أبي الدرداء رضي الله عنه.

(٥) في (أ، د، ز): عشرةً.

(٦) ضبطت (مهنة) في (و): بفتح الميم وكسرها، معًا. ففي «الصحاح»: (المهنة) بالفتح: الخدمة. وحكى أبو زيد والكسائي: (المهنة) بالكسر، وأنكره الأصمعي.
ومعناه: أنه ﷺ كان يشتغل بمصالح أهله وعياله في بيته، فإذا جاء وقت الصلاة خرج إليها. ليقتدى به في التواضع وامتهان النفس.

يَقبلُ الهَديّةَ، ويُكافِئُ عليها؛ كهديةِ قِرانٍ بنيّةِ التطفُّلِ عليهِ لا بقَصدِ الإحسانِ إليهِ[1] ـ فإنّهُ ﷺ لا يقبلُ الصَّدقةَ ـ ولا يَجدُ دَقْلًا يملأُ بطنَه[2] ـ وهو رَديءُ التَّمرِ ـ بل ما عَرفَ شِبعَه، يَعْصِبُ على بطنِه الحَجَرَ مِن الجُوعِ ـ قيل: الحَجَرُ تصحيفُ حُجُزٍ، ولا يَصحُّ؛ لإلصاقهِ البَطْنَ الكريمَ بالحَصباءِ في حديثٍ[3]؛

---

(١) من قوله: (كهدية ...) إلى هنا غير مثبت في (ب، ج، د).

(٢) في هامش (أ): نسخة (أي: الدقل).

(٣) رواه البخاري (٤١٠١) من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما، في غزوة الخندق. وفيه: ثم قام وبطنه معصوب بحجر.

قال الشيخ محمد بن يوسف الصالحي الشامي (ت ٩٤٢هـ): أنكر الإمام الحافظ أبو حاتم ابن حبّان رحمه الله تعالى ـ صاحب «الصحيح» (٨: ٣٤٥) ـ هذه الأحاديث التي في شده ﷺ الحجر على بطنه عند كلامه على قوله ﷺ: «لست كأحدكم، إني أطعم وأسقى»، قال: لأن الله تعالى كان يطعم رسوله، ويسقيه إذا واصل. فكيف يتركه جائعًا حتى يحتاج إلى شد الحجر على بطنه؟ ثم قال: وماذا يغني الحجر من الجوع؟ ثم ادعى أن ذلك تصحيف ممن رواه، وإنما هي الحجز بالزاي جمع حجزة. قال الإمام الخطابي رحمه الله تعالى: قد أشكل الأمر في شده الحجر على البطن من الجوع على قوم، فتوهموا أنه تصحيف، وزعموا أنه الحجز ـ بضم الحاء وفتح الجيم، بعدها زاي ـ جمع الحجزة، وهي التي يشدّ بها الوسط، ومن أقام بالحجاز، وعرف عادتهم، عرف أن الحجر واحد الحجارة، وذلك أن المجاعة تعتريهم كثيرًا، فإذا خوى البطن لم يمكن معه الانتصاب، فيعمل الشخص حينئذ إلى صفائح رقاق في طول الكف، أو أكثر، فيربطها على بطنه، ويشدها بعصابة فوقها، فتعتدل قامته بعض الاعتدال، والاعتماد بالكبد على الأرض مما يقارب ذلك، قال الحافظ رحمه الله تعالى: قد أكثر الناس من الرد على ابن حبان في جميع ذلك، فأبلغ ما يردّ به عليه أنه أخرج في «صحيحه» (٥٢١٦) حديث ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال: خرج رسول الله ﷺ، فرأى أبا بكر، وعمر رضي الله تعالى عنهما فقال: «ما أخرجكُما؟» قالا: ما أخرجنا إلا الجوع، فقال: «أنا والّذي نفسي بيده ما أخرجني إلّا الجُوعُ» الحديث.

فهذا يردّ ما تمسك به، وأما قوله: وما يغني الحجر من الجوع؟ فجوابه: أنه يقيم الصلب، لأن البطن إذا خلا ربما ضعف صاحبه على القيام لانثناء بطنه، فإذا ربط عليه الحجر اشتد، =

لحكمةِ دفعِ حرارةِ الجوعِ ببردِهِ؛ فتأمَّلْهُ، وللتَّأسِّي بهِ وتظاهُرًا بالبشريّةِ كَي لا يُتغالى فيه، ومِن ثَمّ وُقِيَتْ أُمَّتُه مَحذورَ المُغالاتِ ـ يأكلُ مما حَضَرَ، وممّا يليهِ، ما عابَ طعامًا قطُّ ﷺ، وأحبُّه إليهِ كَتِفُ الشّاةِ، ومِنَ البُقُول الدُّبّاء[1]، ومِنَ الصِّباغ الخَلُّ[2]، ومِنَ التَّمرِ العَجْوةُ، يَلبسُ ما وَجدَ، رَكبَ مرّةً بَعيرًا ومرّةً بَغْلًا ومرّةً حمارًا، يُحبُّ الطِّيبَ، يكرهُ الرِّيحَ الكريهةَ، يُكْرِمُ أهْلَ الفَضْلِ، ويتألَّفُ أهلَ الشَّرفِ، ولا يجفو[3] على أحدٍ، يَقبلُ المعذرةَ، يمزحُ في حقٍّ، يَضحكُ تبسُّمًا، لم يُضَيّعْ وقتًا، ما لعنَ امرأةً ولا خادمًا قطُّ.

قُلتُ: إلّا أصحابَ المعاصِي بلا تَعيينٍ؛ كما صحَّ لعنُه الواصِلةَ[4]، وآكلَ الرِّبا، والمُصَوِّرينَ[5]، ومُغَيِّري حُدودِ الأرضِ[6]، والسّارقَ[7]، ومَنْ لعنَ

= وقوي صاحبه على القيام، حتى قال بعض من وقع له ذلك: كنت أظن أن الرّجلين تحملان البطن، فإذا البطن هو الذي يحمل الرجلين.

وقال الحافظ رحمه الله تعالى في موضع آخر من «الفتح» [٧: ٣٩٦]: قال العلماء رحمهم الله تعالى: فائدة شدّ الحجر المساعدة على الاعتدال، وعلى الانتصاب، والمنع من كثرة التحلل من الغثاء الذي في البطن، يكون الحجر بقدر البطن، فيكون الضعف أقل، أو لتقليل حرارة الجوع، ببرد الحجر، أو كان فيه إشارة إلى كسر النفس. «سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد، وذكر فضائله وأعلام نبوته وأفعاله وأحواله في المبدأ والمعاد» (٧: ١٠٤-١٠٥).

(١) في هامش (د): أي: القرع.

(٢) في (د): الصباغ: ما يصبغ اللقم.

(٣) في (أ، ب): يحقد.

(٤) رواه البخاري (٤٨٨٧) من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه.

(٥) رواه البخاري (٢٠٨٦) من حديث أبي جحيفة رضي الله عنه.

(٦) رواه مسلم (١٩٧٨) من حديث علي بن أبي طالب رضي الله عنه.

(٧) رواه البخاري (٦٧٨٣) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

والدَيهِ(١)، والمُتَشبِّهَ بالنساءِ، ومِنَ النِّساء بالرجالِ(٢) إلى غيرِ ذلكَ، وكلُّها صَحيحةٌ؛ فلا يَلعنُ شيئًا بعينِه إلَّا مَنْ عَلِمَ موتَهُ كافرًا فقطْ؛ لإبْهامِ الخاتمةِ.

ما ضربَ بيدِهِ ﷺ إلَّا في سبيلِ الله تعالى، ما انتقمَ لنفْسِه، ما اختارَ إلَّا أيسرَ الأمرينِ، أبْعَدُ النّاسِ عَنِ المآثمِ، يبدأُ بالسَّلامِ، مَشْيُه بإطراقِ رأسِهِ، وفي جُلُوسِهِ يرفعُ رأسَهُ نحوَ السَّماءِ(٣) تضرُّعًا، يُصابرُ ذا الحاجةِ حتَّى ينصرفَ، لا يُرسلُ يدَه حتى يُرسلها الآخرُ، يجلسُ حيثُ انتهى به المجلسُ مُتربِّعًا ـ رواهُ مسلمٌ(٤) ـ ومُحْتَبيًا ـ رواهُ البُخاريُّ وغيرُه(٥) ـ يضُمُّ فخِذَهُ إلى بطنِهِ الكريمِ ومَقعدُه على الأرضِ.

مُختلطًا بأصحابِهِ فلا يعرفُهُ غريبٌ؛ سُكوتُه طويلٌ، كلامُه على مَهْلٍ؛ يُكرِّرُه ليُفهمَ، لا يُواجهُ أحدًا بما يكرهُ، يتحدَّثُ مع أصحابِهِ إذا ذكروا أمرَ الدُّنيا أو أمرَ الجاهليةِ فيَضحكونَ ويتبسَّمُ.

ومُعجزاتُه ﷺ لا تُحْصَرُ(٦)، وبيدِه لواءُ الحمْدِ يومَ القيامَةِ، آدمُ ومَنْ دونَه تحتَ لوائه، غُفرَ لهُ ما تقدَّمَ مِن ذنبِهِ وما تأخَّر، يقولُ عندَ طلبِ الشَّفاعةِ: أنا لَها، وكُلٌّ يقولُ: نَفْسِي نَفْسِي، أوَّلُ مَنْ تنشقُّ عنهُ الأرضُ، وأوَّلُ شافعٍ ومُشفَّعٍ، آثرَ

---

(١) رواه مسلم (١٩٧٨) من حديث علي بن أبي طالب رضي الله عنه.

(٢) رواه البخاري (٥٨٨٥) من حديث عبد الله بن عباس رضي الله عنهما.

(٣) في (أ): تضرعًا نحو السماء.

(٤) لم أقف عليه عند مسلم، وروى البخاري في «الأدب المفرد» (١١٧٩) من حديث حنظلة رضي الله عنه، قال: أتيتُ النبيّ ﷺ، فرأيتُه جالسًا مُتربعًا.

(٥) صحيح البخاري (٦٢٧٢) من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما، قال: رأيت رسول الله ﷺ بفناء الكعبة، محتبيًا بيده هكذا.

(٦) في (ب): تحصى.

على نفْسِه بدَعْوتِهِ وادّخرها للشّفاعةِ وكُلُّ نبيٍّ تعجَّل دعوتَه، يَرغبُ إليهِ الخلقُ في القيامةِ حتّى إبراهيمُ الخليلُ عليهِ السَّلامُ ليشفعَ، وله فقطْ منزلةُ الوسيلةِ في الجنّةِ، ولهُ الكوثرُ، ولهُ فقطْ عُمومُ الرِّسالةِ، وكلَّمَهُ ربُّه تعالى فيما هو أشرفُ مِن الطُّورِ والوادي، وله أنواعُ الوحي: منامًا، وبلا واسطةٍ، ومع جبريلَ عليهِ السَّلامُ، وشملَ حتّى ما فُرِّطَ فيهِ مِن شيءٍ، ولهُ مِثْلُ أُجورِ تُبّاعهِ مع أُجورِ أعمالهِ الجامعةِ لكُلِّ كمالٍ.

ولا شكَّ أنّه ﷺ امتثلَ قولَه تعالى: ﴿فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقْتَدِهْ﴾ [الأنعام: ٩٠]؛ لأنّه مَعصومٌ مِنَ المُخالفةِ ونحوِها؛ نعَمْ ومِنَ السَّهوِ؛ فلا حُجَّةَ لمُجَوِّز الذَّنْبِ عليهِ بهِ؛ إذ سُكوتهُ حُجّةٌ؛ فلوِ احتُملَ سهْوُه لبَطَلتِ الحُجَّةُ بسكوتهِ، وقولُه ﷺ: «إنّي أنْسَى»[(١)]؛ أي: أذهلُ به تعالى لا عنهُ تعالى، وهو المرادُ بـ: «لَسْتُ أنْسَى»[(٢)].

أُعطِيَ جوامعَ الكَلِمِ، وعُرضتْ عليهِ كنوزُ الأرضِ، وخُيِّرَ، وجُعِلَ رحمةً للعالمينَ، لا يَشغلُه حقٌّ عَن حقٍّ؛ فيُغانُ على قلبهِ الكريمِ بسببِ أُمَّتِه فيَستغفرُ

---

(١) رواه مالك بلاغًا (ص١٠٠) بابُ العمل في السّهو. عن مالك أنه بلغه أن رسول الله ﷺ قال: «إنّي لأنسى أو أُنسّى لأسُنّ». وقد وصله ابن الصلاح في «وصل بلاغات مالك» (١٠) الحديث الرابع.

قال القاضي عياض رحمه الله: قال ﷺ: (إني لأنسى أو أنسى لأسن) قيل: هذا اللفظ شك من الراوي، وقد روي: (إني لا أنسى ولكن أُنسّى لأسُنّ)، وذهب ابن نافع وعيسى ابن دينار أنه ليس بشك وأن معناه التقسيم؛ أي: أنسى أنا أو ينسيني الله، قال القاضي أبو الوليد الباجي: يحتمل ما قالاه أن يريد: إني أنسى في اليقظة وأنسى في النوم أو أنسى على سبيل عادة البشر من الذهول عن الشيء والسهو، أو أنسى مع إقبالي عليه وتفرغي له؛ فأضاف أحد النسيانين إلى نفسه إذ كان له بعض السبب فيه ونفى الآخر عن نفسه؛ إذ هو فيه كالمضطر. ينظر «الشفا بتعريف حقوق المصطفى» (ص٦٧٩).

(٢) ذكره الكلاباذي في «بحر الفوائد» (ص ٢٤٢)، و«الشفا» للقاضي عياض (ص٧١٨).

لهُم، ويُغانُ على قلبهِ الكريمِ بعِلاجِهم وتبليغهِم فيتوبُ بتكرار رُجُوعهِ إليه تعالى؛ لقولِه تعالى: ﴿قُمْ فَأَنذِرْ ۝ وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ﴾ [المدثر: ٣]، وأُنشد:

فالجِسْـم مِنّي لِلْجَلِيسِ مُؤانِسٌ   وحَبِيبُ قَلْبِي في الفُؤادِ أنِيسِي[١]

ومنهُ: «أسْتَغْفِرُكَ مِنْ ظُلْمِي وَجَهْلِي وإسْرافِي وَخَطَئِي وَعَمْدِي، وَكُلُّ ذَلِكَ عِنْدِي»[٢]؛ أي: في دائرتي؛ كقولِ الكبيرِ: عِنْدِي أُناسٌ وغِلمانٌ ـ فافهَمْ[٣] ـ وزادَ فضلُ الخليلِ عليهِ السَّلامُ على غيرِه بسُؤالهِ أنْ يبعثَ فيهم رسولًا منهُم؛ فكانَ ﷺ يقولُ: «أنا دَعْوَةُ أبِي إبْراهِيمَ» كما صحَّ[٤]؛ ناسبَ صلاتَنا عليهِ ﷺ كما صُلِّي على الواسطةِ في بَعْثَتِه بدَعْوتِه؛ فافهَمْ[٥].

وحُفِظَ كتابُه، فعَجَزوا عَن تبديلِه، أقسمَ اللهُ تعالى بحياتِه، وَخَصَّهُ بندائِه

---

(١) البيت من البحر الكامل، ونسب للسيدة رابعة العدوية رحمها الله تعالى، كما في «صفوة الصفوة» (٢: ٤٣٢).

(٢) روى البخاري (٦٣٩٨)، ومسلم (٢٧١٩) عن أبي موسى الأشعريّ رضي اللهُ عنهُ عن النّبيّ ﷺ أنّهُ كان يدعُو: «اللهُمّ اغفر لي خطيئتي وجهلي، وإسرافي في أمري، وما أنت أعلمُ به منّي، اللهُمّ اغفر لي هزلي وجدّي، وخطئي وعمدي، وكُلُّ ذلك عندي».

(٣) قال القسطلاني رحمه الله: (وكل ذلك عندي) موجود أو ممكن؛ كالتذييل للسابق أي: أنا متصف بهذه الأشياء فاغفرها لي. قاله ﷺ متواضعًا وهضمًا لنفسه، أو عدّ فوات الكمال وترك الأولى ذنوبًا، أو أراد ما كان عن سهوٍ، أو ما كان قبل النبوة.

(٤) رواه ابن حبان في «صحيحه» (٦٤٠٤) عن العرباض بن سارية الفزاري رضي الله عنه.

(٥) من قوله: لا يشغلُه حقٌّ عن حقٍّ...إلى هنا من (أ، هـ) فقط، وقد أثبت في (ب، ج) لكن في آخر الباب قبل الخاتمة، ببعض اختلاف، والأنسب مكانه هنا، والله أعلم. ونصها: لا يشغلُه حقٌّ عن حقٍّ؛ وتأمل قوله تعالى: ﴿قُمْ فَأَنذِرْ ۝ وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ﴾، وأُنشد:

فالجِسْم مِنّي لِلْجَلِيسِ مُؤانِسٌ   وَحَبِيبُ قَلْبِي في الفُؤادِ أنِيسِي

وقوله ﷺ عقب استغفار: «وكُلُّ ذلك عندي»؛ أي: في أمتي، وقوله: «إنه ليُغانُ على قلبي فأستغفر» أي: لأمتي، ورواية: «فأتوب» أي: مراجعة الحضور.

بأشرفِ أسمائه، وهو ﷺ أشدُّ حُبًّا للهِ وخَشيةً وقُربًا وعِلْمًا به تعالى، وبأسمائِه وصفاتِه وأفعالِه ومُتعلّقاتِها وأحكامِها، وجوامعِ تفاصيلِها وفوائدِها وحِكَمِها وأسرارِها وخَوضٍ بحارِ المعارفِ وكشفِ العوالِم، والاتِّصافِ بحقائقِ الأسماءِ والصِّفاتِ بأوسعِ إحاطةٍ: عقلًا ونقلًا وكَشفًا؛ فمَن شاهدَ أحوالَه وسَمِعَ أخلاقَه وأفعالَه وآدابَه وبدائعَ تدبيرِه لمصالحِ الخَلْقِ، ومحاسنَ إشاراتِه في تفصيلِ ظاهرِ الشّرع المُعجز للعُلماءِ عَن دَرْكِ أوائلِ دقائقِها طولَ أعمارِهم؛ لم يبقَ عندَه رَيْبٌ في أنّ ذلكَ لم يكُنْ مُكْتَسبًا بحيلةٍ، وأنّهُ لا يُتصوَّر إلا بتأييدٍ سماويٍّ؛ إذ لا يصحُّ ذلك لمُلبّسٍ[١]، بل شمائلُه ﷺ شواهدُ قاطعةٌ بصدقِه[٢].

ومِن أعظمِ[٣] مُعجزاتِه: القُرآنُ المُعجزُ للخلقِ عَن الإتيان بمِثْلِه.

ومنها: انشقاقُ القمرِ، وإطعامُه الخلقَ الكثيرَ مِنَ الطَّعامِ اليسيرِ، ورميهُ بحصَياتٍ يسيرةٍ فوصلتْ إلى الخلقِ الكثيرِ[٤]، وحَنينُ الجِذْعِ، وإخبارُه بالغائباتِ[٥]، وردُّ عَيْنِ قَتادةَ فكانتْ أحسنَ عينيهِ أعظمُ مِن ردِّ البَصرِ فقطْ، وتفجُّرُ الماءِ مِن بين أصابعِهِ أعظمُ مِن تفجرُّهِ مِن الحَجَرِ، وإحياؤهُ بالإيمانِ أعظمُ مِن إحياءِ الأبدانِ. كتابُه أجمَعُ وعُلومُه وعلومُ أُمَّتِهِ أشرفُ وأوسعُ، وأعمالُهم

(١) في (ب): بتلبس.

(٢) في هامش (أ) حاشية: مما أُنشد:

لو لم يكن فيه آياتٌ مُبيَّنةٌ ... كانتْ شمائلُه تُنبيكَ بالخبرِ

والبيت من بحر البسيط، وهو لسيدنا عبد الله بن رواحة رضي الله عنه، باختلاف يسير؛ كما في «الشفا» (ص٣٠٩).

(٣) في (ب): وأعظم معجزاته.

(٤) ما بين الكثيرين سقط من (أ). ولعله سبق نظر من الناسخ.

(٥) في (ب): بالمغيّبات.

وأُجورُهُم وأنوارُهم ونحوُها أوفرُ وأسطعُ. لا تجتمعُ أُمَّتهُ على ضلالةٍ في أصلٍ ولا فرَعٍ، وسَترُ ما لَم يُقْبَلْ مِن عَمَلِها، ولم تُعاجَل عُصاتُها، وهُم خيرُ أُمَّةٍ وأقلُّ عملًا وأكثرُ أجرًا، وصُفوفُهم كالملائكةِ، وهُم ثُلُثا أهلِ الجنّةِ، ويدخلُ الجنّةَ منهُمْ سبعونَ ألفًا بغيرِ حِسابٍ؛ قيل: ومعَ كُلِّ واحدٍ سبعونَ ألفًا، وهُم أوَّلُ مَن يُقضَى لهُ، ويدخُلُ الجنّةَ، وأُحلّت لهمُ الغنائمُ، وجُعلتْ لهمُ الأرضُ مسجدًا وطَهُورًا. نسألُ اللهَ تعالى بجاهِه ﷺ أن يهَبَ لنا الحياةَ بسُنَّتِه، والوَفاةَ على مِلَّتِهِ شهداءَ بلا مِحْنَةٍ ولا بِدْعةٍ آمينَ.

خاتمة

واعلمْ أنّ كُلّ كمالٍ في الخَلْقِ باطنًا وظاهرًا فقد جمعَه ﷺ بأكملِ مَزيدٍ مع ما تفرَّد بهِ.

ورُؤيتُه ﷺ بمنامٍ، وإن اختلفَتْ صُورتُه الكريمةُ، فحقٌّ لاختلافِ أحوالِ الرّائينَ؛ لأنّ الرُّؤيا تعريفٌ منهُ تعالى بمثالٍ لهُ شَكلٌ ولونٌ وصورةٌ والرُّوحُ مُنزَّهٌ عَن ذلكَ، وكُلُّ مَنْ يراهُ في المنامِ إنّما هوَ مثالٌ محسوسٌ لا رُوحُه وجسدُه، وقولُه ﷺ: «مَنْ رآنِي في المَنامِ فَقَدْ رآنِـي»[1]؛ أي: كأنّهُ؛ إذ في روايةٍ في «الصحيح»: «فَكَأَنَّما رآنِي»[2]؛ فالرؤيةُ واسطةٌ بينَه وبينَ أُمَّتهِ[3] تعريفًا منهُ تعالى، وقيلَ: للأرواح قوّةُ التشكُّلِ كالملائكةِ والجِنِّ مما لا يخفَى؛ نحو: ﴿فَتَمَثَّلَ

---

(١) رواه البخاري (١١٠)، ومسلم (٢٢٦٦) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) رواه مسلم (٢٢٦٦: ١١) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، ورواه ابن حبان في «صحيحه» (٦٠٥٣)، وابن ماجه (٣٩٠٤) من حديث أبي جحيفة رضي الله عنه.

(٣) في (ز): خلقه.

لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا﴾ [مريم: ١٧]، وكتمثلِ جبريلَ عليهِ السَّلامُ بصُورة دِحْيَةَ رضيَ اللهُ عنهُ؛ وهذا للخاصّةِ، ولغيرهم تعْريفٌ بمثالٍ.

ولا يجبُ العملُ بمنامٍ لعدمِ ضبطِ الرّائِي، ومتى صدَقتِ الرُّؤيا فحقٌّ، وحقيقةُ تعبيرِها هوَ نظرٌ في المُناسَباتِ؛ كتمثيلِ السُّلطانِ في المنامِ بالشَّمْسِ، والسَّبُعِ والوزيرِ بالقمرِ لنوعِ مُناسبةٍ؛ فافهَمْ(١).

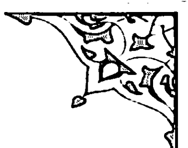
تَمَّ رُبُعُ العاداتِ(٢)
يَتْلُوهُ(٣) رُبعُ المُهْلِكاتِ

❊ ❊ ❊

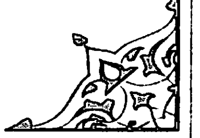
---

(١) في هامش (ز): بلغ خامسًا.
(٢) في (ج): تم بحمد الله تعالى. وفي (ب): تم الربع.
(٣) في (ج): يتلوه إن شاء الله تعالى.



ربع المهلكات



[كتاب شرح عجائب القلب]

أوَّلُها عجائبُ القلبِ: أشرفُ الإنسانِ قلبُه؛ فإنَّهُ العالِمُ باللهِ تعالى والجوارحُ خدَمٌ؛ فمعرفةُ القلبِ وصفاتِه أصلُ الدِّينِ وأكثرهُم جَهِلَ ذلكَ، واللهُ يحولُ بينَ المرءِ وقلبِهِ: يمنعهُ معرفتَه ومُشاهدَته ومُراقبتَه، والقلبُ قابلٌ للهُدى وبهواهُ مائلٌ، وجُندُ الملائكةِ والشَّيطانِ يُحاربهُما أبدًا[1] حتى يستولي أحدُهما؛ فلا يبقَى للآخَرِ إلا اختلاسٌ؛ فيُطرَدُ الشَّيطانُ[2] بالذِّكْرِ والالتجاءِ والمخالفةِ وعدمِ المُبالاةِ بهِ، وفي المثلِ: ما لم تلتفِتْ إلى نبيحِ الكلبِ تَركَكَ. وتحصينُ قلبِهِ يُمكنُ بمعرفةِ أبوابِهِ، وهيَ كُلُّ صفةٍ مذمومةٍ وقد عُفِيَ عَن الهمّ بلا عَزْمٍ؛ إذ المقتولُ في النّارِ لحرْصِه على قتلِ صاحبِه؛ إذ التجاوزُ عَن حديثِ النَّفْسِ ونحوِهِ لا عَن عزائِمِهما وقُصودِها؛ إذ الحَسَدُ مُجْمَعٌ على تحريمِهِ، كما صرّحَ به النَّوويُّ في «شرح مسلمٍ»[3]؛ لأنّ الحسدَ تمنِّي زوالِ النِّعمةِ عَن مُستحقِّها، ومنهُ غالبُ ما قدَّمناهُ من صفةٍ مذمومةٍ أوّلَ الكتابِ، وفي «صَحاحِ الجَوهريِّ»: الهمُّ مُشترَكٌ[4]، وتأمَّلْ ما صحَّ: «شُحٌّ مُطاعٌ، وَهَوًى مُتَّبَعٌ، وإعْجابُ المَرءِ

---

(١) في (ز): وجندان الملائكة والشياطين تحاربهما أبدًا.

(٢) في (ز): الشياطين.

(٣) شرح النووي على مسلم (٦: ٩٧)، حيث قال: قد تظاهرت نصوص الشرع وإجماع العلماء على تحريم الحسد واحتقار المسلمين وإرادة المكروه بهم وغير ذلك من أعمال القلوب وعزمها، والله أعلم.

(٤) ينظر: «الصحاح» مادة: همم.

بنفسهِ»[١] يظهرْ لكَ التَّفصيلُ وهو الحقُّ لا الإطلاق؛ فافهَمْ. العُجْبُ مُحرَّمٌ ولو لم يَعملْ به[٢].

فصل

[في القلوب وأنواعها وحجبها]

لسُرْعَةِ تقلُّبِ القلُوبِ كانت يمينُ النبيِّ ﷺ: «لا وَمُقَلِّبِ القُلُوبِ» انفردَ به البُخاريُّ[٣]، وقولُه: «اللهُمَّ، يا مُصَرِّفَ القُلُوبِ، صَرِّفْ قُلُوبَنا إلَى طاعَتِكَ». انفردَ بهِ مُسْلِمٌ[٤].

وهُمْ ثلاثَةٌ:

قلبٌ عُمِّرَ بالتّقوى وزُكيَ بالرِّياضةِ؛ فتنقدحُ فيهِ خواطرُ الخيرِ.

وقلبٌ بالضِّدِ؛ فالضِّدُّ لقُوَّة سُلطانِ العَدُوِّ والهوى عُدِمَ نورُه كعَينٍ مُلِئَتْ دُخانًا فتعذَّرَ نظرُها؛ فلا يؤثِّرُ فيهِ وعْظٌ ولا زَجرٌ.

وقلبٌ بينَهُما؛ فالشَّيطانُ يذكرُ له جماعةً مِن العُلماءِ بهوًى مُتَّبعٍ، فيَميلُ القلبُ فيَصدُّه الملَكُ ويُذكِّرُه شهوةً تفنَى بِشَقْوَةٍ تبقَى، مَنْ نَسِيَ العاقِبَةَ هلكَ؛ ألا ترى لو وقفوا بِحَرٍّ مُضرٍّ لَمِلْتَ إلى ظِلٍّ؛ أخالفتَهُم لِحَرٍّ يَفْنَى وَوافَقْتَهُمْ

---

(١) رواه البزار في «البحر الزخار» (٧٢٩٣) من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه.

(٢) قوله: (والعجب محرم ولو لم يعمل به) مثبت من (هـ، و، ز). وفي (ز): لا لأن إطلاق العجب محرم ولو لم يعمل به.

(٣) صحيح البخاري (٦٦١٧) من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما.

(٤) صحيح مسلم (٢٦٥٤) من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما.

لنارٍ تبقَى، وسبَبُ مَيلِه بعدَ المشيئةِ[١] كونُه بصفةٍ مَلَكيّةٍ وبَهيميّةٍ؛ فمَنِ استعانَ بأعضائهِ وقُواهُ عِلْمًا وعَملًا تشبّهَ بالملائكة وتفضَّلَ بالمُجاهدة، وإلّا فهوَ إمّا جاهلٌ كثَورٍ أو شَرِهٌ كخنزيرٍ، أو ضَرِعٌ ككلبٍ، أو حَقُودٌ كجَمَلٍ، أو مُتكَبِّرٌ كنَمِرٍ، أو يروغُ كثَعلبٍ، أو مزيَّنُ الظّاهرِ فقط كحيّةٍ، أو يجمعُها كشيطانٍ مَريدٍ.

وخُصَّ قلبُ المؤمنِ بعلومٍ دينيّةٍ وأُخرويّةٍ وحقائقَ عقليّةٍ وإراداتٍ؛ فإنّهُ إذا عَلِمَ المصلحةَ اشتاقَ إلى أسبابِها، فأرادها واحتمَى عَن شهواتِه، واقتحمَ مُجاهداتِه، فاختصّ بعلمٍ وإرادةٍ ينفكُّ عنها الحيواناتُ وهو كمِرْآةٍ، ولهُ[٢] حُجُبٌ خمسةٌ:

الأوّلُ: نقصٌ يمنعُ انكشافَ الصُّورةِ فيها؛ فلهذا لا تتجلَّى المعلوماتُ لصبيٍّ لنُقصانه.

الثّاني: كَدَرُ ذُنوبهِ وخَبثُ شهواتِهِ منعَ صفاءَ قلبهِ، فمنعَ ظُهورَ الحقِّ فيه.

الثّالثُ: عُدُولُه عَن جهةِ مطلوبهِ، فلا ينكشفُ لهُ إلا ما هوَ مُتَفَكِّرٌ[٣] فيهِ، ولو صفا كيفَ يُشرِقُ قلبٌ، وصُوَرُ الكونِ مُنطبعةٌ بمرآتهِ، ولم يتطهّر مِن دَنَسِ شَهواتِهِ، ولا رفعَ حدَثَ غفَلاتهِ، ولم يَتُبْ مِن هَفَواتِهِ؟ والكونُ كُلُّه ظُلمةٌ، وإنّما أنارهُ ظُهورُ الحقِّ فيهِ.

الرابعُ: وبهِ مُنعَ أكثرُ الصُّلحاءِ والمتُعصِّبةِ وغيرِهم رُسوخُ اعتقاداتٍ تقليديّةٍ سبقتْ، فصارتْ حجابًا عَن إدراكِ الحقائقِ لقَنَعِه[٤] بها.

(١) في (أ، د): المشقّة.
(٢) أي: القلب. في هامش (ب): انظر حجب القلب.
(٣) في (ب، ج): مفكر.
(٤) في (أ): لنفعه، وفي (ب): لتمنعه.

الخامِسُ: جَهلٌ بجهةِ تُظفِرهُ بمطلوبهِ؛ إذ كُلُّ عِلْمٍ مَوهُوب مُغيَّبٌ؛ فلا يحصُلُ إلّا بعِلْمَينِ قبلَه بائتلافِهما ينتجُ عِلْمٌ ثالثٌ؛ كالفَحْلِ والأُنْثَى؛ فالجهلُ بتلكَ الأُصولِ، وبكيفيّة الازدواجِ منعَ المعرفةَ؛ إذ طُرُقُ اقتِناصِ العلوم عجيبَةٌ قلَّ مَنْ يعرفُها؛ فالقلبُ يُطيقُ حملَ الأمانةِ لكنْ عاقَهُ ما ذُكِرَ لقولِه ﷺ: «كُلُّ مَولُودٍ يُولَدُ عَلى الفِطْرَةِ - يعني: على الدِّينَ - وإنَّما أبَواهُ يُهَوِّدانِهِ أو يُنَصِّرانِهِ أو يُمَجِّسانِهِ»[1]، فمَحضُ التقليدِ بعزلِ العقلِ جَهلٌ، والمكتفي بمجرّدِ العقلِ مَغرورٌ، وجمعهُما كمالٌ، ولا تناقُضَ بينهُما؛ فالعُلومُ العقليّةُ أغذيةٌ والشَّرعيةُ أدويةٌ، وفَقْدُ الغذاءِ والدواءِ ضارٌّ، والعقليّةُ[2] دُنياويّة كطِبٍّ وحِسابٍ وهندسةٍ، وأُخرويّةٍ كالعلمِ بالله تعالى وبصفاتِه وأفعالِه وبأحوالِ القلبِ وبآفاتِ الأعمالِ، ومَنِ اشتغلَ بأحدِهما قصّرَ في الآخَرِ[3] غالبًا، ومَن قويَ طلبُه لدُنياهُ وظنَّ السَّلامةَ فهو كمَنْ غُمِسَ في عَسلٍ وظنَّ أنّ الذُّبابَ لا يقعُ عليهِ.

❊ ❊ ❊

(١) رواه البخاري (١٣٨٥)، ومسلم (٢٦٥٨) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.
(٢) سبق نظر الناسخ في (أ) من العقلية إلى العقلية، فأسقط ما بينهما.
(٣) في (ب): الأخرى.

كتاب رياضة النفس وتهذيب الخلق وعلاج أمراض القلب

الرّياضةُ: تمرينُ النَّفْسِ على الخيرِ ونقلُها إلى ما كان شاقًّا باللُّطفِ ليصيرَ سهْلًا؛ فيَصِير صبرًا.

والتّهذيبُ: امتحانُها فيما تدّعيهِ مِنْ حالٍ ونحوِه، مع اجتهادٍ في تحصيلِ الكمالِ بتهذيبِ خُلُقٍ وتصفيةِ عَمَلٍ وتوفيةِ الحقوقِ، وصِدقُ المُتابعةِ تخليةٌ ثُمَّ تحليةٌ ثُمَّ حسْمُ التّفرقَةِ والالتفاتُ إلى مقامٍ جاوزَه بقَصْرِ الهَمِّ عليه تعالى، مع قيامِ الشَّريعةِ وقطعِ النّظرِ عمّا سواهُ تعالى مِن عِوَضٍ وغيرِهِ.

حُسْنُ الخُلُقِ صِفةُ الأنبياءِ والصِّديقينَ، وضِدُّهُ سمومٌ؛ فاعرفِ العِللَ، ثُمَّ شمِّر في علاجِها.

وقد عُبِّرَ عَن الخُلُقِ بشيءٍ مِن ثمراتِهِ، وحقيقتُه ترجعُ إلى هيئَةٍ ثابتةٍ باطنًا تصدرُ عنها الأفعالُ بلا تردُّدٍ؛ فجميلُها خُلُقٌ جميلٌ وقبيحُها قبيحٌ، وكيفَ يُنكَرُ تَغيُّر الأخلاقِ والكلبُ يُعلَّمُ والفرسُ والطيرُ؟ إذ هوَ ردُّ صفَةٍ إلى اعتدالٍ، وإفراطُها وتفريطُها نقصٌ؛ قال اللهُ تعالى: ﴿وَٱلْكَٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ﴾ [آل عمران: ١٣٤]، ولم يقلْ: والعادمينَ؛ كقولِه: ﴿وَلَا تُسْرِفُوٓاْ ...﴾ الآيةَ [الأعراف: ٣١]، وقولِه: ﴿وَكَانَ بَيْنَ ذَٰلِكَ قَوَامًا﴾ [الفرقان: ٦٧].

ويحصلُ الكمالُ بحمْلِ نفْسِه على أفعالِ تحلِّيهِ؛ فمَن كلَّفها أفعالَ الجود ليَصيرَ طبعًا صار جوادًا، وكذا أفعالُ التواضع وكُلُّ خُلُقٍ؛ فإنَّ للعادةِ أثرًا عظيمًا

بالدَّوام، فلا يَستهينُ بقليلِ ذُنوبِهِ أو كسلِهِ فيصيرُ عادةً تَحرمُه الخيرَ، ويُكسَبُ[١] الخُلقُ بالصُّحبةِ أيضًا؛ لأنَّ الطَّبعَ يَسْرقُ؛ لقولِه ﷺ: «يُحْشَرُ المَرْءُ عَلَى دِينِ خَلِيلِه؛ فَلْيَنْظُرْ أَحَدُكُمْ مَنْ يُخالِلُ»[٢].

فصل
[في الصحة والمرض والعلاج]

الاعتدالُ صحّةٌ والميلُ مرضٌ؛ فعلى ذِي الصِّحةِ طلبُ حِفظِها وزيادةِ، وذي السَّقمِ طلبُ الصِّحَّةِ بأسبابها، وعلاجُ كُلِّ علّةٍ بضدّها: كجهلٍ بعلمٍ، وكِبْرٍ بذُلٍّ، وغَضَبٍ بحلمٍ كما ذُكِر، ويصبِرُ للمُجاهدةِ فستَحلُو، ومرضُ قلبِهِ يبقى ألمُه بعدَ الموتِ، والعُمدةُ دوامُ عزمِهِ، ومتى تردّدَ بَعُدَ فلاحُهُ، ومَن صبَر ظفِرَ، أو لازَمَ وصلَ[٣]، ومتَى نقضَتْ نفسُه عاقبها بصومٍ أو سَهَرٍ أو غُرْبَةٍ أو منْعِ فَضلَةٍ ونحوِها لا الضَّربُ ونحوُه؛ فإنّه يحرمُ ولا يُفيدُ، وما نُقلَ منهُ عَن بعضِهِم فَسَكْرانُ لا يُقْتدَى بهِ ولا يُنكرُ عليهِ.

فصل
[في علامة المرض، وعافيته منه]

مرضُ كُلِّ عُضوٍ أن يتعذّرَ عليهِ ما خُلقَ لأجلِهِ أو يصدرَ مع اضطرابٍ؛

---

(١) في (ز): ويكتسب.

(٢) رواه أبو داود (٤٨٣٣)، والترمذي (٢٣٧٨) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه. وليس عندهما ولا عند غيرهما: (يحشر).

(٣) في (و) زيادة: قال الشاعرُ:

أخلقْ بذِي الصَّبرِ أنْ يَحْظَى بحاجتِهِ ... وَمُدمِنُ القَـرْعِ للأبـوابِ أنْ يَلِجا!

فالقلبُ خُلقَ للعِلْمِ والحِكْمَةِ ومعرفَةِ الله تعالى وحُبِّه وعبادتِهِ، ومَنْ عَرَفَ ما سواهُ تعالى ولم يعرفْهُ فكأنّهُ لَمْ يعرِفْ شيئًا، ومَن عرفَ ربَّهُ أحبّهُ، ومَن أحبّهُ آثرهُ؛ فعُدتَّ كريمًا بإيثارِكَ وعادَ كريمًا بإعطائكَ؛ فصِرتَ غنيًّا بالكُلِّ، وهو تعالى غنيٌّ عَن الكُلِّ، ومَن آثرَ عليهِ شيئًا فقلبُه مرِيضٌ؛ كمَعدةٍ تُؤثِرُ شهوةَ الطِّينِ فمَريضةٌ، ومرضُ القلبِ خَفِيٌّ، وإن عرفَهُ عزَّ صبرُه عَنْ هواهُ، ولو صبرَ عَزَّ وجودُ طبيبِهِ ـ وهُم العُلماءُ ـ وقد لا يُلتَفَتُ إلى علاجِ طبيبٍ مريضٍ؛ فصارَ الداءُ عُضالًا، وفُقِدَ هذا العِلْمُ وأُنكِرَ طِبُّ القَلبِ ومرَضُه، وأقبلَ النّاسُ على أعمالٍ ظاهِرُها عبادةٌ وباطنُها عادةٌ؛ فهذهِ علامةُ أُصولِ المرضِ[1].

وأمّا عافيتُه بعدَ مرضهِ فينظرُ في عِلاجِ البُخلِ مثلًا: إنْ عَزّ البذلُ فبُخلٌ، أو الإمساكُ فتبذيرٌ، أو يُراقبُ نفْسَه بيُسرِ الأفعالِ وعُسْرِها[2]؛ فكُلُّ قلبٍ صارَ بلا مَيْلٍ لبذلهِ وإمساكهِ جاء ربَّهُ سَلِيمًا في هذا المقامِ، ويَجتهِدُ في باقِي أخلاقِه لترتحِلَ نفسُه عَن دُنياهُ بلا التفاتٍ إلى شيءٍ منها، فترجعُ إلى ربِّها مُطمئنّةً، وتمرُّ على صراطِ القيامةِ كما مرّت على صراطِ الاستقامةِ، فيَتفَقّدُ كُلُّ نفْسَه وصفاتِه، ثُمَّ يُعالجُ نفْسَه بقَهْرِها على الخُلُقِ المطلوبِ شرعًا: فإنْ حرنَتْ قمَعها بجُوعٍ وعَملٍ طويلٍ يُلْهيها وخوَّفها ورغَّبها، ويُدِيمُ ابتهالَه إلى ربِّه تعالى فيها؛ بدليلِ: ﴿إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّيٓ﴾ [يوسف: ٥٣]؛ فتحمّل مشقّةً تفنَى لنعِيمٍ يَبقَى؛ فعِندَ الصّباحِ يَحمُدُ القومُ السُّرى.

ولا بُدَّ مِن صُحْبةِ كاملٍ[3] تَفنى عَن مُرادكَ لمُرادِهِ أبدًا؛ فَنقِّبْ عنهُ ما خلا قُطْرٌ عَن مثلِه، وباللهِ لا تَعِشْ بدُونهِ[4]؛ فسلامتُكَ مع غيرِه عزيزةٌ ووصلُكَ أعزُّ،

---

(١) في (أ، ب): علاماتُ وُصول. وفي (هـ): (أصل) بدل: (أصول).

(٢) في (هـ، و): بيسير الأفعال وعسيرها.

(٣) في (أ): صحبتك كامل.

(٤) في (و): وتالله لا تعيش بدونه.

فعدوٌّ عرَّفكَ عيبًا أنفعُ لكَ مِن أخٍ مُداهنٍ. وكانوا رضيَ اللهُ عنهُم يُحِبُّونَ مَنْ يُنبِّهُهُم على عُيوبِهِمْ، وأصْلُ كُلِّ مَعْصيةٍ وغَفْلةٍ وسَهْوٍ[1] رضاكَ عَن نفسِكَ، وأصلُ كُلِّ طاعةٍ ويقظةٍ وعِفَّةٍ عدمُ رِضاكَ عنها[2].

فصل

[في تقديم رياضة القلب]

فَقْدُ الشَّهوةِ مرضٌ، وكذا فُضُولها وطُغيانُها، والسُّنَّةُ أن يُعْطِي نفسَهُ ما يُقيمها، ومتى فرَّق بينَ حظِّها وحقِّها أمكنهُ العِلاجُ، وربّما جاهدها ثُمَّ قصَّر لظنِّه كمالًا، فيَعرِضُها على ما حُمِدَ شرعًا ثُمَّ يَجْتهِدُ في حِفظِ ما وجدَ وتَحْصيلِ ما فَقدَ.

قُلتُ: الكَمالُ بالإشارةِ بعدَ المعرفةِ تركُ الحظِّ وعدمُ الفترةِ، وبالعِبارةِ إجمالًا: صِحَّةُ اعتقادٍ، ويقينٌ بلا شكٍّ، وتوبةٌ بلا بقيّةِ ذنبٍ، وزهدٌ بلا شائبةِ رغبةٍ، وتجريدٌ بلا فترةٍ، وبها عَودُ ما فُقِدَ؛ إذ بصحَّةِ مُعتقدِه وتوبتهِ بلا شائبةٍ رفعُ حُجُبِهِ، وبتمام زُهدهِ دفعُ عائقهِ، وبكمالِ مجاهدتهِ نَيلُ مُشاهدتهِ، وكُلُّ مَنعٍ من نقصِ هذه الأربعةِ سيَّما الرّابع لا يُهملُ.

أدبُه: الكمالُ بدوامِ ذِكْرٍ وتلاوةٍ وصلاةٍ ومراقبةٍ.

وأمّا حفظُ ما وَجدَ فبصَمْتٍ لذكرٍ، وخِفَّةِ معدةٍ لسهرٍ، ونومةٍ لنشاطٍ، وعزلةٍ لفراغٍ، وصُحبَةِ كاملٍ لعِلْمٍ وتربيةٍ، وخَلْوةٍ بشروطها لمُراقبةٍ وترقيةٍ، وحَصْرِ فِكْرٍ

---

(١) في (هـ، و): شهوة.

(٢) في هامش (ز): بلغ خامسًا.

في الجلالِ والجمالِ بلا كيفٍ ليرثَ أُنسًا وهيبةً، ومتى قويَ بسْطُه ردَّ فِكْرَه قهرًا إلى الجلالِ لتقوى الهيْبَةُ، والعُمدةُ تحقيقُ مقامِ الورعِ: قولًا وعملًا ونيّةً وعزيمةً واستحياءً منهُ تعالى، وتركُ فُضولِ الحلالِ كذلكَ؛ لأنّهُ آفةُ العبادِ[1].

قُلْتُ: وهنا تنبيهٌ بدِيعٌ، وهو تقديمُ رياضةِ القلبِ بما سبقَ، ولو بالورعِ والذِّكرِ؛ تفنى صفاتُ نَفْسِهِ جُمْلَةً في أقربِ مُدَّةٍ، وبه حِفْظُ ما وَجدَ بخلافِ تبديلِ صفاتِ نفْسِهِ كُلّما ظنَّ قمعَ صفةٍ عَن قريبٍ تَظهرُ ولا تَبدِيلَ لخلقِ اللهِ؛ فتأمَّلْهُ راشِدًا؛ إذ في الورعِ العِزُّ والنّجاةُ: ﴿ثُمَّ نُنَجِّي ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ[2]...﴾ الآيةَ [مريم: ٧٢]، ثُمَّ الجنّةُ: ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ...﴾ الآيةَ [النازعات: ٤٠]، وبأوّلِ قَدمٍ في استدامةِ ذِكْرِ (لا إله إلّا الله) خُنوسُ الشّيطانِ، ثُمَّ الأُنسُ بالرَّحمنِ، ثُمَّ الموتُ على الإحسانِ: «يَموتُ المَرْءُ عَلَى ما عاشَ عَلَيهِ» ـ رواهُ مسلمٌ[3] ـ ثُمَّ أمانُ الفتّانِ؛ قيلَ لمثلِهِ في قبرِهِ: مَنْ ربُّكَ؟ فقال: مُتُّ غريبًا في طلبِ أُنْسهِ، فلم يَعْرِفني غيرُه تعالى، ولم أعرفْ غيرَه تعالى. قيلَ لهُ: نَمْ نَومةَ العَرُوسِ في خِدْرِها.

ثُمَّ إكرامُه[4] في الجِنانِ؛ لقولِهِ: ﴿تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُۥ سَلَٰمٌ...﴾ الآيةَ [الأحزاب: ٤٤]، والكمالُ بالتَّفصيلِ بيانًا؛ فكمالُه بكمالِ تعبُّدِه؛ ففي بدَنهِ بقيامِهِ بأعمالِ الشّرعِ بالتصفيَةِ والاستيعابِ، وفي نفْسهِ بموافقةِ بارئها في محبّةِ ما أحبَّهُ وكراهةِ ما كرِهَهُ، وفي عقلِه بامتلائِهِ[5] بتفاصيلِ عُلومِ الأمْرِ والنَّهيِ

(١) في (هـ، ز): العبادة.
(٢) زاد في النسخ (بمفازتهم) وهو سهو لتشابه الآية بالآية ٦١ من سورة الزمر.
(٣) صحيح مسلم (٢٨٧٨) من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما، ولفظه: «يُبعثُ كُلُّ عبدٍ على ما مات عليه».
(٤) في (أ، ب، ج): الكرامة.
(٥) في (ب): باستلائه.

وحَداقَةِ[1] البَصرِ فيهِ معَ المهارَةِ وحُسْنِ التَّبصُّرِ، وفي قلبهِ بانفتاحِ بصرِه في الصِّفاتِ وقيامهِ بأحكامِ عُبودِياتها؛ رغبةً ورهبةً وتوكُّلًا ومحبةً ومراقَبَةً ونحوَها مِنَ العُبوديّاتِ المُقتضيةِ لأحكامِ الصِّفاتِ، وفي رُوحهِ بانطلاقِها مِنْ قَيدِ البشريّةِ إلى فضاءِ القُرْبِ ووُجْدانها للحُبِّ الخاصِّ المُلْهِبِ لها بواسطةِ ما يبدو عليها مِن آثارِ الجلالِ والإكرامِ؛ فتصيرَ بحرًا مَوّاجًا مِن نَسيمِ القُربِ ورُوحِ الأُنسِ مُلْتَهِبَةً بنيرانِ الحُبِّ مَجْذُوبَةً بجَواذبِ الشَّوقِ؛ لأنّهُ مُركّبٌ مِن جسمٍ ظاهرٍ، ونفْسٍ ميّالةٍ، وعقلٍ مُميّزٍ، وقلبٍ حاكمٍ، ورُوحٍ كُلّيّةٍ. واعلمْ أنّ هذه الزيادةَ مِن أجمعِ الجوامِعِ فتدبّرها راشدًا.

وأركانُ الخُلُقِ أربعةٌ: قُوّةُ العقلِ لتَمييزِ المصالحِ والمفاسدِ، ثُمَّ قُوّةُ الغضبِ لدَفعِ المفسدةِ، ثُمَّ قوّةُ الشّهوةِ لجلبِ المصلحةِ، واعتدالُ كُلٍّ بتقييدِه بالعلمِ والحكمةِ، وبإفْراطِ كُلٍّ يُثمرُ نحوُ المَكْرِ والكِبْرِ وبتفريطِه نحوُ الغَباوةِ والحُمْقِ، وهوَ صحّةُ القصدِ مع فسادِ السُّلوكِ، وفسادُهما جُنونٌ، ومُعظمُ الخُلُقِ الحَسَنِ احتمالُ ما تكرهُ مِن غيرِكَ، ومنكَ ما يُؤنسُهم شرعًا فقط بلا حظٍّ؛ لقولِه ﷺ: «اللهُمَّ، اغْفِرْ لِقَومِي؛ فَإِنَّهُمْ لا يَعْلَمُونَ»[2]، وكقولِ أبي بكرٍ رضيَ اللهُ عنهُ لامرأةٍ ردَّت عليهِ: شيخٌ أخطأ، وامرأةٌ أصابتْ[3]. وبعضُهم حين همَّ أصحابُه بأهلِ

(١) في (ز): حذاقة.

(٢) رواه البخاري (٣٤٧٧)، ومسلم (١٧٩٢) من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه.

(٣) المشهور هو من قول سيدنا عمر رضي الله عنه، كما رواه ابن عبد البر في «جامع بيان العلم وفضله» (٨٦٤) قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: لا تزيدوا في مهور النساء على أربعين أوقية، ولو كانت بنت ذي العصبة يعني يزيد بن الحصين الحارثي، فمن زاد ألقيت زيادته في بيت المال، فقامت امرأة من صف النساء طويلة فيها فطس، فقالت: ما ذلك لك، قال: ولم؟ قالت: لأن الله عز وجل يقول: ﴿وَءَاتَيْتُمْ إِحْدَىٰهُنَّ قِنطَارًا فَلَا تَأْخُذُواْ مِنْهُ شَيْـًٔا﴾ [النساء: ٢٠] فقال عمر: امرأةٌ أصابت ورجلٌ أخطأ.

بيتٍ طرحوا عليهِ رمادًا قال: مَنِ استحقَّ النارَ لا يغضَبُ مِنْ بَردِ الرَّمادِ[١]. ودعا إبراهيمُ بنُ أدهمَ رضيَ اللهُ عنهُ لِمنْ شجَّ رأسَهُ[٢]. وقولِ ابن دينارٍ لامرأةٍ قالت له: يا مُرائي: وَجَدتِ اسْمِي الذي أضلَّهُ أهلُ البصرةِ[٣]. وقولِ مَن دُعي مرّاتٍ

---

(١) أوردها أبو القاسم القشيري في «الرسالة» (٢: ٤٠١). والرجل الملقى عليه الرماد هو أبو عثمان الحيري رحمه الله.

(٢) أوردها أبو القاسم القشيري في «الرسالة» (٢: ٤٠١). يحكى أن إبراهيم بن أدهم خرج يومًا إلى بعض البراري، فاستقبله رجل جندي، فقال: أنت عبد؟ قال: نعم، فقال له: أين العمران؟ فأشار إلى المقبرة، فقال الجندي: إنما أردت العمران، فقال: هو المقبرة، فغاظه ذلك، فضرب رأسه بالسوط، فشجه وردّهُ إلى البلد، فاستقبله أصحابه فقالوا: ما الخبر؟ فأخبرهم الجندي ما قال له، فقالوا: هذا إبراهيم بن أدهم، فنزل الجندي عن فرسه وقبل يديه ورجليه وجعل يعتذر إليه، فقيل بعد ذلك له: لم قلت له: أنا عبد؟ فقال: إنه لم يسألني عبد من أنت، بل قال: أنت عبد؟ فقلت: نعم؛ لأني عبد الله، فلما ضرب رأسي سألت الله له الجنة، قيل: كيف وقد ظلمك؟ فقال: علمت أنني أؤجر على ما نالني منه فلم أرد يكون نصيبي منه الخير ونصيبه مني الشر.

وإبراهيم بن أدهم، أبو إسحاق البلخي، ولد بمكة وطافت به أمه على الخلق، وسألت الدعاء له أن يكون صالحًا فاستجيب لها، وترك الإمارة وما كان فيه، خرج متصيدًا، فأثار ثعلبًا ـ أو أرنبًا ـ فهتف به هاتف من قربوس سرجه: والله؛ ما لهذا خلقت، ولا بهذا أمرت. فنزل عن دابته، وصادف راعيًا لأبيه، فأخذ جبته ـ وكانت من صوف ـ فلبسها، وأعطاه ثيابه وقماشه وفرسه، ثم دخل مكة، ثم الشام، لطلب الحلال، وكان يأكل من عمل يده، صحب بمكة سفيان الثوري، والفضيل بن عياض، وتوفي بالجزيرة في الغزو، وحمل إلى ساحل الشام فدفن هناك، سنة إحدى وستين ومئة. ومناقبه جمة، أفردها كثير من العلماء بالتأليف. ينظر: «طبقات الأولياء» (ص٧). وله صور رائعة ذكرتها في كتابي «صور من حياة الأولياء والصالحين» أسأل الله العون والتيسير لإتمامه.

(٣) أخرجها أبو نعيم في «الحلية» (٨: ٣٣٦)، وأوردها أبو القاسم القشيري في «الرسالة» (٢: ٤٠٠).

وابن دينار: هو مالك بن دينار، أبو يحيى البصري، علم العلماء الأبرار، من ثقات التابعين، ومن أعيان كتبة المصاحف، كان من ذلك بلغته، وهو من موالي بني سامة بن لؤي القرشي، =

إلى بُعْدٍ ولا يُطعمُ ويُهان كُلَّ مرّةٍ لمّا حُمِدَ: رأيتُم مِنّي خُلُقَ كلْبٍ: إذا دُعِيَ أجابَ أو زُجِرَ انزجرَ[١]. فهذهِ نفوسٌ ذُلّلتْ رياضةً وطُهِّرَ باطنُها فأثمرَ الرِّضا. وذكرنا في رُبُعِ العباداتِ مِن محاسنِ الخُلُقِ كفايةً.

وأوصى ﷺ في المنامِ بالتَّقْوى، واللِّينِ، والإحسانِ للكافّةِ[٢]؛ وهي جِماعُ المحاسنِ. وفي «الصَّحيحينِ»: «لا يُؤْمِنُ عَبْدٌ حَتَّى يُحِبَّ لِأخِيهِ ما يُحِبُّ لِنَفْسِهِ»[٣]، وفيهما: «مَنْ كانَ يُؤْمِنُ بِاللهِ واليَومِ الآخِرِ فَلْيُكْرِمْ ضَيفَهُ، وَمَنْ كانَ يُؤْمِنُ بِاللهِ واليَومِ الآخِرِ فَلْيُكْرِمْ جارَهُ، وَمَنْ كانَ يُؤْمِنُ بِاللهِ واليَومِ الآخِرِ فَلْيَقُلْ خَيرًا أو لِيَصْمُتْ»[٤].

= كان عالمًا زاهدًا كثير الورع قنوعًا لا يأكل إلا من كسبه، وكان يكتب المصاحف بالأجرة، كان يقول: إنه لتأتي عليّ السنة لا آكل فيها لحمًا إلا من أضحيتي يوم الأضحى. قال سليمان التيمي: ما أدركت أحدًا أزهد من مالك بن دينار، وتوفي سنة سبع وعشرين ومئة بالبصرة. «وفيات الأعيان» (٤: ١٣٩)، «سير أعلام النبلاء» (٥: ٣٦٢).

(١) أوردها أبو القاسم القشيري في «الرسالة» (٢: ٤٠١). والرجل المدعُو هو أبو عثمان الحيري رحمه الله. حكي أن أبا عُثمان الحيري دعاه إنسان إلى ضيافة، فلما وافى باب داره قال: يا أستاذ ليس الآن وقت دخولك وقد ندمتُ، فانصرف فرجع أبو عثمان، فلما وافى منزله عاد إليه الرجلُ، وقال: يا أستاذ ندمت وأخذ يعتذر، وقال: احضر الساعة، فقام أبو عثمان ومضى، فلما وافى باب داره قال مثل ما قال في الأول، ثم كذلك فعل في الثالثة والرابعة وأبو عثمان ينصرف ويحضرُ، فلما كان بعد مرات قال: يا أستاذ؛ أردت اختباره وأخذ يعتذر ويمدحه فقال أبو عثمان: لا تمدحني على خلق تجد مثله مع الكلاب، الكلب إذا دعي حضر وإذا زجر انزجر.

(٢) لعل الرائي والموصى هو المؤلف البلالي رحمه الله ولكن لم يصرح رحمه الله بهذا هضمًا لنفسه.

(٣) صحيح البخاري (١٣)، صحيح مسلم (٤٥) من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه.

(٤) صحيح البخاري (٦٠١٨)، وصحيح مسلم (٤٧) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

فصل
[في تربية وتعليم الأولاد]

الصَّبيُّ أمانةٌ عندَ والدَيه: فإنْ عُوِّدَ الخَيرَ أو الشَّرَّ نشأ عليهِ وشاركاهُ ومُعلِّمهُ في ثوابهِ، ووِزْرُه في عُنُقِ وليّهِ، فيُؤدّبهُ ويُهذِّبهُ ويُعلِّمهُ المحاسنَ، ويُحْفَظُ مِن قُرناءِ السُّوءِ بعدَ رضاعِه وحَضانتهِ مِن صالحةٍ تأكلُ مِن محضِ الحلالِ، والحياءُ عندَ التّمييزِ بُشْرى كمالِه، ويُعوَّدُ خُشونةَ قُوتِه ولُبسِه وفراشِه وآدابِها، ويُذمُّ له كثرةُ الأكلِ، والذّهبُ والفضّةُ والأخذُ مِن غيرٍ، وثيابٌ مُلوَّنةٌ، ويَقيهِ صُحبةَ صبيٍّ مُنعَّمٍ والشِّعرَ المُغزَّل، ويقيهِ[1] عمّا سوى القُرآنِ ثُمَّ السُّنَّةِ ثُمَّ سِيَرِ الصُّلحاءِ، ويُجازيهِ بكُلِّ صفةٍ جميلةٍ، ويَمدحُه بها في النّاسِ، ويتغافلُ عَن تقصيرٍ. وإن عاودَ عُوتِبَ سرًّا، ولا يُكثر فتهونَ عليه الملامةُ، ويُخوَّف الاطلاعَ عليهِ ليحفظَ الهَيبةَ، وتُخوِّفُه أمُّه، ويُمنع نومَهُ نهارًا ورفاهيَّتهُ كي لا يكسلَ وتفتُرَ قُواهُ، ويُمنعُ مِن افتخارهِ بشيءٍ، ويُعَوّدُ تواضُعَه وإكرامَه لمُعاشريهِ، وعدمَ بَصْقهِ ومَخطهِ وتثاؤُبهِ بمحضرٍ، ووضعِ رِجْلٍ على رِجْلٍ، وكثرةِ كلامٍ، وما لا يعنيهِ: فِكْرًا وعملًا وقولًا إلا جوابًا، بل يحسنُ استماعُه لكلامٍ نافعٍ، ويُروَّحُ نادرًا بلعبٍ جميلٍ مِن وهَجِ تَأديبِه، ويُعلَّم طاعةَ والديهِ ومُعلِّمهِ.

ويُؤمرُ بالصَّلاة لِسَبْعٍ[2]، ويُعوَّدُ الطّهارةَ شرعًا، ولا يُسمحُ له في تركها، ومع قُرْبِ بُلوغهِ تُلْقى إليهِ الأُمورُ، ويُعلَّم أنّ المرادَ مِنَ الأطعمةِ تقويةُ بدَنهِ على طاعةِ رَبِّهِ تعالى، والموتُ يَقطعُ نعيمَها، والعاقلُ ينتظرُ الموتَ ساعةً بعدَ ساعةٍ، ويتزوّدُ

---

(١) في (ب، د، ز): ويُغنيه.

(٢) روى أبو داود في «السنن» (٤٩٥) عن عمرو بن شُعيب، عن أبيه، عن جدّه، قال: قال رسولُ الله ﷺ: «مُرُوا أولادكُم بالصّلاة وهُم أبناءُ سبع سنين، واضربُوهُم عليها وهُم أبناءُ عشر سنين، وفرّقُوا بينهُم في المضاجع».

لآخرتِهِ، وبنَشئِهِ صالحًا يثبُتُ هذا في قلبِهِ كنَقْشٍ في حَجَرٍ؛ كان سهلٌ رضيَ اللهُ عنهُ يقومُ اللَّيلَ قيلَ لهُ: قُلْ بقلبكَ: اللهُ مَعِي، اللهُ ناظرٌ إليَّ، اللهُ شاهدٌ علَيَّ[١]. ثُمَّ قيلَ له: قُلْها كُلَّ ليلةٍ إحدى عشرَة مرّةً. فوجدَ حلاوتَه، ثُمَّ قيلَ لهُ: مَنْ كانَ اللهُ معهُ وناظرًا إليهِ وشاهدَه أيعْصِيهِ؟ إيّاكَ والمعصيةَ[٢]. وحَفِظَ القُرآنَ لنحوِ سبعٍ، وكانَ يصومُ الدَّهرَ وقُوتُه الشَّعيرُ، ثُمَّ قامَ الليلَ كُلَّهُ. فمَن شاهدَ الآخرةَ بيقينِهِ أرادها ضرورةً؛ فعليهِ رفعُ حِجابِه أولًا بتوبةٍ نَصُوحٍ، ثُمَّ بمُرشدٍ يتمسَّكُ به كيلا تَخطفه الشَّياطينُ، ثُمَّ خلوةٍ تُحصّنهُ بشروطِها وآدابِها؛ اطلُبْها مِن رُبعِ العباداتِ.

ومُنْتَهى رياضتِه وجودُ قلبِهِ مع ربّه تعالى أبدًا، ويمكنُ بخلوةٍ مِن غيرِهِ، ويخلو بطُولِ المُجاهدةِ، وفسَّرناهُ[٣] في مُقدِّمةِ الكتابِ. فهذه حياةُ النُّفوسِ: رياضةً وتهذيبًا وتدريجًا، ثُمَّ نُفصِّل كُلَّ صفةٍ إنْ شاءَ اللهُ تعالى.

---

(١) في (هـ، و): شاهدي.

(٢) سهل بن عبد الله بن يونس أبو محمد التستري، شيخ العارفين، صحب خاله محمد بن سوار، ولقي في الحج ذا النون المصري وصحبه. يحكى عن سهل بن عبد الله أنه قال: قال لي خالي يومًا ألا تذكر الله الّذي خلقك؟ فقلت: كيف أذكره؟ فقال: قل بقلبك عند تقلبك في ثيابك ثلاث مرات من غير أن تحرك به لسانك: الله معي، الله ناظر إليّ، الله شاهدي. فقلتُ ذلك ثلاث ليال ثُمّ أعلمته. فقال لي: قل في كل ليلة إحدى عشرة مرة. فقلتُ ذلك فوقع في قلبي له حلاوة، فلما كان بعد سنة قال لي خالي: احفظ ما علمتك ودُم عليه إلى أن تدخل القبر؛ فإنّه ينفعك في الدنيا والآخرة. فلم أزل على ذلك سنين، فوجدت لها حلاوة في سرّي، ثُم قال لي خالي يومًا: يا سهل من كان الله معهُ وهو ناظر إليه وشاهد أيعصيه؟ إياك والمعصية. توفي سنة ثلاث وثمانين ومئتين عن ثلاث وثمانين سنة. ينظر: «حلية الأولياء» (١٠: ١٨٩ وما بعدها)، «سير أعلام النبلاء» (١٣: ٣٠٣).

(٣) في (ز): وفرشناها.

كتاب كسر شهوة بطنه ثم فرجه(١)

البَطنُ مَنبعُ المُهلكاتِ، وبها خرجَ آدمُ عليهِ السَّلامُ مِنَ الجنّةِ، ومنها شهوةُ الفرْجِ ورغبةُ المالِ، ثُمَّ الآفاتُ مِن الشِّبعِ؛ صَحَّ: «المُؤْمِنُ يَأْكُلُ في مِعًى واحِدٍ، والكافِرُ يَأْكُلُ في سَبْعَةِ أَمْعاءٍ»(٢)، و«ما مَلأَ ابْنُ آدَمَ وِعاءً شَرًّا مِنْ بَطْنٍ»(٣). وسبقَ في آدابِ الأكلِ وغيرِهِ.

رِعايتُه بالورعِ ومَنعِ الشِّبعِ والفَرْجِ بما فيهِ في آدابِ النِّكاحِ مِنَ العاداتِ.

فيُقَلِّلُ ذُو الشِّبعِ مِن أكْلِه حتّى يفقدَ جُوعَه وشِبَعهُ، ويُخفِي تركَ شهواتِهِ وزُهدِهِ جِدًّا، ولإفراطِ شَهوةِ فرجِهِ حَرُمَت الخَلْوةُ بأجنبيّةٍ وأمردٍ حَسَنٍ؛ يُروَى: «ما مِنْ ذَنْبٍ بَعْدَ الشِّرْكِ أَعْظَمُ مِنْ نُطْفَةٍ وَضَعَها رَجُلٌ في رَحِمٍ لا يَحِلُّ لَهُ»(٤)، وهي أعصى شهواتِه؛ وقدْ فَقَدَ شيخٌ قلبَه عِشرينَ سنةً بقُبْلَةٍ، وبعضُهم أُنْسِيَ القُرآنَ بنَظرةٍ(٥):

---

(١) ثم فرجه. سقط من (هـ).

(٢) رواه البخاري (٥٥٩٣)، ومسلم (٢٠٦٠) من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنه.

(٣) رواه الترمذي (٢٣٨٠)، وابن ماجه (٣٣٤٩) من حديث مقدام بن معدي كرب رضي الله عنه.

(٤) رواه ابن أبي الدنيا في «الورع» (١٣٧)، وابن الجوزي في ذم الهوى (ص ١٩٠) عن الهيثم بن مالك الطائي مرسلًا.

(٥) قال الإمام الشافعي رحمه الله يذكر شكواه إلى وكيع شيخه (من البحر الوافر) «ديوان الشافعي» (ص٧٩):

شَكَوتُ إلَى وَكِيعٍ سُوءَ حِفْظِي فَأَرْشَدَنِي إلى تَرْكِ المعاصِي =

«مَنْ غَضَّ بَصَرَهُ مُنِحَ لَذَّةَ المُناجاةِ»[١]، أو نظرَ هَلكَ، ورعايتُه بورعٍ تامٍّ، وجُوعٍ، وغَيبةٍ عمّا يُشتَهى مع مُراقَبةٍ ومُحاسبَةٍ أو نِكاحٍ بشروطِه وآدابِه ـ وبيَّناهُ في العاداتِ ـ ورُبَّما عَشِقَ فهلكَ، وفقَدَ الصَّبرَ عَن مالٍ أو جاهٍ أو لَعِبٍ لعِشْقِه؛ فيَسهُلُ احترازهُ أوّلًا ويَعزُّ آخرًا.

* * *

= وأخْبَرَنــي بــأنّ العِلْــمَ نُــورٌ ونــورُ اللهِ لا يُهْــدَى لِعاصِــي

(١) لم أقف عليه بهذا اللفظ، لكن روى الحاكم في «المستدرك» (٧٨٧٥) عن حُذيفة رضي الله عنهُ قال: قال رسولُ الله ﷺ: «النّظرةُ سهمٌ من سهام إبليس مسمُومةٌ، فمن تركها من خوف الله أثابهُ جلّ وعزّ إيمانًا يجدُ حلاوتهُ في قلبه»، وأحمد في «المسند» (٢٢٢٧٨) عن أبي أُمامة، عن النّبيّ ﷺ قال: «ما من مُسلمٍ ينظُرُ إلى محاسن امرأةٍ أوّل مرّةٍ، ثُمّ يغُضُّ بصرهُ، إلّا أحدث اللهُ لهُ عبادةً يجدُ حلاوتها».

كتاب آفات لسانه

ويَسلمُ بصَمْتهِ؛ فإنّهُ يَجمعُ همّهُ ويَفرغُ فِكره؛ وهوَ أنواعٌ: صمتُ نفْسِه عَن حدِيثها، وصمتُ الضّمائرِ على حسبِ المقاماتِ والأحوالِ ـ وتفصيلُه يطولُ ـ وصمتُه ظاهرًا مُنوّعٌ: ضَعفًا وتوَهُّمًا ورياضَةً وأدبًا وهَيْبةً وعَجْزًا وقُدرةً وحَيرةً وتوسُّلًا وغَيرةً[٢] وسِتْرًا وغُرورًا؛ وصحَّ: «مَنْ يَضْمَنْ لِي ما بَينَ لَحْيَيهِ وَما بَينَ رِجْلَيهِ أضْمَنْ لَهُ الجَنَّةَ»[٣]. ورُوِيَ: «احْفَظْ عَلَيكَ لِسانَكَ، وَلْيَسَعْكَ بَيْتُكَ، وابْكِ عَلَى خَطِيئَتِكَ»[٤]. «لا يَسْتَقِيمُ إيمانُ عَبْدٍ حَتَّى يَسْتَقِيمَ قَلْبُهُ، ولا يَسْتَقِيمُ قَلْبُهُ حَتَّى يَسْتَقِيمَ لِسانُهُ»[٥]. «وَهَلْ يَكُبُّ النّاسَ عَلَى وُجُوهِهِمْ أو مَناخِرِهِمْ إلّا حَصائِدُ ألسِنَتِهِمْ»[٦]. «مَنْ كَفَّ لِسانَهُ سَتَرَ اللهُ عَورَتَهُ»[٧]. قال ابنُ مسعودٍ رضيَ اللهُ عنهُ: ما شيءٌ[٨] أحوجَ إلى طُولِ سَجْنٍ مِن لسانٍ[٩]. ولبعضهم:

---

(٢) في (ز): عبرةً.

(٣) رواه البخاري (٦٤٧٤) من حديث سهل بن سعد رضي الله عنه.

(٤) رواه الترمذي (٢٦١٧)، وأحمد في «المسند» (١٧٣٣٤) من حديث عقبة بن عامر رضي الله عنه.

(٥) رواه أحمد في «المسند» (١٣٠٤٨)، وابن أبي الدنيا في «الصمت» (٩) من حديث أنس ابن مالك رضي الله عنه.

(٦) رواه الترمذي (٢٤٠٦)، وابن ماجه (٣٩٧٣)، وأحمد في «المسند» (٢٢٠٦٨) من حديث معاذ بن جبل رضي الله عنه.

(٧) رواه ابن أبي الدنيا في «الصمت» (٢١) من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما.

(٨) في (أ): من عبدٍ.

(٩) رواه ابن أبي الدنيا في «الصمت» (١٦).

اللسانُ حيّةٌ مَسكنُها الفمُ[1]. قيل: عِمارةُ اللّسانِ مِحنةٌ، وعِمارةُ القلبِ نِعمةٌ، والنَّدمُ على الكلامِ غالبًا.

فمِن آفاتهِ: ما لا يَعني، ومَن عرفَ قَدْرَ عُمرهِ وأنّ كلامَهُ يُعرَضُ على ربِّهِ تعالى منعَ ما لا يعنيهِ ضرورةً؛ صحَّ: «مِنْ حُسْنِ إسْلامِ المَرْءِ تَرْكُهُ ما لا يَعْنِيهِ»[2]. قيلَ للقمانَ عليهِ السَّلامُ: ما بلغَ مِن حِكْمَتكَ؟ قال: لا أسألُ عمَّا كُفيتُ ولا أتكلَّفُ لِما لا يَعنِيني[3]؛ لأنّهُ كُفْرانُ نِعمةِ نُطقِه.

ومنها: الخَوضُ بذِكْرِ مواضعِ السُّوءِ؛ صَحَّ: «إنّ العَبْدَ لَيتكلَّمُ بِالكَلِمَةِ يَزِلُّ بِها في النَّارِ أبْعَدَ ما بَينَ المَشْرِقِ والمَغْرِبِ»[4].

ومنها: الجدالُ، ويُباحُ منهُ ما لا بُدَّ منهُ فقط، ودواؤهُ قَمعُ كِبْرٍ بعثَ عَليهِ.

---

(١) لم أقف على قائله، لكن قال أبو منصور الثعالبي في «الظرائف واللطائف واليواقيت في بعض المواقيت» (ص١٦٦-١٦٧): قال بعض العرب لرجل وهو يعظه في حفظ اللسان: إياك أن يضرب لسانك عنقك. وقد قيل:

احذرْ لسانَكَ أيُّها الإنسانُ ... لا يلدغنَّكَ إنّه ثُعبانُ

كمْ في المقابرِ من قتيلِ لسانه ... كانت تهابُ لقاءَهُ الفُرسانُ!

وقال أبو محمد بن اليزيدي:

حتفُ الفتى لسانُهُ ... في جِدّه ولعبِهِ

بين اللهات مسكنُه ... ركّب في مركّبِهِ

وقال آخر:

جراحاتُ السِّنانِ لها التئامُ ... ولا يلتامُ ما جرحَ اللسانُ

(٢) رواه الترمذي (٢٣١٧)، وابن ماجه (٣٩٧٦)، وابن حبان في «الصحيح» (٢٢٩) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٣) رواه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (١٨: ١٧).

(٤) رواه البخاري (٦٤٧٧)، ومسلم (٢٩٨٨) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه. وفي (أ): (ينزل) بدل (يزل)، وهي إحدى روايات مسلم.

ومنها: الخُصومةُ، وتَجرُّ إلى المُهلكاتِ، فيَصْدِفُ[١] ذُو الحقّ عنها ما أمكنَهُ.

ومنها: التشدُّقُ، وتكلُّفُ السَّجعِ؛ فَعليهِ وعيدٌ، ويُستثنَى خُطبةٌ ونحوُها ما لم يُسرِفْ.

ومنها: السَّبُّ والفُحشُ؛ فإنّهُ ونحوَه مصدرُ خُبثِهِ ولُؤمِه؛ صحَّ: «الجَنَّةُ حَرامٌ عَلَى كُلِّ فاحِشٍ»[٢]. وصحَّ: «لَيْسَ المُؤْمِنُ بِالطَّعَّانِ وَلا اللَّعّانِ وَلا الفاحِشِ وَلا البَذِيءِ»[٣].

ونُهيَ عَن اللَّعنِ، والطَّعنِ، والنِّياحةِ، والافتخارِ، وثنائهِ على نفْسهِ، والشَّماتةِ، والمنَّةِ بشيءٍ، وانتهارِ يتيمٍ وفقيرٍ وضعيفٍ وسائلٍ ونحوِهم، وسبِّ الرِّيحِ والحُمَّى والدِّيكةِ، والفُحشِ والبذاءِ: وهوَ ذِكْرُ القبيحِ صريحًا، بل يُكنى بلفظٍ جميلٍ.

ومنها: الغِناءُ؛ وفيه زواجرُ.

ومنها: كثرةُ المَزْحِ؛ لأنّه يجرُّ آفاتٍ لا نادرًا قليلًا صِدْقًا تألُّفًا ونحوَه.

ومنها: السُّخريّةُ، وهي احتقارٌ ونحوُه استهزاءً وتنبيهًا على نقائصَ يضحكُ منها يُحاكيهِ بقولٍ أو فعلٍ أو إشارةٍ وإيماءٍ، والكلُّ حرامٌ شرعًا.

ومنها: إفشاءُ السِّرِّ، وإخلافُ الوعدِ، والكذبُ، وفي كُلٍّ وعيدٌ عظيمٌ إلّا

---

(١) أي: يُعرض. وفي غير (ز، ب): فيصرف.

(٢) رواه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (١: ٢٨٨)، وابن أبي الدنيا في «الصمت» (٣٢٢) من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما.

(٣) رواه الترمذي (١٩٧٧)، وأحمد في «المسند» (٣٨٣٩) من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه.

لمصلحةٍ شَرعيّةٍ، والمعاريضُ لحاجةٍ؛ كقولِ بعضِهم لجاريتِهِ إذا طُلِبَ: اطلبوهُ في المسجدِ؛ نجاةً مِن الكذبِ حتى لو حلّفَهُ غريمُهُ بطلاقٍ أو غيرِه، أو حَلّفَهُ القاضِي بطلاقٍ ونوى به غيرَ ما حلفَ عليهِ لم يَحْنَثْ، والقولُ قولُه فيما نوى؛ فلا تكونُ يمينُه على نيّة غريمِهِ[1] إلا بتحليفِ الحاكمِ اليمينَ الشَّرعيّةَ لا بطلاقٍ ونحوِهِ.

ومنها: الغِيبةُ، والزّواجرُ عنها طافحةٌ حتى في آيةٍ نُهِيَ عنها مِن وجوهٍ شتّى: نُهِيَ عَنْ غِيبةِ القَلْبِ ظنًّا، وعَن طلبِ تحقُّقِهِ تجسُّسًا، ومتى رأى عَيبًا حَرُمَ التصديقُ ما احتملَ تأويلًا، ومتى تحقَّق نصحَ حتمًا وسترَ وسكتَ سترًا[2]؛ للنهي عَن التلفُّظ به فاعلًا ومفعولًا؛ حيثُ قال: ﴿بَعْضُكُم بَعْضًا﴾ [الحجرات: ١٢]، وتشْبيهِ المُغْتابِ بأكلِ الميتَةِ وهوَ مُنَفِّرٌ طبعًا وشرعًا، والإتيانِ بهمزةِ الإنكارِ ثُمَّ بلفظِ المحبّةِ، ثُمَّ بقولِه: ﴿أَحَدُكُمْ﴾ كأنّه يقولُ: هلْ يوجدُ أحدٌ في العالَم يُحِبُّ أكلَ الميتةِ، ثُمَّ المُبالغةِ بلحمِ الأخ ثُمَّ بأكلِه. وجهُ المُناسبةِ: إدارةُ حنَكِهِ بالغِيبةِ كالأكلِ، ثُمَّ بقولِه: ﴿مَيْتًا﴾؛ فإنّهُ أبلغُ في النُّفرةِ ثُمَّ التأكيدُ بقولِهِ: ﴿فَكَرِهْتُمُوهُ﴾، ثُمَّ التّعريفُ بأنّ مِنَ التَّقْوى تركَ ذلكَ، ثُمَّ التَّحريضُ على التَّوبةِ بقولِه: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ﴾ [الحجرات: ١٢]. وصحّ: «إنَّ دَماءَكُمْ وأَمْوالَكُمْ وأعْراضَكُمْ عَلَيكُمْ حَرامٌ»[3].

وَنواهيها مشهورةٌ جِدًّا؛ فما ظنُّك بكلمةٍ لا تسلمُ منها بتوبةٍ للمظلمةِ حتى تبرأ؛ فهِيَ أشدُّ على النَّفسِ من الرِّبا[4] والزّنا، وتمزجُ البحرَ وتنقلُ حسناتِكَ لغيركَ،

---

(١) من (غريمه) المتقدم إلى (غريمه) هنا سقط من (أ)، ولعله سبق نظر من الناسخ.

(٢) من قوله: (ومتى تحقق...) إلى هنا غير مثبت في (ز).

(٣) رواه البخاري (١٧٣٩) من حديث عبد الله بن عباس رضي الله عنهما.

(٤) في (ب): الرياء.

وتُعذَّب بذنوبهِ التي تَحمَّلْتها بغِيبتِه، وإدامُ كلابِ النّارِ، وعرَّضَتْكَ لسَخطِ اللهِ تعالى ومَقْتِه، وكان اللهُ تعالى فيها خَصمكَ، ويُقالُ: لَيتكَ اسْتَحْيَيتَ مِنَ الله كاسْتِحيائِكَ مِن مخلوقٍ لا تغتابهُ بحضرتـه، إلى غَيرِها مِنْ آفاتٍ وفضائحَ. نسألُ الله تعالى العافيةَ.

وتجرُّ الغِيبةُ زيادةً على ما في المذكور، فتصير بُهتانًا كما يجرُّ ما لا يعني إلى غِيبةٍ والعياذُ باللهِ تعالى. وهي ذِكْرُ مُسْلمٍ غيرِ مُعْلِنٍ بفُجورهِ في غَيبتهِ بما يَكرهُ، ولو بِغَمْزٍ أو كنايةٍ وإشارةٍ ونحوِها؛ لا نُصحًا لطالبِ شيءٍ لا يعلمُ عيبَه، واستعانةً على رَدِّ مظلمةٍ ونحوِها لمُغيِّرِ المُنكرِ فقطْ، وذا لَقَبٍ لا يُعرفُ إلّا به. وذكرْنا شيئًا منه في الصَّومِ فليتأمَّلْ.

وضابطُها: تفهيمُك مَن تُخاطبهُ نقصَ إنسانٍ ويضمُّ بعضُهم إليها نفاقًا: فُلانٌ بخَيرٍ إلّا بِهِ آفةٌ؛ عافانا الله منها ممّا لا يخفى، وسامعُها شريكُه ما لم يُنكرها بلسانهِ، ومع خوفهِ فبقلبهِ، وعليهِ قطعُها بكلامٍ وإلا ينصرف؛ فإنْ عجزَ لَزِمه شَغلُ قلبهِ ولسانهِ عنها[1]؛ رُويَ: «مَنْ أُذِلَّ عِنْدَهُ مُؤْمِنٌ، وَهُوَ قادِرٌ عَلَى أَنْ يَنْصُرَهُ وَلَمْ يَنْصُرْهُ؛ أَذَلَّهُ اللهُ عَلَى رُؤُوسِ الخَلائِقِ»[2]. ورُويَ: «مَنْ حَمَى مُؤْمِنًا مِنْ مُنافِقٍ يَغْتابُهُ بَعَثَ اللهُ لَهُ مَلَكًا يَحْمِي لَحْمَهُ يَومَ القِيامَةِ مِنْ نارِ جَهَنَّمَ»[3]. ولو رُدّت كلمةُ سفيهٍ في فيهِ لسعِدَ بها رادُّها كما شَقِيَ بها قائلُها، وذكرنا ما للمُسلمِ على المسلمِ في الصُّحبةِ.

---

(١) في هامش (د): بلغ مقابلة ولله الحمد.

(٢) رواه أحمد في «المسند» (١٦٠٢٨) من حديث سهل بن حنيف رضي الله عنه. وفي (هـ، و، ز): يقدر بدل: قادر. وهي لفظ إحدى نسخ «المسند».

(٣) رواه أبو داود (٤٨٨٣)، وأحمد في «المسند» (١٥٦٤٩) من حديث معاذ بن أنس رضي الله عنه.

وبواعثُ الغِيبةِ: التشفِّي، أو موافَقَةٌ[١] لذاكِرها، أو رفعةٌ لنفسه، أو حسدٌ، أو لعبٌ. فهذهِ بواعثُ فاسِدةٌ.

علاجُها: شُغْلهُ عنها بفِكْرٍ في وعيدِها، وإصلاحُ نفسهِ، وشُكْرُ سلامتِه. وغِيبةُ قلبهِ بسوءِ ظنِّه، وصحَّ أنَّهُ أكذَبُ الحديثِ[٢].

وعلامتهُ: الفُتورُ عَن مُراعاتِه؛ فيَزيدُ في بِرّه لإرغامِ العدُوِّ، ولو انكشفَ حرُمَ تصديقُه ما احتمَلَ تأويلًا.

والتَّجسُّسُ؛ لأنّه يُوصِلُ[٣] إلى هتكِ المُسلمِ؛ وصحّ: «مَنْ سَتَرَ مُسْلِمًا سَتَرَهُ اللهُ، وَمَنْ هَتَكَ مُسْلِمًا هَتَكَهُ اللهُ»[٤]، وإذا تحققَ نَصحَهُ سِرًّا، ومَن شَمِتَ ابتُليَ، ويبرأُ مِن إثمِها باستحلالهِ مُبيّنًا ومُبهمًا أسلمُ ما لم تبلغْهُ، ومع موتهِ أو خوفِ فتنةٍ يستغفرُ لهُ ويدعو ويُثني ويبرُّه[٥].

ومنها النَّميمةُ: نقْلُ مَكروهٍ ليُفسِدَ.

وضابطُها: كشفُ ما يُكرهُ مِن شيءٍ بكلِّ ما يُفْهَمُ، وهيَ أُمُّ الفتنِ، وعلى سامعِها إنْ جَهِلَ كونَها نميمةً أو نُصحًا أن يتوقف حتمًا؛ فإنْ تبيّنَ أنّها نميمةٌ

---

(١) في (د): بالنصب، وما عطف عليها.

(٢) روى البخاري (٦٠٦٤)، ومسلم (٢٥٦٣) عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ، قال: «إيّاكُم والظّنّ؛ فإنّ الظّنّ أكذبُ الحديث، ولا تحسّسُوا، ولا تجسّسُوا، ولا تنافسُوا، ولا تحاسدُوا، ولا تباغضُوا، ولا تدابرُوا، وكُونُوا عباد الله إخوانًا».

(٣) في (أ، ب، د): توصِّلُ.

(٤) لم أقف عليه بهذا اللفظ، لكن روى ابن ماجه نحوه من حديث عبد الله بن عباس رضي الله عنهما، عن النبي ﷺ قال: «من ستر عورة أخيه المُسلم، ستر اللهُ عورتهُ يوم القيامة، ومن كشف عورة أخيه المُسلم، كشف اللهُ عورتهُ، حتّى يفضحهُ بها في بيته».

(٥) في (هـ): وينزه.

فعليهِ ألّا يُصدِّقه لفسقهِ بها، ثُمَّ ينهاهُ عنها وينصحهُ، ثُمَّ يُبغضهُ في اللهِ ما لم يتُبْ، ولا يظنّ بأخيهِ الغائبِ سوءًا. ويحرمُ بحثُه عنها وحكايةُ ما نُقل إليهِ كيلا ينتشرَ التباغضُ؛ قيلَ: يُفْسِدُ النّمامُ في ساعةٍ ما لا يُفْسِدُه السّاحرُ في شهرٍ[1].

ومنها كلامُ ذِي الوجْهينِ: يأتي هؤلاءِ بوجْهٍ وهؤلاءِ بوجهٍ، وصحّ: «إنَّهُ شَرُّ النّاسِ»[2] ما لم يضطرَ لهُ؛ كقولِ أبي الدَّرداءِ رضيَ اللهُ عنهُ: إنّا لَنَكْشِرُ في وُجُوهِ أقْوامٍ، وإنَّ قُلُوبَنا لَتَلْعَنُهُمْ[3].

ومنها المدحُ: وآفاتُه إفراطٌ؛ فيهِ رياءٌ، قولٌ بلا عِلْمٍ، ومتى كذبَ فِيه فنفاقٌ ـ رويَ: «إنَّ اللهَ تَعالَى يَغْضَبُ إذا مُدِحَ الفاسِقُ»[4]، وقيلَ: «مَنْ دَعا لِظالِمٍ بالبَقاءِ فَقَدْ أحَبَّ أنْ يُعْصَى اللهُ تَعالى»[5] ـ ويُثمرُ في الممدوحِ كِبْرًا وعُجبًا، وهما مُهلكانِ؛ قال رسولُ اللهِ ﷺ لمادحٍ: «وَيْلَكَ! قَطَعْتَ عُنُقَ صاحِبِكَ»[6].

وَمَدْحٌ فُقدتْ آفاتُه سُنّةٌ، ويحترزُ الممدوحُ مِن كِبْرٍ وعُجْبٍ وفُتورٍ بفِكْرٍ في

---

(١) رواه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (٣: ٧٠) من قول يحيى بن أبي كثير رحمه الله.

(٢) روى البخاري (٦٠٥٨)، ومسلم (٢٥٢٦) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «إنّ شرّ النّاس ذو الوجهين: الّذي يأتي هؤلاء بوجهٍ وهؤلاء بوجهٍ».

(٣) رواه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (١: ٢٢٢)، وابن أبي الدنيا في «الحلم» (١٠٩)، وفي «مداراة الناس» (١٩).

(٤) رواه أبو يعلى الموصلي في «معجمه» (١٧١)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٤٥٤٤) من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه.

(٥) رواه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (٧: ٤٦) من قول سفيان الثوري رحمه الله، ومن قول يوسف بن أسباط رحمه الله (٨: ٢٤٠)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٨٩٨٦) من قول الحسن البصري رحمه الله.

(٦) رواه البخاري (٢٦٦٢)، ومسلم (٣٠٠٠) من حديث أبي بكرة رضي الله عنه.

عَيبِهِ، ويجبُ ظُهورُ كراهتِه لمادحِه، ومَتَى كرِهَ بباطنِهِ فكمالٌ؛ قال رجلٌ أُثنيَ عليهِ: اللهُمَّ، إنّ هؤلاءِ لا يعرفوني وأنتَ تعرفُني[١].

ومنها: زَلَلُـهُ بقراءةٍ وروايةٍ ونحوِهما، وكشَهِدَ اللهُ، وعَلِمَ اللهُ ونحوِهما، وفي بعضِها كُفْرٌ؛ قيل: أيُّ وجهٍ لمسألةِ: ﴿لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَا﴾ [البقرة: ٢٨٦] ونحوِها، وقد عفا إجماعًا، ومسألةُ مغفرةِ ذنوبِ كُلِّ الأُمّة ونحو هذا، وقد ثبت مؤاخذةُ بعضِهم إجماعًا، فتُنافِي مسألتَه ما ثبتَ بالسَّمعِ وهو مغفولٌ عنهُ؛ فتأمَّلهُ ونظائرَه. ومنعَهُ بعضُ المالكيةِ[٢] وحملَ مسألةَ السَّلفِ بـ﴿لَا تُؤَاخِذْنَآ ...﴾ الآيةَ على مُجرَّدِ الذِّكْرِ فقطْ، ورُدَّ بقولِ الملائكةِ: ﴿فَٱغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُواْ﴾ [غافر: ٧] معَ ثُبوتِ المغفرةِ للتّائبينَ، وبـ﴿وَءَاتِنَا مَا وَعَدتَّنَا عَلَىٰ رُسُلِكَ﴾ [آل عمران: ١٩٤]، وسؤالِ الوسيلةِ ونحوِه.

وقد يُجابُ عنهُ: بأنّ سؤالَ الملائكةِ تعليمًا للدّاعي كيلا يسأل مُستحيلًا، وجوابُ ﴿وَءَاتِنَا مَا وَعَدتَّنَا﴾ [آل عمران: ١٩٤]، طلبًا لخاتمةِ خيرٍ ليصدُقَ عليهم الوعدُ لا شكًّا فيهِ، وسؤالُ الوسيلةِ لنَيلِ شفاعتهِ كما صحّ[٣]؛ فلا يسألُ ما يُنافي ما ثبتَ، وسبقَ في آدابِ الدُّعاءِ، ويقصدُ بـ: ﴿لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ﴾؛ أي: تَرَكْنا ﴿أَوْ أَخْطَأْنَا﴾؛ أي: قَصَدْنا مَنهيًّا، كيلا يسأل عَبثًا.

---

(١) رواه ابن أبي الدنيا عن جعفر بن زيد الضبعي يذكر أن رجلًا مر بمجلس، فأُثني عليه خير، فلما جاوزهم قال: اللهم إن هؤلاء لم يعرفوني وأنت تعرفني. كما في «تخريج أحاديث إحياء علوم الدين» (٤: ١٧٨٣).

(٢) ينظر: «شرح المنهج المنتخب إلى قواعد المذهب» للمنجور أحمد بن علي المنجور (١: ٤٣٠).

(٣) رواه مسلم (٣٨٤) من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه.

ونُهِيَ عَن: ما شاءَ اللهُ وشئتَ، وليقُلْ: ما شاءَ اللهُ ثُمَّ شِئتَ[١]، ولولا الله ثُمَّ فلانٍ[٢]، وعَن قولِ: ومَن يَعصِهِما فقدْ غَوَى؛ لقولهِ ﷺ: «قُلْ: وَمَنْ يَعْصِ اللهَ وَرَسُولَهُ»[٣]، وعَن إضافةِ الشَّر إلى الله تعالى تأدُّبًا؛ لقولهِ ﷺ: «والشَّرُّ لَيسَ إلَيكَ»[٤]، ونسبةُ الخليلِ عليهِ الصَّلاةُ والسَّلامُ المرضَ إلى نفْسِه والشفاءَ إلى ربّه تعالى، وعَيبُ السَّفينةِ إلى الخَضِرِ عليهِ السَّلامُ، وإصلاحُ الجدارِ إليه تعالى ونحو هذا.

ونُهِيَ عَن: عَبْدِي وأمَتِي، وأُمرَ بغُلامي وجاريتي[٥]، وعَن خَبُثَتْ أو جاشَتْ ـ أي: غثَتْ ـ نفْسِي[٦]، وأُمِرَ بلَقَستْ نفْسِي تأدُّبًا[٧]، وعَن العنبِ كرمًا[٨]، وعَن

(١) روى ابن ماجه (٢١١٧) عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا حلف أحدُكُم فلا يقُل: ما شاء اللهُ وشئت، ولكن ليقُل: ما شاء اللهُ، ثُمّ شئت».

(٢) روى إسحاق بن راهويه في «المسند» (٢٤٠٩) عن عبد الله بن يسار الجهني قال: أخبرتني امرأة منا أنها سمعت النبي ﷺ يخطب وهو يقول: «لا يقُولُ أحدُكُم: لولا اللهُ وفلانٌ، فإن كان لا بُدّ فاعلًا فليقُل: ولولا اللهُ ثُمّ فُلانٌ».

(٣) رواه مسلم (٨٧٠) من حديث عدي بن حاتم رضي الله عنه.

(٤) رواه مسلم (٧٧١) من حديث علي بن أبي طالب رضي الله عنه.

(٥) روى البخاري (٢٥٥٢)، ومسلم (٢٢٤٩) عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لا يقُل أحدُكُم: أطعم ربّك، وضّئ ربّك، اسق ربّك، وليقُل: سيّدي مولاي، ولا يقُل أحدُكُم: عبدي أمتي، وليقُل: فتاي وفتاتي وغُلامي».

(٦) روى أبو داود (٤٣٢٧) عن عائشة رضي الله عنها عن النبي ﷺ قال: «لا يقُولنّ أحدُكُم: جاشت نفسي، ولكن ليقُل: لقست نفسي». وفي (ز): أو غثت نفسي.

(٧) روى البخاري (٦١٧٩)، ومسلم (٢٢٥٠) عن عائشة رضي الله عنها، عن النبي ﷺ قال: «لا يقُولنّ أحدُكُم: خبُثت نفسي، ولكن ليقُل: لقست نفسي».

(٨) روى البخاري (٦١٨٢)، ومسلم (٢٢٤٧) عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تُسمُّوا العنب الكرم؛ فإنّ الكرم الرّجُلُ المُسلمُ».

مُطِرْنا بنوءِ كذا[١]، ويكفُر به لو اعتقدَهُ أو نجمًا فاعلًا، وعَن الحَلفِ بغير الله تعالى وسواءٌ العرشُ ونحوُه[٢]، وعَن قولِ: إنْ فعلتُ كذا فأنا يهوديٌّ أو نصرانيٌّ أو بريءٌ مِن الإسلامِ؛ فإنْ نوى حقيقةَ خُروجهِ كَفَرَ[٣]، أو لم ينوهِ عَصَى، وعَن قولِه لمُسلمٍ: يا كافر[٤]، وبلا تأويلٍ يكفرُ، وبدُعائه على مُسلمٍ بسلبِ إيمانِه إن رضيَهُ وإلّا عصى، ونُهِيَ عَن تَسْمِيَة شاهانْ شاهْ؛ معناهُ: مَلِكُ المُلوكِ[٥]، وعَن دعوى الجاهليةِ[٦]، وعَن تسميةِ مَكْسٍ ونحوِه حقًّا ولو اعتقدَهُ مع عِلْمِ تحريمهِ كفرَ، وعَن سُؤالِ المغفرةِ للكافرِ، وعَن قولهِ لمسلمٍ: يا كلبُ ونحوَه؛ لأنّهُ كذِبٌ

(١) روى مسلم (٢٤٠) عن زيد بن خالد الجهني رضي الله عنه، قال: صلى بنا رسول الله ﷺ صلاة الصبح بالحديبية في إثر السماء كانت من الليل، فلما انصرف أقبل على الناس فقال: «هل تدرُون ماذا قال ربُّكُم؟». قالُوا: الله ورسُولُهُ أعلمْ. قال: «قال: أصبح من عبادي مُؤمنٌ بي وكافرٌ: فأمّا من قال: مُطرنا بفضل الله ورحمته، فذلك مُؤمنٌ بي وكافرٌ بالكوكب، وأمّا من قال: مُطرنا بنوء كذا وكذا، فذلك كافرٌ بي مُؤمنٌ بالكوكب».

(٢) روى البخاري (٢٦٧٩)، ومسلم (١٦٤٦) عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما: أن النبي ﷺ قال: «من كان حالفًا فليحلف بالله أو ليصمُت».

(٣) روى أبو داود (٣٢٠٠) عن بريدة رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ: «من حلف فقال: إنّي بريءٌ من الإسلام؛ فإن كان كاذبًا فهُو كما قال، وإن كان صادقًا فلن يرجع إلى الإسلام سالمًا».

(٤) روى البخاري (٦١٠٤)، ومسلم (٦٠) عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما: أن رسول الله ﷺ قال: «أيُّما رجُلٍ قال لأخيه: يا كافرُ، فقد باء بها أحدُهُما».

(٥) روى البخاري (٦٢٠٦)، ومسلم (٢١٤٣) عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «أخنعُ اسمٍ عند الله رجُلٌ تسمّى بملك الأملاك». قال سفيان: يقول غيره: تفسيره شاهان شاه.

(٦) روى البخاري (١٢٩٤)، ومسلم (١٠٣) عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: أن النبي ﷺ قال: «ليس منّا من لطم الخُدُود، وشقّ الجُيُوب، ودعا بدعوى الجاهليّة».

وإيذاءٌ، وعَن تناجي اثنينِ معهُما ثالثٌ وحدَه بغيرِ إذنهِ[١]، وعَن وصفِ امرأةٍ حُسْنَ أُخرى؛ لنحْوِ زوجِها بلا حاجةٍ شرْعيّةٍ[٢]، وسؤالِ الرَّجُلِ فيما ضرَبَ امرأتَه[٣]، وتذكيرِ مَنْ غَضبَ بالله ورسولِه لِئلّا يفتنهُ غضبُه، ويُكرهُ ذِكْرُ المُصيبةِ لغيرِ مَن ينفعهُ فيها، وسؤالُه بوجْهِ الله تعالى غيرَ الجنّةِ[٤]، ومنعُ مَنْ سألَ بالله تعالى أو تشفَّعَ به، وقولُه لرجلٍ: أطالَ اللهُ بقاءكَ، والتحدُّثُ بكلِّ ما يسمعُ[٥]، وسؤالُ العوامِّ عَنِ العُلومِ الغامضةِ والصِّفاتِ وبحثُهم عنها، بل عليهم الإيمانُ والتسليمُ.



(١) روى البخاري (٦٢٨٨) عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما: أن رسول الله ﷺ قال: «إذا كانُوا ثلاثةً فلا يتناجى اثنان دُون الثّالث».

(٢) روى البخاري (٥٢٤٠) عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، قال: قال النبي ﷺ: «لا تُباشر المرأةُ المرأة فتنعتها لزوجها، كأنّهُ ينظُرُ إليها».

(٣) روى أبو داود (٢١٤٧) عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: «لا يُسألُ الرّجُلُ فيما ضرب امرأتهُ».

(٤) روى أبو داود (١٦٧١) عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما، قال: قال رسول الله ﷺ: «لا يُسألُ بوجه الله إلّا الجنّةُ».

(٥) روى أبو داود (٤٩٩٢) عن أبي هريرة رضي الله عنه: أن النبي ﷺ، قال: «كفى بالمرء إثمًا أن يُحدّث بكُلّ ما سمع».

كتاب ذم الغضب ونتائجه

وهوَ شُعْلَةُ نارٍ، صفةٌ شيطانيّةٌ؛ لأنّهُ منها وآدمُ عليهِ السلامُ مِن الطِّينِ؛ فالنارُ تُشْعِلُ[١] والطِّينُ ساكنٌ، ونُهيَ عَن الغضبِ مُكرَّرًا، وصحَّ: «إنَّما الشَّدِيدُ الَّذِي يَمْلِكُ نَفْسَهُ عِنْدَ الغَضَبِ»[٢]، وبه أقدرُ ما يكونُ الشَّيطانُ، وبعجلةٍ منهيّةٍ وبحِدَّةٍ وشُحٍّ ونساءٍ. قيل: الغضبُ يُفسِدُ الإيمانَ كَما يُفْسِدُ الصَّبرُ العَسلَ[٣].

وَحَقِيقَتهُ: غَلَيانُ دَمِ القَلْبِ بنارِ غَضَبِه على مَنْ دُونَه، فيَحمرُّ ظاهرُه بانتشارِ دمِهِ، وعلى مَنْ فوقَهُ فيصفَرُّ وينقبضُ دمُه حُزنًا، فيَصيرُ حِقدًا، وعلى مثلِه فيَحمرُّ ويصفَرُّ لتردُّدِه فيه؛ فإفراطُهُ يمنعُ سياسةَ الشّرعِ؛ لأنّهُ يُغَطِّي فِكْرَه وبصرَه؛ فلو رأى صُورتَه وفعلَه وتغيُّرَهما لأنِفَ لنفْسِه وباطنُه أقبحُ، وربّما قَوِيَ غضبُه فقَتلَهُ أو ضَعُفَ غضبُه فمنعَ الرّياضةَ وغيرَها، وباعتدالِهِ تتمُّ المصالحُ؛ دفعًا ونفعًا[٤]، ويتقي غضبَه وحلمَه بمقتَضَى الشَّرعِ، وشفاءُ كُلِّ عِلّةٍ بضدّها بلا إسرافٍ؛ فاقمعْ أسبابَ الغضبِ مِن كِبْرٍ وفَخرٍ ومزحٍ وهُزءٍ وتعييرٍ ومُماراةٍ ومُضادَّةٍ[٥] وغَدْرٍ وحِرْصٍ على فُضولِ مالٍ أو جاهٍ؛ فاعرفْ ضررَ[٦] كُلِّ عِلّةٍ[٧] لتَسْلى وفوائدَ

---

(١) في (هـ، و): تشتعل.

(٢) رواه البخاري (٦١١٤)، ومسلم (٢٦٠٩) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٣) رواه تمام في «فوائده» (٦٠٥) من حديث معاوية بن حيدة رضي الله عنه مرفوعًا.

(٤) قوله: (دفعًا ونفعًا) مثبت من (هـ، و).

(٥) في النسخ: ومضاددة.

(٦) في (ب، ج): أصل.

(٧) ما بين العلتين سقط من (ج)، شفانا الله وعافانا من كل علة وبلية.

أضدادِها لتقْوَى؛ فإذا غضبتَ تَثَبَّتْ ثُمَّ تَذكَّرْ[١] فضلَ كظمِ الغَيظِ ونحوِه، وأحْسِنْ تَفُزْ بما أخبَر به اللهُ تعالى أنّهُ: ﴿يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٤] [٢]، وأنّهُ: ﴿لَمَعَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [العنكبوت: ٦٩]، أو فاعفُ ولا تُقابِلْ فتُقابَلْ؛ فإنّها صفةُ البهائمِ، وكذا اقتصارُكَ في الإحسانِ على مَنْ أحسنَ إليكَ، وسَبقَ شيءٌ في الصُّحبةِ وغيرِها فتأمَّلْهُ.

وشأنُ القومِ طاعةُ اللهِ تعالى فيمَنْ أساءَ إليهمْ ليَسْلبُوهُ بُغْضَهُمْ، ويُمنحُ بحُسْنِ خُلقِهِمْ حُبّهمْ؛ عِتْقُ ألفِ رقَبةٍ لا تَقُومُ بِعتْقِكَ مؤمنًا مِن أسْرِ بُغضكَ ونحوِه بتَواترِ إحْسانِكَ الصّافِي قولًا وفِعلًا ونيّةً، وبمثلِ هذِهِ يَعْدِلُ الرّجُلُ أهْلَ عَصْرِه، وكُلَّما زادَ الجفاءُ زادَ فَضْلُ الوفاءِ؛ فاشكُرْ وُجودَهُما لتنالَ أعظمَ منهُ: محبَّةَ الله تعالى للمُحْسِنين، وأنّهُ معكَ، وتخلُّقكَ بخُلُقِهِ تعالى، ومُضاعَفةَ إحسانِه أضعافًا كثيرةً، وتغيُّرَ مُنكر بُغضِه بالإحْسانِ، ومخالفةَ الشيطانِ، ومتَى علمَ الشَّيطانُ منكَ أنّهُ كُلَّما وَسْوَسَ بجفاءٍ بادَرْتَ الوفاءَ صارَ أكبر كيدِهِ أن لا يأتيكَ كي يمنعكَ مُخالفتَه، ثُمَّ تفكَّرْ في ضررِ العَداوةِ دُنيا وخوفَ مَقْتِه تعالى وضرَرِ دينِ مُعادِيكَ بإضمارِ السُّوءِ، وتَأنّفْ لنفسكَ مِن تغيُّر صُورتكَ وتسويلِ الشَّيطانِ بقولِهِ: منْ لم يكُنْ ذِئبًا أكلتْهُ الذِّئابُ، بل في تنفيذِ غَضَبِكَ العذابُ؛ يُنادَى يومَ القيامةِ: «لِيَقُمْ مَنْ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلَى اللهِ؛ فلا يقُومُ إلا مَنْ عَفا»[٣]؛ رُوِيَ: «ما زادَ اللهُ عَبْدًا بعَفْوٍ إلّا عِزًّا»[٤]. ومعناهُ: إسقاطُ الحقِّ بالكظْمِ، ثُمَّ الحِلْمِ،

---

(١) في (أ، د، ز): تفكر.

(٢) والآية هي قوله جل وعلا: ﴿وَٱلْكَـٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾.

(٣) رواه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (٩: ٢٠٣)، والخرائطي في «مكارم الأخلاق» (٣٩٢) عن الحسن البصري رحمه الله مرسلًا.

(٤) رواه مسلم (٢٥٨٨) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

ثُمَّ العَفْوِ، ثُمَّ الإحسانِ؛ فاخترْ لنفسكَ ما يحلُو، ومتى ضررتَ عدوَّك بما ضرّ دينكَ فبنفسكَ بدأتَ، ثُمَّ توضَّأ لتُطفئَ نارَ غضبكَ، وضَعْ خدَّك بالأرْضِ ليَذْهَبَ كِبركَ، واستعذْ بالله واجلسْ، وإن كُنتَ جالسًا فاضطجعْ؛ فقد أُمِرَ بكُلِّ ذلكَ[1]. ولا تُعادي أحدًا إنْ كان اللهُ لهُ فلا حاجةَ لكَ بمُعاداتهِ، وإن كان اللهُ عليهِ فيَكفِيكَهُ، وإنْ جهلتَ أمرَهُ فاترُكْهُ لاحتمالِ أن يكونَ اللهُ له.

والحِقْدُ ثمرةُ الغضبِ، ويُثمرُ الحِقدُ الحَسدَ ومَزيدَ الشَّماتةِ وهَجْرَ المسلمِ ومُصادمَتَهُ وإعراضًا عنهُ وقولًا فيهِ؛ مِن غيبةٍ وكذبٍ وإفشاءِ سرٍّ وهَتْكِ سِتْرٍ واستهزاءٍ وسُخريّةٍ وضربٍ وإيلامٍ ومنعِ حُقُوقٍ، وكُلُّ ذلكَ حَرامٌ؛ فيزيدُ في إحْسانِه لِما سبقَ مُجاهدةً لنفسهِ وإرغامًا للشيطانِ ويُزيلُ حِقْدهُ رعايةً لحقِّ المُسلمِ.

والرِّفقُ ثمرةُ حُسنِ الخُلقِ، وفِي الحسدِ وعيدٌ عظيمٌ، وهو تمنّي زوالَ النِّعمةِ، رأى موسَى عليه السَّلامُ رجُلًا عندَ العرشِ لفَقْدِ حَسَدِه ونميمَتِه وعُقوقِه[2]، وإبليسُ بحَسَدِه صارَ إلى ما صارَ؛ فأقوى أسبابِ الحَسَدِ العَداوةُ، وتُثمرُ التّنازُعَ وضياعَ العُمرِ.

---

(١) روى ابن حبان في «صحيحه» (٥٦٨٨) عن أبي ذرٍّ رضي الله عنه: أنّ رسول الله ﷺ قال: «إذا غضب أحدُكُم وهُو قائمٌ فليجلس، فإن ذهب عنهُ الغضبُ، وإلّا فليضطجع».
وروى البخاري (٣٢٨٢) عن سليمان بن صرد، قال: كنت جالسًا مع النبي ﷺ ورجلان يستبّان، فأحدهما احمرّ وجهُه، وانتفخت أوداجه، فقال النبيُّ ﷺ: «إنّي لأعلمُ كلمةً لو قالها ذهب عنهُ ما يجدُ؛ لو قال: أعُوذُ بالله من الشّيطان ذهب عنهُ ما يجدُ».
روى الترمذي (٢١٩١) عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «ألا إنّ الغضب جمرةٌ في قلب ابن آدم؛ ألا ترون إلى حُمرة عينيه وانتفاخ أوداجه؟ فمن وجد من ذلك شيئًا فليُلصق بالأرض».

(٢) رواه أبو نعيم في «الحلية» (٤: ١٤٩)، وابن أبي الدنيا في «الصمت» (٢٦٥)، وابن أبي الجعد في «مسنده» (٢٥٣٦) عن عمرو بن ميمون، قال: لما تعجل موسى عليه السلام =

ومنها: خوفهُ مِن تكبُّرِ غيرِه بنعمةٍ قيِّمةٍ فيتمَنى زوالَها ليقعَ التّساوي، أو عَن خادمٍ ونحوِه؛ كيلا يتَرفَّعَ عن مُتابعتِهِ.

ومنها: تعَجُّبهُ مِن رُتْبَةٍ خُصَّ بها غيرُه.

ومنها: خوفُ فوتِ المقاصدِ، وتختصُّ بتزاحُمِهم على مقصودٍ واحدٍ؛ كالتّلامذةِ ونحوِهم، وأمّا الغِبطةُ ومحبّةُ نهايةٍ لا تُدرَكُ فحسنٌ.

ومنها: حُبُّ الرئاسةِ؛ فمَن تفرّد بفنٍّ أو أحبَّ الرئاسةَ صارتْ حالتُه إذا سمعَ في أقصى العالَمِ بنظيرٍ أحبَّ موتَهُ أو زوالَ تلكَ النِّعمةِ.

ومنها: خُبْثٌ في الباطنِ فيسوؤه وصفُ أحدٍ بكمالٍ مع أنّهُ لا يُعاينُه، ويسرُّه نقائصُ الناسِ؛ يُحبُّها لهم ويبخلُ بنعمةِ الله عليهِم.

فهذهِ أسبابُ الحسَدِ، ومَنْشَؤها حُبُّ الدّنيا لِضيقِها؛ فارحَمْ نفسكَ بنعيمٍ لا زحامَ فيهِ؛ معرفَةَ الله تعالى وعَجائِب ملكُوتهِ، وبها تُدركُه في الآخرةِ[1]، ومَن

= إلى ربه رأى رجلًا في ظل العرش، فغبطه بمكانه، وقال: إن هذا لكريم على ربه عز وجل، فسأل ربه أن يخبره باسمه، فلم يخبره، فقال: لكن سأنبئك من عمله؛ كان لا يحسد الناس على ما آتاهم الله من فضله، ولا يمشي بالنميمة، ولا يعقّ والديه.

(١) قال الإمام الغزالي رحمه الله في «الإحياء» (٣: ١٩٢): أما الآخرة فلا ضيق فيها، وإنما مثال الآخرة نعمة العلم فلا جرم من يحب معرفة الله تعالى ومعرفة صفاته وملائكته وأنبيائه وملكوت سمواته وأرضه لم يحسد غيره، إذا عرف ذلك أيضًا؛ لأن المعرفة لا تضيق على العارفين بل المعلوم الواحد، يعلمه ألف ألف عالم ويفرح بمعرفته ويلتذ به، ولا تنقص لذة واحد بسبب غيره، بل يحصل بكثرة العارفين زيادة الأنس وثمرة الاستفادة والإفادة؛ فلذلك لا يكون بين علماء الدين محاسدة؛ لأن مقصدهم معرفة الله تعالى، وهو بحر واسع لا ضيق فيه وغرضهم المنزلة عند الله، ولا ضيق أيضًا فيما عند الله تعالى؛ لأن أجلّ ما عند الله سبحانه من النعيم لذةُ لقائه وليس فيها ممانعة ومزاحمة، ولا يضيق بعض الناظرين =

قلّتْ فيها رَغبتُه فليسَ برجلٍ؛ إذ شوقُهُ بعد ذوقِهِ، وما لم يَذُق لم يَعرفْ، وما لم يَعرفْ لم يَشتقْ، وما لم يَشتقْ لم يَطلُبْ، وما لم يَطلُبْ لم يُدركْ، ومَن لم يُدركْ بَقِي مَعَ المحرومينَ.

وشفاءُ قلبكَ مِن مَرضِ الحسدِ بعِلْمٍ، ثُمَّ عملٍ، وأنّهُ يضرُّكَ دينًا ودُنيا، ونفعٌ للمحسودِ فيهما؛ فارَقتَ بحسدكَ الأنبياءَ والصُّلحاءَ وشاركتَ أعداءَ الله بسَخطِ قضائهِ وكراهةِ ما قَسَمهُ لعبادهِ ومحبّةِ زوالها عن المؤمنِ ونزولِ البلايا به، وربّما وقعتَ فيهِ بِغيبةٍ وغَيرِها فهلكتَ ونَفعْتَهُ بنقْلِ حسناتِكَ إليهِ، أردتَّ زوالَ نعْمتِه فزالتْ عنكَ؛ فَزِدْتَ نعمَتَه نعمْةً وشقاوَتكَ شقاوةً، وصِرتَ في دُنْياكَ بِغَمٍّ دائمٍ؛ إذ لا يُخلِّي الله أعداءَك مِن نعمةٍ، فالعَجبُ مِن عاقلٍ يُسخِطُ ربَّه بحسَدٍ ضَرَّ دينَه ودُنياهُ بلا فائدةٍ، وغايةُ أعدائِكَ هذا وكونَهُم بنعمةٍ وأنتَ بغُمَّةٍ[1]، ورُبّما حَسَدتَ عالمًا فأحبَبْتَ خطأهُ في دينِ اللهِ تعالى وانكشافَه أو بُطلانَ عِلْمهِ بخَرَسٍ أو مَرضٍ، ورأينا مُشتَهيًا مُشْتَفِيًا ابتُلِيَ فصارَ عدُوَّ نفْسِه؛ فتسلَّى بالزُّهد والرِّضا بالقضاءِ.

وتفكَّر فيما بتلكَ النِّعمِ مِن هُمومِ الدّنيا وحسابِ الآخرةِ؛ فلا يضرُّكَ بقيةُ حسدٍ لا تعملُ بهِ[2]، وفيهِ نظرٌ[3]؛ لِما سبقَ مِنَ الإجماعِ على تحريمِهِ،

= على بعض، بل يزيد الأنس بكثرتهم. وقد نقلت عبارة الإمام الغزالي رحمه الله لتوضيح عبارة المؤلف رحمه الله تعالى ولنفاستها.

(١) تصحفت في (أ): إلى نعمة.

(٢) في (أ): تعبأ به.

(٣) قال التاج السبكي رحمه الله في «قواعده» في الكلام على قوله تعالى: ﴿أَمْ يَحْسُدُونَ ٱلنَّاسَ...﴾ الآية [النساء:٥٤]: وفيها دلالة على أن الحسد كبيرة عند من يقول الكبيرة: ما هدد عليه أو توعد به، وفيها دلالة على أنه لم يظهره اللسان بل أضمره الجنان لا يعاقب صاحبه =

وكذا هوَ[١] في «شرحِ مُسْلمٍ»[٢].

وكيفَ تُحسَدُ نِعمةٌ آخرُها الموتُ ثُمَّ الجنّةُ أو النّارُ.

فمَن تفكَّر فيما قلناهُ بقلبٍ حاضرٍ قَمعَ حسدَه، ثُمَّ إذا بعثَه حسَدُه على أذًى كَلّفَ نفْسَهُ ضِدَّ ذلكَ؛ ليُنقذها مِن الحسدِ بمواصلةِ إحسانهِ تواضعًا ومُهاداةً وثناءً ونحوَها، وكلّما فترتْ نفسُه حثَّها بما سَبَقَ في إحسانِها لِمَنْ أساءَ لينالَ الفضْلَ الأعْظمَ بخلاصِ نفْسِه وأخِيهِ مِنْ أسْرِ العَداوةِ ونتائِجها. عَجبتُ لِمَن يَشتري عبدًا نُوبيًّا بمالِه ولا يَشتري الأحرارَ ورضا اللهِ تعالى والآخرةَ[٣] بمعروفِه.

* * *

= إلى يوم القيامة، فلا يعزر في الدنيا ولا يؤاخذ؛ لأنه من أعمال القلوب التي لا اطلاع عليها؛ فلا يؤاخذ بها ما لم يظهره بقول أو فعل. «إتحاف السادة المتقين» للحافظ الزبيدي (٩: ٥٠٢).

(١) في (د، ز) زيادة: هو منقول.

(٢) شرح النووي لصحيح مسلم (٦: ٩٧).

(٣) قوله: (ورضا الله تعالى والآخرة) مثبت من (هـ، و، ز)، وفي (ج): والآخرة.

كتاب ذم الدنيا

جاءَ بِهِ الكتابُ والسُّنَّةُ، وكفَى أنّها لَعِبٌ ولهوٌ وزينَةٌ ودارُ الغُرور وزَهرةٌ، أحسنُ ما تكونُ تُهلِكُ. وعنهُ ﷺ: «ما الدُّنْيا في الآخِرَةِ إلّا كَما يَجْعَلُ أحَدُكُمْ أُصْبُعَهُ في اليَمِّ فَلْيَنْظُرْ بما تَرْجِعْ»، وأشارَ بالسَّبابةِ. «الدُّنْيا سِجْنُ المُؤْمِنِ وَجَنَّةُ الكافِرِ» رواهُما مُسلمٌ[١]. وصحَّ في التِّرمذيِّ: «لَو كانَتِ الدُّنْيا تَعْدِلُ عِنْدَ اللهِ جَناحَ بَعُوضَةٍ ما سَقَى كافِرًا مِنْها شَرْبَةَ ماءٍ»[٢]. والآياتُ والآثارُ بعَيبِها والتزهيدِ فيها، والأمثالُ بها كثيرةٌ جدًّا.

وحُبُّها منبَعُ الهَلَكاتِ، وإنّها كظِلٍّ وسِنَةٍ وحَيّةٍ تخدَعُ ثُمَّ تَقتلُ، مَنْ صحَّ فيها أمِنَ، أو سقِمَ نَدِمَ، أو افْتَقر حَزِن، أو استغنَى فُتِنَ، ورؤيةُ مصائبِها أدَلُّ عليها مِن حكاياتنا[٣]، وما حِلُّهُ حسابٌ وحرامُهُ عقابٌ[٤] يَحِقُّ للعاقِلِ التَّجافي عَن كُلِّ ما عنهُ غِنًى، وإلّا مُنِعَ نعِيمَ الدّارينِ بموتِه وغفلتِه.

والشِّفاءُ: ﴿مَّن كَانَ يُرِيدُ ثَوَابَ ٱلدُّنۡيَا فَعِندَ ٱللَّهِ ثَوَابُ ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِ ...﴾ الآيَةَ [النساء: ١٣٤]، فيُقيَّدُ مُطلقُ ذمِّها برغبَةٍ وفُضولٍ غالبًا ونقصٍ قادحٍ كما سيأتي إنْ شاءَ اللهُ تعالى[٥].

---

(١) صحيح مسلم (٢٨٥٨) الحديث الأول من حديث المستورد رضي الله عنه، والحديث الثاني (٢٩٥٦) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) سنن الترمذي (٢٣٢٠) من حديث سهل بن سعد رضي الله عنه. وفي (ز): ما سُقي كافرٌ.

(٣) في غير (هـ، و، ز): حكاياتها.

(٤) في (ب، ج، ز): عذاب.

(٥) في هامش (ز): بلغ خامسًا.

كتاب ذم البخل وحب المال
وبيان فوائده وآفاته، والحرص والطمع، ومدح القناعة

سمَّى اللهُ تعالى المالَ خيرًا، فقالَ تعالى: ﴿إِن تَرَكَ خَيْرًا﴾ [البقرة: ١٨٠]، وأمرَ بحفظِه[١]، وبهِ صلاحُ الدّارينِ، والذمُّ لكونهِ وسيلةً إلى الآفاتِ؛ قالَ اللهُ تعالى: ﴿إِنَّمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَأَوْلَٰدُكُمْ فِتْنَةٌ﴾ [التغابن: ١٥]، وقال ﷺ: «اللهُمَّ اجْعَلْ رِزْقَ آلَ مُحَمَّدٍ قُوتًا»[٢]؛ هذا خوفُ المأمونِ كيفَ غيرُه؟

وأمّا فوائدُه دُنيًا فمعروفةٌ. وأمّا دِينًا فيُنفقُ في عبادةٍ؛ كحَجٍّ وجهادٍ ونحوِهما، وفِي استعانةٍ عليها بمَطعمٍ وضَرُوراتِ المعيشةِ وفوائدَ دِينيّة. وأمّا صَرْفُه إلى الصَّدقةِ فقدْ سَبقَ فضلُها، وما تقتضيهِ المُروءةُ إلى أغنياءَ وأشرافٍ في ضيافةٍ وهديّةٍ وإعانةٍ وغيرِها فدينيّةٌ، وفضلُها مشهُورٌ، وبه يَكسِبُ إخوانًا وأخلاقًا جميلةً. وأمّا إلى السُّفهاءِ[٣] ونحوِهم وِقايةً لعِرْضِه ودِينِهم مِن هَجْوٍ ونحوِه فحسنٌ، وبذلُه لقائمٍ بمَصالحِهِ ليتفرّغَ للعبادةِ فمُهِمٌّ. وأمّا النّوعُ الثالثُ فصرْفُه لبناءِ المساجدِ والقناطرِ والوقوفِ.

فهذهِ فوائدُه في الدُّنيا سوى خَلاصه مِنْ ذُلِّ السُّؤالِ والفاقَةِ، وكَثْرةِ إخوانِه وعِزٍّ وكرامةٍ ووَقارٍ ومحبّةٍ وباقِي الحُظوظِ.

---

(١) قال تعالى: ﴿وَلَا تُؤْتُوا۟ ٱلسُّفَهَآءَ أَمْوَٰلَكُمُ ٱلَّتِى جَعَلَ ٱللَّهُ لَكُمْ قِيَٰمًا﴾ [النساء: ٥].

(٢) رواه البخاري (٦٤٦٠)، ومسلم (١٠٥٥) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٣) في (د): السفهاء، وفي غير (هـ، و، ز): للسفهاء.

وأمّا آفاتُه فإنّه يُحرّكُ داعيةَ المعاصِي؛ لأنّه نَوعٌ مِنَ القُدرَةِ، والعَجْزُ عِصْمةٌ، وفتنةُ السرّاءِ أعظمُ، ومنها جرُّهُ إلى التنعُّمِ ويَصيرُ عادةً لا يَصبرُ عنها، وقدْ يُذمُّ بكسبِ فيهِ شُبهةٌ، ويتسَلسَلُ إلى مُداهَنَةٍ ونفاقٍ وعَداوةٍ وحَسدٍ وغِيبَةٍ وغيرِها مِنَ الخُلطةِ[١].

ومنها: أنّه يُلْهِيهِ إصلاحُ مالِه عَن صلاحِه؛ إذ أصْلُ العِبادَةِ ذِكْرُ اللهِ تعالَى والفِكْرُ في جلالِهِ وعَظَمتِه، وذلك يَسْتَدْعي قلبًا فارغًا، وأمورُ دُنياهُ مَلكتْهُ حتى في الصَّلاةِ وأودِيةُ أفْكارِ الدُّنيا لا نهايةَ لها، ومَنْ له قُوتُ يومِه فهو في سَلامةٍ مِن جميعِ ذلكَ، وممّا يقاسُونَهُ مِن خوفٍ وحُزْنٍ وهَمٍّ وغمٍّ وتعَبٍ مِنَ الحُسّادِ ومَصاعبِ حِفظِ الأموالِ وكَسْبِها، وفي الآخرةِ مِن طُولِ حسابٍ وغيرِه، وكُلُّ ذلكَ مِن إصلاحِ المالِ.

وقالَ[٢]:

ومَنْ يُنفِقِ الأيّامَ في حِفْظِ مالِه مَخافَةَ فَقْرٍ فالذي فَعلَ الفَقْرُ[٣]

فيقرأُ على نفْسِه: ﴿إِن تَكُونُواْ تَأْلَمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا تَأْلَمُونَ ...﴾ الآيَةَ [النساء: ١٠٤][٤]؛ فَدُرياقُه[٥] صرفُ ما عدا الكفايةِ في الخيراتِ، وإلّا فسمومٌ وآفاتٌ؛ فالفقرُ أسلمُ مع قناعةٍ بضروراتِ المعيشَةِ بأقلِّها قدرًا وأخشنِها[٦] نوعًا،

---

(١) في (هـ، و، ز): ونحوها في الخلطة.

(٢) مثبتة من (هـ، و). وفي (ز): شعر.

(٣) البيت من بحر الطويل، وهو لأبي الطيب المتنبي يمدح علي بن أحمد بن عامر الأنطاكي. «الديوان» (٢: ٣٠٥)، «شرح ديوان المتنبي» للواحدي (١: ١٤٤)، «محاضرات الأدباء» (١: ٦٠٩).

(٤) وتمام الآية ﴿إِن تَكُونُواْ تَأْلَمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا تَأْلَمُونَ وَتَرْجُونَ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا يَرْجُونَ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾.

(٥) الدرياق: لغة في الترياق. وهو دواء السموم.

(٦) في (د): وأحسنها. وفي (ز): وأخسّها.

ويردُّ أملَهُ إلى يومِه، ومتى طالَ أملُه أو طلبَ كثرةً دنَّسهُ طمَعُه وجرَّهُ إلى مساوئ الأخلاقِ[١]. وفي «الصَّحيحينِ»: «يَهْرَمُ ابْنُ آدَمَ وتَشِبُّ مِنْهُ ثِنْتانِ: الحِرْصُ، والأمَلُ»[٢]. وفيهما: «إنَّ الغِنَى غِنَى النَّفْسِ»[٣]. ولمُسلمٍ: «قَدْ أفْلَحَ مَنْ أسْلَمَ ورُزِقَ كَفافًا، وقَنَّعَهُ اللهُ تَعالى بِما آتاهُ»[٤]. وَصَحَّ في التِّرمذِيِّ: «ما ذِئْبانِ جائِعانِ أُرْسِلا في غَنَمٍ بِأفْسَدَ لَها مِنْ حِرْصِ المَرْءِ عَلَى المالِ والشَّرَفِ لِدِينِهِ»[٥]. قال الشَّعبيُّ: وجدْتُ البلايا إنَّما يَسُوقُها إلى أهلِها الحِرصُ والشَّرهُ[٦]. فالقناعةُ نجاةٌ وحُرِّيّةٌ وصِيانةٌ وعِزٌّ وراحةٌ وفراغٌ وأمْنٌ ومالٌ لا يَفرُغُ[٧].

لبعضِهم:

غَنِيتُ بلا مــالٍ عَنِ النّــاسِ كُلِّهِمْ ... وإنَّ الغِنَى العالي عَنِ الشَّيءِ لا بِهِ[٨]

---

(١) في (د، هـ): وجرّ مساوئ الأخلاق.

(٢) صحيح البخاري (٦٤٢١)، صحيح مسلم (١٠٤٧) من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه. وفي غير (هـ، و): اثنان. وفي (ز): اثنتان.

(٣) صحيح البخاري (٦٤٤٦)، صحيح مسلم (١٠٥١) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه. وفي (أ، د، ز): (الغنى) بلا (إن)، ولفظ الحديث: «ليس الغنى عن كثرة العرض، ولكنّ الغنى غنى النّفس».

(٤) صحيح مسلم (١٠٥٤) من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما.

(٥) سنن الترمذي (٢٣٧٦) من حديث كعب بن مالك رضي الله عنه.

(٦) الشعبي عامر بن شراحيل علامة العصر، أبو عمرو الهمداني، رأى عليًّا رضي الله عنه وصلّى خلفه، قال الزهري: العلماء أربعة: ابن المسيب بالمدينة، والشعبي بالكوفة، والحسن البصري بالبصرة، ومكحول بالشام. ويقال: إنه أدرك خمسمئة من أصحاب رسول الله ﷺ. مات سنة أربع ومئة. «سير أعلام النبلاء» (٤: ٢٩٤-٣١٨).

(٧) في هامش (ب) نسخة: لا يفقد.

(٨) البيت من بحر الطويل، وينسب للإمام الشافعي رحمه الله، كما في «ديوانه» (ص٤٠).

لا يُدرِكُ الحريصُ ما لم يُقدَّرُ لهُ؛ فالطَّمعُ آفةُ الدِّينِ مع فقرٍ وذُلٍّ وشُغلٍ وعداوةٍ وهُمومٍ وغيرِها؛ فعِلاجُ حِرصِه وطَمعِه ودواءُ قناعتِه بعِلْمٍ وصَبرٍ وعَمَلٍ، سَبقَ في الفَقْرِ.

ويُوطِّنُ نفْسَه وعِيالَه عليهِ، والعادةُ تُملكُ؛ رُوِيَ: «ما عالَ مَنِ اقْتَصَدَ»(١)، «التَّدْبيرُ نِصفُ العَيشِ»(٢)، ولا يَهْتَمَّ لِغَدٍ؛ لِأنَّ الضَّامِنَ ثِقَةٌ، «ولا يَمُوتُ حَتَّى يَسْتَوفِيَ رِزْقَهُ، لا يُدْرَكُ ما عِنْدَ اللهِ إلَّا بِطاعَتِهِ»(٣)؛ فرزقُكَ كَظلِّكَ إنِ استقبلْتَ نورَ الطَّاعةِ تَبِعَكَ، وإنْ تبعتَه استدبرَكَ.

وأمَّا صَبرُه فِرارًا مِن سمومِ شهواتِهِ إلى فوائدِ قناعتِه فمُتعيِّنٌ، ومَنْ لم يُوثِر عِزَّ نفْسِه على شهواتِه فهوَ ناقصُ الإيمانِ. اسْتَغْنِ تكُنْ نَظِيرًا، واحْتَجْ تكُنْ أسِيرًا، وأحْسِنْ تكُنْ أمِيرًا.

---

(١) رواه أحمد في «المسند» (٤٢٦٩)، والشاشي في «المسند» (٧١٤)، والطبراني في «الكبير» (١٠: ١٠٨)، و«الأوسط» (٥٠٩٤) من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه. وقال الحافظ الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١٠: ٢٥٢): رواه أحمد والطبراني في «الكبير» و«الأوسط»، وفي أسانيدهم إبراهيم بن مسلم الهجري، وهو ضعيف. ولضعفه أورده المؤلف بصيغة (روي)، لكن له شواهد يتقوى بها، والله أعلم.

(٢) رواه الشهاب القضاعي في «المسند» (٣٢) من حديث علي بن أبي طالب رضي الله عنه. وفيه ابن لهيعة.

(٣) رواه معمر بن راشد في «جامعه» (٢٠١٠٠) عن عمران رضي الله عنه قال: إنّ رسول الله ﷺ قال: «ما تركتُ شيئًا يُقرِّبُكم من الجنّة ويُباعدُكم عن النّار إلّا قد بيّنتُهُ لكُم، وإنّ رُوح القُدُس نفث في رُوعي، وأخبرني أنّها لا تمُوتُ نفسٌ حتّى تستوفي أقصى رزقِها، وإن أبطأ عنها. فيا أيُّها النّاسُ، اتّقُوا الله وأجملُوا في الطّلب، ولا يحملنّ أحدكُمُ استبطاءُ رزقه أن يخرُج إلى ما حرّم اللهُ عليه؛ فإنّهُ لا يُدركُ ما عند الله إلّا بطاعته».

وأمّا عِلْمُه بتنَعُّمِ الكفَرةِ ونحوِهم وصبرِ الأنبياءِ فشهيرٌ، ويَسْمعُ سِيَرهُم ليقتدِي بأعزِّ خلقِه تعالى، ولِما في جَمْعِ المالِ مِن آفةٍ وما في القِلَّةِ مِن أمْنٍ وفراغٍ وغيرِه، ويَتمُّ[1] بنظرِهِ أبدًا إلى مَن دونَهُ في الدُّنيا؛ روى مسلمٌ: «أُنْظُرُوا إلَى مَنْ هُوَ أَسْفَلَ مِنْكُمْ ولا تَنْظُرُوا إلى مَنْ هُوَ فَوقَكُمْ؛ فَهُوَ أَجْدَرُ أَلّا تَزْدَرُوا نِعْمَةَ اللهِ عَلَيكُمْ»[2].

وعُمْدتُه: قِصَرُ أمَلِه وصَبْرُ أيامٍ قليلةٍ لنعيمٍ دائمٍ[3].

فصل
[في السخاء وذم البخل]

مَنْ فَقدَ يَقنعْ، ومَنْ وجدَ يصنع المعروفَ؛ فإنَّه يَمنعُ مَصارعَ السُّوءِ[4]؛ رُويَ عنهُ تعالى: «الإِسْلامُ دِينٌ ارْتَضَيْتُهُ لِنَفْسِي، وَلَنْ يُصْلِحَهُ إِلَّا السَّخاءُ وَحُسْنُ الخُلُقِ؛ فَأَكْرِمُوهُ بِهِما ما صَحِبْتُمُوهُ»[5]. وفي الحديثِ: «تَجافَوا عَنْ ذَنْبِ السَّخِي؛ فَإِنَّ اللهَ آخِذٌ بِيَدِهِ كُلَّما عَثَرَ أَقالَهُ»[6]. وَرُوِيَ: «الجَنَّةُ دارُ ....

---

(١) في (ج): ويثمر.

(٢) صحيح مسلم (٢٩٦٣: ٩) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٣) في هامش (د): بلغ مقابلة والحمد لله. وفي هامش (ز): بلغ سادسًا.

(٤) روى ابن أبي الدنيا في «اصطناع المعروف» (٣) عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسُول الله ﷺ: «فعلُ المعرُوف يقي مصارع السُّوء».

(٥) رواه ابن شاهين في «الترغيب في فضائل الأعمال وثواب ذلك» (٢٦٧)، والكلاباذي في «بحر الفوائد» (٤٠٨)، والشهاب القضاعي في «المسند» (١٤٦١) من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما.

(٦) رواه أبو نعيم في «الحلية» (٤: ١٠٨)، وأبو القاسم قوام السنة في «الترغيب والترهيب» (١٥٤٨) من حديث ابن مسعود رضي الله عنه.

الأَسْخِياءِ»[١]، «وَما جُبِلَ وَلِيٌّ للهِ إلّا عَلَى السَّخاءِ»[٢]. وَصَحَّ أَنَّهُ ﷺ أَجْوَدُ النّاسِ وَمِنَ الرِّيحِ المُرْسَلَةِ[٣]، وأَنَّهُ ما سُئِلَ شَيئًا قَطُّ فقالَ: لا[٤]، وأَنَّ رجلًا سألهُ فأعطاهُ غنمًا بينَ جَبلَينِ[٥]. وتركَ عثمانُ لطلحةَ رضيَ اللهُ تعالى عنهما خمسينَ ألفًا معونةً على مُروءتهِ[٦]. وأعطى طلحةُ رضيَ اللهُ تعالى عنهُ أعرابيًا سألهُ ثلاثَمِئة ألفٍ[٧]. وعائشةُ رضي الله عنها قَسَمتْ سبعينَ ألفًا، وهيَ تُرَقِّعُ دِرْعَها[٨]، ونوبةً أُخرى ثمانينَ ومئةَ ألفٍ، وفُطُورها خبزٌ وزيتٌ[٩]. وشَرى[١٠] عبدُ الله بنُ عامرٍ رضيَ اللهُ تعالى عنهُ دارًا بسبعينَ ألفَ درهمٍ، فَسَمِعَ بكاءَ أهلِها

---

(١) رواه الخرائطي في «مكارم الأخلاق» (١٣٦)، وابن شاهين في «الترغيب في فضائل الأعمال وثواب ذلك» (٢٦٨).

(٢) رواه أبو القاسم القشيري في «الأربعين في تصحيح المعاملة» (٤٨) من حديث السيدة عائشة رضي الله عنها.

(٣) رواه البخاري (١٩٠٢)، ومسلم (٢٣٠٨) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما.

(٤) رواه البخاري (٢٢٩٧)، ومسلم (٢٣١١) من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما.

(٥) رواه مسلم (٢٣١٢) من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه.

(٦) عزاها ابن كثير في «البداية والنهاية» (٧: ٢١٥) إلى الطبري، فقال: روى ابن جرير أن طلحة لقي عثمان، وهو خارج إلى المسجد، فقال له طلحة: إن الخمسين ألفًا التي لك عندي قد حصلت فأرسل من يقبضها، فقال له عثمان: إنا قد وهبناكها لمروءتك.

(٧) روى أبو بكر الشافعي في «الغيلانيات» (١٠٨٣) عن علي بن زيد قال: جاء أعرابي إلى طلحة، فسأله، وتقرب إليه برحم، فقال: إن هذه الرحم ما سألني بها أحد قبلك. إن لي أرضًا قد أعطاني بها عثمان ثلاثمئة ألف، فإن شئت فاغد فاقبضها، وإن شئت بعتها من عثمان، ودفعت إليك الثمن. فقال الأعرابي: الثمن، فباعها من عثمان، ودفع إليه الثمن.

(٨) رواه أبو نعيم في «الحلية» (٢: ٤٧).

(٩) رواه أبو نعيم في «الحلية» (٢: ٤٩).

(١٠) في (أ، ب): واشترى.

عليها فتركَ الدّارَ وثمنَها لهُمْ[١]، وسألهُ رجلٌ بقرةً، فبعثَ إليهِ بسبعِمِئةٍ برُعاتِها، ومَلَّكَهُ قَرْيةً كانتْ فِيها[٢]. وبكى ابنُ أسامةَ مِن دَينٍ كانَ عليهِ بضعةَ عشرَ ألفَ دينارٍ، فقال عليُّ بنُ الحَسين رضيَ اللهُ عنهم: هيَ علَيَّ[٣]. وأمرَ ابنُ العاصِ لسائلٍ بمئةِ ألفِ درهمٍ فبكى، فقال: ما يُبكيكَ؟ قال: على الأرضِ أن تأكُلَ مِثْلَكَ، فأمرَ لهُ بمئةِ ألفِ أُخرى[٤]. ولا تَنحصِرُ حِكاياتُهم فيهِ.

---

(١) رواه ابن أبي الدنيا في «مكارم الأخلاق» (٣٥٢).

(٢) رواها ابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٣٨: ١٣٨) لكن المسؤول عبيد الله بن أبي بكرة، قال: وجه محمد بن المهلب بن أبي صفرة إلى عبيد الله بن أبي بكرة أنه أصابتني علة فوصف لي لبن البقر فابعث إلي ببقرة أشرب من لبنها، قال: فبعث إلي بسبعمئة بقرة ورعاتها، وقال: القرية التي ترعى فيها لك.

(٣) رواه ابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٤١: ٣٨٥).

(٤) رواه ابن أبي الدنيا «مكارم الأخلاق» (٤٧٦) لكن عنده الحكم بن المطلب، ورواه أبو القاسم قوام السنة في «سير السلف الصالحين» (١: ٨٣٢) عن نوفل بن عمارة، قال: أقبل طلحة بن عبد الله بن عوف من سفر، فلقيه أعرابي عند دخول المدينة، فقال: أفض علينا مما رزقك الله، فقال لغلام له: ما بقي معك من المال فأعطه إياه، قال: فصب في ثوبه شيئًا ثقل عليه، قال: فجلس وبكى، فقال أستقللت؟ ويحك! قال: لا، ولكني أبكي على الأرض أن تأكل مثلك، قال: هذا والله خير من قصيدة، لا تبرحنا ومعنا درهم إلا أخذته، فأخذ كل ما كان مع أصحابه فأعطاه إياه.

وهو في «الإحياء» عن سعيد بن العاص، كما هنا، وابن العاص: هو أبو عثمان، وقيل: أبو عبد الرحمن، سعيد بن العاص بن سعيد بن العاص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف القريشي الأموي الحجازي. قال محمد بن سعد: توفي رسول الله ﷺ ولسعيد تسع سنين، وكان من أشراف قريش، جمع السخاء والفصاحة، وهو أحد الذين كتبوا المصحف لعثمان، واستعمله عثمان رضي الله عنه على الكوفة، وغزا طبرستان وافتتحها، وقيل: إنه افتتح جرجان في خلافة عثمان. وكان يقال له: عكة العسل؛ لكثرة خيره، وسكن دمشق، ثم تحول إلى المدينة، ولما قتل عثمان رضي الله عنه اعتزل الفتن، فلم يشهد الجمل =

وأمّا البُخلُ فتكرّرَ ذمُّهُ شرعًا، ويحرمُ إن منعَ واجبًا، وصحَّ: «خَصْلَتانِ لا تَجْتَمِعانِ في مُؤْمِنٍ: البُخْلُ، وَسُوءُ الخُلُقِ»[١]. وأفردَ مُسلمٌ: «اتَّقُوا الشُّحَّ؛ فَإِنَّ الشُّحَّ أَهْلَكَ مَنْ كانَ قَبْلَكُمْ»[٢]. وأفردَ أيضًا: «اللهُمَّ إنّي أعُوذُ بِكَ مِنَ الجُبْنِ والبُخْلِ»[٣]. والأحاديثُ فيه كثيرةٌ جِدًّا. قال سلمانُ الفارسيُّ رضيَ اللهُ عنهُ: إذا ماتَ السَّخِيُّ قالت الأرضُ والحفظةُ: ربِّ، تجاوَزْ عَن عَبدِك بسخائِه في الدُّنيا، وإذا ماتَ البَخيلُ قالت: اللهُمَّ، احجُبْ هذا العبدَ عَن الجنّةِ كما حجبَ عِبادَكَ عمّا في يدِه مِنَ الدُّنيا[٤]. ولبعضِهم: مَنْ كانَ بخيلًا ورِثَ مالَهُ عدوُّه[٥].

= ولا صفين، ثم استعمله معاوية رضي الله عنه على المدينة، وكان يوليه إذا عزل مروان، ويولي مروان إذا عزله. وكان سعيد لكثرة جوده إذا سأله إنسان وليس عنده ما يعطيه كتب له عليه دينًا إلى وقت ميسرته، وله في ذلك حكايات مشهورة، وكان يجمع إخوانه كل جمعة، فيصنع لهم طعامًا ويخلع عليهم، ويرسل إليهم بالجوائز، ويبعث إلى عيالهم العطاء الكثير، وكان يبعث مولى له كل ليلة جمعة إلى مسجد الكوفة ومعه الصرر فيها الدنانير، فيضعها بين يدي المصلين. ولما حضرته الوفاة قال لبنيه: أيكم يقبل وصيتي؟ قال الأكبر: أنا، قال: إن فيها وفاء ديني، قال: وما هو؟ قال: ثمانون ألف دينار، قال: وفيم أخذتها؟ قال: في كريم سددت خلته، وفي رجل جاءني ودمه يتروى في وجهه من الحياء، فبدأته بحاجته قبل سؤاله. توفي سنة تسع وخمسين، وقيل: سنة سبع أو ثمان وخمسين رضي الله عنه. «تهذيب الأسماء واللغات» (١: ٢١٨).

(١) رواه الترمذي (١٩٦٢)، وأبو داود الطيالسي في «المسند» (٢٣٢٢) من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه. وفي (د، ه): لا يجتمعان.

(٢) صحيح مسلم (٢٥٧٨) من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما. وفي (ز): فإنه أهلك.

(٣) صحيح مسلم (٢٧٠٦) من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه، وهو عند البخاري أيضًا (٦٣٧١).

(٤) رواه الخطيب البغدادي في «البخلاء» (٦٢).

(٥) أورده الخرائطي في «مساوئ الأخلاق» (٣٥٠)، والخطيب البغدادي في «كتاب البخلاء» =

فصل[1]

[في الإيثار]

أعلى بَذْلٍ مع الحاجةِ إيثارٌ؛ لمّا آثرَ أبو طلحةَ المَجْهُودَ نزلَ: ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ ...﴾ الآيةَ [الحشر: ٩][2]، ولمّا رأى عبدُ الله بنُ جعفر رحمهُ اللهُ تعالى عبدًا آثرَ كلبًا بقُوتِه اشترى الحائطَ بما فيهِ والغلامَ وأعتقَهُ ووهبَهُ له[3]. وفضلُ جُهْدِ المُقِلِّ كثيرٌ، وحكاياتُهم مشهورةٌ.

= (٣١٥) عن أبي موسى عمران بن موسى المؤدب قال: وفد على أنوشروان حكيم الهند، وفيلسوف الروم، فقال للهندي: تكلم. فقال: يا خير الناس، من ألقى سخيًّا، وعند الغضب وقورًا، وفي القول متأنيًا، وفي الرفعة متواضعًا، وعلى كل ذي رحم مشفقًا. وقام الرومي فقال: من كان بخيلًا ورث عدوُّه ماله، ومن قلّ شكرُه لم ينل النجاح، وأهلُ الكذب مذمومون، وأهلُ النميمة يموتون فقراء، فمن لم يرحم سلط عليه من لا يرحمه.

(١) في هامش (د): بلغ مقابلةً والحمد لله.

(٢) روى البخاري (٣٧٩٨)، ومسلم (٢٠٥٤) عن أبي هريرة رضي الله عنه، أن رجلًا أتى النبي ﷺ، فبعث إلى نسائه، فقلن: ما معنا إلا الماء، فقال رسول الله ﷺ: «من يضُمُّ أو يُضيفُ هذا»؟ فقال رجل من الأنصار: أنا، فانطلق به إلى امرأته، فقال: أكرمي ضيف رسول الله ﷺ، فقالت: ما عندنا إلا قوت صبياني، فقال: هيئي طعامك، وأصبحي سراجك، ونوّمي صبيانك إذا أرادوا عشاء، فهيأت طعامها، وأصبحت سراجها، ونومت صبيانها، ثم قامت كأنها تصلح سراجها فأطفأته، فجعلا يريانه أنهما يأكلان، فباتا طاويين، فلما أصبح غدا إلى رسول الله ﷺ، فقال: «ضحك اللهُ اللّيلة، أو عجب، من فعالكُما» فأنزل الله: ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ [الحشر: ٩].

(٣) رواه البخاري (٣٧٩٨)، ومسلم (٢٠٥٤) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

فصل
[في الفرق بين البخل والشح، والجود والسخاء]

منعَ واجبًا أو ما ينبغي لِمثلِه فبُخْلُ، أو معروفَ غيرِه فشُحٌّ، وضِدُّهما مع زيادةٍ وطِيبِ نفْسٍ بلا حَظٍّ فجُودٌ وسخاءٌ؛ والجودُ كسبٌ والسخاءُ مَوهِبَةٌ وما لم يُنفقْ حُظوظَه فلا كَمالَ؛ إذْ بُخْلهُ بمالِه لِنَيلِ حُظوظِه[1]؛ لبعضِهم:

الجُـودُ بِالمالِ جُـودٌ فِيـهِ مَكْرُمَةٌ   والجُودُ بِالنَّفْسِ أقْصَى غايَةِ الجُودِ[2]

ومنهُم مَن أحبَّه لذاتِه حتى لا يُنفقه دِينًا ولا دُنْيا، ويعلمُ ذهابَه بموتِه، وهيَ عِلَّةٌ مُزْمِنَةٌ؛ فدَواءُ حُبِّ شهواتِه بما سبقَ في القناعةِ، وطولِ أمَلِه بكثرةِ فكرٍ في الموتِ، والتفاتِه لولدٍ إنْ كانَ صالحًا فالله يتولاهُ، أو فاسقًا أعانهُ بمالِهِ إلى الشّر، فلا يتركُ الخيرَ وَيقدم على ربّه تعالى بالشرّ، ويُرَدِّدُ على سَمْعِهِ ما في ذمِّ البُخلِ ومدحِ السَّخاءِ.

---

(١) في هامش (ز):

ومَنْ لم يجُدْ في حُبِّ نُعْمٍ بنفْسِه   ولَو جادَ بالدُّنيا إليهِ انتَهى البُخْلُ

ولم يشر إليها بنسخة ولا بحاشية ولا بأصل، فقط علقها، وينسب البيت لابن الفارض كما في «ديوانه» (ص١٢٩).

(٢) البيت من بحر البسيط، ونسبه الخطيب البغدادي في «تاريخ بغداد» (٨: ٥٢٢) لمسلم ابن الوليد، أبو الوليد الأنصاري، مولى أسعد بن زرارة الخزرجي، شاعر يعرف بصريع الغواني، وهو كوفي نزل بغداد وكان مداحًا مجيدًا، مُفوّهًا بليغًا، مدح هارون الرشيد والبرامكة، والرشيد سماه صريع الغواني. وذكر عن أبي الحسن بن البراء عن شيخ قال: قال مسلم بن الوليد ثلاثة أبيات، تناهى فيها وزاد على كل الشعراء: أمدح بيت، وأرثى بيت، وأهجى بيت، فأما المديح فقوله هذا..

كتاب ذم الجاه

رُوِيَ: «أَخْوَفُ ما أخافُ عَلَى أُمَّتِي الرِّياءُ، والشَّهْوَةُ الخَفِيَّةُ»[١]، وهيَ تنفردُ بالخاصَّةِ بإظهارِ علمٍ أو عَمَلٍ؛ فحُبُّ الجاهِ فِتنةٌ عَظِيمةٌ، وكانوا يُؤثرونَ الخُمُولَ؛ كقولِ ابنِ مسعودٍ رضيَ اللهُ تعالى عنهُ: فواللهِ، لو عَلِمتُم ما أُغلِقُ عليهِ بابي ما تبِعَنِي منكُم رجُلانِ[٢].

تنبيه :

يحرمُ طَعْنُه في نَفْسِه وغيرِه إلّا لخَلاصِهِ مِن فِتنةٍ ونحوِها[٣]. وكانَ [أبو العاليةَ]

---

(١) رواه أبو نعيم في «الحلية» (٧: ١٢٢) من حديث عبد الله بن زيد رضي الله عنه، وابن المبارك في «الزهد» (١١١٤) من قول شداد بن أوس حين حضرته الوفاة.

(٢) رواه ابن أبي الدنيا في «الخمول والتواضع» (٥٧).

(٣) هذا التنبيه من (أ، د). وهذا الطعن في النفس وقع لكثير من سلفنا عندما أوكلت إليهم وظيفة القضاء، فطعنوا في أنفسهم بأنهم ليسوا لها أهلًا ولا يصلحون لهذه الوظيفة، فربما عُذّبوا وسجنوا، فيروي يحيى الحماني عن أبيه، قال: كان أبو حنيفة رحمه الله يضرب على أن يلي القضاء فيأبى، ولقد سمعتُه يبكي، وقال: أبكي غمًّا على والدتي! وعن مغيث بن بديل، قال: دعا أبو جعفر أبا حنيفة إلى القضاء فامتنع، فقال: أترغب عما نحن فيه؟ فقال: لا أصلح للقضاء، قال له: كذبت، قال: قد حكم علي أمير المؤمنين أني لا أصلح، لأنه نسبني إلى الكذب، فإن كنت كاذبًا فلا أصلح، وإن كنت صادقًا فقد أخبرتك أني لا أصلح، فحبسه. وقصص امتناعهم عن وظيفة القضاء وذمهم أنفسهم وتعذيبهم وحبسهم مليئة في كتب التراجم والطبقات.

إذا جلسَ إليهِ أكثرُ مِنْ أربعةٍ قامَ[١]. وحكاياتُهم فيهِ كثيرةٌ. ورُبَّ زاهدٍ حامَ على الرِّئاسةِ! مَن أحبَّ أن يُعرَفَ بحظٍّ خَسِرَ ماضيه لمحبّةِ مَدحِهم ومُستقبلَه لشُغله بهم ما لم يتُبْ قياسًا على الرِّدَّةِ ـ وهيَ مسألةٌ مُهمَّةٌ فانتبهْ لها ـ بل في بُطْلانِ العملِ بذنبٍ بعدَه نظرٌ لا يخفى كما صرّحَ به المُحاسِبيُّ وغيرُه[٢]؛ روى مسلمٌ: «إنَّ اللهَ يُحِبُّ العَبْدَ التَّقِيَّ الغَنِيَّ الخَفِيَّ»[٣]. لبعضِهم: إنَّما الرَّجُلُ مَنْ عرفَهمْ وهو مجهولٌ، وشُهرةُ القومِ ربّانيّةٌ وذمُّ حُبِّها لحظٍّ.

والجاهُ: اعتقادُ نوعِ كمالٍ معنًى أو صُورَةً؛ فيُطاعُ بخِدمةٍ وتوقيرٍ وثناءٍ ونحوِه؛ فحُبُّه طبعًا أعظمُ مِنَ المالِ. ويُباحُ جاهٌ لحاجةٍ أو لصفةٍ اتَّصفَ بها لغرضٍ صحيحٍ؛ كيُوسفَ عليهِ السَّلامُ في قولِهِ: ﴿ٱجۡعَلۡنِي عَلَىٰ خَزَآئِنِ ٱلۡأَرۡضِۖ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٞ﴾ [يوسف: ٥٥]، وله إخفاءُ عُيوبِه لحفظِ منزلتِه، ويحرمُ تملُّكُ جاهٍ أو مالٍ بتلبيسٍ أو تزْوِيرٍ.

تنبيه :

غَلبةُ حُبِّ المنزلةِ تَجُرُّ إلى رياءٍ ونفاقٍ ومُحرّماتٍ لِيَصِيدَ القُلوبَ؛ ولهذا

---

(١) رواه أبو نعيم في «الحلية» (٢: ٢١٧). وأبو العالية: هو رفيع بن مهران الرياحي البصري الإمام المقرئ الحافظ المفسر، مولى امرأة من بني رياح من تميم، أدرك الجاهلية وأسلم بعد موت النبي ﷺ بسنتين ودخل على أبي بكر وصلى خلف عمر، توفي سنة ستٍ ومئة، قال المغيرة: كانوا يقولون: أشبه رجل بالبصرة علمًا بإبراهيم أبو العالية. «سير أعلام النبلاء» (٤: ٢٠٧-٢١١).

(٢) ينظر كلام المحاسبي رحمه الله في «آداب النفوس» (ص١٠٢-١٠٤). والمحاسبي أبو عبد الله الحارث بن أسد البغدادي الزاهد العارف، شيخ الصوفية، صاحب التصانيف الزهدية. قال الخطيب: له كتب كثيرة في الزهد، وأصول الديانة، والرد على المعتزلة والرافضة، مات سنة ثلاث وأربعين ومئتين. «سير أعلام النبلاء» (١٢: ١١٠).

(٣) صحيح مسلم (٢٩٦٥) من حديث سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه.

جُعِلَ حُبُّ المالِ والشَّرفِ أفسدَ للدّينِ مِن ذِئبَينِ ضارِيينِ في غَنَمٍ[1]، وعلاجُه بعِلْمٍ وعملٍ: أمّا العِلْمُ ففكرٌ في آفاتِه الباقيةِ وأخطارِه مِن أذى حُسّادٍ ودوامِ خوفِ فواتِه، ورضا الخلقِ غايةٌ لا تُدركُ، ويقطعُها الموتُ فلا يَفِي حُلْوهُ بمُرِّه. وأمّا العملُ فيما يُسْقطُه مِن قُلوبِ الأغيارِ وسفرُه أسْلَمُ؛ فرُبّما آثرَ خُمُولًا منعَ القُدوةَ بالصُّلحاءِ وأوقعَ الخَلْقَ في غِيبَتِهِ[2] فتعيّنَ سفرُه! وإن شقَّ فخُمولٌ لا يُوقعُ في غيرِه؛ كأكْلِ بعضِهم بشَرهٍ بحَضرةِ مَن خافَ على نفْسِهِ منهُ فنَفَر عنهُ، ومتى خاف المُنقطعُ عَن الخلقِ فتنةً خرجَ مِن بينهم، وقد تمَّ أمرُه.

فصل
[في كتمان العيوب، وعلاج مدحه وذمه]

اغتمَّ بظُهورِ عَيبٍ إن كانَ مِن جهةِ الخلقِ أشدُّ ضُرٍّ، وإلّا فلا؛ فلو اعتذرَ بكذبٍ ونحوِه حَرُمَ أو كَرِه الغمَّ لئلّا يَشغلَه فخيرٌ، ولهُ كتمُ عُيُوبه لا ليُوهِمَ أنّهُ تقيٌّ، أو تركها حياءً منهم حَرُمَ؛ لأنّهُ استحيا مِنْ غيرِهِ تعالى، أو شكَّ في إخلاص عملٍ توقّفَ حتى يُخلصَه، أو استحيا بلا إخلاصٍ ولا رياءٍ فعلَه، أو كَرهَ ذمَّهُم لهُ خشيةَ أن يكونَ كذلك عندَ ربّه؛ أو لأنّهُ يَشغلهُ، أو خشيةَ أن يَعصيَ ربّه فيهم أو هَمَّ بذمِّهِ لم يضُرَّ أو لحَظٍّ ضَرَّ؛ فيجعلُ مَن عرفَه كمنْ لم يعرفْهُ فراغًا مِنْ حَمدِهم وذمِّهم، ويُسَوّيهما عندَه وفاعلهما؛ إذ لم يتغيّر بهما ما قُسِمَ وباستواءِ تأثُّرِهِ بمدحِهم وذمِّهم لهُ ولغيره يَسْلَمُ، أو تأثَّرَ لنفسهِ أكثرَ نَقص؛ فلو تزيّنَ لوليٍّ

(١) روى الترمذي (١٠٧٧٨) عن كعب بن مالكٍ الأنصاريّ رضي الله عنهُ قال: قال رسولُ الله ﷺ: «ما ذئبان جائعان أُرسلا في غنمٍ بأفسد لها من حرص المرء على المال والشّرف لدينه».

(٢) في (ز): غيبتهم.

ونحوِه ليزدادَ عِلْمًا ونحوِه فتردُّدٌ، ومَن كرِهَ ذَمَّ الناسِ فحركاتُه بمُقتضَى هواهُم لحُبِّ مدحِهم فيهلكُ.

وعِلاجُهُ إنْ مُدِحَ بزُهدٍ ونحوِه وكانت صِفتَه أن يَشغلَه خوفُ خاتمتِه ويفرَح بخالِقِ مدحِهم لا بغيرِهِ[١]، وإن كانَ مدحُهم لجاهٍ ونحوِه فكنباتٍ يصيرُ هَشِيمًا فيكرهُه. وأمّا فرحُه بمدحِهم لصفةٍ وهو بريءٌ منها فجُنُونٌ. وسبقَ آفاتُ المدحِ.

وعِلاجُ كراهةِ الذّم تُفهمُ بما في المدحِ، وذامُّكَ رُبّما صَدَقَ ونصحكَ فتقلَّدْ مِنَّتَهُ بتنبيهكَ، وربّما عَيَّرك فنفعكَ وجَنَى على دِينهِ ورُبّما كُنتَ بريًّا فاشكر سَترَ[٢] ذُنوبِك وتكفِيرَها بقولِه، وَسلْ لهُ العفوَ؛ لأنّهُ تعرَّضَ لغضبِ ربّه تعالى.

وأمّا الرِّيـاءُ فتكرَّر ذمُّهُ شرعًا، وهو آفـةٌ قلبتِ الطّاعةَ معصيةً، وأوّلُ مَن يدخُل النّارَ سَحْبًا على وجهِ المُرائي؛ كما جاء في «صحيح مسلم»[٣]، وربّما يكشفُه هنا فَيُمْقَتُ؛ كما صحَّ: «مَنْ سَمَّعَ سَمَّعَ اللهُ بِهِ، وَمَنْ يُرائِي يُرائِي اللهُ بِهِ»[٤]؛ أي: يفضحـهُ في الدُّنيـا[٥]، وفي «الصَّحيحِ»[٦]: «مَنِ ادَّعَـى دَعْـوَى

---

(١) في هامش (ز) حاشية: نعم؛ لو فرحنا بجميله الذي نشر وقبيحنا الذي ستر؛ فحسنٌ. كذا وجد في هذا المحل من كلام المؤلف.

(٢) في (ب): فالشكر يستر.

(٣) رواه مسلم (١٩٠٥) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، وفيه: «فسُحب على وجهه حتّى أُلقي في النّار».

(٤) رواه البخاري (٦٤٩٩) من حديث جندب رضي الله عنه، ومسلم (٢٩٨٦) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما.

(٥) في (هـ، و): أي: في الدنيا. بدل: فيفضحه. وغير مثبتة في (د).

(٦) في (ز): وفي السنن. وفي الهامش نسخة: وصحّ في السنن.

[كاذِبَةً] لِيَتَكَثَّرَ في الدُّنْيا بِها لَمْ يَزِدْهُ اللهُ إِلَّا قِلَّةً»[١].

والزَّواجرُ عنهُ طافحةٌ جدًّا، وأقسامُه بالنسبةِ إلى الدِّين بنُحولٍ في البَدنِ وشُعُوثَةٍ ونحوِهما، ورياءُ أبْناءِ الدنيا ضدُّه بسِمَنٍ ونَظافةٍ ونحوِهما، وأمّا في الزيِّ فبإطراقٍ وإبقاءِ أثرِ سجودٍ ولُبسةٍ خَشِنةٍ قصيرةٍ جدًّا، أو وسخةٍ ونحوِها لنَيلِ منزلةٍ عند الأُمراء أو الصُّلحاء أو كُلِّهم، ويثقلُ تغيُّرُ زيِّهم لحفظِ المنزلة، وما تقيَّد ﷺ بزيٍّ مع أنّهُ معصومٌ، ورياءُ أهلِ الدّنيا بأنواعِ التجمُّل وأثاثٍ وغيرِه.

وأمّا القولُ: فبوعظٍ، وحفظِ علومٍ للجدَلِ، وظُهورِ غزارةِ العلمِ، وتحريكِ شفتيهِ بمحضرٍ، وخَفضِ صَوتٍ ونحوِه، وأهلِ الدُّنيا بأشعارٍ وأمثالٍ ونحوِهما.

وأمّا العملُ: فكتطويلِ صلاةٍ، وخشوعٍ، وصومٍ، وحَجٍّ، وغَزْوٍ، وصَدَقَةٍ ونحوِها، وأهلِ الدُّنيا بما يدلُّ على الحِشْمَةِ، وأمّا الرِّياءُ بالغَيرِ؛ فكمَنْ كَلَّف كبيرًا ليزورَهُ ليُقالَ: زارَهُ فُلانٌ، وبتلامذةٍ وأصدقاءَ وشيوخٍ ليُقال: استفادَ منهم؛ فهذا ما يُرائي به لحظٍّ مِنَ الحُظوظِ، وأعظمُها مَنْ تطيَّبَ لجُمعةٍ ونيّتُه مَيلُ قلبِ أجنبيةٍ، أو حجَّ ليظفرَ بمعصيةٍ لجعْلِهم طاعةَ ربِّهم سُلَّمًا إلى معصيتِهِ، ومتى انضمَّ إلى الجاهِ ما لا يحلُّ حَرُمَ، أو سَلِمَ ولا رغبةَ لم يَضُرَّ، وكذا حُبُّ زيٍّ جميلٍ؛ «فَإِنَّ اللهَ يُحِبُّ الجَمالَ»؛ كما في «صحيح مُسلمٍ»[٢]، أو ليُظهِرَ نعمَةَ اللهِ عليهِ فقد أُمِرَ بذلكَ[٣].

---

(١) صحيح مسلم (١١٠) من حديث ثابت بن الضحاك رضي الله عنه.

(٢) صحيح مسلم (٩١) من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه.

(٣) روى أحمد في «المسند» (١٩٩٣٤) عن أبي رجاء العطاردي قال: خرج علينا عمران بن حصين وعليه مطرف من خزٍّ لم نره عليه قبل ذلك ولا بعده فقال: إن رسول الله ﷺ قال: «من أنعم اللهُ عليه نعمةً فإنّ الله يُحبُّ أن يُرى أثرُ نعمته على خلقه».

وأشدُّ الرّياءِ ما لا يُقْصَدُ به ثوابٌ، أو بقصدٍ ضعيفٍ؛ كصلاتِهِ جماعةً ولو انفردَ ما صلّى، ودُونَهُما استواءُ قصدِ ثوابٍ ورياءٍ بهِ، فأفسَدَ بقدرِ ما أصلَحَ وأثِمَ، ولو لم يُرائي، بل اطِّلاعهم قوّى نشاطَه، أو حسّنها لحظٍّ فرياءٌ؛ لاقتضائهِ تعظيمَ الخَلْقِ، لكنّه دونَ الرِّياءِ بأُصولِ العباداتِ، وكلُّه حرامٌ مُحبطٌ.

ومتى عقدَها للهِ تعالى ثُمَّ طرأ الرياءُ، ثُمَّ زالَ قبلَ فراغِها صحّت، وربّما خَفِي كمَنْ يُحبُّ إكرامَهُم لهُ لعبادةٍ أخْفاها، وما لم يستوِ اطِّلاعهم وعدَمُه لا يسلم؛ كفَرِحٍ مُخلصٍ باطِّلاعِهم لحظٍّ. وأمّا فرحُه بإظهارِ الله جميلَه وسترِ قبيحِه، أو لأنّهُ يفعلُ به ذلك في الآخرة أو لقُدوتِهم به؛ إذ لهُ مِثلُ أُجورِهم، أو فَرِح بثنائِهم لحُبِّهم الطّاعةَ والمطيعَ وسلامَتِهم مِن أضدادِها[1]، أو ليَعرفَ حُبَّ ربّه تعالى إذا أحبَّهُ حبّبَهُ إلى عبادِه، أو لئلا يَشغلَه ذمُّهم ونحوُه؛ فحسنٌ.

فصل
[في علاج الرياء]

مَن[2] أحبَّ ظهُورَ عملٍ فلم يَظهَر ضرَّ نفْسَهُ وسلِمَ عمَلُهُ، أو أعلنَهُ ولو بصِدقٍ وأحبَّ مَدْحًا عليه فَرياءٌ، ولا يضرُّ سُرورٌ في أثناءِ عباداتِهِ؛ نَعَمْ لو زادَها أو عَقَدَها رياءً ثُمَّ نَدِمَ فيها أعادَها؛ لِما صحّ: «مَنْ عَمِلَ عَمَلًا أشْرَكَ فِيهِ غَيرِي...» الحَديثَ[3]، ولا مَعْدِلَ عنهُ.

(١) في هامش: (ز) نسخة (إصرارها).

(٢) عن (ب، ج).

(٣) رواه ابن خزيمة (٩٣٩)، وابن حبان (٣٩٥)، وأحمد (٨٠٠٠) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

وعلاجُ الرّياء مُهِمٌّ جدًّا بقلعِ أُصولِه وعُروقِه، وأصلُهُ حُبُّ الجاهِ والمنزلةِ والطَّمعِ، ومتى نظرَ ما ذُكرَ مِنْ آفاتِه، ولو سَخِطَ اللهُ تعالى عليهِ ما نَفعَ رِضاهُم؛ ففَرَّ[1] مِنْ حظٍّ يَفنى لنعِيمٍ يَبقَى؛ وأقْبَلَ على رَبِّهِ تعالى وقَنِعَ بعِلْمِهِ، فنوَّر قلبَه وشَرحَ صَدْرَه، وكاشَفَهُ وآنسَهُ لإخلاصِهِ؛ فيبقَى بلا حظٍّ؛ كأنّهُ ما عَرفَ سواهُ تعالى، وأعظمُ أدْوِيَتِه عدمُ عِلْمِ الغَيرِ بذرّةٍ مِن أعمالِه ليُمِدَّهُ تعالى، ثُمَّ يَنْفِي خواطِرَ الرِّياءِ مِن رجاءِ عِلْمِهم بحالِهِ أو ثنائِهم بقَناعتِه بعلمِ ربِّه تعالى وخوفِ مَقْتِه وذِكْرِ الآفاتِ.

فصل

[من خاف غير الله عز وجل عز إخلاصه]

للقويّ إظهارُ قُرْبَةٍ لم يُرِدْها بخلوَةٍ للقُدوةِ ونحوِها؛ بدليلِ: «لَحَبَّرْتُهُ لَكَ تَحْبِيرًا...» الحديثَ[2]؛ إذ ترغِيبُه في الخيرِ خَيرٌ، أو شابَها حَظٌّ أَسَرَّ وُجُوبًا، ولو منعَ قُدْوَةً، وفي عُمومِه نظرٌ، ولا يترُكُ قُرْبَةً خَوفَ رياءٍ أو خطرٍ فيها جَرَّدَها للهِ تعالى وأتَمَّها؛ ولا يصحُّ عَقْدُها رياءً فَيَسْتَأْنفُها مُجرَّدَةً للهِ تعالى، ومتى عِلِمَ عدُوُّهُ تَرْكَ كلِّ قُربةٍ قارنَها رياءٌ ولم يَستأنِفْها قطعَهُ عَنِ اللهِ تعالى[3]؛ قيل: اعملْ ولو خِفتَ عُجبًا مُستغفرًا منهُ. وبهذا الاعتبارِ يُباشِرُ كُلَّ ولايَةٍ وَفَتْوَى وتَدْرِيسٍ وَوَعْظٍ ونحوِها مَنْ هُوَ أَهْلٌ، ومَنْ خافَ غيرَ الله عزَّ وجلَّ عزّ إخْلاصُه، ﴿وَٱللَّهُ

---

(١) في (ز): نفر.

(٢) رواه البزار في «البحر الزخار» (٣١٦٠) عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنهُ قال: قال رسولُ الله ﷺ: «لو رأيتني البارحة، وأنا أستمعُ لقراءتك لقد أُوتيت من مزامير آل داوُد» قال: قلتُ: لو علمتُ أنّك تستمعُ لقراءتي لحبّرتُها لك تحبيرًا.

(٣) من (تعالى) إلى (تعالى) سقط من (أ)، ولعله سبق نظر من الناسخ.

أَحَقُّ أَن تَخْشَىٰهُ ﴾ [الأحزاب: ٣٧]. والضَّعِيفُ أحوَجُ إلى الإخلاصِ لقُربهِ مِنَ الرِّياء، فيُلزِمُ نفسَهُ صِدْقَ نيَّتِهِ وإخلاصَ عمَلِه وكِتْمانَه أبدًا، وإن كان زاهدًا اعتزلَ النّاسَ بنفْيِ خواطِرِ عِلْمِهم بحالهِ؛ كيلا ينشطَ بهَوًى فَيُمنَعَ الفَتْحَ؛ إذ إقبالُهم لا يَزيدُه وإدْبارُهم لا يَنقُصُهُ، فسواءٌ وُجودُهم وعدمُهم، ولو زادَ وُدًّا لغنِيٍّ فمرَضٌ ما لم يكن اتِّقاءً[1] أو تألُّفًا ونحوَه.

* * *

(١) في (د): أتقى.

كتاب ذم الكبر[1]

وهوَ ثمرةُ العُجْبِ، وكمْ أهْلَكا مِن عالمٍ وعابدٍ وزاهدٍ! سببُهما استعظامٌ واستكبارٌ بنحوِ عِلْمٍ وعَمَلٍ، وجَهْلٌ بالنفس والربِّ تعالى وعواقبِ الأمور؛ فإنّهما يُويجبانِ الإدلالَ عليهِ تعالى والمنَّ على عبادِه بعِلْمٍ وعملٍ وبرأيٍ فاسدٍ، ﴿وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا﴾ [الكهف: ١٠٤]، لظُلْمَةِ العُجبِ والكِبْرِ لا يَرى لَهُ ذنبًا ولا تقصيرًا، ويَعْمَى عَنْ رُؤْيَةِ فَضْلِه تعالى في كُلِّ طاعةٍ؛ إذ هوَ تعالى خالقُها؛ قال الله تعالى: ﴿بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَاكُمْ لِلْإِيمَانِ﴾ [الحجرات: ١٧]؛ فالمتكبِّرُ ونحوُه يحمدُ نفسَهُ على نِعْمَةِ الله تعالى، ومَنِ استبعَد ردَّ دَعوتِه أو نُصْرةَ غيرِهِ عليهِ أو تجرأ فمُدِلٌّ بإحسانِ ربِّه تعالى.

عِلاجُه: مُلازمةُ شُهودِ المنَّةِ للهِ تعالى في كُلِّ طاعةٍ، ومنهُم مَن يَعجبُ بنِعَمٍ دُنياويّةٍ مُتَّصِلَةٍ كجاهٍ ونحوِها، ومنفصلةٍ كنسبٍ ونحوِه، فيتسلَّطُ بفِتنٍ جَمّةٍ، وعِلاجُه تحقُّقُ الوعدِ والوعيدِ، ونُصرةُ الحقِّ أبدًا؛ صَحَّ: «ثَلاثٌ مُهْلِكاتٌ: شُحٌّ مُطاعٌ، وهَوًى مُتَّبَعٌ، وإعْجابُ المَرْءِ بِنَفْسِهِ»[2].

تنبيه[3]:

الكِبْرُ: رُؤْيَةُ النَّفْسِ خيرًا مِنْ غَيرِ جَهْلًا بها وبقَدرِ بارئها تعالى وبوَعْدِه

---

(١) بيض له في (أ).

(٢) رواه الخرائطي في «اعتلال القلوب» (٩٦)، والطبراني في «الأوسط» (٥٤٥٢) من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه.

(٣) بيض له في (أ).

ووعيدِه؛ فالتكبُّرُ منعُ حقٍّ؛كمَنْ ينصُر باطلًا رياءً وازدراءَ خَلْقٍ؛ فكُلُّ مُعْجَبٍ أو مُتكبرٍ بنعمَةٍ يَأْنَفُ مِمَنْ هُوَ فقيرٌ مِنْها؛ كُفرًا للنِّعمةِ ومنْعًا للرّحمةِ؛ صحَّ: «لا يَدْخُلُ الجَنَّةَ مَنْ في قَلْبِهِ مِثْقالُ ذَرَّةٍ مِنْ كِبْرٍ»[1]؛ فَنسْألُ اللهَ تعالى العافيةَ في الدّارينِ آمينَ.

ويَدفعُه: إدامَةُ فكرٍ في أصلهِ مِنْ ترابٍ وطينٍ مُنتنٍ ونطفةٍ بمكانٍ قذرٍ؛ فأُوجِدَ بسمعٍ وبَصَرٍ وعَقلٍ ليَعرفَ به أوصافَه، وأخرجهُ تعالى ضعيفًا عاجِزًا، فَرَبّاهُ وقوّاهُ وعلَّمهُ إلى مُنتهاه، وتُلازمُه مع ذلكَ مُستَقْذَراتٌ؛ كبَولٍ غائطٍ مُخاطٍ بُصاقٍ، يَذكرُ فينْسَى، يَعْلمُ فيجهلُ، يَصحُّ فَيسقمُ، يَقْدِرُ فيعجزُ، لا يملكُ ضرًّا ولا نفعًا ولا شيئًا، ومع ذلكَ قَدْ لا يَشكُرُ نِعمةً ولا يذكُرُ عَرْضَ قبائحِه وتفرُّدَهُ بقبرٍ مُوحِشٍ عَن محابّهِ وأحْبابِه، فيَصيرُ جِيفةً والأحْداقُ سالتْ، والألوانُ حالَتْ، والفَصاحةُ زالَتْ، والرُّؤوسُ تغيّرتْ ومالتْ، مع فَتّانٍ يَأتيهِ فيُقْعِدُه ويسألُه عمّا كان يعتقدهُ، ثُمَّ يكشفُ له منَ الجنَّةِ أو النّارِ مقعدَهُ إلى مبعثِهِ، فيرى أرضًا مُبَدَّلةً، وقُبورًا مُبَعْثرةً، وسماءً مُشَقَّقَةً، وشَمْسًا مُكوَّرةً، ونجومًا مُنْكدِرَةً، وملائكةً مُنزلةً، وأهوالًا مُذْعِرةً[2]، وصُحُفًا مُنشَّرةً، ونارًا مُزْفِرةً[3]، وجَنّةً مُزخرَفةً؛ فما لمَن هذهِ حالُهُ والكبرَ ونحوَه، مع أنّه يُحْشَرُ على صُورَةِ الذَّرِّ يطؤهُ النّاسُ كما صحَّ[4].

---

(١) رواه مسلم (٩١) من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه.

(٢) في (هـ، و): مزعجة.

(٣) في (ب): مستعرة.

(٤) رواه البزار كما في «كشف الأستار» (٣٤٢٩) من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما، وفيه القاسم بن عبد الله العمري وهو متروك. كما في «مجمع الزوائد» (١٠: ٦٠٤).

فالكِبرياءُ والعظمةُ للربّ تعالى القادرِ لا للعبدِ العاجزِ؛ فالمُتَكبِّرُ ونحوُه مُبْتَلًى لا يرْحَمُ، وربّما امتنعَ مِنَ العُلماءِ تكبُّرًا لِتوهُّمِ[1] أنّهُ مثلُهُم[2] فيموت جاهلًا بعاقبةٍ مخوفةٍ.

وعِلاجُه: عِلْمُه بضررِه، وإدامةُ فِكْرٍ فيه، وعِلْمُه بشرفِ التَّواضُعِ، وإعمالُه بالقلبِ والقولِ والأعضاءِ بالصّدقِ أبدًا، وصُحبةُ أهلِه ليَصِيرَ متواضِعًا؛ أوَّلُهُ ضبطُ أعمالِه الاختياريّةِ؛ فلا كبرَ ولا صغرَ، علمُهُ تحقُّقَ بعزّةِ الرُّبوبيّةِ وذلّةِ العُبوديّةِ بما بيَّناهُ. مَنْ عَرَفَ قدْرَه وجَهِلَ عاقبتَه وعَلِمَ فَضلَ تواضُعِهِ وضررَ كِبْرِه عَظُمَ ذلُّهُ وتواضعُه بلا كُلْفةٍ، ومتى لَحَظَ عَظَمةَ ربِّه تعالى خَضَعَ ضرورةً بمزيدِ ذُلٍّ؛ فالتّواضعُ تَخلُّقٌ بأخلاقِه تعالى، فإنّهُ تعالى مع كبريائهِ وعَظَمتِهِ وجَلالِه رَحِمَ، عَطَفَ، لَطَفَ، سَترَ، غَفرَ، عَفا، تَجاوزَ، جادَ، ضاعفَ.. إلى ما لا نهايةَ لهُ مِنْ إحسانٍ حالًا ومآلًا.

وعلامةُ حُبِّه تعالى لعبدِهِ: تكميلُ أخلاقِهِ ومحاسنِ أوصافِهِ؛ فرَحِمَ الخلقَ، وانقادَ للحقِّ، وجَمَعَ مكارِمَ الأخلاقِ كما جمعَ المُتكبِّرُ ضِدَّها، فمنعَ الحقَّ وأوحَشَ الخَلْقَ.

ونهايةُ التّواضِعِ: فقدُ تألُّمٍ بذَمٍّ ونحوِه؛ إذ الخاصَّةُ لا تشهدُ لغيرِهِ تعالى فِعْلًا ولا يتَّهِمُونهُ في حُكْمٍ: إنْ رَفَعَهُم ازْدادُوا ذُلًّا، أو خَفَضهُمُ ازْدادُوا رِضًا وذلّةً؛ لم يَرَوا لأنفُسِهِمْ قَدْرًا حتّى يَضَعُوهُ، يُعاملُ كُلَّ أحدٍ بما يُؤنسُه شرعًا بجلْبِ مصالحِهِم دفعًا ونفعًا، بِسَتْرٍ وصُلحٍ ونُصْحٍ برؤيةِ الفضلِ لهُم؛ لأنّهمْ[3] محلٌّ

(١) في (أ، د): امتنع العلماء تكبرًا وليوهم. وفي (ز): امتنع عن العلماء تكبرًا وليوهم.
(٢) في (هـ، و): منهم.
(٣) في (ز): لأنه.

قابلٌ لأعْمالِه وبُلُوغِ آمالِه، ويحذرُ جِدًّا رؤيةَ عَملِه في كُلِّ مقامٍ كيلا يتكبّر بهِ فيزلَّ[١] فيهلكَ، ومَنْ كانَ خوفُه على نفْسِه ورجاؤهُ لغيرهِ أكثرَ سَلِمَ، وعكسُه كِبْرٌ[٢].

* * *

(١) في (هـ، و): فيدل. وفي (أ، د): ويذل.

(٢) في (هـ، و، ز): تكبر.

كتاب ذم الغرور

وهو مَنْبعُ الهَلكَةِ؛ قالَ تعالى: ﴿فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ﴾ [لقمان: ٣٣]، وقالَ تعالى: ﴿وَغَرَّتْكُمُ ٱلْأَمَانِيُّ﴾ [الحديد: ١٤]. وصحَّ: «الكَيِّسُ مَنْ دانَ نَفْسَهُ وَعَمِلَ لِما بَعْدَ المَوتِ، والعاجزُ مَنْ أَتْبَعَ نَفْسَهُ هَواها، وَتَمنَّى عَلى اللهِ الأمانِي»[١]، وربّما غرَّهُ منامٌ، ولْيَقُل: إنْ يَكُنْ[٢] مِنْ عِنْدِ اللهِ يُمْضِهِ»؛ كما في «البُخاري»[٣]، أو غرَّهُ صَلاحُ آبائهِ أو كرمُه تعالى؛ فظنُّه لأهليةٍ فيهِ كظَنِّ الكفَّارِ بالنِّعمِ[٤]؛ فاستَوَى معهُم[٥] في هذا الغُرورِ؛ والكرمُ ليسَ باستحقاقٍ، وظنُّ نجاتِه بتقوى آبائِه كشِبعهِ بأكلِهم، ورُبّما اتّكلَ على عَمَلٍ وذُنوبُه أكثرُ، ورُبَّما ظنَّ طاعتَهُ أكثرَ لفَقْدِ مُحاسَبةِ نَفْسِه؛ كمنْ يُسَبّحُ مئةَ مرَّةٍ ثُمَّ يَقَعُ في غِيبَةٍ وغيرِها باقي نهارِه، ورُبَّ عالمٍ بلا عملٍ ظنَّ أنّه منَ اللهِ بمكانٍ بمُجرَّدِ عِلْمِه! فَغُرُورُهُ ظاهِرٌ، وربَّما عَمِلَ وبه كِبرٌ وَحَسَدٌ ورياءٌ ونحوُها فهالكٌ، وربّما تنزَّهَ وبهِ رئاسةٌ ظنَّها لعِزِّ دِينهِ ونَسِيَ إيثارَ السُّنَّةِ والمَسكَنةِ، ورُبّما تنزّه

---

(١) رواه الترمذي (٢٤٥٩)، والحاكم (٧٩٣٦)، وأحمد (١٧١٢٣) عن شداد بن أوس رضي الله عنه.

(٢) في (ب): كان.

(٣) صحيح البخاري (٧٠١١) من حديث السيدة عائشة رضي الله عنها. ولفظه: «أُريتُك في المنام مرّتين إذا رجُلٌ يحملُك في سرقةٍ من حريرٍ، فيقُولُ: هذه امرأتُك فأكشفُها فإذا هي أنت، فأقُولُ: إن يكُن هذا من عند الله يُمضه».

(٤) في (أ): بالغنم.

(٥) في (هـ، و): فاستوى الشيطان معهُم.

وبه أمورٌ غامِضَةٌ؛ كمَنْ جَمع عُلومًا لنشرِ الشَّريعةِ وباعثُها حَظٌّ، ولو نُسِبَ ما صَنَّفَهُ لغيرِهِ أو انقطعَ أحَدٌ مِنْ أصحابه إلى أعلَمَ منهُ لشَقَّ عليهِ، وتَغَيُّرُ الشيخِ بذلكَ[1] حقٌّ؛ لأنَّ الشيخَ طبيبٌ عالِمٌ بحالِه لِطُولِ صُحبَتِه، فصارَ طِبُّهُ أنفعَ مِنْ غيرِهِ بالنِّسبةِ إلى شَيخٍ جَهِلَ حالَه، وإن كانَ أعلمَ فافْهَم. وربّما قَدَّمَ مَنْ هُو أتبعُ لحظِّهِ، وغُرورٌ قائمٌ بما أسقَطهُ عنه الغَيرُ وهو مُضَيّعٌ لما تَعيَّنَ عليهِ ظاهرٌ، وأعظمُ منهُ ظَنُّ عبدٍ أنَّ حُكمَه بمجلسِ القضاءِ تابعٌ لحُكمِ اللهِ تعالى؛ فَيَتَحيَّلُ في دَفْعِ الحُقوقِ، ومَنْ ألجأ أحدًا ليُبرئَه مِنْ حقِّهِ لم يبرأ عندَ اللهِ تعالَى؛ كمَنْ سُئلَ بمحضرٍ فأعطَى خَوفَ مذَمَّةٍ أو اتِّقاءَ شرٍّ، وكهِبةِ مالِه لزوجتهِ آخرَ الحَولِ واتِّهابِه مالَها لتَسقُطَ زكاتُهُما؛ فلا يبرآن في القيامةِ.

فصل

[في أصناف المغترين]

ورُبَّ مُتعبِّدٍ أهمَلَ فرضًا لشُغلِه بنفلٍ، وربّما لا يَرْضَى بطُهورٍ شَرْعًا لاحتمالاتٍ بَعِيدَةٍ في تنجيسِه أو أسْرَفَ في صبِّه، وربّما طالَ وفَوَّتَ مكتوبةً أو أوَّلَ وقْتِها، ورُبّما غلَبَتْهُ وَسْوَسَةُ النيّةِ وفاتتهُ ركعةٌ معَ الإمامِ، أو غيَّرَ صِيغَةَ التَّكبيرِ، أو شَغَلَه زائدُ افتتاحٍ عَن إنْصاتِه لقِراءةِ إمامِه أو تَصحيحُ حُروفِ تلاوتِه أو كثرةُ سَرْدِهِ عَن فهْمِه واتِّعاظِه، والمرادُ معناهُ للعملِ، وسَرَدَ قومٌ لكنْ بتفهُّمٍ، ومنهُم صائمٌ أو حاجٌّ بلا وَرَعٍ، وربّما جاوَرَ لحظٍّ ويقلُّ احترامُهُ بِطُول مُكْثِه.

وربّما خالطَ الشِّيعةَ فأفسدوا عقِيدتَه لضعفِه، وربّما زَهدَ لحظِّ الرِّئاسةِ،

---

(١) في (أ، ب) زيادة: (على مريده).

وربَّما تركها واحتقرَ غيرَه، وربّما صمتَ عُمْرَه وهو وسيلةٌ لفكرٍ وذكرٍ لا غايةٌ، والغايةُ هو اللهُ تعالى فقط؛ فتنبّهْ لجعلِ أعلى منزلةٍ في الجنّة وسيلةً؛ فاجعلْ كُلَّ غايةٍ تنلها[١] وسيلةً إليه تعالى؛ فلا يَعُوقكَ شيءٌ؛ فَمَنْ جَعَلَ غايتَه غيرَ الله تعالى فهوَ محجوبٌ فافْهَمْ، أو تَشَبَّهَ بالقومِ ظاهرًا فوقعَ النّاسُ فيهم بِسَبَبِه، وربّما ادَّعى بفهمِ كلامِهم وُصُولًا بخيالاتٍ هيَ كُفرٌ[٢] أو بِدْعةٌ، أو يقولُ: العِلْمُ حِجابٌ؛ فيهلِكُ بجهلِه.

ومنهم مُضَيِّعٌ لوقتِه بفحصهِ عَن عُيوبٍ وذِكْرِ علاجِها، وعَن كيفيّةِ فَتْحِه فمُنِعَ مزيدَه؛ إذ لا نهايةَ لعجائبِه تعالى، ورُبَّ مُتَوَصِّلٍ وقفَ بلائحٍ أو بأُنسه بقُربِه! بل المقصودُ الأنسُ بِهِ تعالى لا بالقُربِ. وهذا مِن قِلَّةِ تسليمِهم للمشايخ. وتأمَّلْ تَمثيلَه ﷺ المُؤمنَ بالنَّخلةِ[٣]؛ أي: لا تُثمرُ البتّةَ إلّا بمؤَبِّرٍ؛ فلا كمالَ إلّا بقُدوَةٍ كما شَبَّهَ تعالى اللَّطِيفَةَ الإنسانيّةَ بالزُّجاجِ في الآيةِ[٤] لقَبُولِ الزّيادةِ بِعلاجِه، وهو مفقودٌ في الدُّرِّ؛ لأنّهُ حَجَرٌ لا يَقْبَلُ الزِّيادَةَ؛ فافْهَمْ.

---

(١) في (ب، ز): نلتها.

(٢) في (أ): كفرية.

(٣) روى البخاري (٦١)، ومسلم (٢٨١١) عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «مثلُ المُؤمن كمثل شجرةٍ خضراء، لا يسقُطُ ورقُها، ولا يتحاتُّ». فقال القومُ: هي شجرةُ كذا. هي شجرةُ كذا، فأردتُ أن أقول: هي النّخلةُ. وأنا غلامٌ شابٌّ فاستحييتُ، فقال: «هي النّخلةُ».
وفي غير (أ، ب، د): (المسلم) بدل (المؤمن)، وهي كذا في بعض رواياته.

(٤) في قوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ مَثَلُ نُورِهِۦ كَمِشْكَوٰةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ ۖ ٱلْمِصْبَاحُ فِى زُجَاجَةٍ ۖ ٱلزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّىٌّ يُوقَدُ مِن شَجَرَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَّا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِىٓءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ ۚ نُّورٌ عَلَىٰ نُورٍ ۗ يَهْدِى ٱللَّهُ لِنُورِهِۦ مَن يَشَآءُ ۚ وَيَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَٰلَ لِلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ﴾ [النور: ٣٥].

فصل
[في صفات بعض المغترين، وعلاج الغرور]

وقومٌ عَزَّتْهُم أوقافٌ بمالِ رِشوةٍ ونحوِها، ودرهمٌ في السِّرِّ يَثْقُلُ عليهم، فيلزمُهم ردُّ المالِ لأهلِه وبفقْدِهِم للورثةِ وبفقْدِهم للفُقراء، وربّما هي بمالٍ حلالٍ للرياءِ، وصرفُه للفقراءِ أهمُّ، ورُبّما تصدَّقوا للفُقراءِ بمَحْضَرٍ، وحجُّوا تَطوُّعًا مع عِلمِهِم بضَررِ جيرانِهم، ومنهُم مَنْ بخلَ بماله واغترَّ بما لا نَفقةَ فيه كَصَومٍ، فَهوَ كمَنْ دخلَ ثوبَهُ حيّةٌ، واشتغَل بطبخِ شرابٍ للصفراء، ورُبَّما زكّى مالَه بِرَدِيّهِ، ومنهُم مَن يحضرُ مجلسَ[1] الذِّكْرِ، وكُلُّ وعْظٍ لا يجُرُّ خيرًا فهوَ حُجَّةٌ.

وَرُبَّ قائلٍ: مَنْ يَسْلَمُ مِنَ الغُرورِ؟

والجوابُ[2]: لمّا أهمَّتْهُم الدُّنيا استخرَجُوا مِنَ البحرِ وغيرِهِ أشياءَ عجيبةً ومقاديرَ الكواكبِ، ولو أهَمَّتْهُم الآخرةُ لنالُوها، ومدارُه عَلى تَقْويمِ القلبِ، وقدْ فعلَه الأكياسُ.

وَيُنْجِي مِنَ الغُرورِ: صفاءُ العقلِ لفهمِ الحقائقِ، ومعرفةُ ربّه تعالى ونفسِه ودُنياه وموتِه وما بعدَهُ؛ فيرغَبُ ويرهَبُ، وتصحُّ نيّتُه، وإذا غلبَ حُبُّ الله تعالى تعلَّمَ السُّلوكَ وآفاته وما يُقرِّبُه، فيعرفُ العباداتِ والعاداتِ ويُتْقِنُ أدبَه شَرْعًا، ويَعرفُ المُهلكاتِ والمُنجياتِ، وتُوضعُ خلفًا عَن المُهلكاتِ بعدَ محوِها، وبالغْتُ في اختصارِها لتُحفَظ. وبإحاطَتِه بكُلِّ ذلكَ معَ شيخٍ مُرشدٍ يُمكنُهُ الحذرُ مِنَ الغُرورِ، ويُلْزِمُ قلبَه الخوفَ أبدًا، ويُقْبِلُ على اللهِ تعالَى بقَطْعِ علائقِ

---

(١) في (أ، ب، د): مجالس.

(٢) في (ب، ز): وجوابه. وفي (هـ، و): فالجواب.

الدّارينِ لا يُريدُ منهُما سِواهُ تعالى، ويُرشدُ إلى مَنْ هوَ أسلكُ منهُ ما أمكنَهُ، وإلّا نصَحَ بلا حظٍّ ولا يزيدُ على ما لا بُدّ منْهُ.

تنبيه:

الغُرُورُ: اعتقادُ نَقِيضِ الحقِّ.

والغِرَّةُ بالله تعالى: التَّمادِي في الذُّنوبِ على رجاءِ العَفْوِ.

والغِرَّةُ بالشَّيطانِ: الرَّغبةُ في الذُّنوب بوَعْدِ أن لا يُعذِّب مثلَه.

والغُرُورُ بالدُّنيا: الميلُ إلى ظاهِرها لمُزَخْرفٍ؛ لنحوِ: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَـٰطِينَ ٱلْإِنسِ وَٱلْجِنِّ يُوحِى بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ ٱلْقَوْلِ غُرُورًا﴾ [الأنعام: ١١٢].

وغُرورُ النَّفسِ: الوقوعُ في الذَّنبِ بباعثِ الشَّهوةِ وَوَعْدِ التّوبَةِ[١].

تَمَّ رُبْعُ المُهْلِكاتِ[٢]
يَتْلُوهُ[٣] رُبُعُ المُنْجِياتِ

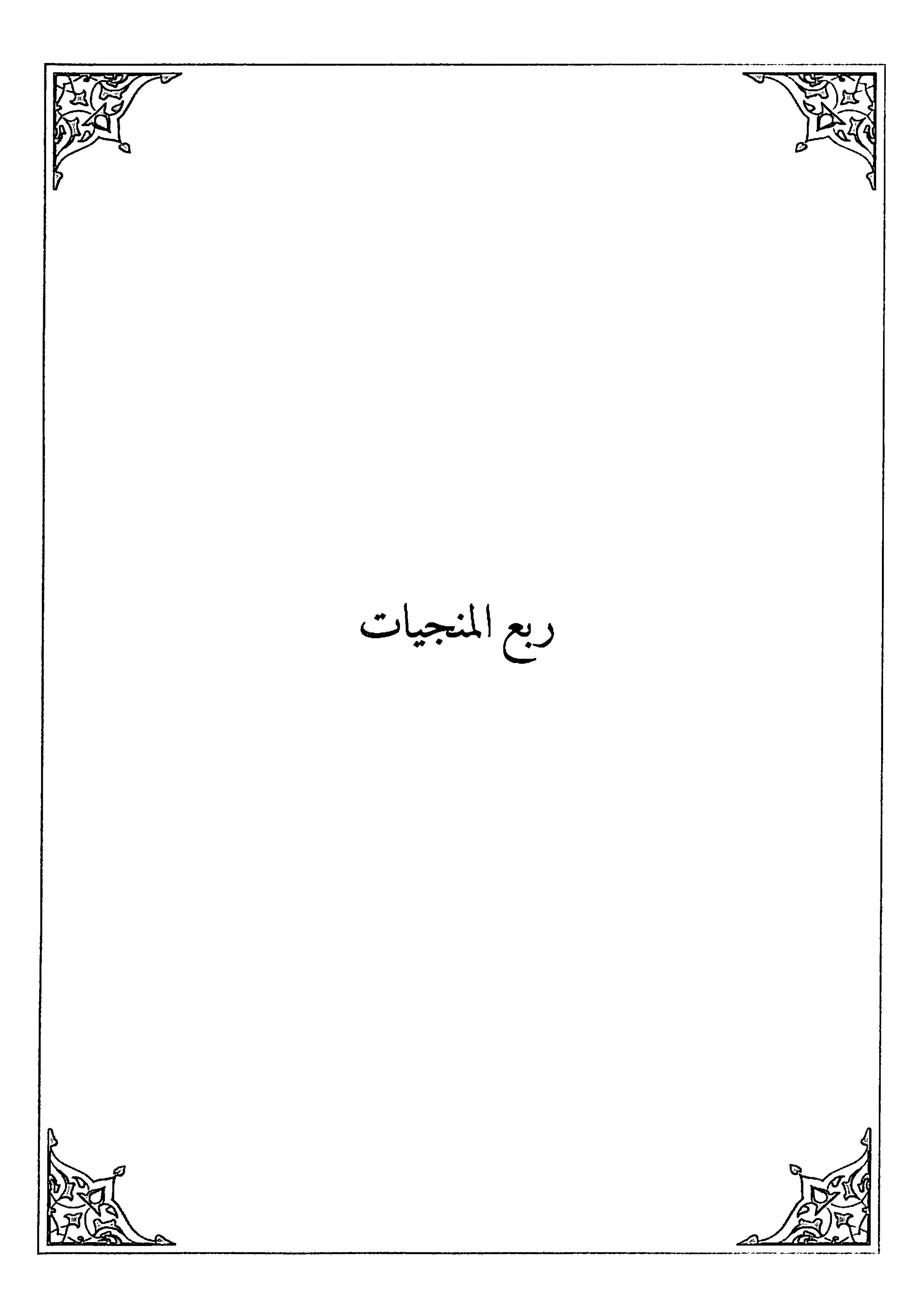
❊ ❊ ❊

---

(١) من قوله: (وغرور النفس...) إلى هنا مثبت من (أ، د).

(٢) في (ج): تم بحمد الله تعالى.

(٣) في (ج): إن شاء الله.



ربع المنجيات



كتاب التوبة

وبها سَعادةُ الأبدِ؛ قالَ اللهُ تعالى: ﴿وَتُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [النور: ٣١]، وقالَ تعالى: ﴿وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ [الحجرات: ١١]. وهي عِلْمٌ وعَملٌ، ولا يصحُّ عملٌ بلا عِلْمٍ، ولو وافقَ بلْ يَأْثَمُ المُكلَّفُ بإقدامِه؛ لرفعِ حُكمِ القلمِ عَنِ الثّلاثِ في الحديثِ؛ وسندهُ حسنٌ[١]، وأُمرَ وليُّ الصّبيّ بأمرِه بالصَّلاةِ[٢].

فالتّوبَةُ: عِلْمٌ، ندمٌ، تركُ ذنبٍ، عَزْمٌ ألا يَعُودَ، ردُّ ظُلامةِ آدميٍّ، هَجْرُ بُقعتهِ وأعْوانهِ؛ كتغريبِ زانٍ، ما لم يُغرغِر أو تطلُعِ الشَّمسُ مِن مَغرِبها، إخلاصٌ في نَدمِه وتركِه وعَزمِه، قُدرةٌ عليهِ، مَيْـلُ طَبْـعٍ إليهِ، تأكِيدُ عَزْمٍ على تَرْكِه؛ نَعَمْ مَن عجزَ فَنَدِمَ أو تَرَكَ وعزمَ وتعذَّرَ ندمُه فتوبةٌ كَفَرْضٍ وَجَبَ مَيْسُورُه لا مَعْسُورُه، أو عجزًا بلا ندمٍ أو جهلًا أو سهوًا أو شُحًّا أو رياءً فسلامةٌ؛ إذ لم يُخْلِصْ في تركِه فيُثابَ ولم يَفْعَل فيُعاقَبَ ـ فإنْ قيلَ: تركُ العملِ لأجلِ النّاسِ رياءٌ. قُلنا: نَعَمْ في المصالحِ، وأمّا تركُ المفاسدِ فليسَ كذلك؛ إذِ القصدُ شَرْعًا تركُ المفسدةِ كيفَ

---

(١) رواه أبو داود (٤٤٠٢)، والترمذي (١٤٢٣)، وابن خزيمة (١٠٠٣)، وأحمد (١١٨٣) عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «رُفع القلمُ عن ثلاثةٍ: عن الصّبيّ حتّى يبلُغ، وعن النّائم حتّى يستيقظ، وعن المعتُوه حتّى يبرأ».

(٢) روى أبو داود في «سننه» (٤٩٥) عن عمرو بن شُعيب، عن أبيه، عن جدّه، قال: قال رسولُ الله ﷺ: «مُرُوا أولادكُم بالصّلاة وهُم أبناءُ سبع سنين، واضربُوهُم عليها وهُم أبناءُ عشر سنين، وفرّقُوا بينهُم في المضاجع».

كانَتْ فافهمْ ـ أو تابَ ليُثابَ صحَّتْ؛ إذ باعثُها إيمانُه بالوَعيدِ، أو حياءً ونحوَه فكمالٌ؛ فالتّوبةُ عَنْ مُحرَّمٍ فَفَرْضٌ فوريٌّ، وعَن شُبْهَةٍ وفُضولِ مُباحٍ، ثُمَّ عَن كُلِّ شاغلٍ ففضيلةٌ، ثُمَّ عَن رؤيتها لرؤية مِنّتِه تعالى فيها فشكرُه عليها؛ فاتِّهامُ نفْسِه في تحقيقِها وتكمِيلها فرُؤيةُ تقصيرهِ فيها فنهايةٌ، وذُهولُه بِهِ تعالى وعَن غيرِها فوُصْلةٌ[١] ـ فافهمْ ـ وكُلُّ مقامٍ علمُه معرفةٌ مُثمرةٌ وثمراتُه ليقْوَى باعثُه على فِعْلِه.

وأجْمَعُ شيءٍ في التّوبةِ: ﴿وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا۟ فَٰحِشَةً أَوْ ظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا۟ ٱللَّهَ فَٱسْتَغْفَرُوا۟ لِذُنُوبِهِمْ ...﴾ إلى قولهِ: ﴿وَهُمْ يَعْلَمُونَ ...﴾ الآيةَ [آل عمران: ١٣٥][٢].

وتحقُّ التوبةُ بصدقِ ثقتِه بالمغفرةِ وبدوامِ استقامتهِ. نَسِيَ ذنبه فسَلِمَ، ولم يركنْ إلى عملٍ، وهُو[٣] سرُّ التَّوبةِ؛ أي: خفاياها ولطائفها أدقُّ. أجرى ذَنْبكَ، ولو شاءَ لمنعكَ منه ليُرِيَكَ قهرَه وسترَه وحِلمَه وكرمَه ومغفرتَه بقَبولِ[٤] توبتك، أو ليُقيمَ حُجَّتَهُ عليكَ ليُعذِّبكَ، ومنها تشهدُ في كُلِّ طاعةٍ مِنّتَهُ تعالى ولَوم نفْسِك لغلبةِ هواها، ومتَى قوِيَ نظرُكَ للسّابقةِ فَترَتْ عَن نظرِ كُلِّ سَيِّئَةٍ وحَسنَةٍ؛ لإبهامِ الخاتمةِ وعدمِ ارْتباطِ السّابقةِ بعملٍ؛ فتوبةُ العوامِّ كثرةُ طاعةٍ تُنسِيهم سَبْقَ سَتْرِ ذُنوبهم ويَرَون[٥] لهم بها حقًّا وأنّهم أغنياء بعلْمِهِمْ، وأوسطُهُم توبتُه عَن تَسْهِيلِ الذنبِ وعدمِ تعظيمِ النَّهي، وأرفعُ منها توبةٌ عَن تضييعِ وَقْتٍ وعَن مقامٍ فوقَه مقامٌ؛ فالغَفْلةُ كدَرٌ وقِلّةُ نُورٍ فلا يَرى زيادةً ولا نقْصًا، فما أفْهمَ قِلّةَ اكتراثِ مُرْتكبهِ ورِقّةَ دَيانتهِ فكبيرةٌ؛ كقتلٍ ولو بشِبْهِ عَمْدٍ؛ زنًا،

---

(١) من قوله: (وذُهولهُ به تعالى...) إلى هنا مثبت من (هـ، ز).

(٢) والآية بتمامها: ﴿وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا۟ فَٰحِشَةً أَوْ ظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا۟ ٱللَّهَ فَٱسْتَغْفَرُوا۟ لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا۟ عَلَىٰ مَا فَعَلُوا۟ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾.

(٣) في (هـ، و): وهي.

(٤) في (أ): ومعرفته بقبول.

(٥) في النسخ: ويروا.

لواطٌ[١]؛ كدُبُرِ زوجتِهِ، وطءٌ في حَيضٍ، شُرْبُ خمْرٍ، سَرِقةٌ، غَصْبٌ، قذْفٌ، نميمةٌ، غِيبَةٌ ـ قالهُ الشّافعيُّ رضيَ الله عنهُ رَواها الكَرابيسِيُّ عنهُ[٢]. نَعَمْ تحرُمُ غِيبَةُ ذِميّ وَمَنْ في أمانِنا وفاءً بِعهْدِنا، ويجبُ ذبُّنا لعَهدِهم عن مالِهم وعِرضِهم وترغيبًا في الإسلامِ والجزيةِ، وأخطأ مَن أباحَها؛ لحديثِ: «مَنْ سَمَّعَ ذِمِّيًا وَجَبَتْ لَهُ النّارُ»[٣]؛ أي: اغتابَهُ أو سمَّعَهُ ما يكرهُ ـ عدمُ نَهْيِ سامِعِها، شهادةُ زورٍ، يمينٌ فاجرةٌ، قطيعَةُ رَحِمٍ، عُقوقٌ ولو لعمٍّ أو خالةٍ ولغيرهِ صغيرةٌ، والعُقوقُ أذَى وليسَ بهَيِّنٍ[٤]، فرارٌ، أكلُ مالِ يتيمٍ، خيانَةُ كيلٍ وزنٍ ذرعٍ، تقديمُ صلاةٍ، تأخيرُها كترْكِها بلا عُذرٍ شرعيٍّ، كذِبٌ عليهِ ﷺ، كَذبٌ في الأقوالِ ـ إذ في المعاريضِ غُنْيةٌ ـ مِراءٌ بباطِلٍ، ضربُ مسلمٍ بلا حقٍّ كزيادةٍ على ما يَسْتَحقُّه، سبُّ صحابيٍّ، وقيعةٌ في العُلماءِ والقُرّاء، كِتمانُ شهادةٍ، رِشْوَةٌ؛ مُعطِيها، والواسطةُ فيها؛ ليُحقَّ باطِلًا أو يُبطل حَقًّا، دِياثَةٌ على أهلِه، قيادَةٌ على أجنبيٍّ،

---

(١) في بعض النسخ ضبطت بالجر عطفًا على (كقتلٍ)، وفي بعضها بالرفع استئنافًا.

(٢) الكرابيسي هو الحسين بن علي بن يزيد البغدادي أبو علي، صاحب الإمام الشافعي رضي الله عنه، وأشهرهم بإثبات مجلسه، وأحفظهم لمذهبه، وهو أحد رواة مذهبه القديم، وله تصانيف كثيرة في أصول الفقه وفروعه، كان متكلمًا، عارفًا بالحديث، وصنّف أيضًا في الجرح والتعديل وغيره، وأخذ عنه الفقه خلق كثير، ونُسب إلى الكرابيس، وهي الثياب الغلاظ، وأحدها كرباس ـ بكسر الكاف ـ وهو لفظ فارسي معرب؛ لأنه كان يبيعها فنُسب إليها. وتوفي سنة ثمان وأربعين ومئتين. «تهذيب الأسماء واللغات» للنووي (٢٨٣).
ونقل القول بأن الغيبة كبيرة من الكبائر الإمامُ ابن حجر في «الزواجر عن اقتراف الكبائر» (ص١٩) حيث قال بعد أن نقل كلام الأذرعي: وتبعه تلميذه في «الخادم» فقال: الصواب أنها كبيرة، وقد نص عليه الشافعي رضي الله عنه فيما نقله الكرابيسي في كتابه المعروف بـ«أدب القضاء» من القديم... إلى آخر كلامه.

(٣) رواه ابن حبان في «صحيحه» (٤٨٨٠) من حديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: «من سمّع يهُوديًا أو نصرانيًا دخل النّار».

(٤) في (ز): والعقوق أولى ليس بهين، وجاءت العبارة فيها متقدمة بعد قوله: (وعقوق).

سعايةٌ لسلطانٍ بمضرَّةِ مُسلمٍ ولو صِدْقًا، قَبولُها، مَنْعُ زكاةٍ، يأسٌ مِنْ رَحمةٍ، أمْنُ مَكْرٍ؛ فيَحرمُ أن يُحدِّثَ نفسَه بقُربِهِ منهُ تعالى، أو إدلالٌ عليهِ تعالى بعملٍ[١]، ظِهارٌ، أكلُ لحمِ خنزيرٍ وميتةٍ بلا عُذْرٍ ـ فأكلُ لحمِ أخِيهِ بغِيبةٍ أبلغ فافْهم ـ فِطْرُ رَمضانَ بلا عُذرٍ، تركُ حجٍّ لمن ماتَ قادرًا، غُلولٌ، مُحاربةٌ، سِحْرٌ، ربًا، آكلُه، مُوكلُه، نسيانُ قُرآنٍ بلا عُذرٍ، تركُ أمرٍ بمعروفٍ أو نهيٍ عَن مُنكرٍ لقادرٍ، إحراقُ حَيوانٍ ولو استُحِبَّ قتْلُه، لعبٌ بنردٍ وطابٍ ونحوِهما. وفيه نظرٌ بلْ هُوَ صَغيرةٌ[٢]؛ كذنبٍ رَبتْ مفسدتُه على مَفْسَدةٍ كبيرةٍ منصوصَةٍ. وإلّا فصغيرةٌ كنظرٍ لِما حَرُمَ، ضَحِكٌ لخُرُوجِ ريحٍ، كثرتُهُ بلا سبَبٍ، كذبٌ بلا ضررٍ، اطّلاعٌ على بُيوتِنا، هجرٌ فوقَ ثلاثٍ بلا عُذرٍ، كثرةُ مخاصَمَةٍ ولو بحقٍّ، تَبخْتُر مشيٍ، مُجالَسةُ فسَقَةٍ إيناسًا، إمامَةٌ بكارِهيه لعَيبِهِ، عَبَثٌ في صلاةٍ، تخطِّي رقابِ يومَ جمعةٍ، أو جُرْأةُ كلامٍ وإمامُه يَخطبُ، تَغوّطٌ بفضاءٍ للقبلةِ مُسْتَقْبلًا أو مُسْتَدْبِرًا أو بمِلْكِ غيرٍ، تَنجيسُ عُضْوٍ كأنملةٍ لغيرِ ضرورةٍ ومُحترمٍ بحياةٍ وعِلْمٍ وجزءِ مَسْجِدٍ وطُعْمٍ كعظْمٍ[٣]، قُبْلَةُ صائمٍ بشهوةٍ، وصالُ صومٍ، استمناءٌ، مُباشرةُ أجنبيّةٍ، خَلوةٌ بها، وطءُ رجعيّةٍ أو مُظاهَرةٍ قبلَ مَبيحِهِ، شِراءٌ وبيعٌ وإدخالُ صبيٍّ أو مجنونٍ أو نجاسةٍ أو غَرسٍ بمسجدٍ، تمنُّعُها على زَوجٍ بلا سبَبٍ، سفرُها بغيرِ زوجٍ أو محرَمٍ أو نِسوةٍ ثِقاتٍ، بيعٌ على بيعِ أخيهِ؛ كَسَومٍ وخِطبةٍ ما لم يُؤذَن، بيعُ حاضرٍ لبادٍ، تلقِّي رُكبانٍ، احتكارٌ، زيادةُ ثمنٍ لَخَدْعةٍ، كبيعِ مَعِيبٍ بلا بيانِهِ، أو مسلمٍ أو مصحفٍ أو كتابِ علمٍ شرعيٍّ لكافرٍ؛ تصريةٌ، إمساكُ خَمرٍ غيرِ مُحترمةٍ، تنجيسُ نحو بدَنهِ مِنْ غيرِ حاجةٍ.

ومَنْ غَلبَ خيرُه قُبلتْ شهادتُه، ويَردُّها رَذيلةٌ مباحةٌ؛ كإرْسالِ رِيْحٍ أو قُبْلَةٍ نحوَ زوجةٍ بحضرةِ ناسٍ، فيحرمُ عقدُ نُكاحٍ به ثانيَ اثنينِ أو علِمَ فسقَ نفسِه

---

(١) في (ب، ج): بقربه تعالى أو إدلال عليه تعالى. وفي (هـ): (بعلمه) بدل (بعمل).

(٢) في (ب، ج): من الصغائر.

(٣) في (ب): تنجيسُ مُحترمٍ؛ كإصبعٍ وأرض غيرٍ ما لم يضطر.

لا ثالثَ ثلاثةٍ، شقُّ جَيبٍ في مُصيبَةٍ، صلاةٌ بوَقْتِ نهيٍ، كَشْفُ عورَةٍ بخلْوَةٍ لغيرِ حاجةٍ، اتِّخاذُ كلْبٍ بلا مُبيحِهِ.

ويمحُوها تركُ كلِّ كبيرةٍ، أو عُقوبةٌ عليها، وحدُّ الكبيرةِ يُكفِّرُها، لِما صحَّ[1]، وفي ابنِ حِبّانَ: «الحُدُودُ كَفّارَةٌ لِأَهْلِها»[2]، ولِما في أبي داودَ الطَّيالسيِّ: «لا يُلْدَغُ المُؤْمِنُ مِنْ جُحْرٍ مَرَّتَينِ»[3] كما أفهمَه النَّوويُّ رحمهُ الله في «الفتاوى»[4]، والإسنويُّ في «المهمّاتِ»[5]؛ فافْهم ذلكَ.

---

(١) روى البخاري (٦٧٨٤) عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه، قال: كنا عند النبي ﷺ في مجلس، فقال: «بايعُوني على أن لا تُشركُوا بالله شيئًا ولا تسرقُوا ولا تزنُوا ـ وقرأ هذه الآية كُلّها ـ فمن وفى منكُم فأجرُهُ على الله، ومن أصاب من ذلك شيئًا فعُوقب به فهُو كفّارتُهُ، ومن أصاب من ذلك شيئًا فسترهُ اللهُ عليه إن شاء غفر لهُ وإن شاء عذّبهُ».

(٢) صحيح ابن حبان (٤٤٠٥) من حديث عبادة بن الصامت رضي الله عنه قال: «أخذ علينا رسول الله ﷺ كما أخذ على النساء منا وقال: من أصاب منكُم أو منهُنّ حدًّا، فعُجّلت لهُ عُقُوبتُهُ، فهُو كفّارتُهُ، ومن أُخّر عنهُ فأمرُهُ إلى الله إن شاء رحمهُ، وإن شاء عذبه». وهو عند الترمذي (١٤٣٩) بلفظ: «تُبايعُوني على أن لا تُشركُوا بالله شيئًا، ولا تسرقُوا، ولا تزنُوا ـ قرأ عليهمُ الآية ـ فمن وفّى منكُم فأجرُهُ على الله، ومن أصاب من ذلك شيئًا فعُوقب عليه فهُو كفّارةٌ لهُ، ومن أصاب من ذلك شيئًا فسترهُ اللهُ عليه، فهُو إلى الله، إن شاء عذّبهُ، وإن شاء غفر لهُ». قال الترمذي: حديث حسن صحيح. وقال الشافعي: لم أسمع في هذا الباب أن الحد يكون كفارة لأهله شيئًا أحسن من هذا الحديث. وقال: وأحب لمن أصاب ذنبًا فستره الله عليه أن يستر على نفسه ويتوب فيما بينه وبين ربه، وكذلك روي عن أبي بكر وعمر أنهما أمرا رجلًا أن يستر على نفسه.

(٣) مسند أبي داود الطيالسي (١٨١٣) من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما. وقال أبو داود: لا يعاقب على ذنبه في الدنيا فيعاقبه عليه في الآخرة. والحديث عند البخاري (٣١٦٦)، ومسلم (٢٩٩٨) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٤) فتاوى الإمام النووي (ص٢١٨) حيث سئل: مسألة: في من قُتل مظلومًا، فاقتص وارثه، أو عفا عن الدّية، أو مجانًا، هل على القاتل بعد ذلك مطالبةٌ في الآخرة؟

الجواب: ظواهر الشرع تقتضي سقوط المطالبة في الآخرة، والحالة هذه.

(٥) قوله: (والإسنوي في «المهمات») مثبتة من (هـ، ز). =

وإلا فالعِبادةُ تُكفِّرُ منها وقد تُكفّرُها؛ إذ قد يغفرُها تعالى بلا واسطةٍ كرمًا؛ فافْهم.

ارتكب كبيرةً أو لم يتبْ مِنْ صغيرةٍ، فسقَ ولم تُقبَلْ شهادتُه قبْلَ توبتِه ومُضِيِّ سنةٍ.

ويحرمُ لعبٌ بنحوِ شطرنجٍ فيهِ تصاويرُ أو قمارٌ أو فوَّتَ حقًّا أو نحو غيبةٍ، وإلا فلا، ويُكرهُ على طريقٍ وإكثاره ومَنقَلةٍ وكنُجُفَةٍ كشَطْرَنجٍ، أو بحَمامٍ فرذيلَةٌ، ويَحرُم تَعْذِيبٌ؛ كَترْقِيصِ قِرَدَةٍ وهِراشِ دِيَكةٍ ونحوِه، ونِطاحِ نحوِ غَنمٍ، ولعبٌ بِصُوَرٍ، وإعانةٌ عليها كتفرُّجٍ، وأفْتَى ابنُ الرِّفْعَةِ بتحريمِ نظَرِ الزّينةِ[١].

وأسرعُها عُقوبةً بَغْيٌ، قطيعةُ رَحمٍ، كُفرُ إحسانٍ؛ فعِلْمُ كُلِّ ذنْبٍ مُهِمٌّ، وعِلْمُ ضررِهِ ومنافعِ ترَكها ثُمَّ إدمانُ فِكْرٍ في ذلك يُنتجُ ندمًا بمشيئتِهِ تعالى، ويجبُ منهُ ما يُتركُ به الذَّنبُ فِرارًا مِن الشَّواغلِ إليهِ تعالى[٢]: مِن جهلٍ إلى عِلْمٍ، ومِن كَسلٍ إلى عَمَلٍ بما علم جُهدًا، ومِن خَوفٍ إلى حُسْنِ ظنٍّ به تعالى، ومِن ضيقِ سَبَبٍ إلى سعَةِ الرِّضا بالقَضاءِ، ثُمَّ مِنَ التقليدِ إلى الدَّليلِ بشهودِ الآياتِ[٣] الدّالةِ عليهِ

= فإنه قال رحمه الله: فإن الإجماع قائم كما ذكرنا في الشهادات على أن التوبة مسقطة. «المهمات» (٨: ٣٤٤).

(١) قال الحليمي رحمه الله: ويحرم التحريش بين الكلاب والديوك؛ لما فيه من إيلام الحيوان بلا فائدة. وقال ابن سراقة في «أدب الشهود»: ويحرم ترقيص القرود؛ لأن فيه تعذيبًا لهم، وفي معناه الهراش بين الديكين والنطاح بين الكبشين. واعلم أنه يحرم التفرج على هذه الأشياء المحرمة؛ لأن فيه إعانة لهم على الحرام، وكذلك على من يلعب بالعصفور ويجمع الناس عليها. ينظر: «أسنى المطالب في شرح روض الطالب» (٤: ٣٤٤).

(٢) سبق نظر الناسخ من (تعالى) إلى (تعالى) فأسقط ما بينهما.

(٣) في (ب، ج): الآثار.

تعالى، وعَنْ رؤيةِ الأعمالِ إلى خالقِها تجريدًا، ثُمَّ يَفِرُّ منهُ إليه تعالى، ثُمَّ يَفِرُّ مِنْ رؤيةِ فرارِهِ، ومَنْ فرَّ مِن محسوساتِه إلى معقولاتِه رأى قلبُه ربَّهُ تعالى فأنابَ إليه تعالى بتكرارِ رُجُوعِه، ولو لم يكنْ ذنبٌ إلى إصلاحِ كُلِّ حالٍ وتكميلِ كُلِّ مقامٍ كما رجعَ عَن ذُنوبِه، وتحقُّ بالخروجِ عَنْ كُلِّ تَبِعَةٍ، والتوجُّعِ لكُلِّ عَثْرةٍ، وقضاءِ كُلِّ فائتٍ، وتكمُلُ بفَقْدِ لذَّةِ[1] ذنبٍ عندَ ذِكْرِهِ، وعدمِ احتقارِ غافلٍ خائفًا على نَفْسِه راجيًا لغيرِه رُجوعًا ببدنِه وعقلِه وحالِه؛ فاقدًا لاعتمادِ عَملٍ ونَظرٍ إلى غيرِهِ تعالى.

وتُثمرُ الإنابةُ مقامَ الإخباتِ، وهو انقيادُه إليهِ تعالى بالعُبوديّةِ بسهولةٍ، وقد يمنحُ بتوبتهِ ما لا ينالُه غيرُه، وقد ينعكسُ كمُريدٍ عبَدَ بمَشقَّةٍ وكاملٍ بسُهولةٍ، وتأمَّلْ: «أعْلاها لا إلَهَ إلَّا اللهُ، وأدْناها إماطَةُ الأذَى عَنِ الطَّرِيقِ»[2]؛ فما كلُّ شاقٍّ بأفضلَ ولا كُلُّ سَهْلٍ بمفضُولٍ؛ كعَملٍ خفَّ طلبًا وثقُل حَسنةً، أو ثقُل حُجُبًا وخَفَّ حُبًّا؛ فأتقاهُم أفضلُ، ومتّى استَويا فمَغفورٌ، ومَن لم يُذْنِبْ فمأجورٌ، فالاستقامةُ نهايةٌ، والتوبةُ بدايةٌ، وقد يَرِدُ على التائبِ حالُه، وقد يُزادُ وقد ينقصُ أو لا يُقبلُ؛ لأنّ القَبولَ: ﴿لِّمَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا ثُمَّ ٱهْتَدَىٰ﴾ [طه: ٨٢] كما في الآيةِ، أو لم يُقبل منهُما سلِم من لم يُذنب.

وتصحُّ التوبةُ بعدَ نقضِها، وعَن ذنبٍ ولو صغُر مع إصرارٍ على غيرِهِ ولو كبرَ، لا مِنْ نوعِ خمرٍ وبعضِ زنا ونحوِهما، ويُشترطُ عِلْمُ تخلُّصهِ مِنْ آثمِه وتوقِّيه منهُ، وردُّ الحقوقِ فلو تأخّرَ لا تفسدُ التّوبةُ. وعقدُها بلا لفظٍ؛ نَعمْ يُشترطُ اللفظُ مِن قَذْفٍ ونحوِه كردّةٍ، وتركُ فِكْرِ الذّنبِ أسلَمُ بل يعتذرُ؛ كـ: ﴿ظَلَمْنَآ

---

(١) في (ج): بفقداته. وفي (ب): بفقدانه كل.

(٢) رواه مسلم (٣٥) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه. و(عن الطريق) مثبت من (هـ، و).

أَنفُسَنَا...﴾ الآيَةَ [الأعراف: ٢٣]، «وأَبُوءُ بِذَنْبِي...» الحديثَ كما صحَّ[١] ما لم يأنس؛ إذ لا يتمُّ نعيمُ أُنسِهِ ولو في الجنّةِ إلّا بنسيانِ ذَنْبِهِ. أَخْفَى تعالى سخطَه فاحذَرْ كُلَّ ذنبٍ، وأخْفَى رضاهُ فاحذَرْ تركَ شيءٍ مِن خيرٍ.

وأدلّةُ وُجوبِ التّوبَةِ وقَبولِها والمغفرةِ بها، وفَرحِ اللهِ تعالى بتوبةِ عَبدِه شهيرَةٌ،كما في «الصَّحيحين»[٢]، وأفْرَدَ مُسلمٌ: «إنَّهُ لَيسَ أحَدٌ أحَبَّ إليهِ العُذْرُ مِنَ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ»[٣].

ولا تتمُّ إلا بعُزلةٍ، وصمتٍ، ودوامِ أكلِ حَلالٍ، وقلّةِ نومٍ وأكلٍ، وتركِ شهواتٍ، وفِكْرٍ في غايةِ قُبحِ الذَّنب وشدةِ عقابِه وأليمِ عَذابِه وسَخَطه وغضبِه، وهو انتقامُهُ أو إرادةُ انتقامِه، وشدّةِ ضعفكَ عَن قَرْصِ نَمْلَةٍ؛ فبادِر بالتّوبةِ تُوفَّق للطاعةِ وتَصلُحْ للقَبُولِ قبلَ أن يبلُغَ بكَ سُمُّ ذنبِكَ إلى قلبِكَ؛ كإبْليسَ وبَلْعام وبَرْصِيصا؛ أوَّلُهم ذنبٌ ثُمَّ كُفْرٌ وشقوةُ الأبدِ؛ فافْهَمْ، واتّقِ تُقْبَل؛ قالَ اللهُ تعالى: ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ﴾ [المائدة: ٢٧].

ومَنابِعُ الذُّنوبِ صفاتٌ رُبوبيّةٌ بكِبْرٍ ونحوِه، وشيطانيّةٌ بمَكرٍ ونحوِه، وسَبْعِيّةٌ[٤] بغضبٍ ونحوِه، وبَهِيميّةٌ بشَرَهٍ؛ منها معاصِي القلبِ والجوارحِ، وسَبقَ ذكرُها، وتعظُمُ الصَّغيرةُ بإدمانِها واستصغارِها؛ كما صحَّ: «إنَّ المُؤْمِنَ يَرَى ذُنُوبَهُ كَأَنَّهُ

---

(١) رواه أبو داود (٥٠٧٠)، ومسلم (٣٨٧٢)، وأحمد (٢٣٠١٣)، وابن حبان (١٠٣٥) من حديث بريدة رضي الله عنه.

(٢) روى البخاري (٦٣٠٩)، ومسلم (٢٧٤٧) عن أنس رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «اللهُ أفرحُ بتوبة عبده من أحدكُم سقط على بعيره وقد أضلّهُ في أرض فلاةٍ».

(٣) رواه مسلم (٢٧٦٠) من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه.

(٤) في (ب): وسبُوعية.

في أصْلِ جَبَلٍ يَخافُ أنْ يَقَعَ عَلَيهِ، وإنَّ الفاجِرَ يَرَى ذُنُوبَهُ كَذُبابٍ وَقَعَ عَلَى أنْفِهِ، فَقالَ بهِ هَكَذا فَطارَ»[١]. ورَوَى البُخاريُّ عَنْ أنسٍ رضيَ اللهُ عنهُ: «إنَّكُمْ لَتَعْمَلُونَ أعْمالًا هِيَ أدَقُّ في أعْيُنِكُمْ مِنَ الشَّعْرِ، إنْ كُنّا لَنَعُدُّها عَلى عَهْدِ رَسُولِ اللهِ ﷺ مِنَ المُوبِقاتِ»[٢].

فلا يَنْظرُ لصِغَرِ ذَنْبه بلْ لِمَن عَصَى، وتعظُمُ بفرحِه بها وبتهاونِه بسترِه تعالى وحِلْمِه وبذكرها؛ وصحَّ: «كُلُّ أُمَّتِي مُعافًى إلّا المُجاهِرينَ»[٣]، وتعظمُ بالاقتداءِ به فيها فيحترزُ العالمُ ونحوُه، وصحَّ: «مَنْ سَنَّ سُنَّةً سَيِّئَةً كانَ عَلَيهِ وِزْرُها وَوِزْرُ مَنْ عَمِلَ بِها مِنْ بَعْدِهِ مِنْ غَيرِ أنْ يَنْقُصَ مِنْ أوزارِهِمْ شَيءٌ»[٤].

فصل
[في الندم والتدارك]

النَّدمُ يُثمِرُ قَصْدًا وعِلْمُه بعُقوبةِ مَنْ يعزُّ عليهِ يُحزنُه ويُبكيهِ، ومَنْ أعزُّ عليهِ مِن نَفْسِه؟ وأيُّ عُقوبَةٍ كالنّارِ؟ وأيُّ سَبَبٍ أدلُّ عليها مِنْ ذَنْبهِ؟ وأيُّ مُخْبرٍ أصدقُ مِنَ اللهِ ورسولهِ؟ وأمّا قصدُه فتداركُهُ ما فاتَ مِنْ بُلُوغهِ بالأَحْوَطِ؛

---

(١) رواه البخاري (٦٣٠٨)، والترمذي (٢٤٩٧) من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه.

(٢) صحيح البخاري (٦٤٩٢). قال أبو عبد الله: يعني بذلك المهلكات.

(٣) رواه البخاري (٦٠٦٩) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، وتمامه: «وإنّ من المُجاهرة أن يعمل الرّجُلُ باللّيل عملًا، ثُمّ يُصبح وقد سترهُ اللهُ عليه، فيقُول: يا فُلانُ، عملتُ البارحة كذا وكذا؛ وقد بات يستُرُهُ ربُّهُ ويُصبحُ يكشفُ ستر الله عنهُ».

(٤) رواه مسلم (١٠١٧) من حديث جرير رضي الله عنه.

في هامش (ز): بلغ خامسًا بما صحّ على مؤلفه رحمه الله تعالى.

كصلاةٍ لم يُتْقِنْها ونحوِها، وكذا صَومُهُ مَعَ كُلِّ يَومٍ مُدٌّ لفقيرٍ لكُلِّ سَنةٍ حالَتْ على صومِهِ.

ويُخرِجُ زكاتَه مِن حينِ مُلكِه، وعَنْ حجٍّ بَقِيَ لاستطاعةٍ كانت، وكذا نذورُه وكفّاراتُه؛ نَعَمْ ولو باقتراضٍ لا يُرْجَى وفاؤهُ بشرْطِ عِلْمِ مَن يُقرضُهُ بحالِه؛ لِما صحَّ: «فَدَينُ اللهِ أحَقُّ أنْ يُقْضَى»[1]، ولأنّها مِن إيمانِهِ ورضاهُ تعالى، وإيثارُه أهمُّ سيَّما الزكاةُ ونحوُها رِعايةً لحقِّه تعالى وغيرِه وهو حسنٌ جدًّا. نبّهَ على بَعضِه السُّبكيُّ وغيرُه[2].

ثُمَّ يُفتِّشُ عُمرَه عَن سمعِهِ وبصرِهِ وجوارِحِهِ ومعاصِيهِ وقَدْرِها، ويُتبعُ كُلَّ سيّئةٍ بحسنةٍ تُناسِبُها مِن عُضْوٍ باشَرَها؛ لقولِه تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْحَسَنَـٰتِ يُذْهِبْنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾ [هود: ١١٤]، وكذا المظالمُ؛ فقتْلُ الخَطأ بالدِّيَةِ منهُ أو مِن عاقلتِه، ولا بُدَّ في العَمْدِ والقَذْفِ مِن اعترافِه للوليِّ ليقتصَّ أو يترُكَهُ، ويَسْتُر باقي ذُنُوبه وُجُوبًا، ويَرُدُّ مالَ غَصْبٍ أو غِشٍّ أو نَقْصِ أُجرةٍ ونحوِها لأهلِها ـ وسبقَ تفصيلُه ـ ويردُّ نَفْسَ ما أخذَه، وإن اختلطَ فقدرُه، ثُمَّ يُكفِّرُ القَتْلَ[3] بعِتقِ رَقَبةٍ مُؤمنةٍ والباقي بمُناسبةٍ كما تقدَّمَ، ويُكفِّرُ تشويشَهُ على النّاسِ بما يَسُرُّهُمْ شرعًا بعدَ استحلالِه مُبَيّنًا ومُبْهمًا معَ خوفِ تغيُّرٍ ثُمَّ ببرّهِ بوجُوهِ إحسانِه وبعدَ موتِه، ويستكثِرُ[4] منَ الحَسَناتِ ما أمْكَنَهُ؛ إذْ خَلاصُه برُجْحانِها.

---

(١) رواه البخاري (١٩٥٣)، ومسلم (١١٤٨) من حديث عبد الله بن عباس رضي الله عنهما.

(٢) ينظر: «الابتهاج في شرح المنهاج»، (قسم كتاب الصيام إلى كتاب الاعتكاف)، رسالة ماجستير، (ص٢٧٠-٢٧٣).

(٣) ضبطت في (ز): يُكفّرُ القتل ويُكفّرُ القتلُ؛ بالضبطين معًا.

(٤) في (أ، ب): وليستكثر.

فصل
[في دواء التوبة وعلاج الشهوة]

ما لم يؤكِّدْ عزْمَ عدمِ عَودِه للذنبِ لا تصحُّ تَوبتُه، ومتَى تَمّ لهُ ما ذَكَرْناهُ إلّا عادةً لا ينفكُّ البشرُ عنها فتوبةٌ نَصُوحٌ، ونفسُه مُطمَئنَّةٌ أو معَ صغائرَ لم يُرِدْها فعفوٌ؛ للآيةِ: ﴿إِن تَجۡتَنِبُواْ كَبَآئِرَ مَا تُنۡهَوۡنَ عَنۡهُ ...﴾ الآيةَ [النساء: ٣١]، ونفسُه لوّامةٌ أو بعزْمٍ عليها وتسويفٍ بالتَّوبةِ فمُخَلِّطٌ، ونفسُه مُسوِّلةٌ، ورُبَّما سبقَهُ الموتُ فهلكَ فيُبادرُ بالتَّوبةِ، وإن عجزَ يُتبعُ ذُنوبَه بضدِّها وُجُوبًا، أو نقصَ واستمرَّ مُنهمكًا فمُصِرٌّ، ونفْسُه أمّارَةٌ وخاتمةُ السُّوءِ منه قريبَةٌ، فلا يَرْكَنُ إلى مجرَّدِ تَوحيدِه؛ فالأرزاقُ بالكسبِ والنجاةُ بالتَّقْوى، وإصْرارُه لغفلتِهِ وشهوَتِه.

فدواءُ التّوبَةِ إذًا يُركَّبُ[1] بحلاوةِ العلمِ ومرارةِ الصَّبرِ، فيأتي الواعظُ بزواجرِ الكتابِ ثُمَّ السُّنَّةِ ثُمَّ حكاياتٍ مُنفِّرة عَنِ الذُّنوبِ، ويَعرضُ التَّوبةَ ومحاسنَها، وفوائدَ التَّقوى وتعجيلَ عُقوباتِ الذُّنوب، وظلمةَ القُلوبِ بها، وحِرْمانَ الرِّزق، وَوَهْنَ البَدَنِ، وقلَّةَ التَّوفِيقِ؛ قالَ اللهُ تعالى: ﴿وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٖ فَبِمَا كَسَبَتۡ أَيۡدِيكُمۡ﴾ [الشورى: ٣٠].

وعِلاجُ الشَّهوةِ بفِكْرٍ دائمٍ في الآفاتِ، ثُمَّ جُوعٍ وسهَرٍ، وغَيبةٍ عَن أسبابِ الشَّهوةِ، وأورادٍ متواصلةٍ، وتَردُّدِهِ إلى مجلسِ الشَّيخِ، والذِّكرِ بحضورٍ تامٍّ، ولا يغفُلُ عَنِ الذِّكرِ والمراقبةِ طرفةَ عَينٍ، ودوامِ الوضوءِ، والعادةُ تُملكُ، ويحذرُ تركَ نوعٍ من ذلكَ والتّسْويفَ ـ فصياحُ أكثرِ أهْلِ النّارِ مِنهُ[2] ـ ويقرأُ مثلَ كتابِنا

---

(١) في (هـ، و): مركب.

(٢) قال الحافظ العراقي في «تخريج أحاديث الإحياء» (٢: ٩٨٥): لم أجد لهُ أصلًا، وكذا =

هذا على مُرشِدٍ؛ ليَحصُلَ مِنْ مجموعِ ذلكَ الكمالُ إنْ شاءَ اللهُ تعالى. وعُقوبةُ الذنبِ في الدُّنيا أبلغُ في التكفيرِ مِنَ التَّوبةِ؛ لأنَّ التوبةَ لا تُسقطُ الحقوقَ[1].

❊ ❊ ❊

= السبكي رحمه الله. قلت: روى ابن أبي الدنيا في «قصر الأمل» (٢١٧) عن عبد الله بن المبارك أنه قال: بلغني أن أكثر تلاقع أهل النار: أُفٍّ لسوف، أُفٍّ لسوف. وتلاقع: أي رمي الكلام وعيبه.

قال تعالى: ﴿ وَهُمْ يَصْطَرِخُونَ فِيهَا رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَٰلِحًا غَيْرَ ٱلَّذِى كُنَّا نَعْمَلُ ۚ أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ وَجَآءَكُمُ ٱلنَّذِيرُ ۖ فَذُوقُوا۟ فَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِن نَّصِيرٍ ﴾ [فاطر: ٣٥: ٣٧]. وقوله: ﴿ وَهُمْ يَصْطَرِخُونَ ﴾أي: يستغيثُون ويصيحُون، يفتعلُون، من الصراخ، وهُو الصياحُ، يقُولُون: ﴿رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا ﴾ منها من النار، ﴿نَعْمَلْ صَٰلِحًا غَيْرَ ٱلَّذِى كُنَّا نَعْمَلُ ﴾ في الدنيا من الشرك والسيئات، فيقُولُ اللهُ لهُم توبيخًا: ﴿أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ وَجَآءَكُمُ ٱلنَّذِيرُ فَذُوقُوا۟ فَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِن نَّصِيرٍ ﴾.

(١) في هامش (ز): بلغ سابعًا.

كتاب الصبر

ذَكرَه اللهُ تعالى في خمسٍ وتسعينَ موضعًا في القُرآنِ، ولكُلِّ موضعٍ بَهجةٌ؛ فمِنْ أجْمَعِها: ﴿أُولَٰٓئِكَ عَلَيۡهِمۡ صَلَوَٰتٞ مِّن رَّبِّهِمۡ وَرَحۡمَةٞۖ وَأُولَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُهۡتَدُونَ﴾ [البقرة: ١٥٧]، ﴿وَجَعَلۡنَا مِنۡهُمۡ أَئِمَّةٗ يَهۡدُونَ بِأَمۡرِنَا لَمَّا صَبَرُواْۖ...﴾ الآيةَ [السجدة: ٢٤]، ﴿وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ يَدۡخُلُونَ عَلَيۡهِم مِّن كُلِّ بَابٖ * سَلَٰمٌ عَلَيۡكُم بِمَا صَبَرۡتُمۡۚ...﴾ الآيةَ [الرعد: ٢٣]. ومِن أدَقِّها: ﴿إِنَّا وَجَدۡنَٰهُ صَابِرٗاۚ نِّعۡمَ ٱلۡعَبۡدُ﴾ [ص: ٤٤] ـ قرنَ تعالى الصّابرَ بنُونِ العَظَمةِ ـ وفي «الصَّحيحينِ»: «ما أُعْطِيَ أحَدٌ عَطاءً خَيرًا وأوسَعَ مِنَ الصَّبْرِ»[١]. ورُوِيَ: «إذا أحَبَّ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ عَبْدًا صَبَّ البَلاءَ عَلَيهِ صَبًّا»[٢]. قيلَ: إنْ صبرَ اجْتباه، أو رَضِيَ اصْطفاه[٣]. ورُوِيَ: «الصَّبرُ مِنَ الإيمانِ بِمَنْزِلَةِ الرّأْسِ مِنَ الجَسَدِ»[٤]. وهو عبارةٌ عَنْ ثباتِ باعثِ الدِّينِ في مُقاومةِ باعثِ الهوى.

قلتُ: وفي البلاء كَتْمُ الشَّكوى لغيرِهِ تعالى، والصَّبيُّ والمجنونُ فيهِ مُثابٌ؛ إذ كسبُهُما التوجُّعُ ولا صبرَ عليهِما، فتأثيرُ البلاءِ بلا صبرٍ في التكفيرِ غالبًا ولم يَرِد

---

(١) صحيح البخاري (٦٤٧٠)، وصحيح مسلم (١٠٥٣) من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.

(٢) رواه قوام السنة في «الترغيب والترهيب» (٥٦١) من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه.

(٣) أورده أبو حيان التوحيدي في «البصائر والذخائر» (١: ١٥٠) من قول يحيى بن معاذ الرازي رحمه الله.

(٤) رواه ابن أبي شيبة في «المصنف» (٣١٠٧٩)، وابن عبد البر في «جامع بيان العلم وفضله» (١: ٣٨٢)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٤٠) من قول سيدنا علي رضي الله عنه.

غيرَه ومع الصّبرِ فمزيدُ الأجرِ[١]: ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [الزمر: ١٠]، ﴿وَجَزَىٰهُم بِمَا صَبَرُواْ جَنَّةً وَحَرِيرًا﴾ [الإنسان: ١٢]، ونحو ذلكَ؛ كـ: ﴿[٢] ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَٱلصَّٰبِرِينَ عَلَىٰ مَآ أَصَابَهُمْ﴾ [الحج: ٣٥].

وفَقْدُ الوَجَلِ والصبرِ ينتَفِي بهما الكمالُ لا مُطلَقُ إيمانٍ وثوابٍ؛ فرفعُ وجُوب الصَّبر هنا عن المُكلَّفِ حيثُ لم يكن عَن حرامٍ أو على واجبٍ لا عن تألُّمٍ لم يؤدِّ إلى مُحرَّمٍ؛ فالصبرُ أجرٌ والألمُ غَفْرٌ[٣] غالبًا فافهمْ.

عِلْمُه: تصديقٌ بعداوةِ النَّفْسِ والشَّيطانِ والشَّهواتِ للعقلِ، والمعرفةُ، والملَكُ المُلهِمُ للخيرِ.

وحالُه: ثباتُ باعثِ الدِّينِ، والواجبُ منه تقويتُه بالوعيدِ حتّى يقهرَ الهوى ويُثمرَ الرِّياضة.

وهوَ نوعانِ: بَدَنيٌّ كتحمُّلِ المشاقِّ، ورُبَّما ذُمَّ كتحمُّلِ قادحٍ في دينهِ مِن وجعٍ تعلَّقَ زوالُه باختيارهِ. ونَفْسانيٌّ وهو الصَّبر عَن مُشتهى الطَّبعِ واقتضاءِ الهوَى، ثُمَّ إن كانَ عَن شهوةِ بطنِه وفرْجِه يُسمَّى عِفَّةً، أو في القتالِ فشجاعةً، أو كَظْمَ غَيظٍ فحِلمًا، أو في احتمالِ نائبةٍ فسَعةَ صَدْرٍ، أو في إخفاءِ أمْرٍ فكِتْمانَ سرٍّ، أو فُضولِ عيشٍ فزُهدًا، أو على قَدْرٍ يَسيرٍ فقناعةً، أو على مصيبةٍ فصبرًا، فدخلَ فيه مُعظَمُ المحاسنِ، ولا يُستغنى عنهُ؛ إذ كافّةُ الحُظوظِ لا تُشكرُ إلّا بهِ؛ ولا يَصبرُ على السَّراءِ إلّا صدِّيقٌ لاقترانهِ بالقُدرةِ. وأمّا صبرهُ في الطّاعةِ عَن بُخْلِه وكسَلِه فيَصبرُ أوّلًا لتصحَّ نيّتُه وإخلاصُه، ثُمَّ فيها عَن دواعِي الفُتُورِ

---

(١) في (أ، ب): الإجزاء.

(٢) زاد في النسخ (إنما المؤمنون) وهذا سهو وقع فيه بسبب تشابه هذه الآية مع الآية الثانية من سورة الأنفال.

(٣) في (د): عفو.

ونحوِها حتّى تفرُغَ، ثُمَّ بعدَها عَن إفشائِها رياءً ونحوَه، فمَنْ لم يصبرْ بعدَ صَدَقتِه عنِ المَنِّ والأذى أبْطلها، ولا يخفَى اضطرارهُ إلى الصَّبر عَن المعاصِي وفي البَلايا؛ إذ مُسْتَنَدُه اليقينُ، وصحَّ فيهِ وفي تَرْك مُكافأةِ مَنْ جَنَى عليهِ ما تقرُّ به العُيونُ، وفي «الصَّحيحينِ»: «ما مِنْ مُصِيبَةٍ تُصِيبُ المُسْلِمَ إلّا كَفَّرَ اللهُ عَزَّ وَجَلَ عَنْهُ حَتَّى الشَّوكَةُ يُشاكُها»[1]. وفيهما: «ما مِنْ مُصِيبَةٍ تُصِيبُ المُسْلِمَ مِنْ نَصَبٍ ولا وَصَبٍ ولا هَمٍّ ولا حَزَنٍ ولا أذًى ولا غَمٍّ حَتَّى الشَّوكَةُ يُشاكُها إلّا كَفَّرَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ بِها خَطاياهُ»[2]. وفِيهما: «والَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، ما عَلَى الأَرْضِ مُسْلِمٌ يُصِيبُهُ أذًى مِنْ مَرَضٍ فَما سِواهُ إلّا حَطَّ اللهُ بِهِ عَنْهُ خَطاياهُ كَما تَحُطُّ الشَّجَرَةُ اليابِسَةُ وَرَقَها»[3]. وفيه أمورٌ: منها حَلِفهُ ﷺ تقويةً لإيمانِ الضَّعيفِ، وأنّهُ في «الصحيحين». ومنها: مُسمّى مسلمٍ وإنْ قلّ ولو مُذنبًا. ومنها: مسمّى أذًى وإنْ قلَّ. ومنها: ذَكَر خطاياهُ ولم يقلْ: منها. فظهرَ فرقٌ، لم يذكر غَفَرَ بمجرَّدِ ألمٍ.

وللصّابرِ وغيرِ المُكلَّفِ مُضاعفةُ أجرٍ كما سَبَقَ، وتأمّل قولَهُ تعالى: ﴿وَلَا يَنَالُونَ مِنْ عَدُوٍّ نَّيْلًا إِلَّا كُتِبَ لَهُم بِهِۦ﴾ [التوبة: ١٢٠]، وقولَه ﷺ: «إلّا حَطَّ اللهُ بِهِ عَنْهُ»[4]. طَفَحَ الكَرمْ، حَتَّى غَفر بِمُجَرّد ألَمْ، وَلَو لَمْ يَكُنْ لِلْمُبْتَلى في الصَّبرِ قَدمْ[5].

---

(١) صحيح البخاري (٥٦٤٠)، صحيح مسلم (٢٥٧٢) من حديث عائشة رضي الله عنها. وهذا الحديث غير مثبت في (د، هـ، و).

(٢) صحيح البخاري (٥٦٤١)، صحيح مسلم (٢٥٧٣) من حديث أبي هريرة وأبي سعيد الخدري رضي الله عنهما.

(٣) صحيح البخاري (٥٦٦٧)، صحيح مسلم (٤٥: ٢٥٧١) من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه.

(٤) تقدم تخريجه قريبًا.

(٥) من قوله: (طفح الكرم...) إلى هنا لم يثبت في (د).

وفيهما: «الطّاعُونُ شَهادَةٌ لِكُلِّ مُسْلِمٍ»[١]. وفي البُخاريِّ: «إنَّ اللهَ عَزَّ وجَلَّ قالَ: إذا ابْتَلَيتُ عَبْدِي بِحَبِيبَتَيهِ ثُمَّ صَبَرَ عَوَّضْتُهُ مِنْهُما الجَنَّةَ»؛ يُرِيدُ عينيهِ[٢]. وللبُخاريِّ: «يَقُولُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: ما لِعَبْدِي المُؤْمِنِ جَزاءٌ إذا قَبَضتُ صَفِيَّهُ مِنْ أَهْلِ الدُّنْيا ثُمَّ احْتَسَبَهُ عِنْدِي إلّا الجَنَّةَ»[٣]. وصَحَّ في التِّرمذيِّ قالَ: «أَشَدُّ النَّاسِ بَلاءً الأَنْبِياءُ، ثُمَّ الصّالِحُونَ ثُمَّ الأَمْثَلُ فالأَمْثَلُ مِنَ النَّاسِ، يُبْتَلَى الرَّجُلُ عَلى حَسَبِ دِينِه: فَإِنْ كانَ في دِينِهِ صَلابَةٌ زِيدَ في بَلائِهِ، وإِنْ كانَ في دِينِهِ رِقَّةٌ خُفِّفَ عَنْهُ، وَما يَزالُ البَلاءُ بِالعَبْدِ حَتَّى يَمْشِيَ عَلى الأَرْضِ ولَيسَ عَلَيهِ خَطِيئَةٌ»[٤]. ورُوِيَ: «إذا وَجَّهْتُ إلى عَبْدٍ مِنْ عَبِيدِي مُصِيبَةً في بَدَنِهِ أو مالِه أو وَلَدِهِ ثُمَّ اسْتَقْبَلَ ذَلِكَ بِصَبْرٍ جَمِيلٍ اسْتَحْيَيْتُ مِنْهُ يَومَ القِيامَةِ أَنْ أَنْصِبَ لَهُ مِيزانًا أو أَنْشُرَ لَهُ دِيوانًا»[٥].

فصل
[في درجات الصبر، والفرح في المصائب]

أعلى الصَّبرِ عندَ أوَّلِ صَدْمَةٍ؛ لقولِهِ ﷺ: «إنَّما الصَّبْرُ عِنْدَ الصَّدْمَةِ الأُولَى»

---

(١) صحيح البخاري (٢٨٣٠)، صحيح مسلم (١٩١٦) من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه.

(٢) صحيح البخاري (٥٦٣٥) من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه.

(٣) صحيح البخاري (٦٤٢٤) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٤) سنن الترمذي (٢٣٩٨) من حديث سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه، وقال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح. ورواه أحمد (١٤١٨) بنحو لفظ المؤلف.

(٥) أخرجه الدينوري في «المجالسة وجواهر العلم» (١٠١)، والشهاب القضاعي في «المسند» (١٤٦٢)، والحكيم الترمذي في «نوادر الأصول» (٩٦٢) من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه.

مُتَّفَقٌ عَليه[١]. وسُنَّ الاسترجاعُ[٢]؛ لحديثِ أُمِّ سلمةَ رضيَ اللهُ عنها، ولو بعدَ المُصِيبةِ[٣] ـ رواه مُسلمٌ[٤] ـ وعدمُ جزَعِهِ؛ لأنَّهُ لا يَردُّ الفائتَ ويَسُرُّ العدُوَّ. وعن عليٍّ رضي الله عنه: مِنْ إجْلالِ اللهِ ومعرفةِ حقِّه ألّا تشكوَ وَجَعكَ ولا تذكرَ مُصيبتكَ لغيرِه[٥]. قيلَ: ذهَبتْ عينُ الأحنفِ منذُ أربعينَ سنةً ما ذكَرَها[٦]. وقال شقيقٌ البلخيُّ: منْ شكا ما نزلَ بهِ لغيرِ الله تعالى لم يجِدْ لطاعةِ اللهِ في قلبهِ حلاوةً أبدًا[٧]. نعَمْ يجدُ لو ندمَ واسترْجَعَ.

---

(١) صحيح البخاري (١٣٠٢)، صحيح مسلم (٩٦٢) من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه.

(٢) في غير (هـ): والاسترجاع.

(٣) ما بين معترضتين مثبت من (أ، ز).

(٤) صحيح مسلم (٩١٨) عن أم سلمة رضي الله عنها قالت: سمعتُ رسول الله ﷺ يقولُ: «ما من مُسلمٍ تُصيبُهُ مُصيبةٌ فيقُولُ ما أمرهُ اللهُ: ﴿إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيۡهِ رَٰجِعُونَ﴾ اللهُمّ أجُرني في مُصيبتي، وأخلف لي خيرًا منها إلّا أخلف اللهُ لهُ خيرًا منها»، قالت: فلما مات أبو سلمة، قلت: أي المسلمين خير من أبي سلمة؟ أول بيت هاجر إلى رسول الله ﷺ، ثم إني قلتها، فأخلف الله لي رسول الله ﷺ.

(٥) قال الحافظ العراقي في «تخريج أحاديث الإحياء» (٣٦٧٧): لم أجده مرفوعًا، وإنما رواه ابن أبي الدنيا في «المرض والكفارات» من رواية سفيان عن بعض الفقهاء قال: من الصبر أن لا تحدث بمصيبتك ولا بوجعك ولا تزكي نفسك.

(٦) رواه أحمد في «الزهد» (١٣٠٦).

والأحنف هو الضحاك بن قيس بن معاوية بن حصين التميمي، أبو بحر، وشهر بالأحنف؛ لحنف رجليه، وهو العوج والميل، من سادات التابعين؛ أدرك عهد النبي ﷺ ولم يصحبه وشهد بعض الفتوحات، كان موصوفًا بالعقل والدهاء والعلم والحلم، حتى ضرب بحلمه وسؤدده المثل، روى عن عمر وعثمان وعلي رضي الله عنهم، وروى عنه الحسن البصري وأهل البصرة، وشهد مع علي رضي الله عنه وقعة صفين، ولم يشهد وقعة الجمل مع أحد الفريقين، وشهد بعض فتوحات خراسان في زمن عمر وعثمان، رضي الله عنهما، توفي سنة سبع وستين للهجرة. «وفيات الأعيان» لابن خلكان (٢: ٤٩٩).

(٧) رواه ابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٢٣: ١٤٤). وشقيق البلخي هو إبراهيم، أبو علي، من=

وحكاياتُ فرحِهم بالمصائبِ لرضاهُ تعالى بها أو لثوابِها مشهورةٌ.

فالفرحُ شرعًا والكراهةُ طبعًا، ومَن عوَّدَ نفسَهُ مُخالفةَ الهَوى غلبَها متى شاءَ؛ فيُعوّدها المُجاهدةَ، وصبرُه بما سبقَ في العِلاجِ وقطعِ علائقهِ، ويجعلُ الهمَّ واحدًا، ودوامُ الفِكْرِ في ملكوتِه تعالى وعجائبِ صُنعهِ يمنعُ الوساوِسَ، ويبتهلُ إليهِ تعالى أبدًا لِنَيلِ جَذْبةٍ منهُ تعالى؛ فإنها الغايةُ مُتعرِّضًا للنّفحاتِ لا سيَّما الأوقاتُ الشَّريفةُ، ولا بُدَّ من فَقْدِ زائدِ طعامٍ وكلامٍ ومنامٍ وخُلْطَةٍ.

وصبرُهُ لحظٍّ فتشبُّهٌ، وبلا حظٍّ مُنزعجًا فتَصَبُّرٌ، وثباتُه صبرٌ، وشُغلُه عنهُ بهِ تعالى فاصْطبارٌ.

وللقومِ صبرٌ خاصٌّ عَن أُمورٍ غامضةٍ، حاصلُها يرجعُ إلى بقائِهم به تعالى بلا حظٍّ في الدّارينِ؛ فقتيلُهمْ شهيدٌ، وحَيُّهم[1] فريدٌ لأدَبِ الحضرةِ، وحسناتُ الأبرارِ سيِّئاتُ المُقرَّبينَ.

ولابنِ عطاءٍ:

سَأصْبِرُ كَيْ تَرْضَى، وَأُتْلَفُ حَسْرَةً ... وَحَسْبِيَ أنْ تَرْضَى وَيُتْلِفَنِي صَبْرِي[2]

= كبار مشايخ خراسان، حدث عن أبي حنيفة، وكان أستاذ حاتم الأصم، صحب إبراهيم بن أدهم وأخذ عنه الطريقة وأسند الحديث، مات شهيدًا في غزوة كولان، سنة أربع وتسعين ومئة، حكاه ابن عساكر، وجزم ابن الجوزي في «المنتظم» بأنه مات سنة ثلاث وخمسين ومئة، وأخبر عن نفسه في تلك الغزوة أنه رأى نفسه في ذلك اليوم كيوم الزفاف، ونام بين الصفين حتى سمع غطيطه. ينظر: «طبقات الصوفية» للسلمي (ص٦٣)، و«طبقات الأولياء» لابن الملقن (ص١٢).

(١) في غير (ب، ز): وحبهم.

(٢) أورده أبو القاسم القشيري في «رسالته» (١: ٣٢٤) باب الشكر، قال: وأنشدني الشيخ أبو عبد الرّحمن، قال: أنشدني أبو بكر الرازي، قال: أنشدني ابن عطاء لنفسه؛ فذكره. وهو =

قيلَ: صبرُكَ للهِ عَناءٌ[١]، وبه بقاءٌ، وفيه بلاءٌ، ومعه وفاءٌ، وعنه جفاءٌ[٢].

قُلْتُ: وعَن انبساطكَ في القُربِ صفاءٌ، وفي كدَرِ الانبساطِ على مَن سبقَ مُزْدَجَرٌ.

وأُنشِدَ[٣]:

أشْــتاقُهُ، فَــإذا بَــدا ... أطْرَقْــتُ مِــنْ إجْلالِــهِ

لا خِيفَــةً بَــلْ هَيبَــةً ... وَصِيانَــةً لِجَمالِــهِ

وأصُــدُّ عَنْــهُ تَجَلُّدًا ... وأرُومُ طَيْفَ خَيالِهِ[٤]

= من بحر الطويل، وأورده القالي في «أماليه» (ص٦٦٥) قال: وأنشدنا أبو العباس محمد ابن يزيد للعباس بن الأحنف؛ فذكره وزاد بيتًا في أوله:

ألا كتبَــتْ تنهى وتأمــرُ بالهجرِ ... فقلتُ لها: لو أنّ قلبكِ في صدرِي

وابن عطاء المذكور: هو أحمد بن محمد بن سهل بن عطاء الآدمي أبو العباس، من ظراف مشايخ الصوفية وعلمائهم له لسان في فهم القرآن يختص به صحب إبراهيم المارستاني والجنيد بن محمد ومن فوقهما من المشايخ كان أبو سعيد الخراز يعظم شأنه، ويقول: التصوف خلق وليس إنابة وما رأيت من أهله إلا الجنيد وابن عطاء، مات سنة تسع وثلاث مئة أو إحدى عشرة وثلاث مئة. ينظر «طبقات الصوفية» للسلمي (ص٢٠٧).

(١) في غير (أ): غناء. والصواب ما أثبت، ومعنى عناء؛ أي: مشقة وكلفة.

قال الحافظ الزبيدي رحمه الله في «إتحاف السادة المتقين» (١١: ٨٣): في قوله: الصبر لله عناء: أي: مشقة وكلفة، والصبر بالله بقاء؛ أي: عون منه، والصبر مع الله وفاء؛ لما امتحن به، والصبر عن الله جفاء؛ أي: بعدٌ وإعراض عنه. نقله القشيريُّ.

وقال العلامة العروسي في «نتائج الأفكار القدسية في بيان معاني شرح الرسالة القشيرية» (٣: ١٥٦): قوله: الصبر لله عناء؛ أي: لأن هذا المقام يبقى معه إحساس النفس بعادتها، وقوله: والصبر بالله بقاء؛ أي: لفناء النفس بإعانة الله وشهود الأفعال من مصدرها... إلى آخره.

(٢) أورده أبو القاسم القشيري في «رسالته» (١: ٣٣٢٥).

(٣) في (ب): وأنشدوا. وفي (هـ، و): وأنشد بعضهم.

(٤) الأبيات من مجزوء الكامل، ونسبت لعبد الواحد بن نصر بن محمد أبو الفرج المخزومي=

خاتمة[١]

أحكامُ الصَّبرِ: فعنْ حَرامٍ وعلى فَرْضٍ ففرْضٌ، وعلى حَرامٍ وعَن فرضٍ فحرامٌ، وعلى مُستحَبٍّ وعَن مكروهٍ فمُستحَبٌّ، وعلى مُباحٍ وعن تركه فمُباحٌ لاستواء طرَفَي فِعْلِه وتَرْكِه.

* * *

= المعروف بالببغاء كما في «تاريخ دمشق» (٣٧: ٢٨٣) بزيادة بيت:

فالموتُ منْ إعراضِهِ والموتُ مـنْ إقبالِهِ

(١) الخاتمة غير مثبتة في (ب، ج).

كتاب[1] الشكر

وهو قَيْدُ النِّعمِ ومَزيدُها؛ قالَ اللهُ تعالى: ﴿مَّا يَفْعَلُ ٱللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِن شَكَرْتُمْ وَءَامَنتُمْ﴾ [النساء: ١٤٧]، وقالَ تعالى: ﴿لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾ [إبراهيم: ٧]، وقامَ ﷺ حتّى تفطّرَتْ قَدماهُ، وقال ﷺ: «أفلا أكُونُ عَبْدًا شَكُورًا»[2].

فالشُّكرُ إذًا طاعةُ اللهِ في كُلِّ نِعْمةٍ بما هُو الأولَى مع رُؤيةِ مِنَّتِه تعالى، والحياءُ مِن تَتابُعِ نِعمِه، واستعظامُ صغيرِها، واعترافُه بعَجْزِه عَن شُكْرِها، وأنّها وشُكرَها نِعْمةٌ منهُ تعالى وعدمُ رُكونِه إلى غير المُنعمِ وخوفُه مِنْ تتابُعِ نِعَمٍ دُنْيَوِيّةٍ ونحوِها وإغفالِه نِعمَه، وغفلتُه ولو بشُكرِها عَن المُحْسنِ كُفرانٌ. زوِّجْ نِعَمَه بالشُّكرِ وإلا حَكَمَ بعَضْلِكَ وزَوَّجَها لغيرٍ، وزَوِّجْ عِلْمكَ بالمُجاهدةِ لتنالَ المُشاهدةَ، والشُّكرُ يُمكنُ بعِلْمِ الشَّرعِ ومعرفةِ النِّعم، وهيَ لا تَنحصرُ.

والغايةُ حُبُّه تعالى والنَّظرُ إليهِ، والباقي وسِيلَةٌ لمحاسِنِه المتَّصلَةِ باطنًا وظاهرًا والمنفصلةِ ونِعَمِ الدَّفعِ والنَّفعِ دُنيا وأُخرى، مِن عافيةٍ وسلامةٍ وملاذِّ وغيرِها، ودَفْعِ أضدادِها والعوائقِ وشَرِّ إنْسٍ وجِنٍّ وسِباعٍ وهوامَّ ونحوِها، وكُفْرٍ وبِدْعَةٍ وضَلالَةٍ ونحوِها.

وأنعمَ تعالى بالإسلامِ ثُمَّ بالسُّنَّةِ والطّاعةِ، ومِن بعضِ نِعَمِه تعالى القُوتُ

---

(١) في غير (هـ، و): باب.

(٢) رواه البخاري (١١٣٠)، ومسلم (٢٨١٩) من حديث المغيرة بن شعبة رضي الله عنه. في هامش (ز): بلغ مقابلة.

ولا يَتِمُّ إلَّا بالسَّماءِ والأرضِ وثمراتِهما وأمورٍ أُخَر: ﴿وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَةَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ﴾ [النحل: ١٨]؛ فالشُّكرُ قَيدُها مع مزيدٍ لا يُحصَى ولا يُهمَلُ ألبتةَ، وسبقَ فوائدُ المالِ والزَّوجةِ الصّالحةِ ونحوِهما، ولا تَخفى نِعْمةُ ولدٍ صالحٍ، وطُولِ عُمْرٍ، وحُسْنِ عَمَلٍ، وأمْنٍ، وفَراغٍ، وصِحَّةٍ، وقُوَّةٍ، وجَمالٍ، وهِدايَةٍ ونحوِها.

ونِعمُ الدُّنيا مُنغَّصَةٌ والكَفافُ أسلمُ، ولمّا كانَتْ نِعَمُ اللهِ مَبذولةً لم يشكُرِ الجاهلُ إلّا ما خَصَّهُ بقولِهِ: الحمدُ لله، ولو عَمِيَ مثلًا لسَخِطَ وشكا، ولو عاد بصرُه شكرَ، وما لم تزُل النِّعمةُ لا يَكادُ يشكرُ؛ فما أحدٌ إلا خُصَّ وأنّهُ[1] راضٍ بعقلِه وأخْلاقِه، وتَفَرَّدَ بعِلْمِ خفِيِّ قَبائحَ نفْسِه ونافلةَ رزقٍ أو هيئةٍ أو أهلٍ[2] أو ولدٍ أو سَكَنٍ أو خادِمٍ ونحوِه، أو جاهٍ أو سائرِ محابِّه؛ فَيُغفِلُها بنظرِه إلى مَنْ فوقَه في الدُّنيا، وأُمِرَ أنْ ينظُرَ إلى منْ هُوَ أسفلَ منهُ؛ كما صحَّ[3]؛ فجَهِلَ النِّعمَ الظّاهرةَ والباطنةَ والخاصَّةَ والعامَّةَ والغفلةُ تعُمُّ[4]، وصُعوبةُ تركِ المألوفِ وخوفُ اقتحامِ غيرِ المألوفِ منعَ شُكرَها.

وعلاجُ البَصيرِ بتَأمُّلِ أصنافِها، وإلّا نَظرَ أبدًا إلى مَن هُو دونَه وأنواعِ البلايا ومشاهدةِ أهلِها والمقابرِ، وأحبُّ ما إلى المَوتى يُرَدُّون إلى الدُّنيا ولو ساعةً؛ ليتُوبَ مَنْ عَصَى ويزيدَ المُطيعُ؛ فَيصرِفُ باقي عُمرِه لِما خُلِقَ لهُ.

---

(١) في (هـ، و): بأنه.

(٢) في (هـ، و): أو فعل.

(٣) روى البخاري (٦٤٩٠)، ومسلم (٢٩٦٣) عن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال: «إذا نظر أحدُكم إلى من فُضّل عليه في المال والخلق؛ فلينظُر إلى من هُو أسفل منهُ».

(٤) في (ز): نعمٌ.

وما لم تُشكرِ النِّعمةُ[1] تزولُ؛ وقلَّ نِعْمةٌ زالتْ فعادتْ[2]: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾ [الرعد: ١١]. وأبعدَها عَن كونِها نِعْمةً الجهلُ والشَّيطانُ، وفيهما نِعمٌ منها: جهلُهُ بأجَلِه وبالقيامةِ وليلةِ القدرِ وساعةِ الجمعةِ؛ للاجتهادِ، وبعضِ الكبائرِ وبما يُضمَر لهُ من سُوءٍ، وبعيبِ غيرِه، وبولايةِ مَن يؤذيهِ وإثمِ: «مَنْ آذَى وَلِيًّا»[3]، وهو يعرفُه أعظمُ، وكُلَّما غَفلَ ساقَه اللهُ تعالى بسَوطِ وَسْوَسَةِ عدُوِّه، وثوابُ مُخالفتِهِ لا يُحصَى. هذهِ بعضُ نِعَمِه تعالى في الجَهلِ والشَّيطانِ فكيفَ غيرُهُما؟

وفي الكَفرةِ عِبْرَةٌ، وفِداءٌ، ومنافعُ، وفي النّارِ منعُ المعاصي، ومعرفةُ قَدْرِ النِّعَمِ[4]، وفي كُلِّ مُصيبةٍ نِعَمٌ؛ إذ لم تكُنْ أكبرَ ولم تكنْ في دِينِه، ورُبَّما رَضِيَ ولم يلتفتْ إلى ثوابِها، وسَبَقَ ذكرُ ثوابِها وتكفيرِها للذنوبِ، وحكمةُ مرضٍ بَلَغَ بصاحِبِهِ درجةً لم يَنَلْها بِعَملٍ لزائدِ كلامٍ وطعامٍ ومنامٍ وخُلطةٍ؛ فهيَ مَنْبعُ الهلَكَةِ، ومَن يحتَرزُ منها في العافِيَةِ؟ هيهاتَ! وبمرضِه يَقِلُّ كلامُه وطعامُه ومنامُه وخُلْطَتُه، ويَظهرُ ذُلُّه ضرورةً، فيُرْحَمُ بِدَرَجَةٍ لم ينلْها بعملٍ كَما ذَكَرْناهُ. وتنبَّه لِما رُويَ عنهُ تعالى: «أما لَو عُدتَهُ لَوَجَدتَنِي عِنْدَهُ...» الحديثَ[5].

ورُبَّما كانت عقوبةَ ذنبٍ ـ وكُلُّ بلاءٍ دونَ النّارِ عافيةٌ ـ وكانتْ مُقدَّرةً لا بُدَّ

---

(١) ضبطت في (ز): تشكُر النعمة، وتُشكرُ النعمةُ؛ معًا.

(٢) روى أبو يعلى في «المسند» (٣٤٠٥) عن أنس رضي الله عنه، قال رسول الله ﷺ: «أحسنُوا جوار نعم الله، لا تُنفرُوها، فقلّما زالت عن قومٍ فعادت إليهم».

(٣) رواه البخاري (٦٥٠٢) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٤) في (ز): النعيم.

(٥) رواه مسلم (٢٥٦٩) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه. في غير (هـ): زرته. والمثبت موافق لرواية الحديث.

منها فاستراحَ منها أو مِن بعضِها وبمثلها يفرُّ[١] القلبُ عَن الدُّنيا وبفقدِها يطْغَى؛ فهذه نِعَمٌ ظاهرةٌ في نحوِ مرضٍ مع تكفيرٍ وتطْهيرٍ وتَنْويرٍ وتَذْكيرٍ ودُعاءٍ عريضٍ؛ نَعَمْ إنْ صَبَر أو رَضِيَ أو شكرَ وإلّا أثِمَ، وفيه تفصيلٌ سبقَ في الصَّبرِ فتأمَّلْهُ، لا الصَّبيّ والمجنون؛ إذ كسبُهما التوجُّعُ كما سَبقَ، ومتى عَلِمَ ثوابَ مُصيبتِه وفوائدَها فرِحَ ولها عن مَرارتِها[٢].

خَيرٌ مِــنَ العَبّاسِ أجْرُكَ بَعْدَهُ والله خَيــرٌ مِنْــكَ لِلْعَبّاسِ[٣]

فالشُّكرُ على البلاءِ أفضلُ قطعًا، وأمّا على الرَّخاءِ فمفضُولٌ.

قلتُ: لأنَّ الصَّبرَ في البلاءِ أفْضَلُ لأوجُهٍ[٤]، منها: أنّهُ اجتنابٌ، وهو أعلى.

---

(١) في (أ): يقر.

(٢) في (هـ، و): شعر.

(٣) البيت من بحر الكامل، قيل: لما مات العبّاس بن عبد الله بن هارُون الرشيد جزع عليه المعتصم جزعًا شديدًا، وأمر أن لا يحجب عنهُ النّاس للتعزية، فدخل فيمن دخل أعرابي، فلمّا بصر به قال:

اصْبِــرْ نَكُــنْ لَكَ تابِعِيــنَ، فَإنَّما صَبرُ الجَمِيعِ بِحُسْنِ صَبْرِ الرّاسِ

فتسلى ودعا بالطعام. كذا ذكره الصفدي في «الوفيات» (١٦: ٣٧٤).

قال ابن حمدون البغدادي في «التذكرة الحمدونية» (٤: ٢٤٧): كذا وجدت الخبر وأظنّه سهوًا، فإنّ العباس مات في حبس المعتصم، فكيف يجزع عليه هذا الجزع وهو كان المتّهم بقتله؟ وخبره حيث أراد الفتك بالمعتصم ومواطأة عجيف عليه مشهور، وأظنّه العبّاس بن الفضل بن الربيع، والمعزّى به أبوه.

وفي «قوت القلوب» (١: ٣٥٣) لأبي طالب المكي الذي هو أصل أصل الإحياء: وحدثت أن العباس رضي الله عنه لما توفي قعد ابنه عبد الله رضي الله عنه للتعزية، فدخل الناس أفواجًا يعزونه، فكان فيمن دخل أعرابي فأنشده الأبيات. فقال ابن عباس: ما عزّاني أحد تعزية الأعرابي، واستحسن ذلك.

(٤) في (ب): لوجوه.

ومنها: لا يشكرُ الرَّخاءَ إلَّا بصيرٌ(١). ومنها: الشُّكرُ إلى الحظِّ أقربُ. ومنها: تكرّر ذِكْر الصَّبرِ أكثر. ومنها: أنواعُ الوَعْدِ(٢) عليهِ أكثرُ، وخُصَّ الأنبياءُ والصُّلحاءُ به أكثرَ؛ ليَصِيرَ الحضورُ عادةً، وأنواعُ تأثيره باطنًا أكثرُ مما لا يخفَى؛ فالشُّكرُ نعمةٌ والصبرُ كنزُ الولايةِ.

تنبيه :

اتَّفقَ لجماعةٍ قُربةٌ أو صدمةٌ: أحدُهم صابرٌ، والثاني راضٍ، والثالثُ شاكرٌ؛ فالشُّكرُ أعلى، ثُمَّ الرضا، ثُمَّ الصَّبرُ، ومتَى رجحتِ المصلحةُ الشَّرعيّةُ فضلَتْ سواءٌ كانتْ قاصِرةً أو مُتعدِّيةً.

خاتمة

ما نَفَعَ أبدًا كحُسْنِ خُلُقٍ فَنِعْمَةٌ مَحْضَةٌ، وما ضرَّ أبدًا كسُوءِ خُلُقٍ فشرٌّ مَحْضٌ، وما نفعَ حالًا وضرَّ آخرةً فشرٌّ، وما ضرّ حالًا ونفعَ آخرةً فخيرٌ. ويجبُ العلمُ بما قبّحَهُ الشَّرعُ وبما حَسَّنَهُ، وبكُلِّ نِعمةٍ أنّها منهُ تعالى إجماعًا؛ فشُكرُها بما يجبُ حَتْمٌ، وبِما يُستَحبُّ نَدْبٌ.

* * *

(١) في (ب، د): بصبر.

(٢) في (ب، ج): الوعيد.

باب[1] الرّجاء والخوف

الرَّجاءُ انتظارُ محبُوبٍ تَمَهَّدَتْ أسْبابُه الاخْتياريّةُ، وإلّا فَغُرورٌ أو تَمنٍّ؛ قالَ الله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أُوْلَٰٓئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ ٱللَّهِ ﴾ [البقرة: ٢١٨].

وثَمرتُه: دوامُ المُجاهَدةِ بلذَّةٍ[2] وتمَلُّقٍ لهُ تعالى.

وفَضْلُه يأتي إنْ شاءَ اللهُ تعالى، وبه زيادةٌ، ودَفْعُ مَضَرَّةِ اليأسِ والشَّهوةِ، وترقٍّ إلى الأحوالِ والمقاماتِ بلا عائقِ شهوةٍ، ثُمَّ تقْوى بدَوامِ إقبالٍ عليهِ تعالى، والنظرِ إليه شوقًا.

فالرَّجاءُ طلبٌ، والرَّغبةُ تحقيقٌ؛ أوَّلُها الاجتهادُ طلبًا للشُّهودِ وسلامةً مِنَ الرُّخَصِ والفُتورِ، ثُمَّ رغبةٌ لا تُبقِي جُهدًا ولا قصدًا في غيرِه تعالى.

عِلْمُه: مطالعةُ صفاتِه تعالى الصّادرِ عنها نَحْوُ الإسعادِ بلا وسيلةٍ، فكيفَ بمَنْ أطاعَ؟

وحالُه: رجاءٌ يُقصدُ لذاتِه؛ لأنّهُ مِنَ الإيمانِ وينفعُ نحوَ القانطِ، ورجاءٌ يُقصدُ لغيرِهِ وهو ما حثَّ على الخيرِ، ومتى قَوِيَ كأنّهُ يَشْهَدُ مَأْمُولَه، فهوَ مقامُ الرَّغْبَةِ، ثُمَّ رغبةٌ في جَمْعٍ بلا تفرقَةٍ لهَيْبَةٍ دائِمةٍ، ولحْظِ قَلْبٍ لِعَظَمته تعالى أبَدًا.

---

(١) في (هـ): كتاب.

(٢) في (هـ، و): بذلّةٍ. وفي (ب): بقلة.

ورعايةُ العَملِ: إخلاصُه، وتكميلُه، وتوقيرُه، وتحقيرُه، وعدمُ التفاتٍ إليهِ.

ورعايةُ الحالِ: باتِّهامِه أنَه دَعْوَى، وجُهْدِهِ رياءً ونفسهُ تشبُّعًا بما لا يملكُ، فيتركُ ذِكرًا وفِكرًا وشُغلًا به تعالى.

ورعايةُ الوقتِ: بعِمارتهِ بلا شُغلٍ عنهُ بماضٍ ولا مُستَقْبَلٍ، ولا ينتقلُ لِما فوقَهُ قَبْلَ إحكامِه مع غَيبَةٍ عنهُ بصفاءِ حالِه، ثُمَّ عَن صَفائِهِ به تعالى، ومتى انشرَحَ وفُتِحَ لهُ طريقُ الهُدى بروحِ الرَّجاء فمقامُ البَسْطِ.

وعِلْمُ الخوفِ: مُطالعةُ صفاتِه تعالى الصّادرِ عنها نَحْوُ الإشقاءِ بلا وسيلَةٍ سابقةٍ، فكيف بمَنْ عَصَى؟ وهو خوفٌ يجبُ لذاتِه؛ لأنّهُ مِنَ الإيمانِ وينفعُ نحوَ المُدِلّ بعَمَلِه، ونحوُه خَوفُ سَلْبِ النِّعمِ يُرادُ لغيرِه؛ لأنّهُ يحُثُّ على الأدَبِ، ورُؤيةِ المِنَّةِ لهُ تعالى، ومنه خوفُ العُقُوباتِ المُرَتَّبة على الجناياتِ، ويجبُ منهُ ما حَثَّ على ما وَجَبَ.

وحالُه: تألُّم القلبِ بمتوقَّعٍ ويُثمِرُ الحُزْنَ، وهو توجُّعٌ لحاصِلِ مكروهٍ أو فائتِ محبوبٍ أو ممتنعٍ وقعَ أو يتوقّعُ أوَّلُه على قلّةِ خِدْمَةٍ وكثرةِ جَفْوَةٍ وضَياعِ وقْتٍ، ثُمَّ على قِلَّتِهِ ثُمَّ على تفرقةِ قَصْدِ الجمع والشُّهود، ومتَى حصَلا فلا حُزْنَ للخاصَّةِ؛ لأنّهُ تفرقةٌ فيهما، لكنْ[١] لهُمْ حُزنٌ ما على عوارضَ[٢] ما عَنْ كمالِ مقصودِهم؛ فلا خوفَ إلا هيبة بحفظِ أدبِ المُسامَرةِ[٣]، وله حُكمُها إنْ وجبَ

(١) في (أ): فيهما السلف.

(٢) في (ب): عوض.

(٣) من قوله: (أو ممتنع وقع أو يتوقّع...) إلى هنا سقط من (ب، د). وهو ملحق في هامش (ز) ومصحح عليه.

أو نُدبَ أو حرُمَ أو كُرِهَ، وكذا القَبضُ إنْ عُلِمَ سَبَبُهُ وإلا فهو عُقوبةُ إفراطٍ في بَسْطٍ، وربّما كان مُبَشِّرًا بمقامِ الغَيبَةِ أو مُحذِّرًا أو مُسَلِّمًا مِنْ تَفْرِقَةِ بَسْطٍ؛ لأنَّهُ حقٌّ، والبَسْطُ فيهِ حظٌّ، ورُبّما كانَ مُكفِّرًا للذنوبِ، ورُبّما كان سُلَّمًا إلى غايةٍ، ورُبَّ قطيعَةٍ جَلَبَتْ وِصالًا! فأدبُ القبضِ السُّكونُ؛ مَنْ سَكَنَ في لَيلِ قَبْضِه صَحا مِنْ غَيمِ تَلْوِينِه؛ فلا بُدَّ مِن نجمٍ يُهْتَدى به أو قمرٍ يَستنيرُ به أو شمسٍ يَستضيءُ بها. ومتى استوى خوفُه ورجاؤهُ فإشفاقٌ ـ وهوَ خوفٌ يُترحَّمُ على نَفْسٍ مِن زلَلٍ وعلى عَمَلٍ مِن خَلَلٍ وعلى غيرِهِ منهما، ثُمَّ على حالِه ووقْتِه ويقينِهِ مِن عارضٍ يُكَدِّرُ أو يُنقِصُ أو يَشغَلُ، ثُمَّ إشفاقٌ منعَ العُجبَ ومُخاصمةَ الخلقِ والفُتورَ عَن آدابِ الشَّريعَةِ ـ[1] أو سكنَ القلبُ لشُهودِ عظيمٍ أو مُفزعٍ فخشوعٌ بسُرعَةِ قَبُولٍ وشِدَّةِ انقيادٍ للشَّرْعِ ورضًى بالقَضاءِ، ولَو خالفَ الهَوى واتّضاعَ لنظرِ الحقِّ بسُكونِ جوارحَ وذُبولِ نَفْسٍ وانكسارِ قَلْبٍ، ثُمَّ هدُوٌّ يترقَّبُ به آفةَ نفْسِهِ وعملِه، ورؤيةَ فضلِ غيرِهِ والإنْصافَ من نفسِهِ، وخوفَ خاتمتِهِ، وتنسُّمَ الفناءِ عن غيرِهِ تعالى[2]، ثُمَّ خشوع بتعظيمٍ وإجلالٍ بحفظِ الحُرمَةِ، ويكملُ الأدبُ ويصفو عَن رُؤْيَةِ الغَير بلجإٍ[3] وتذلُّلٍ وإيثارِ وَقْتِهِ وحالِهِ على ما يخطُرُ ببالِه لكمالِ حُبِّهِ[4] وإقبالِه ـ وهو تجريدُ رُؤْيَةِ فَضْلِه تعالى ليَصِلَ إلى الإخباتِ بسُهُولةِ الاستقامَةِ وفتحِ بابِ الطُّمأنينَةِ؛ فيسلُو الشَّهوةَ والطَّلبَ والغَفْلةَ بشدَّةِ عَزْمِهِ وطلبِه ـ عُصِمَ[5]، ومتى طلبَ قَوِيَ فلا سبَبٌ يقطعُ ولا عارضٌ يُوحِشُ،

---

(١) من قوله: (وهو خوفٌ يترحَّم...) إلى هنا سقط من (د).

(٢) في (ب): ويقسم الثناء عن غيره تعالى.

(٣) في (ب): ملجأ.

(٤) في (أ): جده.

(٥) قوله: «عُصم» جواب للشرط المتقدم «لو خالف».

ومتى دامَ لزم الثناءَ على ربِّه مع ذَمّ نَفْسِهِ، وعَمِيَ عَن عَيبِ غيرِهِ، واستوَى ذمُّهم ومَدْحُهم لهُ، حيثُ لم يُغيّر بهما قسمة، أو تركَ شيئًا حذرًا منهُ تعالى فورعٌ(١).

وأعلى الخوفِ ما شغلَهُ باللهِ وحدَه مع بقاءِ الصِّحةِ والعقلِ، وإن أثَّر بهما فمرضٌ يجبُ علاجُه؛ فخوفُ النّارِ أو موتِهِ قبلَ توبتِه أو نقضِها، أو قلَّةِ الوفاءِ أو التبديلِ، أو ميلِه عن استقامتِهِ أو مكرٍ، أو اطّلاعه تعالى عليه حالَ الغَفْلَةِ، وخوفُ الخاتمةِ وخوفُ السّابقةِ أعلى.

فالخَوفُ ثمرةُ إيمانِه، والخشيةُ ثمرةُ علْمِه، والهَيبةُ ثمرةُ معرفتِه، ومنهُم مَن تَمَثَّلَ سَكْرَةَ المَوتِ وشدَّتَه ومسألةَ مُنكرٍ ونَكيرٍ وعذابَ القبرَ وهَيبةَ الموقِفِ والمُناقشةَ وعُبورَ الصِّراط وأهوالَ النّارِ أو مَنْعَ الجنّةِ أو الحجابَ عن ربِّه تعالى. وهو ثمرةُ المعرفةِ وما قبله خوفُ الصُّلحاءِ.

قلتُ: وفيهِ حِجابٌ؛ لأنّهُ غَيرٌ.

فإن قيلَ: فكيفَ يُثمرُ أمْنًا؟

قلنا: تصديقًا لرَجائِهِ، ومَن نظرَ سَبْقَ الشّقاوَةِ قَبْلَ الجِنايَةِ غَلَبه الخوفُ ولَم تَغُرَّه بُقْعَةٌ؛ إذ لم تنفع آدمَ عليه السَّلامُ، ولا عِلْمٌ؛ إذْ لم ينفعْ بَلْعام، ولا عملٌ؛ إذ لم ينفعْ إبليسَ ونحوَه(٢)؛ فتأمَّلْهُ بقلْبٍ حاضرٍ مع الآياتِ؛ كقولِه تعالى: ﴿إِنَّ عَذَابَ رَبِّهِمْ غَيْرُ مَأْمُونٍ﴾ [المعارج: ٢٨]، ﴿لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾ [السجدة: ١٣]، ﴿إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ﴾ الآيات [العصر: ٢] ونحوَها، والأخبار. ويَنظرُ الخائفينَ وأقوالَهُم، ويحملُ خوفَ السّلفِ على الإيمانِ بالوَعْد والوَعيدِ

---

(١) في (ب، ج) تقديم وتأخير في العبارة.

(٢) في (أ): ولم تغُرّه بُقعةٌ ولا علمٌ؛ إذ لم ينفع علمُ بلعامٍ ولا عملٌ؛ إذ لم ينفع إبليس ونحوه.

لا سببًا حاملًا على الفعلِ وتركهِ. وصحَّ في التِّرمذيِّ: «لا يَلِجُ النّارَ رَجُلٌ بَكَى مِنْ خَشْيةِ اللهِ تَعالَى»[١].

قلتُ: وإمْساكُه بمَحضَرٍ ليَنْقَلِبَ حُزْنًا أتمُّ[٢].

ويَنظرُ خوفَ[٣] الملائكةِ؛ أخبرَ تعالى بخوفِهم[٤]، وبكى آدمُ عليه السَّلامُ ثلاثَمئةِ عامٍ[٥]، وكذا نوحٌ عليهِ السَّلامُ[٦]، وسُمِعَ مِن بعيدٍ أزيزُ صَدْرِ إبراهيمَ عليهِ السَّلامُ خوفًا[٧]، وداودُ عليهِ السَّلامُ أبْلَى بدمُوعِهِ سَبْعَ حشايا مِن شَعْرٍ حَشْوهُنَّ رمادٌ[٨]، وكان عيسى عليهِ السَّلامُ إذا ذَكَرَ الموتَ يقطرُ جِلْدُه دمًا[٩]، وبكى يحيى عليه السَّلامُ حتَّى بَدَتْ أضْراسُه[١٠]، ولقمانُ وعظَ ابنَهُ حتّى انشقَّتْ مرارتُه[١١].

---

(١) سنن الترمذي (١٦٣٣) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) في (أ، و، هـ): أكمل.

(٣) ضبطت في (ز): وينظر. بالمعلوم والمجهول.

(٤) قال تعالى: ﴿ وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ مِن دَآبَّةٍ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ۝ يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴾ [النحل: ٥٠].

(٥) رواه ابن أبي الدنيا في «العقوبات» (١٠٧) عن الحسن البصري مرسلًا.

(٦) رواه ابن أبي الدنيا في «العقوبات» (١١٥) عن وهيب قال: لمّا عاتب الله نُوحًا في ابنه أنزل الله عزّ وجلّ: ﴿إِنِّىٓ أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴾ [هود: ٤٦] بكى ثلاثمئة عامٍ، حتّى صار تحت عينيه أمثالُ الجداول من البكاء.

(٧) رواه محمد بن نصر المروزي في «مختصر قيام الليل» (ص١٤٢).

(٨) رواه أبو نعيم في «الحلية» (٢: ٣٢٧).

(٩) رواه ابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٤٧: ١٦٩) عن أبي عمر الضرير بلغه عن عيسى عليه السلام.

(١٠) رواه ابن أبي الدنيا في «الرقة والبكاء» (٤٠١) موقوفًا عن عبد الله بن عمرٍو رضي الله عنهما.

(١١) رواه الدينوري في «المجالسة وجواهر العلم» (١٣٤١).

قيل: دخلَ بيتَ المقدسِ خمسُمئةِ عذراءَ لباسُهُنَّ الصُّوفُ والمُسوحُ، فتذاكَرْنَ ثوابَ اللهِ وعِقابَه فَمُتْنَ جميعًا بمقامٍ واحدٍ. ولمّا سُئلَ نبيُّنا ﷺ عن تغيُّرِه برؤيةِ الغَيمِ، فقال: «يا عائِشَةُ، ما يُؤْمِنُني أنْ يَكُونَ فِيهِ عَذابٌ؛ فَقَدْ عُذِّبَ قَومٌ بِالرِّيحِ، وقَدْ رأى قَومٌ العَذابَ، فَقالُوا: هَذا عارِضٌ مُمْطِرُنا» رواهُ البُخاريُّ ومُسلمٌ[١]. وقولُ أبي بكرٍ رضيَ الله عنهُ: ليتَني شجرةً تُعْضَدُ ثُمَّ تُؤكلُ[٢]. وقولُ عُمرَ رضيَ اللهُ عنهُ: يا ليتني لم أكنْ شيئًا مذكورًا[٣]. وقولُ عُثمانَ رضي الله عنه: وَدِدْتُ أنِّي إذا مُتُّ لم أُبْعَثْ[٤]. وقولُ عليٍّ رضي الله عنه يومًا: ودِدتُ لو أنِّي مُتُّ ثُمَّ صِرتُ تُرابًا[٥]. وقولُ طلحةَ وأبي الدَّرْداء وأبي ذرٍّ رضي الله عنهم: ليتني شجرةً تُعْضَدُ[٦]. وقولُ ابنِ مسعودٍ رضي الله عنه: لو وقفتُ بينَ الجنّة والنّار فخُيّرْتُ لأدْخُلَها أو أكونَ ترابًا لاخترتُ أن أكونَ ترابًا[٧]. وكان الحسنُ رضي الله عنه كأنّهُ أسِيرٌ قد قُدِّمَ لتُضربَ عُنقُه[٨]. وقولُ عطاءٍ السُّلميِّ: أشتهي أن أكونَ رمادًا لا تجتمعُ منهُ سَفّةٌ في الدنيا ولا في الآخِرةِ[٩]. وقول

---

(١) صحيح البخاري (٤٨٢٩)، صحيح مسلم (٨٩٩).

(٢) رواه ابن أبي الدنيا في «المتمنين» (١٠).

(٣) رواه ابن أبي الدنيا في «المتمنين» (١٢).

(٤) من قوله: (وقولُ عُثمان...) إلى هنا سقط من (ب). وقد أورده أبو طالب المكي في «قوت القلوب» (١: ٣٨١).

(٥) رواه ابن أبي الدنيا في «المتمنين» (٩٨).

(٦) رواه ابن أبي الدنيا في «المتمنين» (١٠).

(٧) رواه ابن أبي الدنيا في «المتمنين» (٢١).

(٨) أورده أبو طالب المكي في «قوت القلوب» (١: ٣٨٠).

(٩) رواه ابن أبي الدنيا في «المتمنين» (٦٧). وعطاء هذا هو من كبار الخائفين بالبصرة، معاصر لسليمان التيمي أدرك زمان أنس بن مالك، وسمع من الحسن وجعفر بن زيد =

الفُضيلِ بن عياضٍ: لو خُيِّرتُ أنْ أكونَ كَلبًا ثُمَّ أصيرَ ترابًا ولا أرى الجنّةَ ولا النّارَ[١]. وقبضَ على لحيته بعرفةَ عند الغرُوبِ وبكى نهارَه كالثَّكْلَى المُحْتَرقةِ، ثُمَّ قال: يا سَوآتاهُ منكَ وإن عَفَوتَ[٢]. ووقفَ عابدٌ على كِيرِ حدَّادٍ فبكَى، ثُمَّ شهقَ فماتَ[٣]. وقولُ السَّريِّ رضي الله عنه: إنّي لأنْظُر كُلَّ يومٍ إلى أنْفِي مخافةَ أن يكونَ قدِ اسوَدَّ وجْهِي[٤].

= وعبد الله بن غالب، وعنه بشر بن منصور وصالح وعبد الواحد بن زياد وغيرهم حكايات. قال شداد بن علي: حدثنا عبد الواحد بن زياد قال: دخلنا على عطاء السلمي وهو في الموت، فرآني أتنفس، فقال: ما لك؟ قلت: من أجلك! قال: وددت أن نفسي بقيت بين لهاتي وحنجرتي تتردد إلى يوم القيامة مخافة أن تخرج إلى النار. وذكر خليد بن دعلج قال: كنا عند عطاء السلمي، فقيل له: أن عبد الله بن علي قتل أربعمئة من أهل دمشق على دم واحد، فقال: هاه متنفسًا ثم خرّ ميتًا؛ رواها صالح بن أبي ضرار عن الوليد بن مسلم عنه انتهى. «لسان الميزان» (٤: ١٧٣).

(١) رواه أبو نعيم في «الحلية» (٨: ٨٤). وفي (د، هـ، ز): لاخترت أن أكون كلبًا، ثم أصير ترابًا، ولا أرى الجنة ولا النار.

والفضيل بن عياض بن مسعود بن بشر التميمي ثم اليربوعي، شيخ الإسلام، أبو علي، ولد بسمرقند، ونشأ بأبيورد، وارتحل في طلب العلم، قصة توبته مشهورة، ووعظه للخلفاء وزهده في الدنيا عزت اليوم بل أضحت مفقودة، وقد ذكرت له صورًا رائعة في كتابي «صور من حياة الأولياء والصالحين» أسأل الله العون والتيسير لإتمامه. مات في المحرم سنة سبع وثمانين ومئة. ينظر: «طبقات الصوفية» (ص٢٢)، و«سير أعلام النبلاء» (٨: ٤٢١-٤٤٢).

(٢) رواه أبو نعيم في «الحلية» (٨: ٨٨).

(٣) رواه ابن أبي الدنيا في «الرقة والبكاء» (٥١).

(٤) رواه أبو نعيم في «الحلية» (١٠: ١١٦)، والخطيب البغدادي في «الزهد والرقائق» (٨٣).

والسري هو السري بن المغلس السقطي، الإمام، القدوة، شيخ الإسلام، أبو الحسن البغدادي، ولد في حدود الستين ومئة. فاتني جزء من وردي، فلا يمكنني قضاؤه ـ يعني: =

وليس الخوفُ بكثرةِ الذُّنوب بل بالمعرِفة[١]، وصفاءِ القُلوبِ.

وقيل لمجنونِ بَني عامرٍ: لمَ سُمِّيتَ مجنونًا؟

قال: لمّا طالَ حَبْسِي عنهُ صِرتُ مجنونًا لخوفِ فِراقِهِ[٢].

وقيلَ في هذا المعنى:

وَما في الأرْضِ أشْقَى مِنْ مُحِبٍّ ... وإنْ وَجَدَ الهَوَى حُلْوَ المَذاقِ

تَراهُ باكيًا أبَدًا حَزِينًا ... لِخَوفِ تَفَرُّقٍ أو لِاشْتِياقِ

فَيَبْكِي إنْ نَأوا شَوقًا إلَيهِمْ ... وَيَبْكِي إنْ دَنَوا خَوفَ الفِراقِ[٣]

خاتمة

ويقوى الخوفُ بتحقِيقِ[٤] الوَرعِ عَن كُلِّ رِيبةٍ مَع تَجَوُّعٍ، والأكلِ مِنْ مَحْضِ الحلالِ فقَطْ ما أمكنَ، مع إدْمانِ فِكْرٍ فيما سبقَ مِنْ آدابِه وأحوالِ الخائفينَ.

* * *

= لاستغراق أوقاته ـ وهو أول من أظهر ببغداد لسان التوحيد، وتكلم في علوم الحقائق، وهو إمام البغداديين في الإشارات. توفي: في شهر رمضان، سنة ثلاث وخمسين ومئتين. ينظر: «طبقات الصوفية» (ص٥٨)، و«سير أعلام النبلاء» (١٢: ١٨٥-١٨٧).

(١) في (ب): بالمغفرة.

(٢) أورده أبو القاسم القشيري في «رسالته» باب الصبر (١: ٢٧٥)، وابن الجوزي في «التبصرة» (١: ٥٠١).

(٣) الأبيات من البحر الوافر، وهي لابن دريد، كما في «ديوانه» (ص٧٩)، وأوردها الزجاجي في «أماليه» (ص٤٤) فقال: أنشدنا نفطويه قال: أنشدنا أحمد بن يحيى.

(٤) في (أ، ب): بتحقق.

كتاب الزهد والفقر

الزُّهدُ حَسَنةٌ وللمُنتَهي[١] دَناءةٌ، وهو في حرامٍ فَرْضٌ، وفي الشُّبْهةِ مُهِمٌّ، وفي المُباحِ فَضِيلَةٌ؛ حذرًا من آفاتِه ومُشاركةِ الأغيارِ، ثُمَّ عَن كُلِّ فُضولٍ لعِمارةِ وقْتِه، ثُمَّ ذُهولِه عنهُ بربّه تعالى.

عِلْمُ الزُّهْدِ: معرفةُ حَقارةِ الدُّنيا ونفاسةِ الآخرةِ.

وحالُه: سقوطُ الرَّغبةِ مِنَ الدنيا.

وأمّا عِلْمُ الزُّهدِ فيما سواهُ تعالى إضافَةُ حَقارَةِ الوُجُود إلى جلالِ اللهِ تعالى، وهو زُهْدٌ يُقْصَدُ لذاتِه؛ لأنّهُ مِنَ الإيمانِ بالله تعالى؛ لتعلُّقِهِ بالجلالِ والكَمالِ، والزُّهْدُ الأوّلُ يُقصدُ لغيرِهِ؛ لفراغِ القَلْبِ لهذهِ المعرفةِ، ويجبُ منهُ ما يَحُثُّ على الفراغِ لطلبِ الواجباتِ، ويتعلّقُ بالمُباحِ المقْدُورِ عليهِ وعدمِ طلبِ المفقودِ، ويُثمرُ مقامَ الإيثارِ، ثُمَّ الإيثارُ مقامَ الفُتوَّةِ، وهيَ القيامُ بواجبِ الشَّرْعِ، وواجبِ المُروءة، ومَن شارَكَ أبناءَ الدّنيا فيما هُم فيهِ فلا مُروءةَ لهُ ولا فُتوَّةَ، ومتى استمرَّ له ذلكَ المقامُ أثمرَ مقامَ المُراد، فلو أتاهُ مالٌ فأبَى ورَغِبَ عَنْهُ فزاهِدٌ، أو أخَذَ بلا رَغْبَةٍ فراضٍ، أو لم يأخُذْ مع رغبةٍ ما فَقانِعٌ، أو طلبَهُ فحرِيصٌ، أو فَقدَ سُتْرةً ونَحوها فمُضطرٌّ، أوِ استَوى عِندَه المالُ وفَقْده فكَمالٌ[٢]، ويُظهرُ التَّرْكَ لقُدوةٍ ضعيفٍ، وَمَدَحَ تعالى الفقراءَ؛ فقالَ: ﴿لِلْفُقَرَآءِ ٱلَّذِينَ أُحْصِرُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ...﴾ الآيَةَ [البقرة: ٢٧٣]، وقالَ تعالى: ﴿لِلْفُقَرَآءِ ٱلْمُهَٰجِرِينَ ...﴾

(١) في (ز): وللمبتدي.

(٢) في (هـ، و): أو استوى عنده وجوده وعدمه فكمال.

الآيَةَ [الحشر: ٨]، وهم أكثرُ أهلِ الجنَّةِ دُخولًا الجنّةَ كما في «الصحيحين»(١)، وفيهما: «اللهُمَّ اجْعَلْ رِزْقَ آلِ مُحَمَّدٍ قُوتًا»(٢)، وفيهما: «ما شَبِعَ آلُ مُحَمَّدٍ مُنْذُ قَدِمَ المَدِينَةَ مِنْ طَعامٍ أَكْثَرَ مِنْ ثَلاثِ لَيالٍ تِباعًا»(٣).

وقال عُمر رضي الله عنه: رأيتُ رسولَ اللهُ ﷺ يَظَلُّ اليومَ يَلْتَوي ما يجِدُ دَقَلًا يملأُ بَطْنَهُ. رواه مُسلمٌ(٤).

وصحّ في «التِّرمذيِّ»(٥): «يَدْخُلُ فُقَراءُ المُؤْمِنِينَ الجَنَّةَ قَبْلَ أَغْنِيائِهِمْ بِخَمْسِمِئَةِ عامٍ»(٦).

ورُوِيَ: «يُؤْتَى بِالعَبْدِ يَومَ القِيامَةِ، فَيَعْتَذِرُ اللهُ إِلَيهِ كَما يَعْتَذِرُ الرَّجُلُ إِلى الرَّجُلِ في الدُّنْيا فَيَقُولُ: وَعِزَّتي وَجَلالِي، ما زَوَيتُ الدُّنْيا عَنْكَ لِهَوانِكَ عَلَيَّ، وَلَكِنْ لِما أَعْدَدْتُ لَكَ مِنَ الكَرامَةِ. أُخْرُجْ يا عَبْدِي إِلى هَذِهِ الصُّفُوفِ؛ فَمَنْ أَطْعَمَكَ أو كَساكَ يُرِيدُ بِذَلِكَ وَجْهِي فَخُذْ بِيَدِهِ فَهُوَ لَكَ»(٧). وسبقَ في القناعةِ والحِرْصِ شيءٌ فليُتأمَّل.

---

(١) روى البخاري (٣٢٤١) عن عمران بن حصين رضي الله عنه، ومسلم (٢٧٣٧) عن عبد الله ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي ﷺ، قال: «اطّلعتُ في الجنّة، فرأيتُ أكثر أهلها الفُقراء».

(٢) صحيح البخاري (٦٤٦٠)، صحيح مسلم (١٠٥٥) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٣) صحيح البخاري (٥٤١٦)، صحيح مسلم (٢٩٧٠) من حديث عائشة رضي الله عنها.

(٤) صحيح مسلم (٢٩٧٨) من حديث النعمان رضي الله عنه. والدقل: رديء التمر ويابسه.

(٥) في (أ): وصحح الترمذي.

(٦) سنن الترمذي (٢٣٥٤) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه. وقال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح.

(٧) قال الحافظ العراقي: رواه أبو الشيخ في كتاب «الثواب» من حديث أنس بسند ضعيف. تخريج أحاديث الإحياء (٣٥٦٥).

والفقرُ المُطلَقُ: احتياجُ العبدِ إلى مُوجِدٍ وبقاءٍ بعدَ[١] إيجادِهِ وهدايةٍ، وهو مَحضُ الافتقارِ إليهِ، وحالُه الناشئُ عن هذا العلمِ شُهودُ هذا الافتقارِ على الدَّوام.

والفقرُ المُقيَّدُ: حاجةُ العبدِ إلى الوسائلِ.

فالأوَّلُ يُقصَدُ لِذاتِهِ لتعلُّقِهِ باللهِ تعالى، والثاني لغَيرِه وهو التَّبتُّلُ والانقطاعُ؛ تَوسُّلًا لمقامِ التَّجريدِ، ولا يجبُ منهُ إلّا تجريدُ القِدَمِ عن الحَدَثِ.

ومتَى استَوى غنيٌّ وفقيرٌ ثُمَّ زادَ أحدُهما معروفًا[٢] يُفضَّلُ قطعًا، أو استوَيا فيما وَجَبَ فالغَنِيُّ أنفعُ والفقيرُ نورُهُ أسْطَعُ؛ فيرضَى ويفرحُ بفَقْرِهِ مُتَجمِّلًا بتَعَفُّفِه واثقًا بربِّهِ، ومتَى عكسَ عَصَى ولا يَفْتُرُ عن العِبادةِ، ويُؤثِرُ بما فضلَ سرًّا؛ فإنَّهُ أفضَلُ الصَّدَقَةِ.

ويَقبلُ هديةً بلا شُبْهَةٍ ولا مِنَّةٍ ومِنْ زكاةٍ ونحوِها مع علْمِه أنَّهُ يَستَحقُّها، ومتَى تُصدِّقَ عليهِ لكونه تَقيًّا أو عالمًا ولم يكنْ كذلكَ أو صدقةَ رياءٍ ونحوِه، أو استغنَى عنْها لَمْ يأخذْها، فإنْ سلمَ وسلِمَتْ سَترَ زُهدَهُ بأخذِها. وفي «الصحيحين»: «ما جاءَكَ مِنْ هَذا المالِ وأنْتَ غيرُ مُشْرِفٍ وَلا سائِلٍ فَخُذْهُ، وَما لا فَلا تُتْبِعْهُ نَفْسَكَ»[٣].

ومَتى كُفِي ضَرُوراتِه حرُمَ السُّؤالُ أو خافَ تلفًا وجبَ. وفي «الصَّحيحينِ»:

---

(١) في (ز): مع.

(٢) قوله: معروفًا. مثبتة من (هـ، و).

(٣) صحيح البخاري (١٤٧٣)، صحيح مسلم (١٠٤٥) من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما.

«لا تَزالُ المَسْألَةُ بِأحَدِكُمْ حَتَّى يَلْقَى اللهَ تَعالى وَلَيسَ في وَجْهِهِ مُزْعَةُ لَحْمٍ»[١].

وفيهما: «اليَدُ العُلْيا خَيرٌ»[٢].

تنبيه:

لمّا تحلَّتْ بالتخلِّي عَلَتْ[٣]، ولمّا أخَذَتْ سَفلتْ، وفي المسألةِ إظهارُ الشَّكوى، والذِّلَّةُ للناسِ، وإيذاءُ المسؤولِ غالبًا.

فصل
[في كمال الزهد، وعلاماته]

الزُّهدُ كمالُه سقوطُ الرَّغبةِ عمّا سواهُ تعالى[٤]، فيَسلمُ ويتفرَّغُ ويترقّى، وسَبقَ ذِكْرُ سُمُومِ الخُلْطَةِ وحُبِّ الدُّنيا والجاهِ ونحوِه، وما في القناعةِ ونحوِها فَلْيُتَأمَّلْ.

---

(١) صحيح البخاري (١٤٧٤)، صحيح مسلم (١٠٤٠) من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما. ومزعة لحم: قطعة. قال القاضي عياض: قيل: معناه يأتي يوم القيامة ذليلًا ساقطًا لا وجه له عند الله، وقيل: هو على ظاهره، فيحشر ووجهه عظم لا لحم عليه عقوبة له وعلامة له بذنبه حين طلب وسأل بوجهه، كما جاءت الأحاديث الأخر بالعقوبات في الأعضاء التي كانت بها المعاصي، وهذا فيمن سأل لغير ضرورة سؤالًا منهيًا عنه وأكثر منه كما في الرواية الأخرى من سأل تكثرًا، والله أعلم. «شرح مسلم للنووي» (٧: ١٣٠).

(٢) صحيح البخاري (١٤٢٧)، صحيح مسلم (١٠٣٤) من حديث حكيم بن حزام رضي الله عنه.

(٣) في (أ): لما تخلت علت. وفي (ز): بالتحلي.

(٤) في (ب): عما سوى الله تعالى.

ومَن تخشَّنَ[١] ظاهرًا فقط فمُتَشبِّهٌ، أو باطنًا ونفسُه تُنازِعهُ فمُتزهِّدٌ، أو طوعًا عَن حُظوظِهِ فزهدٌ مع كونِه لا يرى لنفْسِه فيه ولا في غيرِه محلًّا.

وزُهدُه لخوفِ عقابٍ أو رجاءِ ثَوابٍ دناءَةٌ، ولإفرادِه تعالى بالرَّغبةِ بلا رُؤيةِ زُهدِهِ ولا زُهدِهِ في زُهدِهِ[٢] فكمالٌ، ولا وَجْهَ لِما زادَ على ما لا بُدَّ منهُ مِنْ مَطْعَمٍ ونحوِه وهِدْمَةٍ[٣] ما لم يُعْرَف وإلّا لبِسَهُ لله تعالى فقط بلا تَفْريطٍ ولا إفْراطٍ، ومَسْكَنٍ وأثاثٍ لا يَكفي غيرَه ومالٍ ونحوِه ومنكحٍ بآدابه المُتقدِّمة ما لم يَشغلْهُ.

وفائدَةُ تركِ الفُضولِ: صفاءٌ، نُورٌ، رِقَّةٌ، لَذَّةُ عِبادةٍ، كسرُ نفسٍ، رحمةُ خَلْقٍ، مَنْعُ مَعصيةٍ، كثرةُ عِبادَةٍ، صِحَّةُ بدنٍ، قِلّةُ نومٍ ومؤنةٍ وكسبٍ، إيثارٌ بشيءٍ مِن قُوتهِ فغَنيمةٌ، إلى غيرِ ذلكَ.

رَوَى مُسلمٌ عن عُمرَ رضي الله عنه قال: دخلتُ على النبيِّ ﷺ وهو مُضْطجعٌ على حَصيرٍ، وإذا الحَصيرُ قد أثَّرتْ[٤] في جَنْبه، فنظرْتُ في خزانةِ رسولِ اللهِ[٥] ﷺ، وإذا أنا بقبضَةٍ من شعيرٍ نحوَ الصّاعِ[٦]. وللبُخاريِّ: فواللهِ، ما رأيتُ شيئًا يرُدُّ البَصَرَ[٧]. ولهُما عنهُ: أخْرَجتْ لنا عائشةُ رضيَ اللهُ عنها كِساءً مُلَبَّدًا وإزارًا غليظًا، وقالتْ: قُبِضَ رسولُ الله ﷺ في هذينِ[٨].

---

(١) في (هـ، و): تحسن. وفي (ز): يخشن.
(٢) في (أ، د): ولا رؤية زهده في زهده.
(٣) أي: الثوب الخلق.
(٤) في (ب، ز): أثر.
(٥) في (هـ، و): النبي.
(٦) صحيح مسلم (١٤٧٩) من حديث عبد الله بن عباس رضي الله عنهما.
(٧) صحيح البخاري (٢٤٦٨) من حديث عبد الله بن عباس رضي الله عنهما. وتمامه: «... غير أهبةٍ ثلاثةٍ». وأهبة جمع إهاب وهو الجلد قبل الدباغ.
(٨) صحيح البخاري (٣١٠٨)، صحيح مسلم (٢٠٨٠) من حديث أبي بردة رضي الله عنه.

وسيرتُه ﷺ وأصحابِه مشهورةٌ.

ومِن علامةِ الزُّهدِ: إخفاؤُه، وعَدَمُ فَرحِهِ بمَوجُودٍ وحُزنهِ على مفقودٍ، وطلبُه وبذلُ ما عدا ضَرُوراتِه، واستواءُ مادحِه وذامِّه عندَهُ، وغلَبةُ أُنسِه بالله تعالى، وحلاوةُ طاعتِه، وله ادِّخارُ قُوتِ سَنَةٍ.

قلتُ: ولا يضرُّه في حالةِ كمالِه كثرةُ مالٍ وجاهٍ ونحوِهما؛ كحالِ السَّلفِ، ولا تجتمعُ محبةُ الله تعالى والدُّنيا لأحدٍ ألبتّةَ[1].

* * *

(١) روى ابن أبي الدنيا في «ذم الدنيا» (٧٦) عن سفيان الثوري رحمه الله تعالى: أن عيسى ابن مريم عليه السلام قال: كما لا يستقيم النار والماء في إناء كذلك لا يستقيم حب الآخرة والدنيا في قلب المؤمن.

كتاب[1] التوكل

ويَتمُّ الزُّهدُ بالتوكُّلِ، وهو فرضٌ؛ قال اللهُ تعالى: ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [المائدة: ٢٣]، ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ﴾ [الطلاق: ٣]؛ أي: كافِيهِ.
وفي «الصَّحيحينِ»: أنَّهُ يَدْخُلُ الجَنَّةَ مِنْ أُمَّتِهِ سَبْعُونَ ألفًا لا حِسابَ عَلَيهِمْ[2]، ثُمَّ قالَ: «هُمُ الَّذِينَ لا يَكْتَوُونَ وَلا يَسْتَرْقُونَ وَلا يَتَطَيَّرُونَ، وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ»[3].
ورُوِيَ: «لَو تَوَكَّلْتُمْ عَلَى اللهِ حَقَّ تَوَكُّلِه لَرَزَقَكُمْ كَما يَرْزُقُ الطَّيرَ تَغْدُو خِماصًا وَتَرُوحُ بِطانًا»[4].

عِلْمُه: معرفةُ سَعةِ الرحمَةِ وكمالِ القُدرة والحكمةِ ونحوِها.

وحالُه: اعتمادُ القلبِ عليه تعالى بلا اضطرابٍ؛ تعلُّقًا به تعالى؛ فثمراتُ الإيمانِ بحسبِ الملاحظةِ؛ فمَن لحَظَ قيامَ الأشياءِ به تعالى اتَّكلَ عليهِ، وأنَّها بأكْمَلِ عِلْمٍ وحِكمَةٍ سَلَّمَ[5] نَفْسهُ إليهِ وفوَّضَ أمرَه إليهِ، ولحظَ مع ذلكَ كمالَ صِدْقهِ ووفاءَ وعْدِه ووثِقَ بهِ تعالى؛ فإنَّهُ إلهٌ واحِدٌ، ومآلُ كلِّ شيءٍ إليهِ، وكُلُّ

---

(١) في غير (هـ، و): باب.

(٢) في (ب): بغير حسابٍ. وهي إحدى روايات الحديث.

(٣) صحيح البخاري (٦٥٤١)، صحيح مسلم (٢٢٠) من حديث عبد الله بن عباس رضي الله عنهما. وقوله: (هُمُ) غير مثبتة في (هـ، و، ز).

(٤) رواه الترمذي (٢٤٩٨)، وابن ماجه (٤١٦٤)، وأحمد (٢٠٥) من حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

(٥) في (د، ز): مُسلِّمٍ.

شيءٍ بسبقِ القِسمةِ لا بغيرِها، ومتَى تَحَقَّقَ بجميعِ ذلكَ نتَجَ عنهُ التوكُّلُ، وهو سكونٌ إليهِ تعالى بلا اضطرابٍ، فلو مُنِعَ غرضَه أُثيبَ بتوكُّلِه ودُعائِهِ؛ فإنَّهُما عبادةٌ ليس فِعلُها كتركِها، ولو لم يَرْفَع[1] البلاءَ لَطَفَ به فيه بهما.

والواجبُ منهُ ما كَفَّ عن كلِّ نهيٍ[2]، والمندوبُ ما كفَّ عن كلِّ شاغِلٍ.

ويُثمرُ بمشيئتِه تعالى كفايةً، راحةً، عزًّا، قناعةً، غنًى، لذّةً، نعيمًا، أُنسًا، محبَّةً، فزعًا، شكايةً إليهِ تعالى، أمنًا، نُصرةً، ولايةً، نورًا، أحوالًا، وخوارقَ، زُهدًا فيها، تعلُّقًا به تعالى في أسبابِ الدّارينِ، شُغلًا به تعالى، توحُّدًا، فناءً، بقاءً، نفيَ علّةٍ، توكُّلًا، تفويضًا، ثقةً، تسليمًا؛ وتأمَّلْ: «أَسْلَمْتُ نَفْسِي إِلَيكَ، وَفَوَّضْتُ أَمْرِي إِلَيكَ...» الحديثَ[3]. وبالمِحَنِ يظهرُ صدقُ كُلِّ مقامٍ ونقصُه[4].

تنبيه :

عِلَّةُ التوكُّلِ: دَعوى مُلكٍ، طلبُ كفايةٍ، رُؤيةُ حَولٍ وقوَّةٍ، لعُقوبةِ مَكْرٍ كَوكلِه[5] إلى توكُّلِهِ؛ فالتوكُّلُ ونحوُه لا يُغيِّرُ ما قُسِمَ، بل هُوَ ونحوُه امتحانٌ لخُلُوصِ التعبُّدِ، والتفويضُ والتسليمُ أعلى؛ لأنَّهما الإذعانُ والانقيادُ للأمْرِ والنَّهيِ بلا اختِيارٍ في جُملةِ ما حكمَ بهِ تعالى وقَضَى.

---

(١) في (ز): يرتفع.

(٢) في (أ) زيادة: (كمن فقد غير حرامٍ وجب توقُّفهُ عنهُ توكُّلًا حتّى يجعل الله تعالى له مخرجًا).

(٣) رواه البخاري (٦٣١١)، ومسلم (٢٧١٠) من حديث البراء بن عازب رضي الله عنه.

(٤) في (ز): والمحن تظهر صدق كل مقام ونقصه.

(٥) في (هـ): توكله. وفي (و): لوكله.

وَهَلْ للمُفوِّض اخْتيارٌ؟

نعمْ؛ يَسْألُ الأصلَحَ، ويختارُ الأفْضَلَ في حقِّه، لا مُطْلق الأفْضَل، بل ويختارُ ما رَجحَ شرعًا، مُفَوِّضًا فيهِ لعدمِ أمْنِه.

وثمرتُه: الثِّقَةُ؛ وهي ربطُ القلبِ بلا انفصامٍ على ما حَواهُ من تصديقاتِه، وهيَ مُكمِّلةٌ لكُلِّ حالٍ ومَقامٍ.

فالرِّضا أوّلُه نهايةُ الصّبرِ، وأوسَطُه نهايةُ التوكُّلِ، وأعَلاهُ يُثمرُ المحبّةَ، وهو فَقْدُ التَّسخُّطِ، ويُثمرُ معرفةً به تعالى دافعةً لنَحْوِ همٍّ غمٍّ حُزنٍ سَخطٍ، جالبة نحو فرحٍ، سلامةٍ، عدمِ ضياعِ وقتٍ، نَيلِ رضوانه تعالى وأنواعِ ثوابِهِ، وبه فقطْ يَحلُو البَلاءُ، والحاملُ عليهِ مع التوفيقِ تَحقُّقٌ بكمالِ صفاتِه تعالى وأفْعالِه وحِكمتِه، وبالرِّضا أيضًا يظهرُ صحّةُ ما تقدَّمَ، والتوكُّلُ والتفويضُ يعُمُّ أمُورَ الدارينِ بخلافِ الرِّضا؛ فإنَّهُ يكونُ بعد المَقْضِيّ به غالِبًا، وتأمَّلْ قولَ بعضِهِم: لو أدخلني اللهُ النارَ لكنتُ راضِيًا[١].

ولو تسبَّبَ بحرام بَطلَ توكُّلُه، أو بمكرُوهٍ نَقَصَ، أو بمُباحٍ فلا، وقد صَحَّ تركُ السَّببِ لا في طلبِ الآخرةِ؛ لوجوبِ سعْيِها، وإذا كان حالَ التوكُّلِ اعتمادَ القلبِ عليهِ تعالى فقط فلا يقدَحُ فيه تسبُّبٌ ولو موهومًا؛ ككَيٍّ في مرضٍ لا قَبْلَه إذا تحقّقَ بـ«ما شاءَ اللهُ كانَ وما لم يشأْ لمْ يكُنْ»؛ تزوّدَ ﷺ واستأجرَ دَلِيلًا، وتداوى وأمَر بِهِ وكوَى ورقى، وما استَرْقى ولا اكتوى[٢] في الصِّحَّةِ ولا شَكا،

(١) روي هذا عن سيدنا الفضيل بن عياض رحمه الله كما في «حسن الظن بالله» لابن أبي الدنيا (٨١) أنه كان يقول: لو أدخلني الله النار فصرت فيها ما أيسته.

(٢) في غير (هـ، و، ز): ولا كوى.

وقولُه ﷺ: «إنِّي أُوعَكُ»[1] تَشْريعًا؛ فتركُ الأسبابِ وفِعْلُ مخوفٍ توكُّلًا منهيٌّ عنهُ؛ فتعتبرُ أسبابٌ شرعيّةٌ، ومَن غلبَه توحيدٌ خاصٌّ أفناهُ عن بَعضِها لا يُقتَدَى به فيهِ.

نَعمْ في عُمُومِ عَدَمِ وُجوبِ التَّداوي نظرٌ، بلْ ما ضرّ واجبًا؛ كوَجَعٍ مَنعَ ركوعًا مثلًا وأمْكنَ عِلاجُه وجبَ، وما لم يَمْنَعْ واجبًا ورَضيَ ولم يُعالجْهُ لثوابهِ فحسنٌ، ويُعَرِّضُ بذكرِ التداوي لقدوةٍ ضعيفٍ، وَمَتَى ظنَّ تأثيرَ الأسبابِ تَركَ ما لا يَعْصِي بترْكِه وتعلّمَ تجريدَ توحيدِهِ.

وأجْمَعَ العُلماءُ على: (ما شاءَ اللهُ كانَ وَما لَمْ يَشَأْ لَمْ يَكُنْ)[2]، ويترقّى إلى التّفويضِ والتّسلِيمِ، ومَنْ عَلِمَ أنَّ رزقَهُ لا يأكله غيرُه وثِقَ بهِ، وعملَه لا يعملهُ غيرُه شُغِلَ به، وموتَه بغتةً بادَرهُ، وربَّه ناظرٌ إليهِ استحَيا منهُ.

وأدنى التوكُّلِ اعتمادٌ على الوكيلِ؛ إذ لا فاعِلَ غيرُه سُبْحانَه وتعالى، وأنّهُ سبحانهُ وتعالى ما وراءَ قُدرتِه قُدْرَةٌ ولا وراءَ عِلْمِه عِلْمٌ ولا وراءَ رحمتِهِ رحمةٌ، ومَن تَغَيَّر حُبُّهُ أو رضاهُ أو توكُّلُه بمصِيبَةٍ أو سببٍ بطَلَ.

فعِلاجُه: رياضةٌ، تَقْوِيَةٌ، يقينٌ، وَرعٌ، زُهدٌ، قناعةٌ، إقبالٌ عليهِ تعالى بالكُليّةِ؛ فكسْبُ الأحْوالِ من علمٍ وعملٍ، والرزقُ الضَّرُورِيُّ مضمونٌ، والتوكُّلُ بقوّةِ

---

(١) رواه البخاري (٥٦٤٨)، ومسلم (٢٥٧١) من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه.

(٢) روى أبو داود (٥٠٧٥) أنّ أمّ عبد الحميد مولى بني هاشم حدّثته ـ وكانت تخدم بعض بنات النبي ﷺ ـ أن ابنة النبي ﷺ حدثتها أن النبي ﷺ كان يعلمها، فيقول: «قُولي حين تُصبحين: سُبحان الله وبحمده، لا قُوّة إلّا بالله، ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكُن؛ فإنّهُ من قالهُنّ حين يُصبحُ حُفظ حتّى يُمسي، ومن قالهُنّ حين يُمسي حُفظ حتّى يُصبح».
و(أن) مثبتة من (هـ، و).

قلبِهِ ونفْسهِ، فيبقى كالطِّفلِ معَ أُمّه تألُّهًا به تعالى، ثُمَّ يترقَّى كميّتٍ مع مُحرِّكِهِ وهو عزيزٌ جدًّا.

ومدارُ توكّلِه وتسليمِ نفْسهِ وتفويضِ أُمورهِ على الثِّقةِ به تعالى؛ فلو كانَ التّوكُّلُ عَينًا لكانتِ الثِّقةُ سوادَها، أو التسليمُ قلبًا لكانتْ سُوَيداهُ، أو التفويضُ دائرةً لكانتْ مركزَها؛ فافْهَم.

خاتمة

فالثِّقةُ بضمانِه توكُّلٌ، أو بعلمه تعالى في كُلِّ أمورهِ فتفويضٌ، أو شُغِلَ به تعالى عن همٍّ نفسِه فتسليمٌ[1].

❊ ❊ ❊

---

(١) في هامش (ز): بلغ مقابلة. بلغ مقابلة خامسًا ولله الحمد.

كتاب[1] المحبة لله تعالى ولرسوله ﷺ

هيَ فَرْضُ عَينٍ إجْماعًا، وهيَ الغايةُ، والمقاماتُ تَوابِعُها، والأحْوالُ ثمراتُها[2]؛ قالَ اللهُ تعالى: ﴿يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ ...﴾ الآيةَ [المائدة: ٥٤]، ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ﴾ [البقرة: ١٦٥]، وصحَّ: «المَرْءُ مَعَ مَنْ أَحَبَّ»[3]، ورُوِيَ أنّ إبراهيمَ عليهِ السَّلامُ قال لملَكِ الموتِ: هلْ رأيتَ خليلًا يُميتُ خلِيلَهُ؟ فأوحى اللهُ تعالى إليهِ: وهَلْ رأيتَ حَبيبًا يكرهُ لقاءَ حبيبهِ؟ قال: يا ملَكَ الموتِ، اقبضْ[4].

قيلَ: رضوانهُ يَستغِرقُ الآمالَ، وحُبّهُ يُدهِشُ فكيفَ وُدّهُ؟[5].

والمحبّةُ منهُ تعالى إرادَةُ إحْسانٍ خاصٍّ، ومنّا مَيلٌ قَلْبيٌّ لشهودِ كمالٍ ذاتيٍّ

---

(١) في (أ): باب.

(٢) في (ز) زيادة: ويصح العشق على محب جاوز حد غيره فيها.

(٣) رواه البخاري (٦١٦٨)، ومسلم (٢٦٤٠) من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه.

(٤) أورده أبو طالب المكي في «قوت القلوب» (١: ٤٤٠): وقال: وفي الخبر المشهور، وعنه الغزالي في «الإحياء» (٤: ٢٩٤)، وقال الحافظ العراقي في «تخريجه»: لم أجد له أصلًا. وقال السبكي في «الطبقات الكبرى»: (٦: ٣٧٥): لم أجد له إسنادًا.
وفي البخاري (٦٥٠٨) ومسلم (٢٦٨٦) عن أبي مُوسى عن النّبيّ ﷺ قال: «من أحبّ لقاء الله أحبّ اللهُ لقاءهُ، ومن كره لقاء الله كره اللهُ لقاءهُ».

(٥) القائل هو يحيى بن معاذ رحمه الله؛ كما في «الإحياء» (٤: ٢٩٦) وقوله بتمامه: عفوه يستغرق الذنوب، فكيف رضوانه؟ ورضوانه يستغرق الآمال، فكيف حبه؟ وحبه يدهش العقول، فكيف وده؟ ووده يُنسي ما دونه فكيف لطفه؟

وهو الإحسانُ، وقد تفرَّدَ تعالى بهما حُسنًا وإحسانًا[١]، فلا يستحقُّ المحبّةَ غيرُه قطعًا؛ إذ لهُ كمالُ التَّقْديسِ والتنزيهِ، وهو واحدٌ[٢] لا ندَّ لهُ، فردٌ لا ضدَّ لهُ، صَمدٌ لا مُنازِعَ لهُ، غنِيٌّ لا حاجَةَ لهُ، قادرٌ يفعلُ ما يشاءُ، ويحكمُ ما يُريدُ، لا رادّ لحُكمهِ ولا مُعَقِّبَ لقَضائهِ، عالمٌ لا يَعْزُبُ عنهُ[٣] مثقالُ ذرّةٍ في الأرضِ ولا في السماءِ، ولا يُحِيطُونَ به علمًا.

عِلْمُ المحبّة: معرفةُ ما يجبُ لهُ تعالى وَيَسْتَحِيلُ عليهِ.

وحالُها: الميلُ الحادثُ على إيثارِ المحبوبِ بما يُحبُّه.

فمِنْ ثمراتِها: دَوامُ فِكْرٍ في آياتِهِ؛ يُثمرُ معرفةً، وأهَمُّ أسبابِ الكشفِ تَرَدُّدُ الفِكْرِ إلى الشّيء[٤]، ومنها دوامُ ذِكْرٍ يُثْمِرُ أُنسًا، وكُلُّ عبادةٍ ذِكْرٌ، وأجَلُّهُ المعرفةُ؛ لأنّها حُضورٌ معَهُ تعالى وشهودٌ؛ فالمعرفةُ تُثْمِرُ المحبّةَ، ثُمَّ تَصيرُ أصلًا يُثمرُ المعارفَ والأحوالَ.

وعلامةُ الشُّهودِ: اللوائحُ، والطَّوالعُ، واللَّوامعُ، والبروقُ، طوارقُ تلْمَعُ ثُمَّ تَسطعُ[٥] ثُمَّ تَطْلُعُ، ومتَى صِحْتَ[٦] فوَجْدٌ، أو دامتْ فذوقٌ، واللَّحْظُ رُؤيةُ القلبِ، والوقتُ اسمُ ظرْفٍ للكائنِ فيهِ مِنْ حالٍ؛ فَوقتُكَ ما أنتَ فيهِ، والصَّفاءُ اسمٌ للبراءةِ عَن الأكدارِ، والنَّفسُ تنفُّسُكَ[٧] عجزًا عَنْ حَمْلِ حالٍ وَرَدَ، وَمَتى

(١) من قوله: (ذاتي وهو...) إلى هنا سقط من (أ).
(٢) في (ب، ج): أحد.
(٣) في (هـ، و): لا يعزبُ عن علمه.
(٤) في (هـ، و): في الشيء.
(٥) تسطع. غير مثبتة في (ب، ج).
(٦) في غير (هـ، و، ز): صحبت.
(٧) في (أ): والتنفس بنفسك.

قوِيَ فغرقٌ أو زادَ قوّةً أدْخَلهُ في الغَيْبَةِ؛ وَهي ذُهُولٌ عَن المُهمّاتِ بما هو أهمُّ.

والسُّكْرُ[١]: نظرُ القلبِ إلى الصِّفاتِ والتّنعُّمُ بما يَـرِدُ عليهِ مع سُقوط التمالكِ، ومتَى تَبَرّأ مِن هذهِ الأمورِ وبَقِيَ به تعالى فصَحْوٌ، ومتَى مُنحَ الشُّهودَ وكُوشِفَ بالقيُّوميّةِ أفْنَتْهُ عنْ سِواهُ تعالى حَتَّى عَن الفناء، والفناءُ في الحِسِّ للأجسامِ والأعراضِ وذهابِهما بالكُليّة، وهو تعالى واجِبُ الوجُودِ لذاتِه والمُوجِدُ لغيرِه، ومَن كان الوجودُ لهُ مِن غيرِه اتَّصفَ بالعَدَمِ مِنْ نفْسهِ، استُعِيرَ لمَن أُكرِمَ بهذهِ المعرفةِ لفظُ الفناءِ حيثُ شَهِدَ مِن كُلِّ موجودٍ مع القُدرةِ كظِلٍّ لا حُكمَ له في العَقل، ومَتَى دامَ شُغْلُ قلْبه باللهِ تعالى بلا التفاتٍ عنهُ تعالى فهو مقامُ البقاءِ حيثُ لم يبقَ غَيرٌ[٢]، ويُسمَّى الوُجُودَ وهو اسمٌ للظَّفَرِ بهذا المقام، وكذا الجَمْعُ: وهو فَقْدُ التَّفرقَةِ بكونهِ ذاكرًا به تعالَى مَذْكورًا مِنْهُ تعالى، والذّاتُ المُقدَّسَةُ احتَجَبتْ بالصِّفاتِ المُنزَّهَةِ؛ لا أنَّ بينَهُ وبينَ عُقُولِ العُلماءِ بهِ حُجُبًا[٣]، بل لأجْلِ أنّ عَظمتَه إزارُه وكبرياءَهُ رداؤُهُ؛ كما وردَ[٤]؛ فحَجَبَهُم بشدّة ظهوره وخَفِي عَن الأبصار لعِظَمِ نُورِه؛ كما وَرَدَ: «حِجابُهُ النُّورُ»[٥]؛ فاللهُ أكبرُ مِنْ أنْ يُدْرَكَ كُنْهُ كِبْرِيائه؛ لِعُلُوِّ ذاتِه عَن الجِسْمِيّةِ والعَرَضِيّةِ ومُشابهةِ المُحْدَثاتِ، وأمّا الحُجبُ المخْلُوقَةُ فنحو الأكِنَّةِ لأهْلِ الضلالةِ، فلا حجابَ لكَ غيرُ نفْسِكَ وعَوارضِها، ومتَى فَنِيت عنْ كُلِّ شيءٍ شَهِدْتَ قيامَ كُلِّ شيءٍ به تعالى؛ فلا تَرى

---

(١) تصحفت في (د) إلى (الشكر).

(٢) في (ب): (غيرٌ به).

(٣) في هامش (د): بلغ مقابلةً، والحمد لله.

(٤) روى مسلم (٢٦٢٠) عن أبي سعيدٍ الخُدريّ وأبي هُريرة قالا: قال رسُولُ الله ﷺ: «العزُّ إزارُهُ والكبرياءُ رداؤُهُ؛ فمن يُنازعُني عذّبتُهُ».

(٥) رواه مسلم (١٧٩) من حديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه.

ولا تَسْمَعُ ولا تَنْطِقُ ولا تتحرَّكُ[١] إلَّا بِهِ تعالى كما وردَ: «فَبِي يَنْطِقُ...» الحديثَ بطُولِه[٢]، ومتَى رزقكَ الطّاعةَ وأفْناكَ بِهِ عَنْها فقدْ أسْبَغَ عليكَ نِعمَه ظاهرةً وباطنةً.

وعِلْمُ مقامِ القُرْبِ: أنّ كُلَّ ذَرَّةٍ مِن كُلِّ شيءٍ فَقَدْ تَعَلَّق عِلْمُ اللهِ تعالى بها كَشْفًا، وإرادتُه تَخْصِيصًا، وَقُدْرَتُه إيجادًا، والصّفةُ لا تُفارقُ الموصُوفَ، وحالُه النّاشئ عَنْ هذا[٣] العلمِ أوّلُه فقدُ الحِسّ بالأشياءِ، وهُدُوُّ الضَّمِيرِ إليه تعالى، ثُمَّ المُحاضرةُ وتُثمِرُ الأُنسَ، ثُمَّ السَّكينةُ ويُثمرُها شُهودُ صَولَةِ الرّبِّ على العبدِ؛ فيتأدَّبُ القلبُ في الحضرةِ وتُثمرُ الطُّمأنينةَ، وهيَ وُجودٌ أثمَره الأُنسُ المُقْتَرِنُ بالهَيبةِ، وتُثمرُ الغيرةَ، وهي حفْظُ الوقتِ معهُ تعالى حتّى لا يُشَوّشهُ شيءٌ، والشَّوقُ أفضلُ مِن الأُنْسِ؛ لقُصُورِه وتعدّي الشَّوقِ إلى ما وراءه، ويُثمرُ القلقَ، وهو سُرعَةُ الحَرَكةِ لنَيلِ المطلوبِ مَع عَدمِ الصَّبْرِ، ثُمَّ التَّعَطُّشُ أبدًا، وهو شِدَّةُ الطَّلبِ لِما تأكّدَتِ الحاجةُ إليهِ، ومتى اشتَدَّ شوقُه وقَلَقُه وتَعَطُّشه وَجْدٌ؛ وهُوَ

---

(١) قوله: (ولا تتحرك) سقط من (ب).

(٢) روى البخاري (٦٥٠٢) عن أبي هريرة قال: قال رسولُ الله ﷺ: «إنّ الله قال: من عادى لي وليًا فقد آذنتُهُ بالحرب، وما تقرّب إليّ عبدي بشيءٍ أحبّ إليّ ممّا افترضتُ عليه، وما يزالُ عبدي يتقرّبُ إليّ بالنّوافل حتّى أُحبّهُ، فإذا أحببتُهُ كُنتُ سمعهُ الّذي يسمعُ به، وبصرهُ الّذي يُبصرُ به، ويدهُ الّتي يبطُشُ بها ورجلهُ الّتي يمشي بها، وإن سألني لأُعطينّهُ، ولئن استعاذني لأُعيذنّهُ، وما تردّدتُ عن شيءٍ أنا فاعلُهُ تردُّدي عن نفس المُؤمن، يكرهُ الموت وأنا أكرهُ مساءتهُ».

وقوله: «فبي ينطقُ...» روى البزار في «البحر الزخار» (٩٧)، وأبو يعلى في «المسند» (٧٠٨٧) بلفظ: «ولسانهُ الّذي ينطقُ به». وبلفظ المؤلف أورده الحكيم الترمذي في «نوادره» (٢: ١١٢).

(٣) في (أ، ب): ذلك.

عِبارَةٌ عَن الغالبِ على قَلْبِ الطّالبِ، ويُثمرُ الدَّهشُ غيبَةً عَن الحسِّ؛ لشُهودِ أمرٍ عظيمٍ، ثُمَّ الهَيَمانُ؛ وهو ذهابُ التّماسُكِ تَعجُّبًا وتَحيُّرًا وهو[1] أثبتُ، ثُمَّ التَّمكينُ حتّى كأنّهُ لم يَرَ شيئًا وهو غايةُ الاستِقْرارِ[2]، ويتعَلّقُ بكلِّ حالٍ ومقامٍ، فأيّ حالةٍ وجدَها المُحبُّ مع محبوبِه تعالى فتارةً تقوى عليهِ وتارةً هوَ، وتارةً يتلوَّنُ، ومرةً تثبُتُ، ومَتَى استقرَّ ارتقى إلى غيرهِ بحالٍ مع المقام الثاني[3]، ومتَى عَرضَ وحالَ فَحالٌ، أو ثبتَ وأقام فمقامٌ بشرْطِ وُجودِ كُلِّ خَلَاٍ ومَلَاٍ وحَضرًا وسفرًا وفَراغًا وشُغْلًا؛ فلو وَجَدَها في مَلَإٍ فقطْ فعِلَّةٌ يجبُ عِلاجُها، أو بخَلْوَةٍ فقطْ صحَّ مَعَ نَقْصٍ.

والواجبُ مِن المحبّةِ الميلُ النّاشئ عَن الاعتقادِ بأُصولِ الإيمانِ المُتعلّق بذاتِه تعالى وصِفاتِه، ومتى جَهِلَ أصلًا منها نَقَصَ مِنَ المحبَّةِ بِقَدْرِها، وأثِمَ بجهلِه وأثِمَ بفَقْدِ ثمرتِه.

وحقيقةُ الإيمانِ: الحضورُ معهُ تعالى، أو شُهُودُ الآثارِ الدّالّة عليهِ تعالى، ومعرفتُنا به تعالى أعظمُ لذّةٍ؛ إذ هيَ بحسبِ المعلوماتِ وهوَ تعالى أجلُّها ممّا لا يخفى، ولذةُ القلبِ أقْوَى، ويشهدُ لهُ قولُه ﷺ: «حُبِّبَ إلَيَّ الطِّيبُ، والنِّساءُ، وَجُعِلَتْ قُرَّةُ عَيْنِي في الصَّلاةِ»[4]، ولا حَظَّ فيها لغيرِ القَلْبِ، ولذَّةُ المعرفةِ أغْلَبُ على الخلْقِ مِن لذّةٍ بَدَنِيّةٍ، ولذةُ معرفتِهِ تعالى ومُطالعةُ صفاتِه وأفعالِه

---

(١) في (هـ، و، ز): وهي.

(٢) في (ب): الاستغراق.

(٣) في (هـ، و): بحال من المقام إلى الثاني.

(٤) رواه النسائي (٣٩٤٠)، والحاكم (٢٦٧٦)، وأحمد (١٢٢٩٢)، وغيرهم، من حديث أنس ابن مالك رضي الله عنه.

ونظام مملكتِه باقيةٌ بلا كَدَرٍ، وتَنقَلِبُ رُؤْيةً في الآخرةِ، ومَنْ لَمْ يَعْرِفهُ تعالى لم يَرَهُ؛ فأقْواهُم حُبًّا أعظَمُهم نَعيمًا.

وتقوى المحبّةُ بِقَطْعِ عَلائقهِ وإخْراجِ محبّةِ غيرِه تعالى، ثُمَّ المُجاهدةِ ـ وسَبَقَ بيانُها ـ مَع تركِ حُظوظِهِ، وعدمِ فَتْرَتِه، ودوامِ ذُلِّه لربِّه تعالى، وتواضُعِه مع عبادِهِ أبدًا، وتمامِ آدابِهِ في كُلِّ حَرَكةٍ وسُكونٍ ـ ومَنْ أهْمَلَ أدَبًا حُرِمَ أرَبًا ـ وفكرِه في أوصافِ المحبوبِ بعدَ معرفةِ ما يجبُ لهُ ويَستَحِيلُ عليهِ، وخَلْعِ العِذارِ وهو شرْطٌ دَقِيقٌ؛ كَمُصْعَبِ بنِ عُمَيرٍ رضي الله عنهُ ونحوِه[1].

ثُمَّ يتأمَّل[2] حِكْمتَه تعالى في الموجوداتِ، ورؤيتُها أدلُّ مِن إخْبارِ المُخبرِ عنها[3].

وحُبُّهُ تعالى[4] لذاتِه الغايةُ القُصوَى، أو لإحْسانِه فحَظٌّ بهَوًى، ومَن أحبَّهُ تعالى أدامَ ذِكْرَه، ومُتابعةُ رسولِهِ ﷺ عِبادَةً وعادةً، ليلًا ونهارًا بلا فُتورٍ ولا قُصُورٍ، وآثرَ المحبوبَ على كافَّةِ الحُظوظِ، وشوقَه ضرورةً؛ لأنّه إرادةُ الرؤية، فكيفَ يسكنُ قلبُه قبلَ اللِّقاء؟

---

(١) روى أبو نعيم في «حلية الأولياء» (١: ١٨٠) عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: نظر النبيُّ ﷺ إلى مصعب بن عمير مقبلًا، وعليه إهابُ كبشٍ قد تنطقُ به، فقال النبيّ ﷺ: «انظُرُوا إلى هذا الرّجُل الّذي قد نوّر الله قلبهُ، لقد رأيتُهُ بين أبوين يغذوانه بأطيب الطّعام والشّراب، فدعاهُ حُبُّ الله ورسُوله إلى ما ترون». وتأمل قول الصادق المصدوق ﷺ: «دعاهُ حُبُّ الله ورسُوله»، وقول الحافظ أبي نعيم الأصبهاني في «الحلية»: مصعب بن عمير الداري المحبُّ القارئ. تفهم المراد!!!.

(٢) في (أ، ب): تأمل.

(٣) من قوله: (ثم تأمل...) إلى هنا غير مثبت في (ب).

(٤) في (ب): وحبُّ الله تعالى.

وعُوتِبَ ابنُ أدهمٍ رضيَ الله عنه على طلبِ سُكونِه[١]؛ نَعمْ يقوى.

ولبعضِهم بعدَ اللقاءِ[٢]:

شَرِبْتُ حُمَيّا حُبِّكُم مُذْ عَرَفْتُكُمْ عَلَـى ظَمَأٍ مِنِّي، فَـزادَ تَلَهُّبِي[٣]

إذ بِقِطعةِ حَلْوى يَسكُنُ الصَّبيُّ، ومَنْ كَمُلَ عقلُه لا يسكنُ بغيرِ محبوبِهِ.

ومنها: الأُنسُ، وعلامتُه التَّوحُّشُ مِنَ الخَلْقِ لا مِن أهْلِه تعالى، ويُثمرُ انبساطَهُ وإدْلالَه، فيتقِيهِما جِدًّا، ويَتِمُّ بالهَيبةِ، وكُلُّ حَبيبٍ في صَدْرِ المُحبِّ مُهابٌ، وصحوُ أُنسهِ يَعدلُه غَيْبَة الهِيبَةِ، وأعلى منها الوجودُ؛ لبعضِهم رضيَ الله عنهُم[٤]:

---

(١) ذكر ابن الجوزي رحمه الله: عن إبراهيم بن عبد الله بن محمد البلخي، عن إبراهيم بن أدهم قال: وجدت يومًا راحةً فطاب قلبي لحُسن صنيع الله بي، فقلت: اللهم إن كنت أعطيت أحدًا من المحبين لك ما سكنت به قلوبهم قبل لقائك فأعطني ذلك؛ فقد أضرّ بي القلق، قال إبراهيم: فرأيت الله تعالى في النوم، فأوقفني بين يديه وقال لي: يا إبراهيم ما استحييت مني؟ تسألني أن أعطيك ما تُسكّنُ به قلبك قبل لقائي، وهل يسكنُ قلبُ المشتاق إلى غير حبيبه؟ أم هل يستريحُ المحبُّ إلى غير من اشتاق إليه؟ فقلت: يا رب، تُهتُ في حُبّك فلم أدر ما أقول. «صفوة الصفوة» (٤: ٣٢٣).

وابن أدهم: تقدمت ترجمته.

(٢) في (أ، ب، د، ز): شعرٌ.

(٣) البيت لعبد السلام بن أحمد بن غانم المقدسي الصوفي الواعظ الشاعر المتوفى سنة (٦٧٩هـ) كما في «زبدة خلاصة التصوف ـ حل الرموز ومفاتيح الكنوز» المنسوب لابن عبد السلام خطأً، بل هو لعبد السلام بن غانم المقدسي، والله أعلم (ص١١٥)، وهي من البحر الطويل، وتمامها:

فـلا مَـوردٌ للعالميـنَ كمَـوردِي ولا مشْربٌ للعاشقينَ كمشْرَبِي

فلِـي رُتْبَةٌ تعلُو عَلَـى كُلِّ رُتبةٍ ولي منصبٌ يسْمُو على كُلِّ مَنْصبِ

(٤) الترضي من (ب، ج). وفي (هـ): شعر.

الـوَجْـدُ عِـنْـدِي جُـحُـودِي ما لَمْ يَكُنْ لِي عِنْدِي شُهُودِي[١]

وللجُنيدِ رضيَ الله عنهُ:

وُجُودِي أنْ أغِيبَ عَنِ الوُجُودِ لِما يَبْدُو عَلَيَّ مِنَ الشُّـهودِ[٢]

ولهذا عُوتبَ الخَرّازُ بهاتفٍ[٣]:

أيا مَنْ يَرى الأسْبابَ أعْلى وُجُودِهِ ويَفْـرَحُ بالتِّيـهِ الدَّنـيِّ وَبالأُنسِ

---

(١) البيت لأبي بكر الشبلي رحمه الله كما في «اللمع» (ص٨٢)، و«تاريخ دمشق» (٦٦: ٧١)، وهو من بحر مجزوء المجتث، وأردف ببيت آخر:

وشـاهدُ الحقِّ عندِي يُفنِي شُـهودَ الوجُودِ

وهذا البيت غير مثبت في (د). وفي (هـ، و، ز): ما لم يكن عن شهودي.

(٢) في (ب): (بما). وفي (ز): (ووجدي) بدل (وجودي).

والبيت من بحر الوافر، له قصة أوردها ابن النجار في «ذيل تاريخ بغداد» (٣: ١٢٧)، عن غلام الشبلي قال: سمعتُ الشبلي يقول: دخلت على أستاذي الجنيد مسجد الشونيزية فوجدته منقبضًا، فقلت: ما لي أرى الأستاذ منقبضًا؟ فقال: هل فيكم من يقول شيئًا؟ وكان معي جماعة من أصحابنا وكان فيهم فتى خراساني يحسن أن يقول شيئًا، فأخذ في القول:

ولو أنَّ لي في كلِّ يوم وليلة ثمانينَ بحرًا من دموعي تدفقُ

لأفنيتُها حتى ابتدأتُ بغيرها وهذا قليلٌ للفتى حينَ يعْشَقُ

فبكى الجنيد وقال: هذا قليلٌ للفتى حين يعشق، فتواجدنا، وكان الجنيد ساكنًا لم يتحرك إلا أنه كان يبكي ويقول: هذا قليل للفتى حين يعشقُ. فلما كان بعد ذلك وهدأ القومُ وسكنوا سألت جنيدًا وقلت: أخبرنا عن سكونك ووجودنا؟ فقال:

وُجُودِي أنْ أغِيبَ عَنِ الوُجُودِ بما يَبْـدُو عَلَيَّ مِـنَ الشُّهودِ

وَما في الوَجْدِ لِي فَخْرٌ، وَلَكِنْ فَخَرْتُ بَوَجْدِ مَوجُودِ الوُجُودِ

والبيت الأول ذكره في «الرسالة» بلا نسبة.

(٣) في (أ، هـ، د، ز): شعر.

فَلَو كُنْتَ مِنْ أَهْلِ الوجُودِ حَقِيقَةً   لَغِبْتَ عَنِ الأكْوانِ والعَرْشِ والكُرْسِي[١]
وَكُنْتَ بِلا حَالٍ مَعَ اللهِ واقِفًا   تُصانُ عَنِ التَّذْكارِ لِلْجِنِّ والإنْسِ[٢]

وهي تفرقةٌ للهِ تعالى، ثُمَّ جَمْعٌ باللهِ تعالى، ثُمَّ جَمْعُ جَمْعٍ في اللهِ، ثُمَّ بقاءٌ مع اللهِ.

ومنها: الرِّضا؛ فضلُه عظيمٌ، مَنْ رضِيَ بالقضاء لم يَنَلْ مِن اللهِ تعالى مكرُوهًا، ولا تقْدَحُ كراهةُ المصائبِ طبعًا، وسبقَ ما يقتضي الفرحُ بها مع كراهةِ الطَّبْعِ؛ فلو كرِهَ بعقلِه شيئًا مما امتحنَ اللهُ به عِبادَه[٣] في الدُّنيا أو في الآخرةِ، أو شكا بلسانِه أثِمَ وخَرجَ عن واجبِ الرِّضا، ويُبغضُ ما ذَمّهُ الشَّرعُ، ويَفرُّ منهُ من جهةِ الخَلْق ويرضى به مِن جهته تعالى وُجُوبًا، ودعاءُ صالحٍ لا يقدَحُ إلَّا الشَّكوى، فَتُدْفَعُ بفِكْرٍ في فضلِ الصّبر وَنِعَمٍ ذكرْناها في فضلِ البَلاءِ، ﴿فَعَسَىٰٓ أَن تَكۡرَهُواْ شَيۡـٔٗا وَيَجۡعَلَ ٱللَّهُ فِيهِ خَيۡرٗا كَثِيرٗا﴾ [النساء: ١٩].

---

(١) هذا البيت غير مثبت في (أ).

(٢) أورد الأبيات القشيري في «الرسالة» (ص١٦٠) قال: والحكاية معروفة عن أبي سعيد الخراز أنَّهُ قال: تهت في البادية مرة، فكنت أقول:

أتيهُ فلا أدري من التيه من أنا؟   سِوَى ما يَقُول النّاس فيَّ وفي جنسي
أتيهُ على جنِّ البلادِ وإنْسها   فإن لمْ أجدْ شخصًا أتيهُ على نفسي

قال: فسمعتُ هاتفًا يهتفُ بي ويقول، وذكر الأبيات. وذكر الأبيات في «تاريخ دمشق» (٥: ١٤٠) مع زيادة عليها، وكذا ابن الملقن في «طبقات الأولياء» (ص٧)، لكن القائل لها هو أبو سعيد الخراز. فلتنظر للفائدة.

والخراز: هو أبو سعيد أحمد بن عيسى الخراز البغدادي، شيخ الصوفية، القدوة، صحب ذا النون وغيره، وكان من جملة مشايخ القوم. ومن كلامه: كل باطن يخالفه ظاهر فهو باطل. مات سنة سبع وسبعين ومئتين. ينظر: «سير أعلام النبلاء» (١٣: ٤١٩)، و«طبقات الأولياء» (ص٧).

(٣) من قوله: (بها مع كراهة الطبع...) إلى هنا سقط من (أ).

ومنها: مُلازمةُ خَوفِ القَطِيعةِ ونحوِها[١].

حَسَّـنْتَ ظَنَّكَ بالأيَّامِ إذْ حَسُـنَتْ ... ولَمْ تَخفْ سُـوءَ ما يَأْتـي بِهِ القَدَرُ
وسـالمَتْكَ اللَّيالِي فاغْتَـرَرْتَ بِها ... وعِنْدَ صَفْوِ اللَّيالِي يَحْدُثُ الكَدَرُ[٢]

ومنها: كِتمانُ الحُبِّ ما أمكنَهُ؛ قيلَ: أكثرُهم إشارةً إليهِ أبْعَدُهم مِنْهُ.

ومنها: عظيمُ تَأسُّفِه على ساعةٍ خَلَتْ خاليةً.

ومنها: حُبُّه للخلوةِ، والمُناجاةِ، والتِّلاوةِ، والتَّهجُّدِ، ونحوِها.

ومنها: نظرُ غيرِ الكَفرةِ بعينِ الرَّحمةِ.

فمَن فقَدَ هذهِ العلاماتِ كَذَبَ في دَعْوَى المحبَّةِ.

قيل: المقامُ كَسْبٌ، والحالُ مَوهِبَةٌ. والحقُّ أنَّ المقامَ كَسْبٌ بُطِّنتْ مَوهِبَتُه، والحالُ موهبةٌ بُطِّنَ كسبُها؛ لنحوِ: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا۟ مَا يُوعَظُونَ بِهِۦ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ ...﴾ إلى قولِهِ: ﴿صِرَٰطًا مُّسْتَقِيمًا﴾ [النساء: ٦٦-٦٨]؛ فخُذْ كُلَّ غايةٍ بأتمِّ أسبابِها تكنْ أولَى بها[٣].

❊ ❊ ❊

---

(١) في (ز): شعر.

(٢) البيتان من بحر البسيط، نسبا لسعيد بن وهب كما في «محاضرات الأدباء» (ص٤٨٤)، وفي «طبقات الأولياء» (ص٢٦٩) نسبا لمجنون لقيه الفضيل بن عياض، وفي «الزهد الكبير» (٦٧٢) أنهما كتبا على قبر يعقوب بن الليث الصفار المتوفى سنة (٢٦٥هـ).
والبيت الأول مثبت من (أ، ب).

(٣) في هامش (ز): بلغ مقابلة ولله المنة.

باب[1] النية

وهيَ وسِيلَةُ سَعادَةِ الدّارَينِ؛ فيجبُ عِلْمُ حَقِيقَتِها، وتخْلِيصُها عن كُلِّ حَظٍّ دُنْيَوِيٍّ حَتمًا، وعَنْ كُلِّ حظٍّ أُخْرَوِيٍّ نَدْبًا، وهي تمييزُ الأغْراضِ بعضِها مِنْ بعضٍ.

والقصدُ: جمعُ الهمَّةِ نَحْوَ الغَرَضِ المطلوبِ، وتقويتُه وتنشيطُه عزمٌ، وصرفُ الموانعِ لانْتِهاضِ القُدرةِ نحوَ المطلوبِ إرادةٌ، ومتى حَصَلَت الحركةُ وعَقِبَها باعثٌ واحدٌ فنيّةٌ خالصَةٌ، وإيثارُ الرّاجحِ اختيارٌ، واقترانُها بحُكْمٍ فقضاءٌ، وبما لهُ مقدارٌ فَقَدَرٌ، أو عُنِيَ بشيءٍ خاصٍّ فعنايةٌ، وتَصمِيمُ الإرادةِ عَزْمٌ وهمٌّ ومشيئةٌ، وللحنفيّةِ: أنَّ المشيئةَ مُشتَقَّةٌ مِنَ الشَّيءِ[2]، وكتبُ اللّغةِ أنّها إرادةٌ لا فِعلٌ[3]. وصحَّ: «إنَّما الأعْمالُ بِالنِّيّةِ، وإنَّما لِكُلِّ امْرِئٍ ما نَوى»[4]، و«مَنْ قاتَلَ لِتَكُونَ كَلِمَةُ اللهِ هِيَ العُلْيا فَهُوَ في سَبِيلِ اللهِ»[5]، وَ«مَنْ هَمَّ بِحَسَنَةٍ وَلَمْ يعْمَلْها

---

(١) في (هـ): كتاب.

(٢) ينظر: «فتح القدير» للكمال ابن الهمام (فصل في المشيئة) (٨: ٢٣٨)، و«البحر الرائق» لابن نجيم (٣: ٣٦٤).

(٣) قال في «اللسان» (١: ١٠٣): المشيئةُ: الإرادة. شئتُ الشيء أشاؤه شيئًا ومشيئةً ومشاءةً ومشايةً: أردتُه، والاسمُ الشّيئةُ.

(٤) رواه البخاري (٦٦٨٩)، ومسلم (١٩٠٧) من حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه. وفي (هـ، و): بالنيات. وهي إحدى ألفاظ رواياته.

(٥) رواه البخاري (١٢٣)، ومسلم (١٩٠٤) من حديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه.

كُتِبَتْ لَهُ حَسَنَةٌ»[١]، و«إنَّ اللهَ تَعالى لا يَنْظُرُ إلى صُوَرِكُمْ وأمْوالِكُمْ، وإنَّما يَنْظُرُ إلى قُلُوبِكُمْ وأعْمالِكُمْ»[٢].

ونظرُه تعالى إلى القلبِ للنيّةِ، والنيّةُ والعِلْمُ[٣] وغيرُهما ممّا يُنسبُ للقلبِ وهوَ قائمٌ بالنَّفْسِ، وهيَ والعقلُ في القلبِ، وتأمَّلْ قولَه تعالى: ﴿قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَآ﴾ [الحج: ٤٦][٤]، ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلْبٌ﴾ [ق: ٣٧]، ﴿كَتَبَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْإِيمَٰنَ﴾ [المجادلة: ٢٢].

قاعدة:

ما لم يَلْتَبِسْ بغيرِهِ، كالخوفِ والرَّجاءِ وكُلِّ أعْمالِ القلبِ والذِّكرِ، لم يفتقرْ لنيّةٍ كصريحِ نصٍّ في شيءٍ، والكنايةُ والمُشتَرَكُ شَرْطُه النيّةُ، وكالأعيانِ في العُقودِ، ومتى تنوّعَتْ مَنْفَعَتُها كدابّةٍ لحمْلٍ أو رُكوبٍ، وأرْضٍ لزرْعٍ أو بناءٍ، وجبَ التَّعيينُ، وكذا الحُقوقُ المُتعيِّنَةُ لمُستَحِقِّها بلا نيّةٍ، وإنْ تَنوَّعَتْ كرَهْنٍ وغيرِه وجبَ بَيانُه، وكذا النّفقاتُ لجهاتٍ شَرْطُها النيّةُ، وما نواهُ للهِ تعالى فعبادةٌ، وإلّا فعادَةٌ إلَّا ما لا يَلْتَبِسُ بغيرِهِ كما سَبقَ؛ فيصحُّ بلا نيّةٍ بشرْطِ قَصْدٍ مُقارِنٍ لأوّلِه؛ إذ لا يَصِحُّ الغَلطُ، وتَصِحُّ التُّروكُ بلا نِيّةٍ، لكنْ لا يُثابُ بلا نيّةٍ؛ فالعملُ بغيرِ نيّةٍ عَناءٌ، وهيَ[٥] بغير إخلاصٍ رياءٌ، والإخلاصُ بلا تحقيقٍ هَباءٌ؛ قالَ اللهُ تعالى: ﴿وَقَدِمْنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُوا۟ مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَٰهُ هَبَآءً مَّنثُورًا﴾ [الفرقان: ٢٣]، وقالَ

---

(١) رواه مسلم (١٢٨) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) رواه مسلم (٢٥٦٤) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٣) في (هـ، و): والعمل.

(٤) وفي (هـ): (قلوب يفقهون بها).

(٥) أي: النية.

تعالى: ﴿وَلَا تَطْرُدِ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ﴾ [الأنعام: ٥٢]؛ فيقصدُ بحركاتِهِ عبادةَ الله تعالى.

ولا تنقَلِبُ المعْصِيَةُ طاعةً بالنيّةِ، ويُستثنى مصلحةٌ شرعيّةٌ لم تُنَلْ إلّا بمفسدةٍ دُونها؛ كَمُفْسِدِ فَرْضِ عَينٍ لفرْضِ كفايةٍ تَعَيَّنَ فوريًّا، ومُباحاتُهُ كأكلٍ بلا شَرَهٍ بقصْدِ تقويتِهِ على الطّاعةِ عباداتٌ، بل نَحْو نومه بعدَ سَهَرٍ مُؤَثِّرٍ، وأكله وشُربه بعدَ جُوعٍ أو ظمأٍ مُؤَثِّرٍ فرائضُ؛ نَعَمْ ونوافلُه بالنَّذْرِ؛ إذْ رُتْبَةُ الفرْضِ أعْلَى، وسبقَ بيانُه وتخصيصُ عُمومِ النَّهي في كتابِ الصِّيامِ فليُتَأَمَّلْ.

فالنيّةُ الصّالحةُ إكْسِيرٌ يَقلِبُ عَينَ القبيحِ جَمِيلًا فافْهَمْ؛ فلا يتحرَّكْ بحركةٍ إلا للهِ تعالى مُكثرًا بنيَّتِه؛ كَلُبْثِه بمسجدٍ بنيّةِ زيارَةِ رَبِّه تعالى، وانتظارِ الصَّلاةِ، وكَفِّه عمّا نُهِي عنهُ، وعُكُوفِهِ على الطّاعَةِ، وتعلُّمٍ وتعليمٍ واسْتِفادَةِ أخٍ ونحوِها.

وينوي بدُخوله الأسواقَ ذِكْرَ اللهِ تعالى، سيَّما: «لا إلهَ إلَّا اللهُ وحدَهُ لا شريكَ لهُ، لهُ الملكُ ولهُ الحمْدُ، يُحيي ويميتُ، وهوَ على كُلِّ شيءٍ قديرٌ؛ كَتَبَ اللهُ لهُ ألفَ ألفِ حَسنةٍ ومحى عنهُ ألفَ ألفِ سيئةٍ، وبَنى لهُ بيتًا في الجنةِ» ـ صحَّحهُ التِّرمذيُّ وابنُ ماجه والحاكمُ وابنُ أبي الدُّنيا والحافظُ عبدُ العظيمِ[1]. وليس الجهرُ شرطًا؛ إذ القَصدُ ذِكْرُ اللهِ في الغافلينَ[2] ـ وشهادةَ البِقاعِ لهُ، ومنعَ

---

(١) سنن الترمذي (٣٤٢٩)، سنن ابن ماجه (٢٢٣٥)، المستدرك (١٩٧٤)، الترغيب والترهيب (٢٦١٩). ولم أقف عليه فيما طبع من رسائل لابن أبي الدنيا.

(٢) من قوله: (سيما) إلى هنا مثبت من (هـ، و، ز).

روى البزار كما في «كشف الأستار» (٣٠٦٠) عن عبد الله بن مسعودٍ رضي الله عنهُ عن النبي ﷺ قال: «ذاكرُ الله في الغافلين كالمُقاتل عن الفارّين».

وروى ابن أبي الدنيا في «المنامات» (٨٩) عن أبي قلابة، قال: التقى رجلان في السوق، =

الشَّيطانِ، والدُّعاءَ بصَلاحِ أهْلِها، وأمْرًا بالمعروفِ ونهْيًا عَن المُنكرِ؛ صيانَةً، ورُؤْيةَ نِعْمةِ فراغِه وتوفيقِه - وهلْ تشغلهُ رُؤْيةُ شهوةٍ - وزيارةَ أخٍ ومُتَصَدِّقٍ ومُريدٍ يُرغِّبهُم[١]، وكيلا يُحوجهم إلى زيارتِه، وقضاءَ حاجَةٍ، وسماحًا في بيعٍ، وَرُؤْيةَ صالحٍ، أو يَراهُ، وتَصَدُّقًا وقَبُولَ صَدقَةٍ لنفْعِ مُعْطِيها، ورؤيةَ آياتِه تعالى ونحوَها، وينوي عَقِبَ كُلِّ فريضةٍ انتظارَ فرائضِه ونوافلِه، وفي كَسَلِه انتظارَ فرحَةٍ للعِبادةِ[٢].

فأنفاسُه إذًا نفائسُ، ونِيَّتُهُ خَيرٌ مِن عَمَلِه؛ فإنَّه يوَدُّ لَهُ ولكلِّ مخْلُوقٍ لو كانَ للهِ أطْوَعَ وعملُه أصْلحَ، ويحزنُ لنقائصِهمْ مَعَ ثوابِ كُلِّ نِيَّةٍ ماضِيًا وحالًا ومُستقْبَلًا؛ فانقبضَ عمَلُه لِباسطِ نيَّتِه؛ فعمَلُه بما نوى خيرٌ من نيتهِ؛ لأنها بحسنةٍ والعملُ بأضعافٍ، وعملُه بما نوى[٣] كذلكَ؛ لكنْ دائرةُ النيّةِ أوسَعُ؛ لاحتوائِها على ما عَمِلَ وعلى ما لم يَعْمَلْ، ومنهُ المُستقبلُ يُثابُ على نيّاتِه أبدًا لا على عملِه قبلَ وقْتِه[٤]؛ فأعمالُه بعضُ نيّاتِه؛ فافْهَمْ.

ولها شروطٌ:

الإيمانُ.

وتعلُّقها بمُعيَّنٍ.

وكونُها جازمةً إلَّا لضرورةٍ.

= فقال أحدهما لصاحبه: يا أخي، تعال حتى ندعو الله تعالى في غفلة الناس، ففعلا، فمات أحدهما، فأتاه في منامه فقال: يا أخي، شعرت أن الله غفر لنا عشية التقينا في السوق.

(١) في (هـ، و): ومزيد ترغيبهم.

(٢) في (د): فرجة للعبادة.

(٣) سبق نظر الناسخ في (أ) رحمه الله من (نوى) إلى (نوى) فأسقط ما بينهما.

(٤) في (أ) تصحفت إلى (قيد وفيه).

ومُطلقةً؛ فلو قيّدَها لم تَصِحَّ، أوِ استَثْنَى تبرُّكًا صَحَّتْ.

الخامسُ: مُقارنتُها لأوَّلِ العبادَةِ لغيرِ صَومٍ وزكاةٍ سبقَتْ نِيّةُ مُوكِّلِه.

السّادسُ: استصحابُ حُكْمِها لا ذِكْرِها؛ فلو نوى قطعَها فَسَدَتْ لا في حجٍّ وصَومٍ، ومتعلّقُ الحُكمِ مُرتفعٌ ومُتجددٌ لا نفس الحُكم.

ولا يتركُ قُربةً لم يحضُرْهُ نيَّتُها بلْ يقصدُها لله تعالى قهرًا، ولو لم تكُنِ النيّةُ مقدورةً[1] لم تجبْ، وإنما تعزُّ في المُباحاتِ، وكذا على بعضِهم في فضيلةٍ لِما هو أهمُّ منها.

ويَسْتَدِيمُ نيّتَهُ إلى آخرِ العَملِ مُفوِّضًا[2] لعدمِ عِلْمِه بأفضلِ شيءٍ في عِلْمِه تعالى مُسْتثنيًا بقلبِه؛ لعدمِ أمْنِه مِنْ أن يبقى وإنْ بَقِيَ مِنْ أنْ يَتِمَّ لهُ أم لا؟![3].

فصل
[في الإخلاص]

ما أُرِيدَ به وجهُ اللهِ تعالى فقطْ إخلاصٌ ما لم يَشُبْهُ رُكونٌ أو حَظٌّ؛ كطُهْرٍ للهِ تعالى مع نيّةِ تبرُّدٍ، وصومِه لله تعالى مع نيّةِ الحِمْيَةِ[4] ونحوِها، أو يتهجَّدُ لله تعالى ويَحْفَظُ مَتاعَه، أو يَعْتَكِفُ لله تعالى بمسجدٍ ويدفعُ مؤنةَ مَسكنِه. وسبقَ شيءٌ منها في الرِّياءِ.

---

(١) في (هـ، و): في مقدوره.

(٢) في (أ): مفرضًا.

(٣) في هامش (هـ): بلغ مقابلة.

(٤) في (أ): المحبة، ولعلها تصحيف. والله أعلم.

وهذه النيّةُ لا تُحْبِطُ لصحَّةِ حَجِّه لله تعالى مع تجارةٍ إجماعًا[١]؛ فالإخْلاصُ ما صَفا عَن الكَدَرِ وخَلَصَ مِنَ الشَّوائبِ، وهو شَرْطُ صحَّةِ الإيمانِ والأعمالِ جميعًا؛ فلو شابَه باعثُ مُشارَكةٍ حَبِطَ، أو باعثُ مُعاونَةٍ نقَصَ، وقيلَ: حَبِطَ، أو باعثُ مُرافَقَةٍ نقصَ فقَطْ.

ومتى ارتاحَتِ النَّفْسُ لِرُؤْيةِ النّاسِ وَجَبَ كراهةُ الارتياحِ وقُوّةُ النَّفْرةِ عنهُ فَقطْ، ويُثمِرُ إخلاصَه إرادةُ إخلاصِهِ في تعظيمِهِ تعالى، وإرادةُ إخلاصِهِ في تعظيمِ أمرِهِ تعالى، وإرادةُ إخلاصِهِ في قَبولِه، وإرادةُ إخلاصِهِ في تصفيةِ عمَلِه لله تعالى.

فصل
[في الصدق]

الصِّدْقُ: صفةٌ للهِ تَعالَى ذاتيّةٌ تَرْجِعُ إلى مَعْنَى كَلامِه تعالى، وفي حقِّنا: استِواءُ السِّرِّ والعلانِيَةِ، وبه يحقُّ كُلُّ مقامٍ وحالٍ؛ فالمُخْلِصُ قَدْ يَغْفُلُ، والصِّدْقُ إخلاصٌ بحُضُورٍ، ويُثْمِرُ مَقامَ الانْفِصالِ والاتِّصالِ؛ لانْفصالِه عنِ الغَيرِ واتّصالِهِ بالحُضُورِ مَعَهُ تعالى.

ومقامُ التَّحقيقِ تَمْييزُ المقاماتِ والأحْوالِ بعضِها مِنْ بعضٍ، وتخليصُها مِنَ الأغْيارِ والشَّوائبِ.

---

(١) قال الإمام النووي رحمه الله: قال الشافعي والأصحاب: يُستحبُّ لقاصد الحج أن يكون متخليًا عن التجارة ونحوها في طريقه؛ فإن خرج بنية الحج والتجارة فحج واتجر صحّ حجُّه وسقط عنه فرض الحج، لكن ثوابه دون ثواب المتخلّي عن التجارة، وكل هذا لا خلاف فيه، ثم ذكر الأدلة على ذلك. ينظر: «المجموع» (٧: ٧٦).

ومقامُ التّفْريدِ الوُقوفُ معهُ تعالى بلا عِلْمٍ ولا حالٍ؛ لشهودِ انفرادِه تعالى بإيجادِ كُلّ مَوجُودٍ وشُمولِ قُدْرَتِه.

والتَّوحِيدُ: إفْرادُ القِدَمِ مِنَ الحَدَثِ، والمعرفةُ ما أخذَ القلبَ وأثّرَ فيهِ ما يُؤثرُ في الجوارحِ؛ فالعِلْمُ كرؤيةِ نارٍ، والمعرفةُ كالاصْطِلاءِ بالنّارِ؛ يُثْمِرُ البَصِيرةَ والمُكاشفةَ، ثُمَّ المُشاهدةَ، ثُمَّ المُعاينةَ(١).

وأمّا الحياةُ فنفْسُ التّوحِيدِ؛ قالَ اللهُ تعالى: ﴿أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَٰهُ ...﴾ الآيَةَ [الأنعام: ١٢٢].

ومتى استولَى الاعتقادُ والعِلْمُ على القَلْبِ ولا مُعارِضَ لهُما أثْمرا فيهِ اليقينَ، وهو صفاءُ العِلْمِ المُكْتَسَبِ حتّى يَصيرَ كالعِلْمِ الضَّروريِّ؛ يُقالُ: أيقنَ الماءُ إذا صفا كُدُورته، والإلهامُ: حُصُولُ هَذِه المعرفةِ بلا سَبَبٍ بعدَ طهارةِ القَلْبِ عنِ استحْسانِ ما في الكَونَينِ، ودُونَهُ الفِراسَةُ، وهيَ التوسُّمُ؛ لافْتقارِها إلى علامَةٍ بينَهُ وبينَ اللهِ تعالى تَدُلُّه على إحكامِ باطنِه.

وصِدْقُ النّيّةِ: تجريدُ الإخْلاصِ، وصِدْقُ القولِ، ووفاءُ الوَعْدِ ونحوُه شرعًا وتنزيهُه عَن المَعاريضِ ونحوِها شرعًا، وَيُراعِي معنى الصِّدقِ في مُناجاتِه، ولا يكُنْ كمَنْ قال: وجَّهتُ وَجْهي، وهو غافلٌ؛ فهو كاذِبٌ، وصِدْقُ عَزْمِه على خيرٍ نواهُ، ثُمَّ صِدْقُ الوَفاءِ بهِ؛ قالَ اللهُ تعالى: ﴿رِجَالٌ صَدَقُواْ مَا عَٰهَدُواْ ٱللَّهَ عَلَيْهِ﴾ [الأحزاب: ٢٣]، وصحَّ أنّ أنسَ بنَ النَّضْرِ رضيَ اللهُ عنهُ قال: لئنْ أشْهَدَنِي اللهُ

---

(١) في هامش (هـ): قلتُ: أو كمن رأى ظرفًا فسأل عنه: ما هذا؟ قيل له: فيه عسل؛ فهذا علم اليقين، ففتحه فوجده كذلك؛ فهذا عين اليقين، ثم ذاقه فكان حق اليقين، وهي المعرفة الخالصة. انتهى. كتبه الفقير إلى الله عمر الحضرمي.

مَشْهدًا ليَرَينَّ اللهُ ما أصنعُ، فشَهِدَ أُحُدًا فقاتلَ حتّى قُتِلَ، فوُجِدَ في جَسَدِه بِضْعٌ وثمانونَ ما بينَ رَمْيَةٍ وطَعْنَةٍ وضَرْبَةٍ(١).

ثُمَّ صِدْقُ العَمَلِ، وأقلُّهُ استواءُ سَرِيرَته وعَلانيته.

ثُمَّ الصِّدْقُ في مقاماتِ الدّينِ إذا غلبَ شيءٌ منها وتمّت حقيقتُه فَصِدْقٌ؛ قال اللهُ تعالى(٢): ﴿وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ ...﴾ إلى قولِه: ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ﴾ [البقرة: ١٧٧](٣)، وقالَ تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ﴾ [الحجرات: ١٥].

ومِنْ علامةِ الصِّدقِ: كِتْمانُ المصائبِ والطّاعاتِ(٤).

❊ ❊ ❊

---

(١) روى البخاري (٤٠٤٨) عن أنسٍ رضي الله عنه: أنّ عمّهُ ـ أنس بن النضر ـ غاب عن بدرٍ، فقال: غبتُ عن أوّل قتال النّبيّ ﷺ، لئن أشهدني اللهُ مع النّبيّ ﷺ ليرينّ اللهُ ما أُجدُّ. فلقي يوم أُحُدٍ، فهُزم النّاسُ، فقال: اللهُمّ إنّي أعتذرُ إليك ممّا صنع هؤلاء ـ يعني: المُسلمين ـ وأبرأُ إليك ممّا جاء به المُشركُون. فتقدّم بسيفه، فلقي سعد بن مُعاذٍ، فقال: أين يا سعدُ إنّي أجدُ ريح الجنّة دُون أُحُدٍ. فمضى فقُتل، فما عُرف حتّى عرفتهُ أُختُهُ بشامةٍ أو ببنانه، وبه بضعٌ وثمانُون من طعنةٍ وضربةٍ ورميةٍ بسهمٍ.

(٢) في (هـ، ج): وصدق الله تعالى.

(٣) وفي الأصل: (هم المفلحون).

(٤) اللهم اجعلنا من الصادقين، وبلغنا مقام الصديقين، واحشرنا مع سيد الصادقين؛ بمنك وكرمك يا أكرم الأكرمين.
في هامش (ز): بلغ مقابلة خامسًا.

كتاب المحاسبة

المحاسبةُ[١]: تفقُّدُ ما مضَى وما يُسْتَقبلُ، وتجبُ إجماعًا، وتَحِقُّ بمعرفةِ النِّعمِ[٢] وبذُنوبكَ، وسوءِ ظَنٍّ بالنَّفْس فَيَسْتدركُ ما مَضَى فيما بَقيَ، وإنَّ ذنبكَ وحلْمَهُ عليكَ حُجّةٌ وطاعتُكَ منّةٌ عليكَ، وكلُّ طاعةٍ رضيتَها منكَ فهيَ عليكَ حتَّى تفنى في التَّوحيدِ عمّا في الدّارَينِ، وكُلُّ مَعْصِيَةٍ تُريد بها غيركَ فهي إليكَ، والعُمدةُ دوامُ تثبُّتكَ في كلِّ حركةٍ وسكونٍ؛ فلا تدعْ ميزانَ وقتكَ لتدركَ زيادتكَ ونقصكَ.

وثمرتُها: الاعتصامُ، وهو دوامُ التمسُّكِ بالكتابِ والسُّنَّةِ، وحفظُ الحُدودِ واجبها ومندُوبِها، والاعتصامُ به تعالى إفرادُه بالاعتمادِ والقَصْدِ وانقطاعِ عَنِ الخلقِ قبضًا لا كِبرًا، وبذْلِ مقدُورِه مِنْ خَيرٍ بَسْطًا لهم لا رياءً، ورفضِ شواغلِه عزمًا، تَمَسُّكًا بالعُروةِ الوثقى وكمُلَ[٣] تعظيمُه لربِّه واجتهادُه وشُغِلَ به عمّا سواهُ، واعتمدَ عليهِ في كلِّ أُمُورِه حالًا[٤] لا اعتِقادًا فقط.

ويُثمرُ مقامَ الاستقامةِ، وهو ثباتُ واعتدالُ طرفي الأمرِ المُعتصَمِ به وتُقصدُ لذاتها؛ إذ بها تَزْكِيَةُ النَّفْسِ، وتُقصدُ لغيرِها لمقامِ الجَمْعِ، والعِلْمُ الحاملُ على

---

(١) مثبتة من (هـ، و).

(٢) في (ز): المنعم.

(٣) في (ج): فكمل.

(٤) في (ج) زيادة: وشهودًا.

المحاسبةِ الإيمانُ بمحاسبةِ اللهِ تعالى في القيامةِ.

وأوّلُ مقاماتِ الخاصّةِ: الحياءُ؛ وهو إطْراقُ عَينِ القلْبِ خجلًا منهُ تعالى؛ للعِلْمِ باطّلاعِه تعالى عَلى تقْصِيرِ العَبْدِ في حُقوقِ ربّهِ تعالى.

والواجبُ منهُ ما بعثَ على تركِ المحذورِ وفعلِ المأمُورِ؛ فَبَعْدَ فريضةِ الصُّبحِ يقولُ لنفسهِ: بِضاعتِي العُمرُ وبفنائهِ يَقعُ يأسِي مِنْ بضاعَتِي وربحي؛ فافرضي كأنَّكِ رُدِدْتِ بعدَ الموتِ[1]، فاجتَهدي فِيما بقيَ، وكلُّ نفَسٍ جوهرةٌ، ويُعرضُ عليهِ تعالى؛ فإن كانَ طاعةً فنعيمٌ، أو غَفْلةً فخُسرانٌ[2]، أو معصيةً فهلاكٌ، ولو غفرَ لكِ فاتَكِ ثوابُ المحسنينَ؛ فاعْمُري يومَكِ تَسْلَمِي وتغْنَمِي. ثُمَّ يُوصِيها ببصِرهِ وسَمْعِه ونُطقِه وبَطنِه وفرْجِه ويَدَيهِ وَرِجْلَيهِ، ويُراعي كُلَّ عُضْوٍ بأحْسَنِ ما خُلِقَ لهُ؛ فتغلقُ عنهُ أبوابُ جهنمَ السَّبعةُ بطاعةِ أعضائهِ السبْعِة، وهي بصلاحِ قَلْبِهِ، وصَلاحُه بالورعِ والزُّهدِ والمجاهدةِ، وسَبقَ بيانُها.

ثُمَّ يُوصِيها بفروضِ يومِه وليلتِه وتكْثِير نَوافلِه، ومَنْ فَوَّتَ مَكتوبةً عَن وَقْتِها تهاوُنًا وَلَمْ يَتُبْ كفرَ وقُتِلَ بكُفْرهِ[3]، وصحَّ أنّهُ ﷺ قالَ: «بينَ الرَّجُلِ المُسْلِمِ

---

(١) قال الحافظ المزي في «تهذيب الكمال» (١٢: ٣٣٤): قال أبُو العلاء مُحمّد بن أحمد الوكيعي: سمعت مُحمّد بن الصباح الدولابي ـ وذكر سيف بن هارون ـ فقال: كان قد احتفر في داره قبرًا، وكان يدخل فيه كل قليل ثم يقول: أهيلوا عليّ التراب ثم يصيح: (ارجعون لعلي أعمل صالحًا فيما تركت).

(٢) في (هـ، و): وإن كان غفلةً فخُسرانٌ.

(٣) في (أ): ولم يتُب قُتل، وقيل: يكفرُ. وفي (ج، د): ولم يتُب قُتل، وقيل بكُفره.
في هامش (ز): حاشية: الصحيح أنه إذا تركها تهاونًا وكسلًا حتى خرج وقت الثانية يقتل حدًّا لا كفرًا؛ فإنما يقتل كفرًا إذا جحد وجوبًا. =

والشِّرْكِ تَرْكُ الصَّلاةِ»[1]؛ فيشترطُ عليها الاستقامةَ كلَّ يومٍ، ولا يغفلْ لحظةً عنْ مُراقبتِها، وفي الطاعةِ بالإخلاصِ، وفي ذنوبِهِ بالتوبةِ، وفيما سواهُما بتمامِ آدابِهِ وصبرِهِ وشُكرِهِ وسبقَ بيانُها.

ثُمَّ يُحاسبها آخرَ النّهارِ على بضاعةِ فرائضِهِ، وربْح نوافِله، ومَتى قَصَّرَتْ عاقَبَها على الفَورِ بعبادَةٍ شاقَّةٍ، ويَحْرُمُ الضَّربُ ونحوُه، وما لم تُجِبْهُ قَهَرها بجُوعٍ وعَطشٍ وسَهَرٍ وَرَغْبَةٍ ورَهْبَةٍ وَسَماعِ مُجاهداتِ القَومِ، ولا بُدَّ مِنْ صُحْبَة مِثْلِهِمْ، ثُمَّ منْهُم مَنْ وِرْدُه ألفُ ركعةٍ، ومنهُم مَنْ وِرْدُه ثلاثُ ختَماتٍ، ومنهم مَنْ جاورَ بمكةَ سنَةً منعَ نومَه وكلامَه واستنادَه ومدَّ رِجْلِه، وحِكاياتُهم لا تنحَصِرُ، وفي «صفوةِ الصَّفوةِ» الغايةُ[2].

= قال الإمام النووي رحمه الله: أما تارك الصلاة فإن كان منكرًا لوجوبها فهو كافر بإجماع المسلمين خارج من ملة الإسلام، إلا أن يكون قريب عهد بالإسلام، ولم يخالط المسلمين مدة يبلغه فيها وجوب الصلاة عليه، وإن كان تركُه تكاسلًا مع اعتقاده وجوبها كما هو حال كثيرٍ من الناس فقد اختلف العلماءُ فيه: فذهب مالك والشافعي رحمهما الله والجماهير من السلف والخلف إلى أنه لا يكفر بل يفسق ويستتاب؛ فإن تاب وإلا قتلناه حدًّا كالزاني المحصن ولكنه يقتل بالسيف. وذهب جماعة من السلف إلى أنه يكفر، وهو مروي عن علي ابن أبي طالب كرم الله وجهه، وهو إحدى الروايتين عن أحمد بن حنبل رحمه الله، وبه قال عبد الله بن المبارك وإسحاق بن راهويه، وهو وجه لبعض أصحاب الشافعي رضوان الله عليه، وذهب أبو حنيفة وجماعة من أهل الكوفة والمزني صاحب الشافعي رحمهما الله أنه لا يكفر ولا يقتل، بل يعزر ويحبس حتى يصلي. «شرح صحيح مسلم» النووي (٢: ٦٩).

(١) رواه أبو بكر بن الخلال في «السنة» (١٣٧٦)، وتمام في «فوائده» من حديث جابر رضي الله عنه. ولفظه: «بين العبد والكُفر والشّرك تركُ الصّلاة».

(٢) ذكر ابن الجوزي رحمه الله في «صفوته» حكايات وأخبارًا عن سلفنا الصالح ممن كان يقوم بألف ركعة أو أكثر، وممن كان يقرأ أكثر من ختمة في اليوم والليلة، وأنا أنقلُ بعضها هُنا للفائدة: =

= فعن أبي جعفر رحمه الله قال: كان علي بن الحسين رحمه الله يصلي في كل يوم وليلة ألف ركعةٍ، وتهيج الريح فيسقط مغشيًّا عليه.
وقال الزبير: حدثني يحيى بن مسكين قال: ما رأيت أحدًا قط أكثر ركوعًا وسجودًا من مصعب بن ثابت كان يصلي في كل يوم وليلة ألف ركعة ويصوم الدهر.
وقال أبو أحمد القلانسي رحمه الله: فرق رجل ببغداد على الفقراء أربعين ألف درهم، فقال لي سمنون: يا أبا أحمد، ما ترى إلى ما أنفق! هذا نحن ما نرجع إلى شيء ننفقه فامض بنا إلى موضع نصلي فيه بكل درهم أنفقه ركعة. فذهبنا إلى المدائن، فصلينا أربعين ألف ركعة.
وعن عطاء بن السائب رحمه الله قال: كان مرة بن شراحبيل يصلي كل يوم وليلة ألف ركعة، فلما ثقل وبدن صلى أربعمئة ركعة، وكنت أنظر إلى مباركه كأنها مبارك الإبل.
وعن عبد الله بن غالب بن عامر بن يساف قال: سمعت المعلى بن زياد يقول: كان عامر ابن عبد الله قد فرض على نفسه في كل يوم ألف ركعة، وكان إذا صلى العصر جلس وقد انتفخت ساقاه من طول القيام فيقول: يا نفس، بهذا أمرت ولهذا خلقت، يوشك أن يذهب العناء.
وعن الهيثم بن معاوية عن شيخ من أصحابه قال: كان كهمسُ بن الحسن القيسيُّ التميميُّ ـ وهو من تابعي التابعين ـ يصلي ألف ركعة في اليوم والليلة. فإذا ملّ قال لنفسه: قومي يا مأوى كل سوء؛ فوالله ما رضيتك لله ساعة قط.
وعن أبي بكر بن شاذان قال: سمعت عبد العزيز المقدسي رحمه الله يقول ـ وكان من الأبدال ـ: لما بلغت الحلم أخذت على نفسي أن أروضها وأمنعها من الآثام، واستوفقت الله تعالى فوفّقني، واستعنت به فأعانني. ولقد حاسبت نفسي من يوم بلوغي إلى يومي هذا، فإذا زلاتي لا تجاوز ستة وثلاثين زلةً. ولقد استغفرت الله عز وجل لكل زلةٍ مئة ألف مرّة، وصليت لكل زلّة ألف ركعة، ختمتُ في كل ركعة منها ختمةً، وإني مع ذلك غير آمن سطوة ربي عز وجل أن يأخذني بها وأنا على خطر قبول التوبة.
وعن رياح القيسي رحمه الله قال: كان عندنا رجل يصلي كل يوم وليلة ألف ركعة حتى أُعقد من رجليه. وكان يصلي جالسًا ألف ركعة، فإذا صلى العصر احتبى واستقبل القبلة ويقول: عجبت للخليقة كيف أنست بسواك؟ بل عجبتُ للخليقة كيف استنارت قلوبُهم بذكر سواك؟ =

....

= وعن أبي المهلب، عن أبي بن كعب رحمه الله: أنه كان يختم القرآن في كلّ ثماني ليالٍ، وكان تميم الداري يختمه في سبع.
وقال الربيع: كان الشافعي رحمه الله يختم كل شهر ثلاثين ختمة، وفي رمضان ستين ختمةً سوى ما يقرأ في الصلاة.
وعن عبد الله بن أحمد قال: كان أبي يصلي في كل يوم وليلة ثلاثمئة ركعة، فلما مرض من تلك الأسواط أضعفته، فكان يصلي في كل يوم وليلة مئة وخمسين ركعة، وقد كان قرب من الثمانين، وكان يقرأ في كل يوم سبعًا يختم في سبعة أيام، وكانت له ختمة في كل سبع ليال سوى صلاة النهار.
وعن محمد بن زهير بن قمير قال: كان أبي يجمعنا في وقت ختمة القرآن في شهر رمضان في كل يوم وليلة ثلاث مرات. تسعين ختمة في شهر رمضان.
وقال أبو زرعة الطبري: قال أبو يحيى الناقد: اشتريت من الله تعالى حوراء بأربعة آلاف ختمةً، فلما كان آخر ختمة سمعتُ الخطاب من الحوراء تقول: وفّيت بعهدك فها أنا التي اشتريتني، فيقال: إنه مات عن قريب.
وعن أبي الحسين بن حبيش: وذكر أبا العباس بن عطاء فقال: كان له في كل يوم ختمة، وفي شهر رمضان في كل يوم وليلة ثلاث ختمات.
وقال محمد بن عبد الله بن شاذان: كان يقال: إن محمد بن علي بن جعفر الكناني ختم في الطواف اثنتي عشرة ألف ختمة.
وعن أحمد بن محمد بن مسروق قال: سمعتُ الحمّاني يقول: لما حضرت أبا بكر بن عياش الوفاةُ بكت أختُه فقال لها: ما يبكيك؟ انظري إلى تلك الزاوية التي في البيت قد ختم أخوك في هذه الزاوية ثمانية عشر ألف ختمة.
وعن الحسين بن عمرو العنقزي قال: لما نزل بابن إدريس الموت بكت ابنته فقال: لا تبكي فقد ختمت القرآن في هذا البيت أربعة آلاف ختمة.
وقال ابن الجوزي: عبيد الله محمد بن يوسف البناء كان يفتي الناس بالأجرة، فيأخذ منها دانقًا لنفقته ويتصدق بالباقي، ويختم كل يوم ختمة، ولقي ستّمئة شيخٍ، وكتب الحديث الكثير.
وعن ابن سعيد قال: كان محمد بن إسماعيل البخاري إذا كان في أول ليلة من رمضان =

ثُمَّ يُعاتِبُها ويُعرِّفُها بجهْلِها؛ كيفَ يَغْفُلُ مَن لا يأمنُ على نفسهِ طَرْفةَ عَينٍ ولم يعلمْ هَلْ مصيرُهُ الجنّةُ أو النّارُ؟ وإن كانَ تفريطُكِ لعِلمْكِ أنَّ اللهَ لا يراكِ فما أشدَّ كُفركِ! وإلّا فما أقلَّ حياءَكِ! إن كان لكِ طاقةٌ بعذابهِ فجرّبي نفْسكِ وضَعِي إصبعَكِ بنارٍ. فاتْرُكي شهوةً فانيةً لشهواتٍ باقيةٍ، واصبِري لمُجاهدةٍ تَفْنَى وإلّا عَلَى نارٍ تَبْقَى، لو تداركْتِ ما بقِيَ لندمتِ على ما مَضى؛ فاخرُجي عَن دُنْياكِ اخْتِيارًا قبلَ أن تخرُجِي اضْطرارًا؛ مَنْ سَوَّفَ أخْرَبَ موتُه دُنياهُ وغفلَتُه أُخْراهُ، ومَتَى حَصرَ ظاهرَهُ بالمُحاسَبةِ وباطنَه بالمُراقبةِ انفتحَ[1] الفِكرُ.

والمراقبةُ: رعايةُ الخواطرِ وكشفُ ما التَبَسَ منها، والأدبُ بحُرمةِ مُراقبتِه تعالى، وهو مقامُ الإحسانِ «كَأَنَّكَ تَراهُ...»[2] الحديثَ.

❊ ❊ ❊

= يجتمع إليه أصحابه، فيصلي بهم فيقرأ في كلّ ركعة عشرين آية، وكان يقرأ في السّحر ما بين النصف إلى الثلث من القرآن، فيختمُ عند السّحر في كُلّ ثلاث ليالٍ، ويقول: عند كلّ ختمةٍ دعوةٌ مستجابةٌ.

وكتب التراجم والطبقات مليئة بأمثال هذه الأخبار الثابتة التي لا ينكرها إلا محروم أو غافل، واقتصرت على بعضها علّها تُحفّزُنا للجدّ والعبادة. وفي ذلك فليتنافس المتنافسون.

(١) في (هـ، و): أنتج. وفي (ز): افتتح.

(٢) رواه البخاري (٥٠)، ومسلم (٩) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

كتاب[1] التفكر

التَّفكُّرُ في غَيرِه تعالى بشرْطِه مَنْبَعُ كُلِّ سَلامَةٍ وغَنيمَةٍ، يُنوِّرُ ويَكْشِفُ الحقائِقَ، والفِكْرُ فيه تعالى مَمْنُوعٌ إلَّا بنقْلٍ أو عَقْلٍ؛ مُنَزَّهٌ له تعالى عَنْ كُلِّ نَقْصٍ وحُدُوثٍ وتعطيلٍ وتمثيلٍ، مَنْ تفكَّرَ في آياتِه تعالى ومعانِي الأعمالِ وفوائِدِ الأحوالِ اتّصفَ بِجَميلِ الصِّفاتِ وكرائمِ الأعمالِ، ومَنْ حَقَّقَ سَبْقَ فَضْلِه أدامَ شُكرَهُ وخَلَصَ مِنْ نفسِه وشهواتِها، ونفَى الجهلَ وألحقَ الشيءَ بِأَمْثالِه بشرْطِه وَجَبَ أو ندبَ[2]، حَـرُمَ أو كُرِهَ، حالًا أو مقامًا، شَرْعًا أو عَقْلًا لا يَأْباهُ نَقْلٌ.

مُقَدّماتُه: سَماعُ شيءٍ نَفَعَ شَرْعًا، أو خاطِرُ خَيرٍ بواسِطَةِ الحواسِّ أو غيرهما؛ فأثْمرَ تَيَقُّظًا للخيرِ، ثُمَّ نهُوضًا عَن الفَتْرةِ، وله تعلُّقٌ بالأحكامِ الخمسةِ، أوَّلُه إجابَةُ الوَعْدِ والوعِيدِ زَجرًا ثُمَّ جَهْرًا، ثُمَّ شُهُودُ المِنَّةِ بأن هَدَى ويسَّرَ، ثُمَّ نظرُ الموفِّقِ تعالى مَعَ طَلَبِهِ مَعالِي الأعمالِ والأحوالِ وتركُ اللَّذةِ بها لمقامِ الجَمْعِ بلا حظٍّ، ثُمَّ سماعٌ يَغسلُ الخواطرَ الشّاغِلةَ عن الكَشْفِ ويُزيلُ التَّفرقةَ عن مُلازمةِ الجمعِ وَيرُدُّ ما لحِقَ لما سَبقَ لهُ.

ويحرُمُ تَذكُّرُ المعصيةِ إنْ أدَّى إلى استجلابِها، ويُثمرُ التذكُّرُ المعرفةَ المطلوبةَ ويُسَمَّى تفكُّرًا، وَهُوَ طلبٌ والتذكُّر وجودٌ، وَقَدْ يَتَذكَّرُ بِهِ ما نَسِيَ وهُوَ أبْلَغُ بنحْوِ سَماعٍ أو رؤيةٍ أو عَقْلٍ إنْ عَظُمَ الوَعْظُ والواعِظُ والوَعْدُ والوعيدُ

(١) في غير (هـ، و): باب.
(٢) في (أ): (أو ندر).

وإلّا فلا، ويَتمُّ بإقبالِ نَفْسِه، وعدمِ شكِّه، وتأمُّلِ القُرآنِ، وقِصَرِ الأملِ، وقطْعِ العلائقِ[١].

ويجبُ التفكُّرُ مع شكٍّ أو شُبْهَةٍ أو علاجِ الأمراضِ الواجبِ إزالتُها من القلوبِ.

ثمرتُه: العِلْمُ بأُصُولِ الدّينِ وعباداتِ الأبْدانِ والأموالِ، وما تَعَلَّقَ بالحواسِّ الخمْسِ، والنُّطقِ والفرْجِ والبطْنِ.

وعِلْمُ الأخلاقِ الواجبةِ للهِ تعالى على القلوبِ؛

منها: ما هو كالآلَةِ لكلِّ عِلْمٍ؛ كالتفكُّرِ والنَّظَرِ والاعتبارِ.

ومنها: ما هو كالشَّرطِ لكلِّ علْمٍ؛ كالتفكُّرِ والنظرِ والاعتبارِ، ومنها ما هو كالشرطِ لكلِّ علمٍ وَعَمَلٍ؛ كالإيمانِ، والنيّةِ، والإخْلاصِ.

ومنها: الوسائلُ؛ كالتّوبةِ، والصَّبرِ، والزُّهدِ.

ومنها: ما هو للبواعِثِ والحَوامِلِ؛ كالخَوفِ والرّجاءِ ونحوِهما.

ومنها: المقاصدُ[٢]؛ كالشُّكرِ، والرِّضا، وحُسنِ الخلقِ، والمحبَّةِ، والصِّدْقِ ونحوِها، ومتَى يسمحُ الشَّرعُ بتركِ نوعٍ منها، وفي سعةِ هَذِه الأقْسامِ ما ينقطعُ العُمْرُ دُونَ بُلُوغِها؛ عِلْمًا وعَملًا، فَمنْ آثرَ عليها ما قامَ به الغَيرُ مِن فَرْضِ كفايةٍ فمغْلُولٌ، وبعدَ إتْقانِها يُراعى الأهمُّ فالأهمُّ مِن فروضِ الكفاياتِ؛ إذِ النيّةُ في تقديمِهِ على ما سَبقَ لا تصحُّ ألبتَّةَ.

---

(١) من قوله: (وهو طلب) إلى هنا سقط من (ب، د).

(٢) في (أ): المفاصل.

والفِكْرُ ذِكْرٌ وزيادةٌ؛ إذْ هُو غايةُ الذِّكْرِ؛ نَعَمْ متى انتهى الذِّكْرُ إلى حَدِّه وبَقِيَ الذِّكرُ مُجرَّدًا عَن المادّةِ تَفَضَّلَ على الفِكْرِ[١] قطعًا، والمحبّةُ النّاشِئةُ عَن الفِكْرِ أفضلُ مِن الناشئةِ عن الذِّكْرِ؛ فانْتظَمَ الفِكْرُ مِنْ سماعٍ أو رُؤيَةٍ ونحوِها وَتَيَقُّظٍ ونُهوضٍ وتذَكُّرٍ وتفكُّرٍ[٢]، وهو طلبُ المعرِفةِ المقصودةِ، وحصولُ المعرفةِ المطلوبةِ، واستِنارةُ القَلْبِ بها، وتغيُّر حالِ القَلْبِ عمّا كانَ علَيهِ بنورِها، ثُمَّ خِدْمةُ الجوارِحِ بمُقْتَضاها.

ودَوامُه في ذُنوبه يُثْمِرُ تَوبَةً، وفي الثّوابِ يُثْمِرُ رَغْبةً، وفي العُقُوبةِ يُثْمِرُ رَهْبَةً، وفي الإحْسانِ فمحبَّةً، وفي الآياتِ فمعرفةً، وفي الجلالِ فَهَيبَةً، وفي الجمالِ فأُنسًا، وفي النِّعَمِ وتَقْصِيرِهِ فحياءً[٣]، وفي كونهِ تعالى يَسْمَعُ أقْوالَهُ ويَرى أفعالَهُ ويَعْلمُ أحْوالَه لا يَخْفَى عليهِ تعالى خافيةٌ فمُراقبةً، وقِسْ عليهِ.

فالفِكْرُ إذًا ثمرتُه العُلُومُ المكسُوبَةُ والأحوالُ ولا نهايةَ لها، لكنْ بالفِكْرِ الدائمِ وبالعُزلةِ وبقناعَتِه بما لا بُدَّ مِنهُ ومِنْ مَحْضِ الحَلالِ الدّائمِ، فيكتبُ مُجمَل ما قدَّمناهُ مِنْ صفةٍ مذمومةٍ ومحمودةٍ، ويضربُ على كُلِّ صفةٍ مذمومةٍ تنزَّه عنها ومحمودةٍ اتَّصفَ بها، ثُمَّ يَصرفُ فِكرَه لِما بَقِيَ، ومتى سَلِمَ وغَنِمَ بمنّه تعالى فيشكرُ ويصرفُ فِكْرَه لعَظَمتهِ تعالى وجلالِهِ وجمالِهِ بلا كَيفٍ؛ ليفنى عَن نفْسِه ويبْقَى بربِّه تعالى[٤]، وهي أعزُّ الطُّرُقِ وأقربُها.

---

(١) في (هـ، و): نعم متى انتهى الفكرُ إلى حدّه وبقي الذّكرُ مُجرّدًا عن المادّة يفضلُ على الذكر قطعًا.

(٢) في غير (هـ، و): وفكر.

(٣) في (أ) زيادة: (يثمر رهبة).

(٤) ينظر كلام الإمام القشيري رحمه الله حول الفناء والبقاء في مقدمة «الرسالة». ولولا الإطالة لنقلت كلامه لنفاسته. ورحم الله الإمام النوري إذ يقول: سبيل الفانين الفناء في =

ومَنْ قصَّر صرفَ فِكْرَه إلى عجائبِه تعالى في ناطقٍ وصامتٍ ونحوِه في برٍّ وبَحْرٍ وهواءٍ وأنواعِ الحكمةِ في مُركَّبابٍ قُوامُها الماءُ، ثُمَّ ما يرى مِن السَّماء مِن بسائط نِظامُها الحركاتُ، ثُمَّ في عظمةِ الصَّانعِ تعالى؛ لو دَخَلْتَ بيتًا مُزَخرفًا لتعجّبْتَ وذكرتَه زمانًا وتنظرُ هذا البيتَ ولا تتعجَّبُ؛ مِنْ سقفِ سمائهِ وأرضهِ وبدائعهِ وأمتعتهِ ونُقوشهِ[1]؛ نَسِيتَ نَفْسَكَ وربّكَ واشتغَلْتَ ببطنِكَ وفرْجِكَ.

❊ ❊ ❊

= محبوبهم، وسبيل الباقين البقاء ببقائه، ومن ارتفع عن الفناء والبقاء، فحينئذ لا فناء ولا بقاء. نسأل الله الباقي أن يفني أوصافنا النفسانيّة وأن يشغلنا به تعالى وبعبادته وذكره بمنه وكرمه؛ فنبقى مع الباقي جلّ في علاه، فمن أحب الفاني فني، ومن أحب الباقي بقي.

(١) في (ب): ونقشه.

باب ذكر الموت

أُمِرَ به وذِكْرِه للمُنْهَمكِ نُفْرةً، وللتّائبِ تَرْقِيةً بمحبَّةِ تأخيرِه ليغْنَمَ أو تعجيلِه ليسْلَم، وللمُحبِّ شوقًا وتَفْويضُه أعْلى.

قلتُ: بل قائلُ: حياتي لحقِّه علَيَّ، وموتِي لحظِّي منهُ؛ أيْ: يُوثِرُ حَقَّهُ تعالى على حظِّه حَتَّى لا يَدْخُلَ أحدُهم[١] الجَنّةَ إلّا بالسّلاسِلِ كما في «البُخاريِّ»[٢] على رأيٍ في تأويلِه؛ لكمالِ إيثار محبُوبِه تعالى، ومَنْ رُدَّ عليهِ اخْتِيارُه بلغَ رُشْدَه فافْهم، وسَبقَ شيءٌ في التّفْويضِ فتأمَّلْهُ.

وكانوا يُدِيمُونَ ذِكْرَ الموتِ لعِظَمِ خَطَرِهِ؛ فيُدِيمُ فِكْرَه في أقرانِه ومَصارِعِهم تحتَ الثّرى؛ فالسَّعِيدُ مَنْ وُعِظ بغَيرِهِ ويرى القُبورَ. وصحَّ: «كُنْ في الدُّنْيا كأنَّكَ غَرِيبٌ أو عابرُ سَبيلٍ»[٣]، وَأُمِرَ بقِصَرِ الأملِ؛ قيلَ: إذا أمْسَيتَ فَلا تَنْتَظِرِ الصَّباحَ، وإذا أصْبَحْتَ فَلا تَنْتَظِرِ المَساءَ، وخُذْ مِنْ صِحَّتِكَ لِسَقَمِكَ، ومِنْ حَياتِكَ لِمَوتِكَ[٤]. وَرُوِيَ: «الأمَلُ يُنْسِي الآخِرَةَ، والهَوى يَصُدُّ عَنِ الحَقِّ»[٥].

---

(١) في (هـ، و): أحدٌ.

(٢) صحيح البخاري (٣٠١٠)، ولفظه: عن أبي هُريرة رضي الله عنه عن النّبيّ ﷺ قال: «عجب الله من قوم يدخُلون الجنّة في السّلاسل».

(٣) رواه البخاري (٦٤١٦) من حديث ابن عمر رضي الله عنهما.

(٤) هو جزء من الحديث المتقدم وهو من قول ابن عمر رضي الله عنهما.

(٥) رواه ابن المبارك في «الزهد» (٢٥٥)، وأبو داود في «الزهد» (١٠٦)، وابن أبي شيبة في «المصنف» (٣٥٦٣٦) من قول سيدنا علي رضي الله عنه: إنّما أخافُ عليكُم اثنتين: طُول =

وكفَى به[١] زاجرًا عنِ الأملِ والهوى، وهُما وكلُّ فِتْنةٍ مِنَ الجَهْلِ وحُبِّ الدنيا، وضدُّهما العلاجُ[٢]، وسبقَ بيانُه[٣].

نُونُ الهَوانِ مِنَ الهَوى مَسْـرُوقَةٌ   وصَرِيعُ كُلِّ هَوًى صَرِيعُ هَوانِ[٤]

والموتُ بَغْتةٌ، وأكثرُ الموتى الأطفالُ، وحثَّ الشّرعُ على المُبادَرة، وفي «البُخاريِّ»: «نِعْمَتانِ مَغْبُونٌ فِيهِما كَثِيرٌ مِنَ النّاسِ: الصِّحَّةُ، والفَراغُ»[٥].

ومُبادَرةُ القومِ مَشْهُورَةٌ: كانَ ابنُ عُمرَ رضيَ الله عنهُما يقومُ ليلًا ويتوضَّأ ويُصَلّي ثُمَّ يُغْفِي إغفاءَ الطَّيرِ، ثُمَّ يتوضَّأ ويُصلِّي، ثُمَّ يُغْفِي إغفاءَ الطَّيرِ ثُمَّ يتوضأ ويُصَلّي، يفعلُ ذلكَ مرارًا[٦].

وكان وِرْدُ عُميرِ بن هانئ رضيَ الله عنهُ مئةَ ألفِ تَسبيحَةٍ[٧].

= الأمل، واتّباع الهوى؛ فإنّ طُول الأمل يُنسي الآخرة، وإنّ اتّباع الهوى يصُدُّ عن الحقّ، وإنّ الدُّنيا قد ترحّلت مُدبرةً، وإنّ الآخرة مُقبلةٌ، ولكُلّ واحدةٍ منهُما بنُون؛ فكُونُوا من أبناء الآخرة، فإنّ اليوم عملٌ ولا حساب، وغدًا حسابٌ ولا عمل.

وفي (أ): (يضل) بدل (يصد).

(١) أي: الموت.

(٢) أي: العلاج بالعلم الذي هو ضد الجهل، والزهد في الدنيا الذي هو ضد حب الدنيا.

(٣) في (هـ، و، ز): شعر.

(٤) البيت من البحر الكامل، وأورده الإمام القشيري في «رسالته» بقوله: وأنشدوا (ص٧٢). وإنما سرقت نونه؛ لأن من ركب الهوى وغفل عن نونه وقع في الهوان. والمعنى: أن الشخص إن لم يراقب ما تميل إليه نفسه بشاهد العلم وقع في الهوان دينًا ودنيا؛ إذ النفس بما جبلت عليه من الشهوات لا تدعو إلا لما به إهانتها وهلاكها؛ فعلى العبد صرعه الهوان للزومه لغلبة الهوى. «نتائج الأفكار القدسية» للعيدروس (٣: ٥١).

(٥) صحيح البخاري (٦٤١٢).

(٦) مختصر قيام الليل للمروزي (ص٢٤).

(٧) رواه الترمذي (٣٤١٥). وفي النسخ: (عمر)، والصواب ما أثبت وهو عمير بن هانئ العنسي، =

وقال أبو بكرِ بنُ عيّاشٍ رضيَ الله عنهُ: ختمتُ القرآنَ في هذهِ الزّاوِيةِ ثمانيةَ عَشرَ ألفَ ختمةٍ[١].

وصامَ ابنُ المُعتمرِ رضيَ الله عنهُ أربعينَ سنةً وقامَ ليلَها[٢].

ولم يَضَعْ سُليمانُ التَّيميُّ رضيَ الله عنهُ جَنْبَه عشرينَ سنةً[٣].

= من أهل الشام، كنيته أبو الوليد أدرك ثلاثين من أصحاب رسول الله ﷺ، منهم ابن عمر، روى عنه الأوزاعي وابن جابر وكان عاملًا لعمر بن عبد العزيز على البثنية وحوران، قتله الصفر بن حبيب المريّ بداريا سنة سبع وعشرين ومئة، وكان يسجد كل يوم ألف سجدة ويسبح مئة ألف تسبيحة، وكان يسأل الله عز وجل دائمًا الشهادة حتى قتل على فراشه على ما وصفنا قبل دخول عبد الله بن علي دمشق بثلاثة أشهر. روى له الجماعة. «تهذيب الكمال» للمزي (٢٢: ٣٩٠)، «الثقات» لابن حبان (٥: ٢٥٦).

(١) رواه ابن الشجري في «الأمالي» (٢: ٥٠). وأبو بكر بن عياش بن سالم الأسدي الكوفي الحناط المقرئ الفقيه، المحدث، شيخ الإسلام، وبقية الأعلام، مولى واصل الأحدب، وقد روي من وجوه متعددة أن أبا بكر بن عياش مكث نحوًا من أربعين سنة يختم القرآن في كل يوم وليلة مرة، مات سنة ثلاث وتسعين ومئة عن ست وتسعين سنة. «سير أعلام النبلاء» (٨: ٤٩٥).

(٢) رواه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (٥: ٤١)، وفيه ستين سنة. ومنصور هو ابن المعتمر الحافظ الثبت القدوة، أبو عتاب السلمي الكوفي، لم يكن بالكوفة أحد أحفظ منه، قالت بنت لجار منصور بن المعتمر: يا أبة أين الخشبة التي كانت في سطح منصور قائمة؟ قال: يا بنية ذاك منصور، كان يقوم الليل. قال سفيان بن عيينة: رأيت منصور بن المعتمر، فقلت: ما فعل الله بك؟ قال: كدت أن ألقى الله تعالى بعمل نبي. ثم قال سفيان: صام منصور ستين سنة، يقوم ليلها ويصوم نهارها رحمه الله. مات منصور سنة ثلاث وثلاثين ومئة. ينظر ترجمته للفائدة في «سير أعلام النبلاء» (٥: ٤٠٢).

(٣) رواه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (٣: ٢٩). وسليمان بن طرخان شيخ الإسلام، أبو المعتمر التيمي البصري، من العباد المجتهدين، كثير الحديث، ثقة، روى له الجماعة، كان يصلي الليل كله بوضوء عشاء الآخرة، وكان هو وابنه يدوران بالليل في المساجد، فيصليان =

وقولُ رابعةَ العَدَويّةَ رضيَ الله عنها لكُلّ يوم وليلةٍ: هذهِ ليلتي التي أمُوتُ فيها؛ فلا تنامُ حتّى تُصبحَ، وتقولُ للنهارِ كذا[1]؛ فلا تنامُ حتَّى تُمسِي[2].

فصل
[في الموت، وحسن الخاتمة، نسأل الله حسنها]

لو انتظرنا ضَرْبَةَ شُرطيٍّ لتكدَّرَ عَيشُنا، وفي كُلّ نفَسٍ يُمكنُ مجيءُ الموتِ بسَكَراتِه، وهو أمَرُّ مِن ضرباتِ[3] السُّيوفِ[4]، ويودُّ أن لو قَدَرَ على صياحٍ أو أنينٍ، وتُجذبُ رُوحُه مِن كُلّ عُضوٍ وعِرْقٍ، فتبرُدُ قدماهُ ثُمَّ ساقاهُ ثُمَّ فخذاهُ، وهكذا حتى تبْلُغَ الحُلقومَ، فعندَهُ ينقطعُ نظرهُ إلى دُنياهُ، ويُغْلَقُ عنهُ بابُ توبتِهِ؛

= في هذا المسجد مرة، وفي هذا المسجد مرة، حتى يصبحا، قال ابنه: مكث أبي أربعين سنة يصوم يومًا ويفطر يومًا، ويصلي صلاة الفجر بوضوء عشاء الآخرة. قال سليمان: لو أخذت برخصة كل عالم اجتمع فيك الشر كله. توفي بالبصرة في ذي القعدة سنة ثلاث وأربعين ومئة. ينظر ترجمته للفائدة في «سير أعلام النبلاء» (٦: ١٩٦).

(١) أي: تقول: هذا نهاري الذي أمُوتُ فيه. فرحمها الله ما أفقهها وأكيسها؟!

(٢) رواه هناد في «الزهد» (٥١١)، وابن أبي الدنيا في «الزهد» (٨١) عن معاذة العدوية رحمهاالله. ورابعة بنت إسماعيل العدوية البصرية الزاهدة العابدة الخاشعة، أم عمرو، من أعيان عصرها، فضلها مشهور، كانت تصلي الليل كله، فإذا طلع الفجر هجعت هجعة حتى يسفر الفجر، ثم تقول: يا نفس كم تنامين؟ وإلى كم تقومين؟ يوشك أن تنامي نومة لا تقومين منها إلا ليوم النشور. قال جعفر بن سليمان: دخلت مع الثوري على رابعة، فقال سفيان: واحزناه! فقالت: لا تكذب، قل: واقلة حزناه! ولها سيرة في جزء لابن الجوزي رحمه الله. عاشت ثمانين سنة وماتت سنة خمس وثلاثين ومئة وقيل: سنة ثمانين ومئة، وقيل غير هذا. «سير أعلام النبلاء» (٨: ٢٤١).

(٣) في (ز): ضرب.

(٤) في (أ): الشوق. وهي تصحيف.

لِما رُوِيَ: «إنَّ اللهَ تَعالَى يَقْبَلُ تَوبَةَ عَبْدِه ما لَمْ يُغَرْغِرْ»[١]، ثُمَّ يرى ملائكةَ ربِّه تعالى وثناءَها عليهِ وقولَهم لغيرِ صالحٍ: لا جزاكَ اللهُ خيرًا[٢].

وفي «الصَّحيحينِ»: «إنَّ المُؤْمِنَ إذا حَضَرَهُ المَوتُ بُشِّرَ بِرِضْوانِ اللهِ وَكَرامَتِهِ؛ فَلَيسَ شَيءٌ أَحَبَّ إلَيهِ مِمَّا أمامَهُ»[٣].

ومَنْ خُتِمَ له بشَرٍّ فضِدُّه.

وسببُه: عقيدةٌ فاسدةٌ تُثمرُ عندَ موتِه الجُحودَ أو الشكَّ، فما لم يُرْحَم بتوبةٍ فعذابُه دائمٌ.

ومِن أسبابِ سُوءِ الخاتمةِ:

الإصرارُ على فِعْلٍ مَنْهيٍّ أو صِفةٍ مَذمُومَةٍ؛ كعُجْبٍ ونحوِه.

ومنها: الغفلةُ؛ فقد خُطِفَ بها خلقٌ كثيرٌ بنزْغةِ الشَّيطانِ لتمكُّنِه منهُ؛ ولهذا اخترنا لفظَ الشَّهادتينِ؛ فإنّ الشَّيطانَ يجهدُ في شُبْهةٍ مُكفِّرةٍ عندَ الموتِ غالبُها

---

(١) رواه الترمذي (٣٥٣٧) من حديث ابن عمر رضي الله عنهما.

(٢) روى أبو نعيم في «الحلية» (٨: ١٥١) عن وهيب بن الورد، قال: بلغنا أنه ما من ميت يموت حتى يتراءى له ملكاه اللذان كانا يحفظان عليه عمله في الدنيا؛ فإن كان صحبهما بطاعة قالا له: جزاك الله عنّا من جليس خيرًا، فرُبَّ مجلس صدقٍ قد أجلستناه! وعمل صالح قد أحضرتناه! وكلام حسن قد أسمعتناه! فجزاك الله عنا من جليس خيرًا، وإن كان صحبهما بغير ذلك مما ليس لله برضى، قلبا عليه الثناء، فقالا: لا جزاك الله عنا من جليس خيرًا، فرب مجلس سوء قد أجلستناه! وعمل غير صالح قد أحضرتناه! وكلام قبيح قد أسمعتناه! فلا جزاك الله عنّا من جليس خيرًا، قال: فذاك شخوص بصر الميت إليهما، ولا يرجع إلى الدنيا أبدًا.

(٣) صحيح البخاري (٦٥٠٧)، صحيح مسلم (٢٦٨٤) من حديث عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها.

في الرِّسالةِ؛ لعِلْمِه باقْتِصارِنا على التَّهْليلةِ، وكلَّما نزغَ في التّوحيدِ دُفِعَ بـ(لا إله إلّا اللهُ)، أو في الرِّسالةِ دُفعَ بـ(مُحمَّدٌ رسولُ اللهِ)، فكأنَّ التهليلةَ صلاةٌ وذِكْرُ رسولِ الله ﷺ لا يُبطلُها[1] وإن كانَ أجْنَبيًّا منها؛ كيفَ وأجَلُّ أسنانِ مِفتاحِ التَّهْليلةِ الشَّهادةُ الثانيةُ، وهذا أدْفَعُ وأنفعُ؛ فتدبَّرْهُ راشدًا.

وتأمَّلْ عندَ نزعِهِ ﷺ قولَه: لا إله إلا الله؛ إنَّ للموتِ سكراتٍ، والرفيقَ الأعلى آخرًا[2]، والإجماعُ لا يُعادُ عليهِ ما يسوغُ[3] في كلامِ الآدميينَ؛ فلا يضرُّ ذِكْرٌ بعدَها[4].

وَسَبَبُ موتِه عاصِيًا: حُبُّ دُنْياهُ، ومُواظبةُ صِفَةٍ مَذْمُومَةٍ، وعندَ فراقِها يقوَى[5] ضعفُ حُبِّه لربِّه تعالى، فَيُنْكِرُ ويتعرَّضُ ويجوزُ بوصيَّتِه، ويمْنَعُه الشَّيطانُ رُشْدَه لتمكُّنِه منهُ عندَ الموتِ.

والخاتِمَةُ لا تُؤْمَنُ، وفي «الصَّحيحينِ»: «إنَّ الرَّجُلَ لَيَعْمَلُ بعَمَلِ أهْلِ النّارِ فِيما يَبْدُو للنّاسِ وإنَّهُ لَمِنْ أهْلِ الجَنَّةِ، وإنَّ الرَّجُلَ لَيَعْمَلُ بعَمَلِ أهْلِ الجَنَّةِ فِيما يَبْدُو للنّاسِ فَلا يَدْخُلَها حَتَّى يَعْمَلَ بِعَمَلِ أهْلِها وإنَّهُ لَمِنْ أهْلِ النّارِ»[6].

وانفرادُه بمحبَّةِ ربِّه تعالى وطاعتِه أسلمُ؛ وفي صلاتِه وغالبِ أوقاتِه؛ قال الله تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَاتَّقَىٰ ۞ وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَىٰ ۞ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَىٰ﴾ [الليل: ٥-٧].

---

(١) قوله: (فكأن التهليلة صلاة وذكرُ رسول الله ﷺ لا يُبطلها) غير مثبت في (أ).

(٢) رواه البخاري (٤٤٤٩) من حديث عائشة رضي الله عنه.

(٣) في (ز): ما لم يشرع.

(٤) من قوله: (تأمل...) إلى هنا زيادة من (هـ).

(٥) من هنا سقط ورقة من نسخة (ب) إلى قوله: (اللهم إنه عبدك...).

(٦) صحيح البخاري (٦٥٩٤)، صحيح مسلم (٢٦٤٣) من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه.

وروى مُسْلمٌ: «يُبْعَثُ العَبْدُ عَلَى ما ماتَ عَليهِ»[١]؛ فَمَنْ أرادَ السَّلامةَ نفَى أسْبابَ الهلاكِ.

وَمِنْ عَلاماتِ حُسْنِ الخاتِمَةِ:

اسْتِقامَةٌ، ودَوامُ ذِكْرٍ؛ لِما رَوى مُسلِمٌ: «يَمُوتُ المَرْءُ عَلى ما عاشَ عَليهِ، وَيُبْعَثُ العَبْدُ عَلى ما ماتَ عَلَيهِ»[٢]. ولحديثِ: «كُلٌّ مُيَسَّرٌ لِما خُلِقَ لَهُ»[٣].

ومنها: مُواظبةُ أذْكارِ الصَّباحِ والمساءِ[٤]؛ سيَّما سيِّدُ الاستغفارِ، وسؤالُ عافيةِ الدّارينِ في كُلِّ وقتٍ موجودٍ، اللهُمَّ كُنْ لنا في الدُّنيا والآخرةِ[٥]، وفِعْلُ كُلِّ مأمُورٍ، وتركُ كُلِّ مَحْذُورٍ؛ سِيَّما إجابةُ النِّداءِ وسؤالُ الوسِيلَةِ لنيلِ الشَّفاعةِ؛ فلا يشفعُ في كافرٍ، ويَزيدُ: أَشهدُ بها معَ الشّاهِدِينَ، وأُنَزِّهُها وأُرغِمُ بها أنْفَ[٦] الجاحِدِينَ، وأشهدُ أنَّ الرّسُولَ كما أُرْسِلَ، وأنَّ القُرآنَ كَما أُنْزِلَ، وأنَّ القضاءَ كما قُدِّرَ، وأنَّ السّاعةَ آتيةٌ لا رَيْبَ فيها، وأنَّ اللهَ يَبْعَثُ مَنْ في القُبورِ: ﴿ شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ...﴾ الآيةَ [آل عمران: ١٨]، يقولُ: وأنا أشهدُ بما شهدَ اللهُ به وأستودِعُ اللهَ هذِه الشّهادةَ.

ومِنْها: يا حيُّ يا قيُّومُ بِرَحْمَتِكَ أَسْتَغِيثُ؛ أَصْلِحْ لِي شأني كُلَّهُ ولا تَكِلْنِي

---

(١) صحيح مسلم (٢٨٧٨). ومعناه: يبعث على الحالة التي مات عليها. «شرح النووي على مسلم» (١٧ : ٢١٠).

(٢) تقدم تخريجه قريبًا.

(٣) رواه البخاري (٤٩٤٩)، ومسلم (٢٦٤٧) من حديث علي بن أبي طالب كرم الله وجهه.

(٤) من هنا إلى قوله: (فصل) غير مثبت في (ج).

(٥) من قوله: (سيّما سيّدُ) إلى هنا مثبت من (هـ، و، ز).

(٦) في (هـ، و): قلب.

إلى نفْسِي طَرْفَةَ عَينٍ[١]، وأحيِ قَلْبي بنورِ مَعْرِفَتِكَ؛ يا أللهُ، يا أللهُ، يا أللهُ.

ومِنْها: اللهُمَّ، افتَحْ لي أبوابَ مُناجاتِك، وسَهِّلْ لي أبدًا الطَّريقَ إلى ذِكْرِكَ، واملأْ قلبي أبدًا بحبِّكَ وَحُبِّ لقائكَ حتّى لا يَبْقَى فيَّ بَقِيَّةٌ لغيرِكَ.

ومِنْها: سُبْحان الأبدِيِّ الأبدِ، سُبحانَ الواحدِ الأحدِ، سُبْحانَ الفردِ الصَّمَدِ؛ الذي لَمْ يتخذْ صاحبةً ولا ولدًا، ولم يلدْ ولم يُولدْ، ولم يكنْ لهُ كفوًا أحدٌ[٢].

معَ دَوامِ ذِكْرِ: لا إلهَ إلَّا اللهُ، إلى النّومِ؛ آخِرُ ما بَقِيَ بقلبه ذِكْرُ اللهِ وأوّلُ سابقٍ إذا اسْتيقَظَ، وغلبَ على قَلبه ذلكَ في صلاتِه وغيرِها سيَّما مع محبةِ رَبِّهِ تعالى ورسولِه ﷺ وصِدْقِ مُتابعتِه أبدًا؛ كيفَ يموتُ على سُوءٍ وقد غُفِرَ لخلْقٍ كبائر؟ فماذا يفْعَلُ بالمُحسنينَ[٣].

وعَقِبَ كُلِّ صَلاةٍ آيةَ الكُرسيِّ، و﴿ شَهِدَ ٱللَّهُ ...﴾ الآيةَ [آل عمران: ١٨]، و﴿ قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ تُؤْتِى ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ ﴾ [آل عمران: ٢٦]، و﴿ فَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ ...﴾الآيات [الروم: ١٧]، وآخِرَ الحَشْرِ الآيات، والإخلاصَ، والمعوِّذَتَينِ ثلاثًا ثلاثًا، والتَّسبيحَ ثلاثًا وثلاثينَ، وكذا التّحميدُ، والتكبيرُ أربعًا وثلاثينَ، وعندَ نومِهِ جميعَ ما تقدَّم[٤].

---

(١) روى النسائي في «الكبرى» (١٠٤٠٥)، والحاكم في «المستدرك» (٢٠٠٠) وغيرهما، من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه.

(٢) ذكره الفيروزآبادي في «بصائر ذوي التمييز» (٣: ١٧٦) وقال: إنه تسبيح عيسى.

(٣) في غير (هـ): بالمُنيبين.

(٤) ينظر لزامًا كتاب «الأذكار» للإمام النووي رحمه الله، بابُ ما يقولُ إذا أراد النوم، واضطجع على فراشه.

وفي (أ) زيادة؛ وهي: (نطق الكتابُ والسنّةُ...) وليس هنا مكانها، وستأتي آخر الكتاب، =

وتأمَّل قولَه تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَٱتَّقَىٰ...﴾ الآيات [الليل: ٥]، فالخيرُ كلُّهُ أرجى ولا يأمنُ مَكْر اللهِ إلا القومُ الخاسرونَ.

ومنها: وفاءُ وَعْدٍ ومُلازمةُ صِدْقٍ سيَّما معَهُ تعالى ـ فافهمْ ـ وكذا حُسْنُ خُلُقٍ وظَنٍّ بهِ تعالى فافهمْ.

وسَبَقَ ذكرُ قلبٍ انفردَ بذِكْرِ ربّهِ تعالى في صلاتِه ونومِه ويقظتِه يُرجى عاقبتُه.

ومواظبةُ إجابةِ النداءِ بمثْلِ ما يقولُ، ثُمَّ سُؤالُ الوسيلةِ على ما عُرِفَ، مِن أعْظَمِ أسبابِ حُسْنِ الخاتِمةِ؛ لِوَعْدِ حِلِّ شفاعتِه ﷺ[1]، وشفاعتُه ﷺ لا تكونُ لكافرٍ.

نَعَمْ ومِنْ أرْجاها[2]: مُواظبةُ: اللّهُمَّ أكْرِمْ هذهِ الأمَّةَ بجميلِ عوائِدكَ في الدّارينِ إكرامًا لِمَنْ جَعَلْتها مِنْ أُمَّتِهِ ﷺ وأزواجِه وذُرِّيَّته أبدًا[3]؛ فإنّ المنسوبَ إلى المحبوبِ مكرُومٌ، ولو شاءَ يقولُها عَقِيبَ سُؤالِ الوَسِيلةِ وكُلّ وقتٍ مَرْجوٌّ لا سِيَّما قُبيلَ: ﴿وَلَا ٱلضَّآلِّينَ﴾ [الفاتحة: ٧]، مِن إمامٍ في جَهريّةٍ وجمٍّ غَفِيرٍ ليَعْقُبها

= وهناك أثبتها لتناسب مكانها وموافقة نسخة (ز) لها.

(١) روى البخاري (٦١٤) عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: «من قال حين يسمعُ النّداء: اللهُمّ ربّ هذه الدّعوة التّامّة والصّلاة القائمة آت مُحمّدًا الوسيلة والفضيلة، وابعثهُ مقامًا محمُودًا الّذي وعدتهُ، حلّت لهُ شفاعتي يوم القيامة».

(٢) أي: حسن الخاتمة.

(٣) نقل هذا الدعاء الشيخُ أبو المواهب بن عبد الباقي البعلي الحنبلي في بعض إجازاته عن المؤلف البلالي رحمه الله، وذكرها الشيخ محمد عبد الحي بن عبد الكبير الحسني الكتاني في «السر الحقي الامتناني الواصل إلى ذاكر الراتب الكتاني» (ص١٤٢).

تأمينُ الإمامِ والجماعةِ والملائكةِ، وخاتمتُها: «هَؤلاءِ لِعَبْدِي وَلِعَبْدِي ما سَأَلَ»(١) لا سيَّما في يومِ جُمعَةٍ؛ فافْهمْ.

فصل
[في الاحتضار، والغسل، والصلاة، والتلقين، والتعزية، والزيارة]

وينفردُ المُحْتَضَرُ برغبةٍ وحُسْنِ ظَنٍّ بهِ تعالى، ولفظِ الشَّهادتينِ أبدًا، ويُلقِّنُه برفقٍ غيرُ وارثِه، وإلا فَأَرْفقُهْم به، وتعريضًا أولَى، ويَعتني به جِدًّا، ويُثني عليهِ بمحاسنهِ، ويُبشَّرُ، ويُذكّرُ بفريضةٍ حاضِرةٍ، وبوصيّةٍ عادلةٍ، وبتوبةٍ تامّةٍ، ويُعرَّفُ شُروطَها ليَقْدُمَ على ربّه تعالى بلا لَوثٍ، ويُوصِي بما بَقِيَ عليهِ، ويَستحلُّ مِنْ كافّة مَنْ بينَه وبينهمُ شيءٌ، ويُوصِي مَنْ عندَهُ بإعانتِه على إتمامِ أُهْبتِه لِسَفَرهِ وصبرِهم عليهِ، وعدمِ بُكائهم بجَزعٍ ونحوِه عليهِ، ويتّقِي جِدًّا تفريطَه بذرَّةٍ مِنْ دَيْنهِ، ويُستحبُّ نظافةُ بدنِه وإدامةُ وضوئِه، وفرحُه بقدومِه على ربِّه تعالى، ولو كان عاصِيًا؛ لأنَّ التائبَ كمَنْ لا ذنبَ لهُ(٢)، وضَيفُ الكريمِ مكرُومٌ ولو معَ الإساءةِ.

ويستقرئُ آياتِ الرَّجاءِ وأحاديثَهُ وفضلَ رحمتهِ تعالى، ويُوصِي بولدِه وأهلِه وأصحابه، ويُؤكّدُ عليهم عهدَ رعايةِ السُّنَّةِ في جنازتِه، وفي أَنْفُسِهم أبدًا، وبمواصلَةِ برّهِ بدُعاءٍ وصدَقةٍ وزيارةٍ ونحوِها، ثُمَّ يدعو لنفْسِه، ويستودعُ اللهَ

---

(١) سبق تخريجه.

(٢) روى ابن ماجه (٤٢٥٠)، والطبراني في «الكبير» (١٠: ١٥٠) عن ابن مسعود رضي الله عنه مرفوعًا: «التّائبُ من الذّنب كمن لا ذنب لهُ». قال الحافظ الهيثمي: رجالهُ رجال الصّحيح، إلّا أنّ أبا عُبيدة لم يسمع من أبيه.

دينَه وخاتمتَه وأهلَه وأصحابَهُ؛ فإنّهُ تعالى لا تَخيبُ ودائِعُه.

ويتطفَّلُ بإسنادِ وصيَّتِه إليهِ تعالى بما يَرْجُوهُ منهُ في مَوتِه وما بعدَه؛ فهو تعالى أولَى بقبولِها وتَنْفِيذِها كرمًا، ويجهدُ هوَ وهُمْ على كَون الشَّهادتينِ آخرَ كلامِه لِما سَبقَ، وذلك بعدَ سَيِّدِ الاستغفارِ وتجريعِه بماءٍ فاترٍ لينطلِقَ لسانُه بالشَّهادتينِ، وسُبحانَ اللهِ وبحمدِه مئةَ مرَّةٍ بيومِه وليلتِهِ تُكفِّرُ ذُنوبَه ويدخلُ الجنّةَ كما صحَّ(١).

ويقرأُ آياتِ الحَشْرِ(٢) والمُعَوِّذَتينِ، ويَنفثُ في كفَّيهِ، ويمسحُ بهما رأسَه

---

(١) روى البخاري (٦٤٠٥)، ومسلم (٢٦٩٢) عن أبي هريرة رضي الله عنه: أن رسول الله ﷺ قال: «من قال: سُبحان الله وبحمده في يومٍ مئة مرّةٍ حُطّت خطاياهُ، وإن كانت مثل زبد البحر». وعند مسلم: «من قال حين يُصبحُ وحين يُمسي: سُبحان الله وبحمده مئة مرّةٍ لم يأت أحدٌ يوم القيامة بأفضل ممّا جاء به إلّا أحدٌ قال مثل ما قال أو زاد عليه».

(٢) روى الترمذي (٢٩٢٢)، وأحمد (٢٠٣٠٦) عن معقل بن يسار رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «من قال حين يُصبحُ ثلاث مرّاتٍ: أعُوذُ بالله السّميع العليم من الشّيطان الرّجيم، وقرأ ثلاث آياتٍ من آخر سُورة الحشر؛ وكّل اللهُ به سبعين ألف ملكٍ يُصلُّون عليه حتّى يُمسي، وإن مات في ذلك اليوم مات شهيدًا، ومن قالها حين يُمسي كان بتلك المنزلة».
وفي غير (هـ، و، ز): آيات الحرس. وهي ثلاثون آيةً من ضمنها آيات الحشر؛ روي عن ابن عمر رضي الله عنهما عن رسول الله ﷺ أنه قال: «من قرأ في ليلةٍ ثلاثين آيةً لم يضُرّهُ تلك اللّيلة لصٌّ طارقٌ ولا سبُعٌ ضارٌّ، ويكُونُ مُعافًى في نفسه وأهله وماله حتّى يُصبح، ومن قرأهُنّ حين يُصبحُ كان لهُ مثلُ ذلك» [عزاه في «كنز العمال» للديلمي عن ابن عمر (٢٤١٢)]. روي عن محمد بن سيرين أنه قال: نزلتُ في مكان كثير اللصوص، فلما جنّ الليلُ جاء اللصوص أكثر من سبعين مرّة، وقد اخترطوا سيوفهم، فحيل بيني وبينهم بسورٍ من حديد، فلمّا أصبحتُ رحلتُ، فلقيني شيخٌ على فرسٍ، فقال لي: يا هذا، إنسيٌّ أنت أم جنيٌّ؟ قلت: لا بل إنسيٌّ، فقال: فبم نلت هذه المرتبة؟ قلت: بحديث حدثنيه ابنُ عمر رضي الله عنه، عن رسول الله ﷺ أنه قال: «من قرأ في ليلة ثلاثين آيةً ...وذكر الحديث إلى =

ووجهَه ثُمَّ جَسَدَه، ويفعلُ به غيرُه معَ عَجْزِهِ كما في «الصَّحِيحَين»[١].

= آخره، فنزل عن فرسه وتاب إلى الله تعالى، وقال هي أربع آيات من أول سورة البقرة حتى قوله: ﴿ٱلْمُفْلِحُونَ﴾، وآية الكرسي وآيتان بعدها إلى قوله: ﴿خَـٰلِدُونَ﴾، وثلاث آيات من سورة الأعراف: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ﴾ إلى قوله: ﴿قَرِيبٌ مِّنَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾، وآيتان من آخر سورة بني إسرائيل: ﴿قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱللَّهَ أَوِ ٱدْعُوا۟ ٱلرَّحْمَـٰنَ﴾ إلى آخر السورة، وعشر آيات من أول الصافات إلى قوله: ﴿لَّازِبٍ﴾، وآيتان من سورة الرحمن: ﴿يَـٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ﴾ إلى قوله: ﴿فَلَا تَنتَصِرَانِ﴾، وأربع آيات من سورة الحشر: ﴿لَوْ أَنزَلْنَا هَـٰذَا ٱلْقُرْءَانَ عَلَىٰ جَبَلٍ﴾ إلى آخر السورة، ومن سورة الجن: ﴿وَأَنَّهُۥ تَعَـٰلَىٰ جَدُّ رَبِّنَا مَا ٱتَّخَذَ صَـٰحِبَةً وَلَا وَلَدًا﴾ إلى قوله تعالى: ﴿شَطَطًا﴾. وقال: إن فيها شفاء من مئة داء؛ منها الجنون والجذام والبرص وغير ذلك من عوارض العاهات. قال شعيب: كنا نسمي هذه الآيات آيات الحرز أو الحرس.

قال العلماءُ: بالله، إن في هذه الآيات الكريمة اسم الله الأعظم من قرأها كل يوم من بعد صلاة الصبح بجمع همّةٍ وحسن حال في موضع خال من الأصوات كفاهُ الله شرّ حوادث الآفات، وحرسهُ الله من الحية والعقرب والهوام والحشرات ومن اللص والطارق في جميع حركاته وسكناته، وأمنه من شر الإنس والجن والتوابع وأم الصبيان، ومن يداوم على قراءتها يكون محفوظًا من عوارض الجنون والطاعون والفالج والجذام، وهي حجاب عظيم، ومن قرأها عند جبار أمن شره ومن كتبها على شيء كان محفوظًا بإذن الله تعالى من زواعق الفجار ونواعق الليل والنهار حسبما ذكر في «الفرج بعد الحرج».

«رسالة الشفاء لأدواء الوباء» للمولى عصام الدين طاش كبري زاده المتوفى سنة (٩٦٨هـ) (ص٧٣- ٧٤).

وقد ذكر الحافظ الذهبي في «السير» (١٦: ٥٩) وغيره في ترجمة شيخ الإسلام أبي عمر الجماعيلي المقدسي أنه كان إذا صلى الفجر تلا آيات الحرس ويس والواقعة وتبارك، فإذا كان أمثال هذا الرجل وغيره من سلفنا الصالح يواظب عليها ويقرأها، ونقلها عنهم علماء أثبات ثقات، فعجب لمن ينهى عنها وعن أمثالها!

(١) روى البخاري (٤٤٢٩)، ومسلم (٢١٩٢) عن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها أنّ رسُول الله ﷺ كان إذا اشتكى نفث على نفسه بالمُعوّذات ومسح عنهُ بيده، فلمّا اشتكى =

وصحّ في الترمذيِّ: «مَنْ عادَ مَرِيضًا لَمْ يَحْضُرْ أجَلُهُ، فقالَ عِنْدَهُ سَبْعَ مَرّاتٍ: أسْأَلُ اللهَ العَظِيمَ رَبَّ العَرْشِ العَظِيمِ أنْ يَشْفِيَكَ؛ إلَّا عافاهُ اللهُ مِنْ ذَلِكَ المَرَضِ»[١].

وللبُخاريِّ: كانَ النبيُّ ﷺ إذا دخلَ على مَنْ يَعُودُه قالَ: «لا بَأْسَ طَهُورٌ إنْ شاءَ اللهُ تَعالَى»[٢].

ويُضْجَعُ مُحْتَضَرٌ للقبلةِ على الأيمنِ؛ فإن تَعذَّرَ فمُستلْقِيًا؛ فإذا ماتَ غُمِّضَ عَيناهُ وشُدَّ لَحياهُ بعِصابةٍ عَريضةٍ، ولُيِّنتْ مفاصلُه، ونُزعتْ ثِيابهُ، ويُوضَعُ على مُرتفعٍ بثوبٍ طَرفاهُ تحتَ رأسهِ ورِجْليهِ، وعلى بطنهِ شيءٌ ثقيلٌ، ويُبادَرُ بتجهيزهِ وبتجهيزِ زَوجَتِهِ وأمَتِه ـ ولو مُزوّجةً بشرْطِ خِدْمَتِها نَهارًا ـ مِنْ مالِه لا مِنْ دَينٍ وَرَهْنٍ وزكاةٍ ونحوِها، وعَبْدٍ جنَى ومُشترًى مُفْلِسٍ، ثُمَّ تُقضَى دُيونُه، ثُمَّ تُنفَّذُ وصاياهُ شرعًا.

ويجبُ في غُسلهِ: سَتْرُ ما بين سُرّتِه ورُكْبتِهِ، ثُمَّ إزالةُ النجاسةِ، ثُمَّ تعميمُ شعرهِ وبشرهِ بماءٍ، ويحرُم كبُّه على وجههِ، وكشفُ عورتهِ ونظرُها ومسُّها وختانهُ وحلقُ رأسِهِ، نَعَمْ؛ وعانتُه؛ لِما فيها مِنْ كشفِ العَورةِ ونظرِها.

ويحرُمُ سبُّهُ[٣].

= وجعه الّذي تُوُفّي فيه طفقتُ أنفُثُ على نفسه بالمُعوّذات، الّتي كان ينفثُ، وأمسحُ بيد النّبيّ ﷺ عنهُ.

(١) سنن الترمذي (٢٠٨٣)، ورواه أبو داود (٣١٠٦) واللفظ له، كلاهما من حديث ابن عباس رضي الله عنهما.

(٢) صحيح البخاري (٥٦٦٢) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما.

(٣) روى البخاري (١٣٩٣) عن عائشة رضي الله عنها، قالت: قال النبيُّ ﷺ: «لا تسُبُّوا الأموات؛ =

وأقلُّ كفَنِهِ سُترةٌ، قيل: ويحرمُ حَريرٌ ومُزَعْفَرٌ ومُعَصْفَرٌ لذَكَرٍ وخُنْثَى، وكتابةُ قرآنٍ بكفنِه لانفِجارِهِ، وكفنٌ جديدٌ بقِيمةِ مَغسولٍ أولى، ثُمَّ مَغسولٌ قويٌّ[1].

وأقلُّ الصّلاةِ عليهِ: نيّةُ الفرْضِ مقرونةً عُرْفًا بالتَّكْبيرِ، والفاتِحةُ فقطْ، ثُمَّ يُكَبّرُ ويُصلّي على النبيِّ ﷺ، ثُمَّ يُكبّرُ ويدعُو للميّت، وحَسُنَ: اللّهُمَّ إنَّهُ[2] عبدُكَ وابنُ عبدِكَ وأنتَ أعلمُ بهِ؛ اللهُمَّ إنْ كان مُحْسِنًا فزِدْ في إحسانِه وإنْ

= فإنّهم قد أفضوا إلى ما قدّمُوا».

فائدة: قال الإمام النووي رحمه الله في «الأذكار» (ص٢٨٤-٢٨٥): قال العلماءُ: يحرم سبُّ الميت المسلم الذي ليس مُعلنًا بفسقه. وأما الكافرُ والمُعلنُ بفسقه من المسلمين، ففيه خلاف للسلف، وجاءت فيه نصوص متقابلة، وحاصلُه: أنه ثبت في النهي عن سبّ الأموات ما ذكرناهُ في هذا الباب. وجاء في الترخيص في سبّ الأشرار أشياء كثيرةٌ، منها: ما قصّه الله تعالى علينا في كتابه العزيز، وأمرنا بتلاوته وإشاعة قراءته؛ ومنها: أحاديثُ كثيرة في الصحيح، كالحديث الذي ذكر فيه رسول الله ﷺ عمرو بن لُحيّ [البخاري، ٤٦٢٤؛ مسلم، ٢٨٥٦]، وقصة أبي رغالٍ، [أبو داود، ٣٠٨٨، ١٥٢٨] الذي كان يسرقُ الحاجّ بمحجنه، وقصة ابن جدعان [مسلم، ٢١٤] وغيرهم، ومنها الحديث الصحيح: لمّا مرّت جنازة فأثنوا عليها شرًّا، فلم ينكر عليهم النبيّ ﷺ، بل قال: «وجبت».

واختلف العلماءُ في الجمع بين هذه النصوص على أقوال: أصحُّها وأظهرُها: أن أموات الكفار يجوز ذكر مساوئهم؛ وأما أمواتُ المسلمين المعلنين بفسق أو بدعةٍ أو نحوهما، فيجوز ذكرُهم بذلك إذا كان فيه مصلحة لحاجة إليه للتحذير من حالهم، والتنفير من قبول ما قالوه، والاقتداء بهم فيما فعلوه، وإن لم تكن حاجةٌ لم يجز؛ وعلى هذا التفصيل تُنزّلُ هذه النصوصُ، وقد أجمع العلماءُ على جرح المجروح من الرواة، والله أعلمُ.

(١) قال الإمام النووي رحمه الله في «المنهاج» (ص٦٢): (والمغسول أولى من الجديد) قال الإمام الرملي: لأنه للبلى والصديد، والحيُّ أحقُّ؛ لما روي أن الصديق رضي الله عنه أوصى أن يكفن في ثوبه الخلق. «نهاية المحتاج» (٣: ٢١).

(٢) قوله: (إنه) غير مثبتة في (أ، د). وهي موافقة لما في «الأم» (١: ٣٠٩)، و«مختصر المزني» (٨: ١٣٣). وفي (ز): اللهم هذا عبدك.

كان مُسيئًا فتجاوزْ عنهُ؛ لَفْظُ البُوَيطِيِّ بحروفِه[١].

وفي طفلٍ يَدْعُو بنفْعِ والِدَيهِ وصَبْرِهم ونحوِه، ثُمَّ يُكَبِّرُ ويُسَلِّمُ، ويُتِمُّ مَسْبُوقٌ ولو رُفعَ الميتُ، ومتى كَبَّر إمامُه أُخرى سَقطَ ذِكْرُ ما قبلَها عَنْ مَسبُوقٍ.

ويُستحبُّ سُكوتُه وفِكْرُه في عاقبتِهِ إلى الدّفنِ، ثُمَّ يقرأُ ويدعو ويَستغفرُ لهُ ساعةً بعدَ الفراغِ.

ويُلقَّنُ غيرُ الطِّفل نَدْبًا: يا فُلان ابن فُلانةٍ، اُذكرِ العَهْدَ الذي خرجتَ عليه مِنَ الدُّنيا؛ شهادةَ أن لا إلهَ إلَّا اللهُ وحدَهُ لا شريكَ له، وأنَّ مُحمَّدًا عبدُه ورسولُه، وأنَّ السّاعةَ آتيةٌ لا ريبَ فيها، وأنَّ الله يبعثُ مَن في القُبور، قُلْ: رضيتُ بالله ربًّا، وبالإسلامِ دينًا، وبمحمَّدٍ ﷺ نبيًّا، وبالكعبةِ قِبلةً، وبالقُرآن إمامًا، وبالمسلمينَ إخوانًا، ربيَ اللهُ لا إله إلّا هو ربُّ العرشِ العَظِيمِ[٢]، ثُمَّ يجلسُ عندَ قبرِه نحوَ

---

(١) مختصر البويطي (ص٢٨٧). والبويطي هو يوسف بن يحيى القرشي أبو يعقوب المصري الفقيه أحد الأعلام من أصحاب الشافعي وأئمة الإسلام، قال الربيع: كان له من الشافعي منزلة، وكان الرجل ربما يسأله عن المسألة فيقول: سل أبا يعقوب؛ فإذا أجاب أخبره فيقول: هو كما قال. وربما جاء إلى الشافعي رسول صاحب الشرطة فيوجه الشافعي أبا يعقوب البويطي ويقول: هذا لساني. وخلف الشافعي في حلقته بعده. قال الشافعي: ليس أحد أحق بمجلسي من أبي يعقوب، وليس أحد من أصحابي أعلم، كان يصوم ويقرأ القرآن، لا يكاد يمر يوم وليلة إلا ختم مع صنائع المعروف إلى الناس، وقال ابن أبي الجارود: كان البويطي جاري، فإن انتبهت ساعة من الليل إلا سمعته يقرأ ويصلي. مات ببغداد في السجن والقيد في المحنة سنة إحدى وثلاثين ومئتين. «طبقات الشافعية» لابن قاضي شهبة (١: ٧٠).

(٢) قال الإمام النووي رحمه الله: قال جماعات من أصحابنا: يُستحبُّ تلقينُ الميت عقب دفنه، فيجلس عند رأسه إنسان ويقول: يا فلان ابن فلان ويا عبد الله ابن أمة الله، اذكر العهد الذي خرجت عليه من الدنيا شهادة أن لا إله وحده لا شريك له وأن محمدًا عبده ورسوله، =

ساعتينِ؛ يستغفرُ لهُ ويدعُو لهُ بالتَّثْبيتِ ليأنس وليُجِيبَ الملكينِ: مُنكرًا ونكيرًا ـ وهذا مُهِمٌّ جدًّا ـ ويَستعملُ أهلُه الصَّبرَ مِنْ أوّلِ صَدْمَةٍ، وسَبقَ بيانُه.

= وأن الجنة حق وأن النار حق وأن البعث حق وأن الساعة آتية لا ريب فيها وأن الله يبعث من في القبور، وأنك رضيت بالله ربًّا وبالإسلام دينًا وبمحمد ﷺ نبيًّا وبالقرآن إمامًا وبالكعبة قبلة وبالمؤمنين إخوانًا. زاد الشيخ نصر: ربي الله لا إله إلا هو، عليه توكلت وهو رب العرش العظيم. فهذا التلقين عندهم مستحبٌّ ممن نصّ على استحبابه القاضي حسين والمتولي والشيخ نصر المقدسي والرافعي وغيرهم، ونقله القاضي حسين عن أصحابنا مطلقًا، وسئل الشيخ أبو عمرو ابن الصلاح رحمه الله عنه فقال: التلقين هو الذي نختاره ونعمل به. قال: وروينا فيه حديثًا من حديث أبي أمامة ليس إسناده بالقائم، لكن اعتضد بشواهد وبعمل أهل الشام قديمًا. هذا كلام أبي عمرو. قلت: حديث أبي أمامة رواه أبو القاسم الطبراني في «معجمه» [«المعجم الكبير» (٨: ٢٤٩)] بإسناد ضعيف؛ ولفظه عن سعيد بن عبد الله الأزدي قال: «شهدتُ أبا أمامة رضي الله عنه وهو في النزع، فقال: إذا مُتُّ فاصنعوا بي كما أمرنا رسول الله ﷺ، فقال: إذا مات أحد من إخوانكم فسويتم التراب على قبره فليقم أحدكم على رأس قبره، ثم ليقل: يا فلان ابن فلانة فإنه يسمعه، ولا يجيب، ثم يقول: يا فلان ابن فلانة فإنه يستوي قاعدًا، ثم يقول: يا فلان ابن فلانة؛ فإنه يقول: أرشدنا رحمك الله، ولكن لا تشعرون، فليقل: اذكر ما خرجت عليه من الدنيا شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدًا عبده ورسوله وأنك رضيت بالله ربًّا وبالإسلام دينًا وبمحمد نبيًّا وبالقرآن إمامًا؛ فإن منكرًا ونكيرًا يأخذ كلُّ واحد منهما بيد صاحبه ويقول: انطلق بنا ما نقعد عند من لُقّن حُجّته، فقال رجلٌ: يا رسول الله، فإن لم نعرف أُمّهُ قال: فينسبه إلى أمّه حواء يا فلان ابن حواء». قلت ـ الإمام النووي ـ: فهذا الحديث وإن كان ضعيفًا فيستأنس به، وقد اتفق علماء المحدّثين وغيرهم على المُسامحة في أحاديث الفضائل والترغيب والترهيب، وقد اعتضد بشواهد من الأحاديث؛ كحديث: «واسألوا له الثبيت»، ووصية عمرو بن العاص، وهما صحيحان، ولم يزل أهل الشام على العمل بهذا في زمن من يقتدى به وإلى الآن، وهذا التلقين إنما هو في حقّ المكلّف الميت. أما الصبي فلا يلقن، والله أعلم.

وتحرمُ النِّياحةُ ونحوُها، وما لم يُوصِ[1] بها لم تضرَّهُ.

وأتمُّ تعزيةٍ قولُه ﷺ: «للهِ ما أخَذَ وَلَهُ ما أعْطَى، وَكُلُّ شَيءٍ بِأجَلٍ مُسَمًّى فاصْبِرْ واحْتَسِبْ»[2]، أي: أخذَ مُلْكَه ولم يخرجْ عَن مُلْكِهِ بإعطائكَ، وبفراغِ أجَلِهِ أحسنَ اللهُ تعالى بنقلِهِ عنكَ إلى مِيزانكَ ليُثيبكَ[3]؛ فمنهُ بيتُ الحَمْدِ في الجنّةِ المُشعرُ بحُسنِ الخاتمةِ[4]؛ فافْهَمْ. رواهُ البخاريُّ ومسلمٌ[5].

ويُكرهُ تمنِّي الموتِ لا لفتنةٍ، وشهادةٍ، وبُقعةٍ شريفةٍ، وغَلَبةِ شَوقٍ، ونحوِه[6].

وزيارةُ القُبورِ سُنَّةٌ لذكرٍ، وخُنثى، وعجوزٍ، ويحرمُ وطء القبرِ لغيرِ حاجةٍ، وجلوسٌ عليهِ وصلاةٌ عليهِ وإليه تبرُّكًا، ويُحتَرمُ الصّالحُ جِدًّا حيًّا وميتًا؛ فلا تُهْجَمُ حُجْرتُه، ولا يُمَسُّ قبرُه، ولا يُستدَبرُ، ويتّقِي رفعَ صوتِه وما لا يَعْنِيه، ونومًا بقُرْبِه ومدَّ رِجليهِ وبَصْقًا ونحوَه[7]، مُتأدِّبًا ما أمْكَنَهُ؛ نَعَمْ لا يَستَغنِي[8]

(١) في (هـ، و): يأمر.

(٢) في (ز) زيادة: رواه البخاريُّ ومسلمٌ، وستأتي فيما بعدُ.

(٣) في (أ، د): (ليثبتك).

(٤) يُشيرُ المؤلف رحمه الله إلى الحديث الذي رواه الترمذي (١٠٢١) عن أبي مُوسى الأشعريّ رضي الله عنه، أنّ رسول الله ﷺ قال: «إذا مات ولدُ العبد قال اللهُ لملائكته: قبضتُم ولد عبدي، فيقُولُون: نعم، فيقُولُ: قبضتُم ثمرة فُؤاده، فيقُولُون: نعم، فيقُولُ: ماذا قال عبدي؟ فيقُولُون: حمدك واسترجع، فيقُولُ اللهُ: ابنُوا لعبدي بيتًا في الجنّة، وسمُّوهُ بيت الحمد».

(٥) صحيح البخاري (١٢٨٤)، ومسلم (٩٢٣) من حديث أسامة بن زيد رضي الله عنه.

(٦) روى البخاري (٥٦٧١)، ومسلم (٢٦٨٠) عن أنس بن مالكٍ رضي الله عنه قال النّبيّ ﷺ: «لا يتمنّينّ أحدُكُمُ الموت من ضُرٍّ أصابهُ، فإن كان لا بُدّ فاعلًا فليقُل: اللهُمّ أحيني ما كانت الحياةُ خيرًا لي، وتوفّني إذا كانت الوفاةُ خيرًا لي».

(٧) في (ب) زيادة: (ونبش قبر ولي).

(٨) قوله: (نعم لا يستغني) غير مثبتة في (أ).

مُتعبِّدٌ عَن مِثْلِ ما زِدْتُه في هذا المُختَصرِ، وهذا الفصلُ مُهِمٌّ جِدًّا.

فصل
[في سكرات الموت،
وما يتبعها من المغيبات في البرزخ]

فضحَ الموتُ الدُّنيا، فلم يتركْ لِذي لُبٍّ فرحًا، وبكثرةِ ذِكْرِهِ يُحَبُّ الباقِي ويُبْغَضُ الفانِي، وكُلُّ أحدٍ ضَيفٌ ومالُه عاريّةٌ؛ فالضَّيفُ مُرتَحِلٌ والعاريةُ مَرْدُودَةٌ.

وسُئِلَ بعضُهم عَن رُكوعِه وَسُجودِه في النَّزعِ فقالَ: أُبادِرُ طَيَّ الصَّحِيفَةِ[1].

فَعَليكَ بِحِفْظِ قَلْبِكَ ووقتِكَ؛ فَبِضَياعِهِما خرابُ الدّارَينِ.

وقِيلَ: لم يلقَ ابنُ آدمَ أشدَّ مِنَ الموتِ، وما بَعْدَه أشدُّ[2].

---

(١) روى ابن أبي الدنيا في «قصر الأمل» (١٥٩) عن بشر بن عبد الله النهشلي قال: دخلنا على أبي بكر النهشلي وهو في الموت، وهو يومئ برأسه ـ يرفعه ويضعه ـ كأنه يصلي، فقال له بعض أصحابه: في مثل هذه الحال رحمك الله؟! قال: إنني أبادر طيّ الصحيفة. وقال أحمد بن يونس: كان أبو بكر النهشلي صالحًا، يثب للصلاة في مرضه ولا يقدر، فيقال له، فيقول: أبادرُ طي الصحيفة. وتوفي النهشلي سنة ست وستين ومئة. وثقه أحمد وابن معين. وهو صدوق، احتج به مسلم وغيره. ينظر: «سير أعلام النبلاء» (٧: ٣٣٣).

(٢) أورده أبو نعيم الأصبهاني في «حلية الأولياء» (١٠: ٢١) ضمن قصة جرت مع أبي سليمان رحمه الله. ورواه ابن عدي في «الكامل» (٣: ٤٦٣) عن أنس بن مالك رضي الله عنه وقال: لا أعلمه إلا رفعه قال: لم يلق ابن آدم شيئًا منذ خلقه الله أشدّ من الموت ثم إنّ الموت لأهون مما بعده.

ولنا فيه ﷺ أُسوَةٌ حَسَنةٌ.

وروى البُخاريُّ: أنّهُ ﷺ كانَ يُدْخِلُ يدهُ في الماءِ ويَمْسحُ وجهَه(١)، ويقولُ: «لا إلَه إلّا اللهُ؛ إنَّ لِلْمَوتِ سَكَراتٍ»(٢).

وفي «صحيحه»: لمّا ثقُلَ ﷺ جعَلَ يَتغَشّاهُ الكَرْبُ، فقالَت فاطمةُ رضوانُ الله عليها: وا كربَ أبتاه! فقال لها: لَيسَ عَلى أَبيكِ كَرْبٌ بَعْدَ اليَومِ»(٣).

ولأبي بكرٍ رضيَ اللهُ عنهُ:

لمّا رأيتُ نبيَّنا مُتَجَنْدِلًا ضاقَتْ عَلَيَّ بِعَرْضِهِنَّ الدُّورُ
وارْتَعْتُ رَوعَةَ مُسْتَهامٍ والِهٍ والعَظْمُ مِنِّي واهِنٌ مَكْسُورُ
يا لَيتَنِي مِنْ قَبْلِ مَهْلَكِ صاحِبِي غُيِّبْتُ في جَدَثٍ عَلَيَّ صُخُورُ(٤)

ولعائشةَ رضيَ الله عنها عندَ وفاةِ أبيها رضيَ الله عنهُما:

لَعَمْرُكَ، ما يُغْنِي الثَّراءُ عَنِ الفَتَى إذا حَشْرَجَتْ يومًا وضاقَ بِها الصَّدْرُ(٥)

فكشفَ رضوانُ الله عليهِ عَن وجههِ وقالَ: ليسَ كذَلكَ، ولكنْ قُولِي: ﴿وَجَآءَتۡ سَكۡرَةُ ٱلۡمَوۡتِ بِٱلۡحَقِّۖ ذَٰلِكَ مَا كُنتَ مِنۡهُ تَحِيدُ﴾ [ق: ١٩]. انظروا ثوبيَّ هذَينِ

(١) في (أ) كرر قوله: (يدخل يده في الماء) مرتين. ولم يذكر (ويمسح وجهه).
(٢) صحيح البخاري (٤٤٤٩) من حديث أم المؤمنين السيدة عائشة رضي الله عنها. وفي (هـ، و): لسكرات. وهي في بعض رواياته.
(٣) صحيح البخاري (٤٤٦٢) من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه.
(٤) أوردها ابن سعد في «الطبقات الكبرى» (٢: ٣٢٠)، وهي من البحر الكامل. وفي (ب): (متجدلًا)، بدل (متجندلًا).
(٥) رواه ابن سعد في «الطبقات الكبرى» (٢: ٣٢٠)، وابن أبي الدنيا في «المحتضرين» (٣٦)، وهو من البحر الطويل.

فاغسِلُوهُما وكفِّنوني فِيهما؛ فإنَّ الحيَّ أحوجُ إلى الجديدِ مِنَ الميِّتِ[١].

وعنِ ابنِ عُمرَ رضِيَ الله عنهُما قالَ: كانَ رأسُ عُمرَ في حِجْري في مرضهِ الذي تُوفِّيَ فيهِ فقالَ: ضَعْ خَدِّي على الأرضِ، فقلتُ: وما عليكَ أكانَ في حِجْري أم على الأرضِ؟! فقالَ: ضعْهُ لا أُمَّ لكَ، فوضعتُه؛ فقال: وَيلِي ووَيلُ أُمِّي إنْ لم يَرْحَمْنِي ربِّي[٢].

وروى البُخاريُّ عنهُ رضي الله عنه: لو أنّ لي طِلاعَ الأرضِ ذهبًا لافتدَيتُ بهِ مِنْ عذابِ الله عزّ وجلّ قَبْلَ أنْ أراهُ[٣].

وقيل: لمّا كان اليومُ الذي ماتَ فيه عثمانُ رضيَ الله عنه ظلَّ في اليومِ الذي قبلَهُ صائمًا فلمّا كان عندَ إفطاره سَألهُم الماءَ العَذْبَ وباتَ[٤] قبل أن يُفطرَ، فلمّا

---

(١) رواه ابن حبان (٣٠٣٦)، وأبو يعلى (٤٤٥١)، والبيهقي في «الكبرى» (٦٦٧٣)، وعندهم أنها تمثلت هذا البيت:

مَنْ لا يَزالُ دَمْعُهُ مُقْنعًا فإنَّهُ في مَـرَّةٍ مَدفُوقُ

(٢) رواه ابن الجعد في «المسند» (٨٧٠)، وابن سعد في «الطبقات الكبرى» (٢: ٣٢٠)، وأبو نعيم في «حلية الأولياء» (١: ٥٢).

(٣) صحيح البخاري (٣٦٩٢). عن المسور بن مخرمة، قال: لما طُعن عمر جعل يألم، فقال له ابن عباس وكأنه يجزعه: يا أمير المؤمنين، ولئن كان ذاك، لقد صحبت رسول الله ﷺ فأحسنت صحبته، ثم فارقته وهو عنك راض، ثم صحبت أبا بكر فأحسنت صحبته، ثم فارقته وهو عنك راض، ثم صحبت صحبتهم فأحسنت صحبتهم، ولئن فارقتهم لتفارقنهم وهم عنك راضون، قال: أمّا ما ذكرت من صحبة رسول الله ﷺ ورضاه، فإنما ذاك من منّ الله تعالى منّ به عليّ، وأما ما ذكرت من صحبة أبي بكر ورضاه، فإنما ذاك من منّ الله جلّ ذكره منّ به عليّ، وأما ما ترى من جزعي فهو من أجلك وأجل أصحابك. والله، لو أن لي طلاع الأرض ذهبًا لافتديت به من عذاب الله عز وجل، قبل أن أراهُ. وطلاع الأرض: ما يملأ الأرض حتى يطلع ويسيل.

(٤) في (أ، د): (مات).

كان في وجهِ[١] السَّحرِ أُوقِظَ وقيل لهُ: هذا ماءٌ عَذْبٌ، فرفعَ رأسَه فنظرَ الفجرَ، فقال: إنِّي أصبحتُ صائمًا؛ إنَّ رسولَ الله ﷺ اطَّلعَ عليَّ مِن هذا السَّقفِ ومعَهُ ماءٌ عَذْبٌ، فقالَ: اشربْ يا عُثمان، فشربتُ حتَّى رَويتُ، ثُمَّ قالَ: زِدْ؛ فشربتُ حتَّى نَهِلْتُ، ثُمَّ قال: إنَّ القومَ سَيَكِرُّونَ عليكَ؛ فإنْ قاتلتَهُم ظفِرتَ، وإن تركتَهُم أفطرتَ عندنا، فدخلُوا عليهِ مِنْ يومِه، فقتلوهُ رضيَ اللهُ عنهُ[٢].

وقيل: لمّا كانت الليلةُ التي أُصِيبَ فيها عليٌّ رضيَ الله عنهُ أتاهُ ابنُ النبّاحِ[٣] حينَ طلعَ الفجرُ يُؤذِنُه بالصَّلاةِ، وهو مُضطجعٌ مُتَثاقِلٌ، فعاد إليهِ الثّانيةَ وهو كذلكَ، ثُمَّ عادَ فقامَ عليٌّ رضي الله عنه وهُوَ يقولُ:

أُشْدُدْ حَيازِيمَكَ لِلْمَوتِ ... فَـإنَّ المَـوتَ لاقِيـكا
ولا تَجْزَعْ مِـنَ المَوتِ ... وإنْ حَـلَّ بَـوادِيـكا[٤]

وهذا يُنبِّهكَ على صدقِ ما سبقَ في الخواطرِ من انقباضِ القلبِ عمّا يَحذَرُ وانبساطِه لضدِّه؛ دليلُه: ﴿يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيٓءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ﴾ [النور: ٣٥]؛ فافهمْ جِدًّا.

---

(١) في (أ): (وقت).

(٢) رواه أحمد بن منيع كما في «المطالب العالية» (٤٥٠٣)، وابن أبي عاصم في «السنة» (٤٥٠٣) من حديث نائلة بنت فرافصة الكلبية، امرأة عثمان رضي الله عنهما.

(٣) في غير (أ): (التياح)، والصواب ما أثبت، والنَّبّاح ككتّان؛ والدُ عامر، مؤذن علي بن أبي طالب رضي الله عنه، يروي عنه، وروى عنه جعفر بن أبي ثروان. كما في «توضيح المشتبه» (٩: ١٤).

(٤) رواه الطبراني في الكبير (١: ١٠٥)، وابن أبي شيبة في المصنف (٢٦٠٣٢)، والبيت من بحر الهزج المخزوم، والحيازيم: جمع الحيزوم؛ وهو الصّدر. وقيل: وسطه. وهذا الكلام كناية عن التّشمير للأمر والاستعداد له. ينظر: «النهاية في غريب الحديث والأثر» لابن الأثير (١: ١٠٩٦).
وفي (ز): إذا حل بواديكا.

وقولُ الحُسينِ رضيَ الله عنهُ لابنهِ[١] لمّا نزلَ به الموتُ: اللهُمَّ، إنِّي احتسبتُ نفْسِي عندكَ فإنِّي لم أُصَبْ بمِثْلِها[٢].

وقولُ مُعاذٍ رضيَ الله عنهُ: اللهُمَّ، إنّي كنتُ أخافُكَ، وأنا اليومَ أرْجُوكَ[٣].

وقولُ أبي الدَّرداءِ رضيَ الله عنهُ: ألا رجلٌ يعْملُ لِمثْلِ مَصْرعِي هذا، ألا رجُلٌ يعملُ لمثلِ يَومِي هذا، ألا رجلٌ يعملُ لمثلِ ساعَتِي هذهِ[٤].

وسُئلَ سلمانُ الفارسِيُّ رضيَ الله عنهُ عن بُكائه عندَ الموتِ، فقال: عَهِدَ إلينا رسولُ الله ﷺ أنْ يكونَ زادُ أحَدِنا كزادِ الرّاكبِ وحَولِي هذهِ الأساويدُ؛ يعني: إجّانةٌ، وجَفْنةٌ، ومِطْهرةٌ[٥].

وللشّافعيِّ عندَ موتهِ رحمةُ اللهِ عليهِ:

ولمّا قَسا قَلْبي وضاقَتْ مَذاهِبي ... جَعَلْتُ رَجائِي[٦] نَحْوَ عَفْوكَ سُلَّما

تَعاظَمَنِي ذَنْبِي فَلمَّا قَرنْتُهُ ... بِعَفْوِكَ رَبِّي كانَ عَفْوُكَ أعْظَما

---

(١) في (ب، ج): (لأبيه).

(٢) رواه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (٢: ٣٨)، وابن أبي الدنيا في «المحتضرين» (١٣١).

(٣) رواه الزبير بن بكار في «جمهرة نسب قريش» (ص٣٧٧) عن عثمان بن سليمان.

(٤) رواه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (١: ٢١٧).

(٥) رواه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (١: ١٩٦)، وابن حبان في «صحيحه» (٧٠٦)، وأحمد (٢٣٧١١). والإجّانةُ: بالتشديد إناء يغسل فيه الثياب. والجفنة كالقصعة، قال الكسائي: أعظم القصاع الجفنة ثم القصعة تليها تُشبع العشرة، ثم الصحفة تُشبع الخمسة، ثم المئكلة تُشبع الرجلين، والثلاثة، ثم الصّحيفةُ تُشبع الرجل. والمطهرةُ: بفتح الميم وكسرها: الإداوة المستخدمة للتطهر. «مختار الصحاح» مادة (أجن، صحف، طهر).

(٦) في (هـ، د، و): الرجا.

وما زِلْتَ ذا عَفْوٍ عنِ الذَّنْبِ لَمْ تَزَلْ[١] تَجُــودُ وتَعْفُــو مِنَّــةً وتكَرُّما[٢]

وسُئِلَ أبو الدَّرداءِ رضيَ اللهُ عنهُ عن مقْعَدِهِ إلى القبورِ، فقالَ: أجلسُ إلى قومٍ يُذَكِّرُوني مَعادِي، وإذا قُمتُ عنْهُم لم يغتابُوني[٣].

فيُكَرِّرُ[٤] زيارتَها بآدابِها، وزارها ﷺ مُكررًا، وما خصَّها بيومٍ كما رواهُ مسلمٌ، وأمرَ بها[٥]؛ فأدبُه أن يقرُبَ ويقولُ: السَّلامُ عليكُم أهلَ الدِّيارِ مِنَ المؤمنينَ، وإنَّا

---

(١) في (هـ، د، و): سيدي.

(٢) روى الأبيات البيهقي في «مناقب الشافعي» (٢: ٢٩٤)، وابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٥٠: ٣٣٢)، وللأبيات تتمة وهي من بحر الطويل. قال الإمام البيهقي رحمه الله: أخبرنا محمد بن عبد الله بن محمد قال: حدثني أحمد بن الحسين الصّوفي قال: حدثنا أحمد بن محمد بن الحسين العطار بمصر، قال: حدثنا الربيع بن سليمان قال: دخل المزني على الشافعي في مرضه الذي مات فيه، فقال له: كيف أصبحت؟ يا أستاذ. فقال: أصبحت من الدنيا راحلًا، ولإخواني مُفارقًا، ولكأس المنيّة شاربًا، وعلى الله واردًا، ولسوء أعمالي مُلاقيًا. قال: ثم رمى بطرفه نحو السماء واستعبر، ثم أنشأ يقول:

إليــكَ إلهَ الخلْــقِ أرْفعُ رغبتي وإنْ كنتُ يا ذا المَنِّ والجودِ مُجْرِما

ثم ذكر الأبيات المذكورة فوق ....وآخرها:

ولولاكَ ما يَقْوى بإبليسَ عابدٌ فكيف وقد أغوى صَفِيَّكَ آدَما؟

فإن تعْفُ عنّي تعْفُ عن مُتَمَرِّدٍ ظلــومٍ غشــومٍ ما يُزايــل مَأْثَما

وإن تنتقــم منّــي فلســتُ بآيسٍ ولو أُدخِلَتْ نفْسي بجُرمي جَهَنَّما

فَجُرْمِي عظيمٌ مِن قديمٍ وحادثٍ وعفْوُكَ يا ذا العَفْوِ أعْلَى وأجْسَما

(٣) ذكره الغزالي في «الإحياء» (٢: ٢١١)، وروى ابن أبي الدنيا في «القبور» (١١) عن سلمان ابن صالح قال: فُقد الحسنُ ذات يوم، فلما أمسى قال له أصحابه: أين كنت اليوم؟ قال: كنت عند إخوان لي؛ إن نسيت ذكّروني، وإن غبت عنهم لم يغتابوني. فقال له أصحابه: هم الإخوان والله هؤلاء يا أبا سعيد؛ دلنا عليهم! قال: هؤلاء أهل القبور.

(٤) في (ز): فتُكرّرُ.

(٥) صحيح مسلم (٩٧٦) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: زار النبيُّ ﷺ قبر أمّه،=

إنْ شاءَ اللهُ بكُمْ لاحقونَ؛ أسألُ اللهَ لنا ولكُمُ العافيةَ. رواهُ مسلمٌ[١]. ثُمَّ يقرأُ ويدعُو؛ فإنّهُ يَصِلُ إليهم دُعاؤه وصدقتُه.

نَعَمْ؛ وقِسْنا عليهِما قراءتَه مِنْ وُجوهٍ تحسُنُ لِمَن تأمّلها ورجّحَها السُّبكيُّ وغيرُه[٢]، وكُلُّ بدْعَةٍ دخلتْ تحتَ نَدْبِ الشَّرعِ فهيَ في حيِّز المدْحِ؛ إذ ما أرْضى الحبيبَ فعَنْهُ وإنْ لم يقُلْهُ.

فإنْ قيلَ: قراءتُنا ليستْ مِن سعْيِهم؟

قُلْنا: ولا صدقتنا ولا دُعاؤنا[٣].

قيلَ: فيهما دليلٌ.

قُلْنا: لقراءتهِ أدلّةٌ ليسَ هذا مَوضعَ بَسْطِها[٤]. والإشارةُ كافيةٌ.

= فبكى وأبكى من حوله، فقال: «استأذنتُ ربّي في أن أستغفر لها فلم يُؤذن لي، واستأذنتُهُ في أن أزُور قبرها فأُذن لي؛ فزُورُوا القُبُور فإنّها تُذكّرُ الموت».

(١) صحيح مسلم (٩٧٥) من حديث بريدة رضي الله عنه.

(٢) ينظر: «فتاوى السبكي» (المسألة الخمسون: قضاء الأرب في أسئلة حلب). وقال الشيخ الشرواني في «حاشيته على تحفة المحتاج» (٤: ٦٠٥): عند قول ابن حجر: وفي الصلاة قول أنها تُفعل عنه أوصى بها أم لا؛ حكاه العبادي عن الشافعي...إلخ: واختاره ابن دقيق العيد والسبكي ومال إلى ترجيحه ابن أبي عصرون وغيره، ونقل الأذرعي عن «شرح التنبيه» للمحب الطبري أنه يصل للميت ثواب كل عبادة تفعل عنه واجبةً كانت أو متطوعًا عنه انتهى. وكتب الحنفية ناصّة على أن للإنسان أن يجعل ثواب عمله لغيره صلاة أو صومًا أو صدقة. وفي «شرح المختار» لمؤلفه منهم: مذهب أهل السنة والجماعة أن للإنسان أن يجعل ثواب عمله وصلاته لغيره ويصله وعليه؛ فلا يبعد أنه له الصلاة وغيرها عنه، وصح في «البخاري» عن ابن عمر رضي الله تعالى عنهما أنه أمر من ماتت أمها وعليها صلاة أن تُصلّي عنها، والظاهر أنه لا يقوله إلا توقيفًا «إيعاب».

(٣) في (هـ، و): ولا صدقته ولا دعاؤه.

(٤) قال الإمام تقي الدين السبكي رحمه الله: المسألة الرابعة الدعاء، وهو الذي نقوله نحن =

وتأمَّلْ تعذيبَ الميِّتِ تألُّمًا لا عِقابًا بنياحةِ أهلِه عليهِ[١]؛ بدليلِ: ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾ [الأنعام: ١٦٤]، ولِما رُوِيَ: «السَّفَرُ قِطعةٌ مِنَ العَذابِ...» الحديثَ[٢]، وليسَ بعِقابٍ إجماعًا؛ ولهذا أفتى القاضِي أبو يَعْلَى المَوْصِليُّ بتألُّم الموتَى بفواحشِ بعضِ الأحْياءِ، ومَن تألَّم بمعاصِينا ولم نَقصدهُ به جازَ أن ينتفعَ بقراءتنا لهُ؛ فإنَّ اللهَ تعالى يُثيبُ بواسطةٍ وبغيرِ واسطةٍ، والمريضُ في ألَمِه[٣] بمرضهِ بالميّتِ أشبَهُ، وقد شفا اللهُ خلقًا مِنَ السَّلفِ والخلفِ بسماعِ شيءٍ مِنَ القُرآن؛ فجازَ انتفاعُ الميِّت بأنّهُ يسمعُ؛ كما وَرد[٤]، ومِنْ ثَمَّ أخذَ بعضُهم بالنِّيابةِ في الصَّلاةِ عَن ميّتٍ، وبالصَّومِ عَن حيٍّ آيسٍ، وفي «البُخاريِّ» عَن ابنِ عُمرَ رضيَ اللهُ عنهُما الأمرُ بالصَّلاة عَنِ الميِّتِ[٥]، وقوّاهُ الأذرعيُّ قياسًا

= ونختاره، وعليه العمل. والمشهور عن الإمامين: مالك والشافعي عدمُ وصول القرآن إلى الميت، وعن الإمام أبي حنيفة وأحمد وصوله، فإن حمل محل الخلاف على المسألة الأولى اتجه، وكان الثاني جائزًا، مع أن السلف لم يفعلوا ذلك، وإنما كثر في الأعصار المتأخرة، وذلك لا يرد ما اقتضاه الدليل، والتفصيل الذي قدمناه.

وقوله تعالى: ﴿وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ﴾ [النجم: ٣٩] عنه أجوبة، منها: أن إيمانه الذي اكتسبه به مودة القارئ ودعاءه من سعيه، ومنها: أن هذا ليس له، ولكنه شيء أهدي إليه. ينظر: «فتاوى السبكي» (المسألة الخمسون: قضاء الأرب في أسئلة حلب).

(١) روى البخاري (١٢٩٢) عن ابن عمر عن أبيه رضي الله عنهما، عن النبي ﷺ قال: «الميتُ يُعذّبُ في قبره بما نيح عليه».

(٢) رواه البخاري (١٨٠٤)، ومسلم (١٩٢٧) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٣) في (هـ، و): تألمه.

(٤) روى مسلم (٢٨٧٣) من حديث أنس رضي الله عنه يوم بدر، وفيه: قال رسول الله ﷺ: «ما أنتُم بأسمع لما أقُولُ منهُم، غير أنّهُم لا يستطيعُون أن يرُدُّوا عليّ شيئًا». وروى البخاري (١٣٣٨)، ومسلم (٢٨٧٠) عن أنس رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: «إنّ العبد إذا وُضع في قبره، وتولّى عنهُ أصحابُهُ، إنّهُ ليسمعُ قرع نعالهم».

(٥) صحيح البخاري باب من مات وعليه نذر، تعليقًا، أمر ابن عمر امرأة، جعلت أمها على=

على الحجِّ[١]، ورُئِيَ كثيرٌ من الموتى وأخبروا بنَفْعِهم بالقُرآنِ[٢].

ومعنى الموتِ: بقاءُ الرُّوحِ مجرَّدةً عن البدنِ في عالمٍ آخرَ، وبه تتمُّ نعمةُ اللهِ تعالى[٣]، ويُكشفُ للميِّت ما يَضُرُّه وينفعُهُ، وكُلَّما نظرَ سيِّئةً تحسَّرَ، الآلامُ تهجمُ على العُصاةِ قبْلَ دفنِهم، وبعدَه تُردُّ الرُّوحُ لنوعٍ آخرَ، وتظاهرتِ الأدلةُ على بقاءِ الرُّوحِ مُجرّدةً مُعذَّبةً أو مُنعَّمةً.

ورُوِيَ: «القَبْرُ رَوضَةٌ مِنْ رِياضِ الجَنَّةِ أو حُفْرَةٌ مِنْ حُفَرِ النَّارِ»[٤].

ورُوِيَ: «إذا أصابَهُ ما يَكْرَهُ ناداهُ جِيرانُهُ مِنَ المَوتَى: أيُّها المُتَخَلِّفُ في الدُّنيا

= نفسها صلاة بقباء، فقال: «صلّي عنها». وقال ابن عباس نحوه. ينظر: «تغليق التعليق» (٥: ٢٠٣).

(١) قوت المحتاج في شرح المنهاج (١: ٥٣٦).
فإنه قال رحمه الله: وفي «صحيح البخاري» في باب من مات وعليه نذر: أن ابن عمر أمر من ماتت أمها وعليها صلاة أن تصلي عنها، والظاهر أنه لا يقوله إلا توفيقًا.
والأذرعي هو أحمد بن حمدان شهاب الدين أبو العباس الإمام العلامة، صاحب التصانيف المشهورة شيخ البلاد الشمالية وفقيه تلك الناحية ومفتيها والمشار إليه بالعلم فيها، مولده سنة ثمان وسبعمئة، أقبل على الاشتغال والتدريس والتصنيف والكتابة والفتوى ونفع الناس وحصل له كتب كثيرة لقلة الطلاب هناك، لا يوازيه أحد من المتأخرين في كثرة النقل، وكتب على المنهاج «القوت» في عشر مجلدات، و«الغنية»، و«التوسط والفتح بين الروضة والشرح» في نحو عشرين مجلدًا، و«التنبيهات على أوهام المهمات» في نحو ثلاثة مجلدات وصل فيه إلى الطلاق، توفي سنة ثلاث وثمانين وسبعمئة بحلب. «طبقات الشافعية» لابن قاضي شهبة (٣: ١٤١-١٤٣).

(٢) ينظر كُتيبنا المسمى: «مُوجباتُ الغفران ومُدخلاتُ الجنان»؛ ففيه باب كامل: فيمن رُئي بعد موته وأخبر بغفران ذنوبه بسبب القرآن وغيره من الأعمال الصالحة.

(٣) في (و): وبه تتم نعمه محب الله تعالى. وفي (هـ): وبه تتم نعمه بمحب الله تعالى.

(٤) رواه الترمذي (٢٤٦٠) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

بَعْدَ إخْوانهِ أما كانَ لكَ في تَقْدِمَتِنا[١] إيّاكَ عِبْرةٌ؟ أما رأيتَ انقطاعَ أعْمالِنا وأنتَ في المُهْلةِ؟ فهلّا اسْتَدْرَكْتَ ما فاتَ إخوانَكَ»[٢].

قيلَ: يومانِ وليلتانِ لم يَسمعِ الخلائقُ بمثلِهما: ليلةٌ يبيتُ مع أهلِ القُبورِ ولم يبتْ قبلَها، وليلةٌ صَبيحتُها يومُ القيامةِ، ويومٌ يأتيهِ البشيرُ مِنَ اللهِ سبحانَه وتعالى إمّا بالجنّةِ وإمّا بالنّار، ويومٌ يُعطَى كتابَه إمّا بيمينِه وإمّا بشمالِه[٣].

وثبتَ عذابُ القَبْرِ، وفي «الصَّحيحينِ»: «إنّهُم يُعَذَّبُونَ عذابًا تَسْمَعُهُ البَهائِمُ...» الحديثَ[٤].

وفيهما: «خَرَجَ رَسُولُ اللهِ ﷺ بَعْدَما غَرَبَتِ الشَّمْسُ فَسَمِعَ صَوتًا، فقالَ: يَهُودُ تُعَذَّبُ في قُبورِها»[٥].

وفيهما: «إنَّ العَبْدَ إذا وُضِعَ في قَبْرِهِ وَتَوَلَّى عَنْهُ أصْحابُهُ حَتَّى إنَّهُ لَيَسْمَعُ قَرْعَ نِعالِهِمْ أتاهُ مَلَكانِ، فَيُقْعِدانِهِ فَيَقُولانِ: ما كُنْتَ تَقُولُ في هذا الرَّجُلِ لِمُحَمَّدٍ ﷺ؟ فَأمّا المُؤْمِنُ فَيَقُولُ: أشْهَدُ أنّهُ عَبْدُ اللهِ وَرَسُولُه، فَيَقُولانِ: انظُرْ إلى مَقْعَدِكَ مِنَ النّارِ بَدَّلَكَ اللهُ بِهِ مَقْعَدًا في الجَنَّةِ، فَيَراهُما جَمِيعًا، وأمّا الكافِرُ -أوِ المُنافِقُ أوِ المُرْتابُ-[٦] فَيُقالُ: ما كُنْتَ تَقُولُ في هَذا الرَّجُلِ؟ فَيَقُولُ: لا أدْرِي؛ كُنْتُ أقُولُ

---

(١) في (ب، هـ، د، و): تقدمنا.

(٢) رواه ابن أبي الدنيا في «القبور» كما في «شرح الصدور» للسيوطي (ص١٢٠) من قول محمد ابن صبيح رحمه الله.

(٣) رواه ابن أبي الدنيا في «الأهوال» (١٤) من قول الحسن البصري رحمه الله.

(٤) صحيح البخاري (٦٣٦٦)، صحيح مسلم (٥٨٦) من حديث السيدة عائشة رضي الله عنها.

(٥) صحيح البخاري (١٣٧٥)، صحيح مسلم (٢٨٦٩) من حديث أبي أيوب الأنصاري رضي الله عنه.

(٦) في (ب): الكافر والمنافق. وفي (ج): وأمّا الكافرُ أو المُنافقُ.

كَما يَقُولُ النّاسُ، فَيُقالُ لَهُ: لا دَرَيتَ وَلا تَلَيتَ، ثُمَّ يُضْرَبُ بِمِطْراقٍ مِنْ حَدِيدٍ ضَرْبَةً بَينَ أُذُنَيهِ، فَيَصِيحُ صَيْحَةً يَسْمَعُها مَنْ يَلِيهِ غَيرَ الثَّقَلَينِ»[١].

وفيهما: «أوحَى اللهُ إلَيَّ ـ أو كَما قالَ ﷺ ـ: إنَّكُمْ تُفْتَنُونَ في قُبورِكُمْ مِثْلَ ـ أو قالَ: قَرِيبًا ـ مِنْ فِتْنَةِ المَسِيحِ الدَّجّالِ، فَيُقالُ: ما عِلْمُكَ بِهَذا الرَّجُلِ؟...»، وذَكرَ باقِي الحديث[٢].

وصحَّ: «ما مِنْ أحَدٍ مِنَ النّاسِ إلّا وَلَهُ ضَغْطَةُ القَبْرِ»[٣].

وأفْرَدَ مسلمٌ رحمهُ اللهُ تعالى: «لَولا أنْ لا تَدافَنُوا لَدَعُوتُ اللهَ أنْ يُسْمِعَكُمْ عَذابَ القَبْرِ»[٤]؛ فالعَجَبُ مِنْ غَفْلَتِنا.

ولمّا كانتِ الحقائقُ مُنكشفةً لهُ ﷺ كان في الدُّنيا كعابرِ سبيلٍ؛ لم يضعْ لبنةً على لبنةٍ، ولم يُخلّفْ دينارًا ولا درهمًا[٥]، وقالَ اللهُ تعالى: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ﴾ [آل عمران: ٣١].

---

(١) صحيح البخاري (١٣٣٨)، صحيح مسلم (٢٨٧٠) من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه.

(٢) صحيح البخاري (٨٦)، صحيح مسلم (٩٠٥) من حديث السيدة عائشة رضي الله عنها.

(٣) رواه ابن حبان في «صحيحه» (٣١١٢) من حديث السيدة عائشة رضي الله عنها.

(٤) صحيح مسلم (٢٨٦٨) من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه. وفيه: «من عذاب».

(٥) روى الطبراني في «الأوسط» (٣٢٤١)، وأبو نعيم في «الحلية» (١: ٩) عن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: «من سأل عنّي ـ أو سرّهُ أن ينظُر إليّ ـ فلينظُر إلى أشعث، شاحبٍ، مُشمّرٍ، لم يضع لبنةً على لبنةٍ، ولا قصبةً على قصبةٍ، رُفع لهُ علمٌ فشمّر إليه، اليوم المضمارُ، وغدًا السّباقُ، والغايةُ الجنّةُ والنّارُ».

وروى البيهقي في «شعب الإيمان» (١٠٧٢٦) أن عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه كان لا يبني ويقول: سُنّة رسول الله ﷺ خرج من الدنيا لم يضع لبنة على لبنة ولا قصبة على قصبة. =

وسُئِلَ بعضُهم في المنامِ؟ فقال: ما رأيتُ هناكَ ـ يعني: الجنّة ـ أرْفَعَ مِنْ درجةِ العُلماءِ، ثُمَّ درجةِ المحزونينَ[١].

وسُئِلَتْ حُورِيّةٌ عن مَهْرِها؟ فقالت: حَبْسُ نَفْسِك عنْ مألُوفاتِها[٢].

ثُمَّ تفكّرْ نفْخةَ الصُّورِ، فتثورُ الموتى دُفعةً واحدةً؛ قال الله تعالى: ﴿فَإِذَا هُم مِّنَ ٱلْأَجْدَاثِ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يَنسِلُونَ﴾ [يس: ٥١][٣]؛ ﴿كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُّنتَشِرٌ ۝ مُّهْطِعِينَ إِلَى ٱلدَّاعِ﴾ [القمر: ٧-٨]، الآياتِ.

ثُمَّ تفكّرْ حَشْرَ الجِنِّ والإنسِ والطَّيرِ والهوامِّ والوُحُوشِ ذَليلَةً خاضِعَةً والمتجبّرُونَ[٤] كالذَّرِّ يطؤهُم النَّاسُ، وازْدِحامَ الخلائقِ، وقُربَ الشّمسِ منهُم وعَرقَهُم وشِدَّةَ الأهوالِ، وفي «الصَّحيحينِ»: «إنّكُمْ تُحْشَرُونَ يَومَ القِيامَةِ

= وروى البخاري (٢٧٣٩) عن عمرو بن الحارث ختن رسول الله ﷺ أخي جويرية بنت الحارث، قال: ما ترك رسول الله ﷺ عند موته درهمًا ولا دينارًا ولا عبدًا ولا أمةً ولا شيئًا، إلّا بغلته البيضاء، وسلاحه وأرضًا جعلها صدقة.

وروى الترمذي (٢٣٧٧) عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: نام رسول الله ﷺ على حصير فقام وقد أثر في جنبه، فقلنا: يا رسول الله، لو اتخذنا لك وطاء، فقال: «ما لي وللدنيا؟ ما أنا في الدُّنيا إلّا كراكبٍ استظلّ تحت شجرةٍ ثُمّ راح وتركها».

(١) أوردها ابن حبان في «الثقات» (٩: ٢٧٣) في ترجمة زيد بن سعيد أبو عبد الله الساجي من رؤساء المتعبّدين، قال: رأيت الأوزاعي في منامي، فقلت: يا أبا عمرو، دلّني على أمر ما أتقرب به إلى الله؟ قال: ما رأيت هناك درجة أرفع من درجة العلماء. قلت: ثم من بعدها؟ قال: درجة المحزونين.

(٢) ينظر «التذكرة» للإمام القرطبي رحمه الله (ص٥٥٦) ففيه قصص وحكايات عن السلف الصالح، ساقها في باب ما جاء أن الأعمال الصالحة مهور الحور العين.

(٣) وفي (أ): ﴿فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ﴾ [الزمر: ٦٨]، ﴿مِّنَ ٱلْأَجْدَاثِ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يَنسِلُونَ﴾.

(٤) في (ب): المتكبرون.

حُفاةً عُراةً غُرلًا، أيْ: غيرَ مَخْتُونينَ»[١].

وفيهما: «وَيَلْجُمُهُمُ العَرَقُ حَتَّى يَبْلُغَ آذانَهُمْ»[٢].

وفيهما: ﴿يَوْمَ يَقُومُ ٱلنَّاسُ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [المطففين: ٦] قال: «يوم يقومُ أحدُهُمْ في رَشْحِهِ إلى أنْصافِ أُذُنَيهِ»[٣].

وأفردَ مُسلمٌ رحمهُ اللهُ تعالى: «إذا كانَ يومُ القِيامَةِ أُدْنِيَتِ الشَّمْسُ مِنَ العِبادِ حَتَّى تَكُونَ قَدْرَ مِيلٍ أو مِيلَينِ، فَتَضْرِبُهُمُ الشَّمْسُ فَيَكُونُونَ في العَرَقِ بِقَدْرِ أعْمالِهِمْ: مِنْهُمْ مَنْ يَأْخُذُهُ العَرقُ إلَى عَقِبَيهِ، ومِنْهُمْ مَنْ يَأْخُذُهُ إلى رُكْبَتَيهِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَأْخُذُهُ إلى حَقْوَيهِ، ومِنْهُمْ مَنْ يُلْجِمُهُ إلجامًا»[٤].

قال الحسنُ رضيَ اللهُ عنهُ: ما ظنُّكم بيومٍ قاموا على أقدامِهِم خَمْسِينَ ألفَ سَنَةٍ لم يأكُلوا ولم يَشْرَبُوا حتّى انقَطَعَتْ أعْناقُهم عَطَشًا، واحْترقَتْ أجْوافُهُم جُوعًا، ثُمَّ انصُرِفَ بهم إلى النّارِ، فَسُقُوا مِنْ عَينٍ آنِيةٍ - أي: مُتَناهِيَةٍ في الحرارةِ - أُوقِدَتْ عليها جهنَّمُ منْذُ خُلِقتْ[٥].

تَفكَّرْ طولَ اليومِ وأهوالَه، تَصْبرُ عَن هَواكَ لمولاكَ، يُهَوِّنُه عليكَ بقَدْرِ صلاةِ

---

(١) صحيح البخاري (٤٧٤٠)، صحيح مسلم (٢٨٦٠) من حديث عبد الله بن عباس رضي الله عنهما.

(٢) صحيح البخاري (٦٥٣٢)، صحيح مسلم (٢٨٦٣) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٣) صحيح البخاري (٤٩٣٨)، صحيح مسلم (٢٨٦٢) من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما.

(٤) صحيح مسلم (٢٨٦٤) من حديث المقداد بن الأسود رضي الله عنه.

وحقويه: بفتح الحاء وكسرها، وهما معقد الإزار، والمراد هنا ما يحاذي ذلك الموضع من جنبيه.

(٥) آداب النفوس للمحاسبي (ص١٦٠).

مكتوبَةٍ، ويَرويكَ مِن حَوضِ المصطفى ﷺ بِشَرْبةٍ لا تَظمأُ بعدَها أبدًا.

ثُمَّ تفكّرْ سُؤالَ ربِّكَ لكَ بغَيرِ واسِطَةٍ وقولَ الملائكةِ: يا فُلانُ قُمْ؛ فترعُدُ فرائصُكَ وتضطربُ جَوارِحُكَ وتتمنّى حملَكَ إلى جهنّمَ ولا تُعرَضُ قبائحُكَ على ربِّكَ تعالى، ثُمَّ يُؤتَى بجهنَّمَ فتزْفرُ فتَجْثُو النَّاسُ على رُكَبِهم، وقولُ كُلٍّ: نَفْسِي نَفْسِي، وتبلغُ القلوبُ الحناجرَ وتذْهَلُ العُقولُ؛ فبأيِّ قَدَمٍ تَقِفُ بين يدي اللهِ[1] سبحانَه وتعالى؟ وبأيِّ لِسانٍ تُخاطِبُه؟ وماذا تَقُولُ إذا قال: أما اسْتَحْيَيتَ مِنِّي؟ أظنَنْتَ أنِّي لا أراكَ[2]؟

ثُمَّ تفكَّر في الميزانِ؛ قالَ اللهُ تعالى: ﴿وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ [الأنبياء: ٤٧]؛ منْ لا سيّئةَ لَهُ فلهُ الجنّةُ، أو لا حَسنةَ له فالنّارُ، أو خَلطَ فالعَدْلُ بالميزانِ، وقد يُوزنُ مَنْ لا سَيئَةَ لهُ ليظْهَر فضلُه، ومَنْ لا حَسَنةَ لهُ ليظهرَ خُسْرانُه، ورضا الخُصُومِ في الدُّنيا سَلامَةٌ، وإلّا إنْ سلمَتْ حَسَناتكَ مِنَ الآفاتِ أخذَها الخُصومُ.

وتفكّر في الصِّراطِ ودقّتهِ وجهنَّمُ تحتَه. وأفردَ مسلمٌ رحمَه اللهُ تعالى: «تُرْسَلُ الأمانةُ والرَّحِمُ فيَقُومانِ جَنْبَتي[3] الصِّراطِ يَمِينًا وشِمالًا، فَيمُرُّ أوَّلُكُمْ كالبَرْقِ، ثُمَّ كَمَرِّ الرِّيحِ، ثُمَّ كَمَرِّ الطَّيرِ وَشَدِّ الرِّجالِ؛ تَجْري بِهِمْ أعْمالُهُمْ وَنَبِيُّكُمْ ﷺ قائِمٌ عَلى الصِّراطِ يَقُولُ: رَبِّ سَلِّمْ، ربِّ سَلِّمْ، حَتَّى يَجِيءُ الرَّجُلُ فَلا يَسْتَطِيعُ السَّيرَ إلَّا زَحْفًا، قالَ: وَفِي حافَتَي الصِّراطِ كَلالِيبُ مُعَلَّقَةٌ، مَأْمُورَةٌ بِأخذِ مَنْ أُمِرَتْ بِهِ؛ فَمَخْدُوشٌ ناجٍ وَمَخْدُوشٌ في النّارِ»[4].

---

(١) في (ب، ج): يديه.
(٢) في (هـ، و): لم أرك.
(٣) في (ز): جنبي.
(٤) صحيح مسلم (٥٠٣) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه. وقال آخره: والّذي نفسُ أبي هُريرة بيده إنّ قعر جهنّم لسبعون خريفًا.

تنبيه :

إذا صحَّ مَن يمرُّ مِن الأُمَّةِ على الصِّراطِ كالطَّيرِ فَأَدْنَى صَحابيٍّ أولَى بذلكَ، فما الظَّنُّ بعبدِ الرَّحمنِ بنِ عوفٍ؛ إذ هوَ مِن أكابرِ الصَّحابةِ رَضيَ اللهُ عنهُم؟ وما نُقِلَ غيرَ ذلكَ فغيرُ صَحيحٍ؛ فافْهَمْ[١].

---

(١) هذا التنبيه مثبتٌ من (أ، د).

وهو يشير إلى حديث أحمد عن السيدة عائشة رضي الله عنها قالت: سمعت رسول الله ﷺ، يقول: قد رأيت عبد الرحمن بن عوف يدخل الجنة حبوًا، فبلغ ذلك عبد الرحمن ابن عوف، فقال: إن استطعت لأدخلنها قائمًا، فجعلها بأقتابها وأحمالها في سبيل الله عز وجل.

قال الحافظ ابن حجر في «تعجيل المنفعة في رجال الأربعة»: ليس في المسند حديث لا أصل له إلا ثلاثة أحاديث أو أربعة، منها: حديث عبد الرحمن بن عوف أنه يدخل الجنة زحفًا. قال: والاعتذار عنه أنه مما أمر أحمد بالضرب عليه فترك سهوًا.

وأورد الإمام ابن الجوزي هذا الحديث في «الموضوعات» (١ : ٣٢٧)، وقال: قال أحمد: هذا الحديث كذب منكر، قال: وعمارة يروي أحاديث مناكير.

ثم قال ابن الجوزي رحمه الله: وبمثل هذا الحديث الباطل يتعلق جهلة المتزهدين، ويرون أن المال مانع من السبق إلى الخير، ويقولون: إذا كان ابن عوف يدخل الجنة زحفًا لأجل ماله كفى ذلك في ذم المال، والحديث لا يصح، وحوشي عبد الرحمن المشهود له بالجنة أن يمنعه ماله من السبق، لأن جمع المال مباح، وإنما المذموم كسبه من غير وجهه، ومنع الحق الواجب فيه، وعبد الرحمن ينزه عن الحالين، وقد خلف طلحة ثلاثمئة حمل من الذهب وخلف الزبير وغيره، ولو علموا أن ذلك مذموم لأخرجوا الكل، وكم قاصٍّ يتشوّق بمثل هذا الحديث الباطل يحثُّ على الفقر ويذم الغنى! فلله درُّ العُلماء الذين يعرفون الصحيح، ويفهمون الأصول.

وقال الحافظ المنذري رحمه الله في «الترغيب والترهيب» (٤: ٤١- ٤٢): وقد ورد من غير ما وجه ومن حديث جماعة من الصحابة عن النبي ﷺ أن عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه يدخل الجنة حبوًا لكثرة ماله. ولا يسلم أجودها من مقال، ولا يبلغ شيء =

فانْتَبِه بخوفٍ يمنعُ المعاصي ولا تقنعْ ببُكاءٍ ونحوِه، واجتهدْ كُلَّ الجُهْدِ على تَقْوِيَةِ محبَّةِ اللهِ تعالى ورسولِه بما ذكرْناهُ في بابِها؛ لتُرْحَمَ بشفاعةِ المحْبُوبِ وَورُود جهنّمَ، والنّجاةُ بعدُ لمن اتَّقَى، وأفْرَدَ مُسلمٌ رحمةُ اللهُ تعالى: «فَسَمِعْنا وَجْبَةً، فَقالَ: أَتَدْرُونَ ما هَذا؟ قُلْنا: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قالَ: هَذا حَجَرٌ أُرْسِلَ في جَهَنَّمَ مُنْذُ سَبْعِينَ خَرِيفًا فالآنَ انْتَهَى إلى قَعْرِها»[1].

وأفْرَدَ أيضًا: «يُؤْتَى بِجَهَنَّمَ يومَئِذٍ لَها سَبْعُونَ ألفَ زِمامٍ مَعَ كُلِّ زِمامٍ سَبْعُونَ ألفَ مَلَكٍ يَجُرُّونَها»[2].

وصِفةُ الجنَّةِ في «الصَّحيحينِ»: «جَنَّاتُ الفِرْدَوسِ أَرْبَعٌ: ثِنْتانِ مِنْ ذَهَبٍ؛ حُلِيُّهُما وَآنِيتُهُما وَما فِيهِما، وَثِنْتانِ مِنْ فِضَّةٍ؛ آنِيتُهُما وَحُلِيُّهُما وَما فِيهِما، وَلَيسَ بَين القَومِ وَبَين أنْ يَنْظُرُوا إلَى رَبِّهِمْ عَزَّ وَجَلَّ إلّا رِداءُ الكِبْرِياءِ عَلى وَجْهِهِ في جَنَّةِ عَدْنٍ»[3].

وفيهما: «إنَّ في الجَنَّةِ لَخَيمَةً مِنْ دُرَّةٍ، عَرْضُها سِتُّونَ مِيلًا، في كُلِّ زاوِيَةٍ

= منها بانفراده درجة الحسن، ولقد كان ماله بالصفة التي ذكر رسول الله ﷺ: «نعم المالُ الصّالحُ للرّجُل الصّالح»! فأنى تنقص درجاته في الآخرة أو يقصر به دون غيره من أغنياء هذه الأمة؟ فإنه لم يرد هذا في حق غيره، إنما صح سبق فقراء هذه الأمة أغنياءهم على الإطلاق، والله أعلم.

(١) صحيح مسلم (٢٨٤٤) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.
وفي (أ، ج، د): (قاعها) بدل: (قعرها). والمثبت من (ب، هـ، ز)، ولفظ مسلم.

(٢) صحيح مسلم (٢٨٤٢) من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه.

(٣) صحيح البخاري (٤٨٧٨)، وصحيح مسلم (٤٨٧٨)، لكن ليس فيهما لفظ: «جنّاتُ الفردوس أربعٌ»، وبهذا اللفظ رواه أبو نعيم في «صفة الجنة» (٧٨١)، والدارمي في «السنن» (٢٨٢٢)، وعبد بن حميد (٥٤٥) من حديث أبي بكر بن عبد الله بن قيس عن أبيه.

مِنْها أهْلٌ، ما[1] يَرونَ الآخَرِينَ، يَطُوفُ عَلَيهِمُ المُؤْمِنُ»[2].

وفيهما: «إنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ قالَ: أعْدَدْتُ لِعِبادِيَ الصّالِحِينَ ما لا عَينٌ رَأتْ، وَلا أُذُنٌ سَمِعَتْ، وَلا خَطَرَ عَلى قَلْبِ بَشَرٍ»[3].

وفِيهما: «أوَّلُ زُمْرَةٍ تَلِجُ الجَنَّةَ صُوَرُهُمْ عَلى صُورَةِ القَمَرِ لَيلَةَ البَدْرِ؛ لا يَبْصُقُونَ فِيها وَلا يَمْتَخِطُونَ وَلا يَتَغَوَّطُونَ، آنِيَتُهُمْ فِيها الذَّهَبُ، أمْشاطُهُمْ مِنَ الذَّهَبِ والفِضَّةِ، وَمَجامِرُهُم الألُوَّةُ ـ وَهِيَ العُودُ ـ وَرَشْحُهُمُ المِسْكُ، وَلِكُلِّ واحِدٍ مِنْهُم زَوجَتانِ؛ يُرَى مُخُّ سُوقِهِما مِنْ وَراءِ اللَّحْمِ مِنَ الحُسْنِ، لا اخْتِلافَ وَلا تَباغُضَ بَينَ قُلُوبِهِمْ، يُسَبِّحُونَ اللهَ بُكْرَةً وَعَشِيًّا»[4].

تنبيه :

قِلَّةُ نساءِ الجنّةِ لكثرتِهنّ في النّار كما صَحَّ: «واطَّلَعْتُ عَلَى النّارِ فَوَجَدتُ أكْثَرَ أهْلِها النِّساءَ»[5]. فَعَوَّضَ عَنهُنّ تعالى بالحُورِ[6].

---

(١) في (هـ، و): لا.

(٢) صحيح البخاري (٤٨٧٩)، وصحيح مسلم (٢٨٣٨) من حديث أبي بكر بن عبد الله بن قيس عن أبيه.

(٣) صحيح البخاري (٣٥٤٤)، ومسلم (٢٨٢٤) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٤) صحيح البخاري (٣٢٤٥)، ومسلم (٢٨٣٤) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه. و(مجامرهم) جمع مجمرة، وهي المبخرة؛ سميت بذلك لأنها يوضع فيها الجمر ليفوح به ما يوضع فيها من البخور. و(الألوة) العود الهندي الذي يتبخر به. و(رشحهم) عرقهم كالمسك في طيب رائحته. و(مخ سوقها) ما داخل العظم من الساق.

(٥) رواه البخاري (٥١٩٨) من حديث عمران بن حصين رضي الله عنه، ومسلم (٢٧٣٧) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما.

(٦) التنبيه مثبتٌ من (أ، د) فقط.

وفيهما: «ثُمَّ أُدْخِلْتُ الجَنَّةَ فَإذا فِيها جَنابِذُ اللُّؤْلُؤِ، وإذا تُرابُها المِسْكُ»[١].

وفيهما: «إنَّ أهْلَ الجَنَّةِ يَتَراءَونَ أهْلَ الغُرَفِ مِنْ فَوقِهِمْ كَما تَتَراءَونَ الكَوكَبَ الدُّرِّيَّ الغابِرَ في الأُفُقِ مِنَ المَشْرِقِ والمَغْرِبِ؛ لِتَفاضُلِ ما بَينَهُمْ»[٢]. الغابرُ: الباقي[٣].

وفيهما: «إنَّ في الجَنَّةِ شَجَرةً يَسِيرُ الراكِبُ في ظِلِّها مِئَةَ عامٍ لا يَقْطَعُها»[٤].

تنبيه :

منهُم مَنْ يُحْمَلُ إلى قَصْرِه وإلى ما يَشْتَهِيهِ، أو يُحملُ إليه والباقي ليسَ كذلكَ؛ فالأوَّلُ لتعدِّي نَفْعِه[٥].

وذَكرَ تعالى نعيمَها بمواضعَ؛ فمِن أجمَعها: ﴿وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ ٱلْأَنفُسُ وَتَلَذُّ ٱلْأَعْيُنُ﴾ [الزخرف: ٧١].

وقولُه: ﴿لَا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلًا﴾ [الكهف: ١٠٨]. وقولُه: ﴿أُولَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ﴾ [الأنعام: ٨٢]؛ فهذهِ جَمعَتْ كُلَّ نعيمٍ، ثُمَّ زادَ على الكُلِّ قولُه تعالى: ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ﴾ [السجدة: ١٧].

---

(١) صحيح البخاري (٣٤٩)، ومسلم (١٦٣) من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه. وجنابذ: هي القباب، واحدتها: جنبذة.

(٢) صحيح البخاري (٣٢٥٦)، ومسلم (٢٨٣١) من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.

(٣) في (ب، ز) قوله: (الغابر) في الحديث غير مثبتة، وكذا شرحها.

(٤) صحيح البخاري (٤٨٨١)، ومسلم (٢٨٢٦) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه. وتمام الحديث: «واقرؤوا إن شئتم ﴿وَظِلٍّ مَّمْدُودٍ﴾ [الواقعة: ٣٠]».

(٥) التنبيه مثبتٌ من (أ، د) فقط.

وأفضلُها رؤيةُ اللهِ تعالى؛ نَطقَ الكتابُ والسنَّةُ برؤيتهِ تعالى، وجَوَّزَهُ العقلُ، والموجودُ يُمكنُ رُؤيتُه، وسَألَها نبيٌّ معصومٌ لعلمِه بها، ومَن نسبَه لجهْلٍ بما يَعْتَقِدُ كفرَ، ونَفْيُ رؤيَتِه لا ينفِي رُؤية غيرِه، ولَم يَقُلْ: لَنْ أُرَى، وَلا يتأخَّرُ بيانٌ عَن وقتِ الحاجةِ، وعلَّقها تعالى على رُؤيةِ الجبلِ، فأمكنَ لا على مُستحيلٍ؛ كدُخُول الجَمَلِ في سَمِّ الخِياط، ولم يُعاتِبْهُ على سُؤالِها بقولِه: ﴿إِنِّيٓ أَعِظُكَ﴾ [هود: ٤٦]، وقولِه: ﴿أَلَمۡ أَنۡهَكُمَا﴾ [الأعراف: ٢٢]، بل هنا أشدُّ؛ فعلَّقها على جائزٍ، ولمّا تجلى للجبلِ ظهرَ لهُ خلق فيهِ حياةٌ ورؤيةٌ، ولا يُحملُ تجلّيهِ على غيرِ هذا الوجهِ وهو نصٌّ في الرُّؤيةِ، ولا يُفهمُ مِن صفاتِه تعالى ما يُفهَمُ مِن خلقِه، وقولُه: ﴿إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٞ﴾ [القيامة: ٢٣]؛ أي: ببصرها، وهي غيرُ الإدراكِ إحاطةً؛ كنَفْيِ إحاطتنا به تعالى عِلْمًا لا ينفي عِلمَنا ورؤيتنا تعالى له، ولا تمدُّح في عدمِ إدراكِ ما لا يُرى، وكيفَ يُدرَكُ ما لا يُرى إنّما التمدُّحُ بعدمِ الإدْراكِ مع تحقُّقِ الرُّؤْيةِ؛ لتقدُّسهِ عَنْ حَدٍّ وتناهٍ ورؤيةِ أنواعِ ألوانٍ وحركاتٍ وسكونٍ ونحوِها يُبطلُ دعوى الرؤية للجسمِ فقط؛ إذ لا جوهريّةَ فيها ولا لونَ لحركةٍ وسكونٍ، وأثْبَتَها الشَّرعُ في الآخرة؛ فعُلمَ ما هوَ في غيرِ جهةٍ، يُرى في غيرِ جهةٍ؛ لأنّهُ تعالى يرانا مِن غَير مُقابلةٍ ولا اتِّصالِ شُعاعٍ ومسافةٍ ونحوِها، ورُؤيتُهُ تعالى لا تُشبَّه بالمرئياتِ؛ كعِلْمنا به تعالى لا يُشبَّه له بالمعلوماتِ فبطَلَ ما ادَّعوهُ؛ فافهمْ[1].

وفي «الصَّحِيحينِ»: «قِيلَ: يا رَسُولَ اللهِ: هَلْ نَرَى رَبَّنا؟ فَقالَ: هَلْ تُضارُّونَ في الشَّمْسِ لَيسَ دُونَها حِجابٌ؟! فَقالُوا: لا، قالَ: فَإِنَّكُمْ تَرَونَهُ يَومَ القِيامَةِ كَذَلِكَ»[2].

---

(١) من قوله: (نطق الكتابُ والسنّةُ...) إلى هنا مثبت من (أ، ز).

(٢) صحيح البخاري (٦٥٧٣)، ومسلم (١٨٢) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه. =

وفيهما: «إِنَّكُمْ سَتَرَونَ رَبَّكُمْ عَزَّ وَجَلَّ كَما تَرَونَ القَمَرَ لا تُضارُّونَ في رُؤْيَتِهِ»[1].

❊ ❊ ❊

= و(تضارون) روي بتشديد الراء وبتخفيفها والتاء مضمومة فيهما، ومعنى المشدد: هل تضارون غيركم في حالة الرؤية بزحمة أو مخالفة في الرؤية أو غيرها لخفائه كما تفعلون أول ليلة من الشهر. ومعنى المخفّف: هل يلحقكم في رؤيته ضير وهو الضرر.

(١) صحيح البخاري (٧٤٣٤)، ومسلم (٦٣٣) من حديث جرير بن عبد الله البجلي رضي الله عنه.

[خاتمة الكتاب بذكر رحمة الملك الوهاب]

ثُمَّ نَخْتِمُ الكِتابَ بِذْكِرِ شَيءٍ[1] مِنْ رَحْمَةِ اللهِ تَعالى لِلرَّجاءِ.

قالَ اللهُ تعالى: ﴿قُلْ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ...﴾ الآيةَ [الزمر: ٥٣]، ﴿ وَمَن يَعْمَلْ سُوٓءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُۥ...﴾ الآيةَ [النساء: ١١٠].

نعمْ لبعضِهمْ: أرْجَى آيةٍ: ﴿ قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَىٰ شَاكِلَتِهِۦ﴾ [الإسراء: ٨٤]، تَضَمَّنتْ ما لا يتناهى مع المغفرةِ، وهو تعالى أهْلُ كُلِّ جميلٍ[2][3].

---

(١) في (ب، ج): (بشيء) بدل (بذكر شيء).

(٢) في هامش (ز) حاشية: فائدة: ذكر الثعالبيُّ [«الجواهر الحسان في تفسير القرآن» (٥: ٦٠٦)] في تفسير سورة التين عند قوله تعالى: ﴿ ثُمَّ رَدَدْنَٰهُ أَسْفَلَ سَٰفِلِينَ﴾ [التين: ٥] في الحديث عن أنسٍ رضي الله عنهُ قال: قال رسولُ الله ﷺ: «إذا بلغ المؤمنُ أربعين سنةً عافاهُ اللهُ من البلايا الثلاث؛ من البرص والجذام والجُنون، فإذا بلغ خمسين سنةً خفّف اللهُ حسابهُ، فإذا بلغ ستّين سنةً رزقهُ اللهُ الإنابة، فإذا بلغ سبعين سنةً أحبّهُ أهلُ السّماء، فإذا بلغ ثمانين سنةً كُتبت حسناتُه وتجاوز اللهُ عن سيئاته، فإذا بلغ تسعين سنةً غُفرت ذنُوبُه وشفع في أهل بيته وكان أسير الله في أرضه، فإذا بلغ مئةً ولم يعمل شيئًا كُتب لهُ مثلُ ما كان يعملُ في صحّته ولم تُكتب عليه سيئة»، وفي حديثٍ: «إنّ المؤمن إذا رُدّ إلى أرذل العُمر كُتب لهُ خيرُ ما كان يعملُ في قوّته». وذلك أجرٌ غيرُ ممنونٍ. انتهى. فسبحان من لهُ الغنى المطلق والكرم المحقّق.

(٣) نسب هذا القول لسيدنا أبي بكر الصديق رضي الله عنه؛ ففي «الجامع لأحكام القرآن» للإمام القرطبي (١٠: ٣٢٢-٣٢٣): وحكي أنّ الصّحابة رضوان الله عليهم تذاكروا القُرآن فقال أبو بكر الصديق رضي الله عنه: قرأتُ القرآن من أوله إلى آخره فلم أر فيه آيةً أرجى وأحسن من قوله تبارك وتعالى: ﴿ قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَىٰ شَاكِلَتِهِۦ﴾؛ فإنه لا يشاكل بالعبد =

ونحوُه: ﴿لَا يَصْلَىٰهَآ إِلَّا ٱلْأَشْقَى...﴾الآيَةَ [الليل: ١٥] أخرجتْ كُلَّ مُؤمنٍ ولو عَصَى[١].

وصحّ عنهُ ﷺ: «لمّا قَضَى اللهُ عَزّ وَجَلَّ الخَلْقَ كَتَبَ في كِتابٍ فَهُوَ عِنْدَهُ فَوقَ العَرْشِ: إنَّ رَحْمَتِي سَبَقَتْ غَضَبِي»[٢].

وقولُه: «إنَّ اللهَ عزَّ وجلَّ خَلَقَ الرَّحْمَةَ يوم خَلَقَها مِئَةَ رَحْمَةٍ؛ فَأَمْسَكَ عِنْدَهُ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ رَحْمَةً وأرْسَلَ في خَلْقِهِ كُلِّهِمْ رَحْمَةً واحِدَةً، وَلَو يَعْلَمُ الكافِرُ بِكُلِّ الذي عِنْدَ اللهِ مِن الرَّحْمَةِ لَمْ يَيأسْ مِنَ الجَنَّةِ، وَلَو يَعْلَمُ المُؤْمِنُ بِكُلِّ الذِي عِنْدَ اللهِ مِنَ العَذابِ لَمْ يَأْمَنْ مِنَ النَّارِ»[٣].

وقولُه: «للهِ عَزّ وَجَلَّ مِئَةُ رَحْمَةٍ أَنْزَلَ مِنْها رَحْمَةً واحِدَةً بَينَ الإنْسِ والجِنِّ

= إلا العصيان ولا يشاكل بالرب إلا الغفران. وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: قرأت القرآن من أوله إلى آخره فلم أر فيه آية أرجى وأحسن من قوله تعالى: ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ * حمٓ * تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ * غَافِرِ ٱلذَّنۢبِ وَقَابِلِ ٱلتَّوْبِ شَدِيدِ ٱلْعِقَابِ ذِى ٱلطَّوْلِ﴾، قدم غفران الذنوب على قبول التوبة، وفي هذا إشارة للمؤمنين. وقال عثمان ابن عفان رضي الله عنه: قرأت جميع القرآن من أوله إلى آخره فلم أر آية أحسن وأرجى من قوله تعالى: ﴿نَبِّئْ عِبَادِىٓ أَنِّىٓ أَنَا ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾. وقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه: قرأت القرآن من أوله إلى آخره فلم أر آية أحسن وأرجى من قوله تعالى: ﴿قُلْ يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾. قلت ـ القرطبي ـ: وقرأت القرآن من أوله إلى آخره فلم أر آية أحسن وأرجى من قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَمْ يَلْبِسُوٓا۟ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ﴾. وذكر الإمام السيوطي رحمه الله خمسة عشر وجهًا في أرجى آية في كتاب الله تعالى. ينظر: «الإتقان في علوم القرآن» للسيوطي (٤: ١٥١).

(١) قوله: (أخرجت كُلّ مؤمنٍ ولو عصى) مثبت من (ز).

(٢) رواه البخاري (٣١٩٤)، ومسلم (٢٧٥١) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٣) رواه البخاري (٦٤٦٩) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

والهَوامِّ؛ فَبِها يَتَعاطَفُونَ وَبِها يَتَراحَمُونَ، وَبِها تَعْطِفُ الوَحْشُ عَلَى أولادِها، وأخَّرَ تِسْعًا[١] وَتِسْعِينَ رَحْمَةً إلى يَومِ القِيامَةِ يَرْحَمُ بِها عِبادَهُ»[٢].

وقولُه: «إنَّ ربَّكُمْ تَبارَكَ وَتَعالَى رَحِيمٌ؛ مَنْ[٣] هَمَّ بِحَسَنَةٍ فَلَمْ يَعْمَلْها كُتِبَتْ لَهُ حَسَنَةٌ؛ فَإنْ عَمِلَها كُتِبَتْ لَهُ عَشْرًا إلَى سَبْعِمِئَةِ ضِعْفٍ إلى أضْعافٍ كَثِيرَةٍ، وَمَنْ هَمَّ بِسَيِّئَةٍ فَلَمْ يَعْمَلْها كُتِبَتْ لَهُ حَسَنَةٌ، فَإنْ عَمِلَها كُتِبَتْ عَلَيهِ واحدةٌ أو يَمْحُوَها اللهُ... الحديثَ، وَلا يَهْلِكُ عَلَى اللهِ إلَّا هالِكٌ»[٤].

وقولُه: «يَقُولُ اللهُ عَزَّ وجَلَّ: مَنْ عَمِلَ حَسَنَةً فَلَهُ عَشْرُ أمْثالِها أو أزيدُ، ومَنْ عَمِلَ سَيِّئَةً فَجَزاؤهُ مِثْلُها أو أغْفِرُ، وَمَنْ أتَى[٥] بِقُرابِ الأرْضِ خَطِيئَةً ثُمَّ لَقِيَنِي لا يُشْرِكُ بِي شيئًا جَعَلْتُ لَهُ مِثْلَها مَغْفِرَةً، ومَنِ اقْتَرَبَ إلَيَّ شِبْرًا اقْتَرَبْتُ إلَيهِ ذِراعًا،

---

(١) في (هـ، و): تسعة.

(٢) رواه مسلم (٢٧٥٢) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٣) في (هـ، و): ومن.

(٤) رواه البخاري (٦٤٩١)، ومسلم (٢٠٨: ١٣١) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما.
وقولُه: «إنّ ربّكُم تبارك وتعالى رحيمٌ»، في أول الحديث هي من رواية النسائي في «الكبرى» (٧٦٧٠).
وقوله: (ولا يهلك على الله إلا هالك) قال القاضي عياض رحمه الله: معناه من حتم هلاكه وسدت عليه أبواب الهدى مع سعة رحمة الله تعالى وكرمه وجعله السيئة حسنة إذا لم يعملها وإذا عملها واحدة، والحسنة إذا لم يعملها واحدة وإذا عملها عشرًا إلى سبعمئة ضعف إلى أضعاف كثيرة؛ فمن حرم هذه السعة وفاته هذا الفضل وكثرت سيئاته حتى غلبت مع أنها أفراد حسناته متضاعفة فهو الهالك المحروم؛ والله أعلم. وأعظم بمضمون هذا الحديث من منة؛ إذ لولاه لما دخل أحد الجنة لغلبة السيئات على الحسنات؛ قاله الحافظ المناوي رحمه الله في «فيض القدير» (٢: ٣١٣).

(٥) في (هـ، و): عمل.

ومَنِ اقْتَرَبَ إليَّ ذراعًا اقتربتُ إليهِ باعًا، ومَنْ أتانِي يَمْشِي أَتَيْتُهُ هَرْوَلَةً»[١].

وقولُه: «أترونَ هَذِهِ المَرْأَةَ طارِحَةً وَلَدَها في النَّارِ؟» قُلْنا: لا واللهِ، قالَ: «اللهُ أرْحَمُ بِعبادِهِ مِنْ هَذِهِ المَرْأةِ بِوَلَدِها»[٢].

وقولُه: «ما مِنْ عَبْدٍ قالَ: لا إلهَ إلّا اللهُ، ثُمَّ ماتَ على ذلِكَ إلّا دَخَلَ الجنَّةَ»[٣].

وقولُه: «إنَّ اللهَ حَرَّمَ النّارَ عَلى مَنْ قالَ: لا إلَهَ إلَّا اللهُ يَبْتَغِي بِذَلِكَ وَجْهَ اللهِ»[٤].

وقولُه: «يَخْرُجُ مِنَ النّارِ مَنْ قالَ: لا إلَهَ إلَّا اللهُ وكانَ في قَلْبِهِ مِنَ الخَيرِ ما يَزِنُ شَعِيرَةً...» الحديثَ[٥].

وقولُه: «إذا فَرَغَ اللهُ تَعالَى مِنَ القَضاءِ بَينَ العِبادِ، وأرادَ أنْ يُخْرِجَ مِنَ النّارِ مَنْ أرادَ أنْ يَرْحَمَ مِمَنْ كانَ يَشْهدُ أنَّ لا إلهَ إلَّا اللهُ؛ أَمَرَ المَلائِكَةَ يُخْرِجُونَهُم

---

(١) رواه مسلم (٢٦٨٧) من حديث أبي ذرٍّ رضي الله عنه.

قال الإمام النووي رحمه الله: هذا الحديث من أحاديث الصفات، ويستحيلُ إرادة ظاهره، ومعناهُ: من تقرب إليّ بطاعتي تقربتُ إليه برحمتي والتوفيق والإعانة، وإن زاد زدتُ؛ فإن أتاني يمشي وأسرع في طاعتي أتيته هرولة؛ أي: صببتُ عليه الرحمة وسبقته بها ولم أُحوجه إلى المشي الكثير في الوصول إلى المقصود، والمرادُ: أن جزاءه يكونُ تضعيفه على حسب تقربه. «شرح النووي على صحيح مسلم» (١٧: ٣-٤).

(٢) رواه البخاري (٥٩٩٩)، ومسلم (٢٧٥٤) من حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

(٣) رواه البخاري (٥٨٢٧)، ومسلم (٩٤) من حديث أبي ذرٍّ رضي الله عنه، وتمام الحديث: قُلتُ: وإن زنى وإن سرق؟! قال: «وإن زنى وإن سرق». قُلتُ: وإن زنى وإن سرق؟! قال: «وإن زنى وإن سرق». قُلتُ: وإن زنى وإن سرق؟! قال: «وإن زنى وإن سرق؛ على رغم أنف أبي ذرٍّ». وكان أبُو ذرٍّ إذا حدّث بهذا قال: وإن رغم أنفُ أبي ذرٍّ. قال أبو عبد الله: هذا عند الموت أو قبلهُ إذا تاب وندم وقال: لا إله إلّا اللهُ. غُفر لهُ.

(٤) رواه البخاري (٤٢٥)، ومسلم (٣٣) من حديث عتبان بن مالك رضي الله عنه.

(٥) رواه البخاري (٤٤)، ومسلم (١٣٩) من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه.

فَيَعْرِفُونَهُمْ بِعَلامَةِ السُّجُودِ، وَحَرَّمَ اللهُ تَعالى عَلَى النّارِ أنْ تَأْكُلَ مِنِ ابْنِ آدَمَ أثَرَ السُّجُودِ، فيُخْرِجُونَهُمْ قَدِ[1] امْتُحِشُوا، فَيُصَبُّ عَلَيهِمْ مِنْ ماءٍ يُقالُ لهُ: ماءُ الحَياةِ؛ فَيَنْبُتُونَ نَباتَ الحِبَّةِ في حَمِيلِ السَّيلِ...» الحديثَ[2].

هذهِ الأحاديثُ كُلُّها صِحاحٌ، واقتصرْنا على بَعْضِ ما صحَّ؛ لأنّها أُمورٌ يجبُ الإيمانُ بها، وَمنِ الّذي يُدْرِكُ ما عندَ اللهِ؟ فَنسألُ اللهَ البرَّ الرّحِيمَ أنْ يَجْعَلَنا ومشايخَنا وأصْحابَنا وأحْبابَنا بأوفَرِ نصيبٍ مِن رَحْمَتِه وبَركتِه تعالى في الأُمورِ كُلِّها؛ إنَّهُ برٌّ رحيمٌ واسعٌ لا يَتعاظَمُه شيءٌ، وأسألُ اللهَ تباركَ وتعالى سَعادةَ الدّارَينِ بلا مِحْنَةٍ لنا، ولِمَنْ عَثرَ في هذا الكتابِ على خَلَلٍ فأصْلَحَهُ بِشَرْطِهِ، وتَعاونوا على البرِّ والتَّقْوى[3]، وحَسْبُنا اللهُ ونِعْمَ الوكيلُ، ولا حولَ ولا قُوَّةَ إلّا باللهِ العليِّ العظيمِ العزيزِ الحكيمِ، والحمدُ للهِ ربِّ العالمينَ، وصلّى اللهُ على سيِّدنا ومولانا محمَّدٍ وعلى آلهِ وأصحابِه وسلَّم تسلِيمًا[4].

❊ ❊ ❊

---

(١) في (هـ، و): وقد. وهي لفظ مسلم.

(٢) رواه البخاري (٨٠٦)، ومسلم (١٨٢) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه. وامتشحوا: من المحش، وهو احتراق الجلد وظهور العظم. وحميل السيل: ما يحمله ويجيء به السيل من طين ونحوه؛ فإنه إذا جاءت فيه حبة واستقرت على شط مجرى السيل نبتت في يوم وليلة؛ فشبه بها سرعة عود أبدانهم وأجسامهم إليهم بعد إحراق النار لها.

(٣) في (هـ): فأصلحهُ بشرط تعاونٍ على البرّ والتّقوى.

(٤) اختلفت الخاتمة في النسخ ببعض زيادة ونقص، وقد لفّقتُ بينها في الخاتمة؛ نسألُ الله حُسن الخاتمة.

جاء في هامش (د): (بلغ مقابلةً على نسخةٍ قُرئت وقوبلت على مصنّفه مرارًا رضي الله عنه، وخطُّهُ عليها، والحمدُ لله وحدهُ وصلّى الله على سيّدنا محمّدٍ وآله وصحبه وسلّم، وذلك في نهار الخميس ثاني شهر شوال المبارك سنة سبعٍ وثمان مئة). =

آخرُ الكتابِ، والحمدُ للهِ ربِّ العالَمِينَ، وصلَّى اللهُ على سيِّدنا محمَّدٍ وعلى آلِهِ وصَحْبِه وذُرِّيَّتِه وأهلِ بيتِه أجمعينَ.

وكانَ الفَراغُ من تعليقِ هذا المُباركِ يومَ الاثنينِ من شهر ذي قَعْدةٍ حِرام، سنةَ تسعٍ وثلاثينَ وثمانمئةٍ على يدِ العبدِ الفقيرِ الحقيرِ المُعترفِ بالذنب والتَّقصيرِ الرّاجي عفوَ ربِّه اللَّطيفِ الخبيرِ يحيى ابن أبي بكرٍ الخَيريّ الشّافعِي عفا اللهُ عنهُ وغفَر لمنْ يدعو لهُ بالتَّوبةِ والمغفرةِ.

علقتْ برسمِ العبدِ الصّالح العالم الفاضلِ الشَّيخِ شمس الدِّين محمَّد بن المرحوم ناصر أعزَّهُ اللهُ تعالى ونفعه اللهُ بالعلمِ والعملِ، وأعانَهُ على العَملِ بشرائعِ أنبيائهِ، ونفعَ به خالِصَ أصْفِيائهِ؛ إنّهُ على كُلِّ شيءٍ قديرٌ وبالإجابةِ جديرٌ، والحمدُ للهِ وصلَّى اللهُ على محمَّدٍ[1].

= وفي هامش (هـ): (بلغ مقابلةً حسب الطاقة والإمكان، والحمدُ لله أولًا وآخرًا، وظاهرًا وباطنًا على كل حال).
وفي هامش (و): (بلغ مقابلةً).
وفي هامش (ز): (بلغ مقابلةً على الأصل المنقول منه؛ فصح ولله الحمد والمنة.
ثم بلغ على نسخة للعهود ... فيها قوبلت على المؤلف رحمه الله وجزاه خيرًا، يسأل الله التوفيق للعمل بما حرر فيها من المعاملات؛ إنه جواد كريم رؤوف رحيم، وله الحمد والمنة، وصلى الله على محمد وآله وصحبه وسلم).

(١) خاتمة النسخة (ج): انتهى والحمد لله رب العالمين، وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليمًا، فاتح أربع وتسعين وتسعمئة....
خاتمة النسخة (د): تمّ الكتاب بحمد الله تعالى وعونه وحسن توفيقه، والحمدُ لله ربّ العالمين، وصلاته على سيّدنا محمّدٍ وآله وصحبه وسلّم تسليمًا كثيرًا إلى يوم الدين، ورضي الله عن أصحاب رسول الله أجمعين وعن التابعين لهم بإحسانٍ إلى يوم الدّين، آمين آمين.
خاتمة النسخة (هـ): وكان الفراغُ من تحصيله قُبيل العصر يوم الأحد الخامس عشر من شهر رمضان سنة سبعٍ وألفٍ من الهجرة النبوية على صاحبها أفضل الصّلاة والسّلام. =

= خاتمة النسخة (و): وكان الفراغُ من تحصيله وقت الضحى يوم السبت الخامس والعشرون من ذي الحجة الحرام، سنة خمسٍ وألفٍ من الهجرة النبوية على صاحبها أفضل الصّلاة والسّلام، والحمدُ لله رب العالمين، وصلّى الله تعالى على محمّدٍ وآله وصحبه وسلّم.
خاتمة النسخة (ز): تمّ الكتابُ بحمد الله وعونه في الثامن عشر من صفر سنة ثمانٍ وثمانمئة، الحمدُ لله وحده وصلّى الله على سيّدنا محمّد وآله وصحبه وسلّم تسليمًا.

ختام التحقيق

وقد تمَّ الانتهاء من تحقيقِ هذا الكتاب النافع بعونه تعالى ومدده ضحى يوم السبت الخامس من شهر رمضان المكرم المبارك سنة اثنتين وأربعين وأربعمئة بعد الألف من هجرة سيد البشرية ﷺ، وقد بذلت الجهد وصرفت الوسع في مقابلته وتصحيحه وتحقيقه مع كثرة الأشغال وانشغال البال، والبُعد عن الوطن والأهل والخلّان، وضيق الوقت وتوالي الهموم، وترادف القواطع، وتتابع الموانع، سائلًا المولى الجليل أن أكون قد وُفّقتُ لإخراج هذا الكتاب على النحوِ الذي أراده مؤلّفهُ رحمه الله، وعندما شارفت على الانتهاء مِن خدمةِ هذا الكتابِ وتمَّ الإعلانُ عنهُ رأيتُ في الرُّؤيا كأنّي على شفيرِ قبرِ أرقي ميتًا وأضعُ الزهورَ حول قبره، وإذ بالميت تُبثُّ فيه الروح ويستيقظ ويخرج من قبره؛ فعبرتها بإحياء هذا الكتاب وإحياء ذكر مؤلفه رحمه الله. هذا وللمؤلف عدة كتب لم تنشر بعد، وهذا أولها؛ سائلًا المولى أن يكرمني بخدمة بقية مصنفاته بمنه وكرمه.

وأتضرع إلى الله سبحانه وتعالى وأسأله أن ينفع به كما نفع بأصله الخاص والعام، وأن يجعل هذا العمل سببًا من أسباب إحياء هذه الأمة وبثّ روح الحياة لتحيا من جديد وتنفض عنها غبار الخنوع والذل والاستسلام والتبعية، ويكونَ منهجًا لإحياء العلوم والطرق المنهجية والعلمية والسلوكية والأخلاقية والتربوية، وأن يكون هذا العمل خالصًا لوجهه الكريم وسببًا للفوز بجنات النعيم، وأن يتفضل علينا بالسّعادة التي لا يلحقها زوال، وأن يُذيقنا لذة الوصال بمشاهدة الكبير المتعال، والصّلاة والسّلامُ على الواسطة العُظمى لنا في كل نعمة، وعلى آله وأصحابه كلّما ذكره الذاكرونَ وغفلَ عن ذكرهِ الغافلونَ، رب اغفر لي ولوالدي وأولادي ومشايخي وإخواني ولمن علمني وأحبني ولمن قرأ هذا الكتاب ونشره وكان سببًا في إحيائه، وللمؤمنين والمؤمنات الأحياء منهم والأموات، وآخرُ دعوانا أن الحمدُ لله ربّ العالمين.

يـا ربِّ، إنّي ضعيفٌ ... وفيكَ أحسـنتُ ظنّي
فـلا تُخيِّـب رجائي ... وعافنـي واعفُ عنّي

فهرس المصادر والمراجع

- **الابتهاج في شرح المنهاج**، الإمام تقي الدين علي بن عبد الكافي السبكي الشافعي المتوفى (سنة: ٧٥٦هـ) قسم كتاب الصلاة إلى باب صلاة النفل، رسالة دكتوراة، عبد المجيد بن محمد ابن عبد الله السبيل، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، جامعة أم القرى، سنة ١٤٣١هـ.
- **الابتهاج في شرح المنهاج**، الإمام تقي الدين علي بن عبد الكافي السبكي الشافعي المتوفى (سنة: ٧٥٦هـ) قسم كتاب الصيام إلى كتاب الاعتكاف، رسالة ماجستير، جبر ابن عطية بن فرج البجالي، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، جامعة أم القرى، سنة ١٤٣١هـ.
- **الابتهاج في شرح المنهاج**، شيخ الإسلام تقي الدين علي بن عبد الكافي السبكي الشافعي المتوفى سنة (٧٥٦هـ) كتاب الحج، رسالة دكتوراة، عوض بن حسين الشهري، إشراف د. عبد الله الغامدي، جامعة أم القرى، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، ١٤٢٩هـ ـ ١٤٣٠هـ.
- **إتحاف السادة المتقين، بشرح إحياء علوم الدين**، العلامة السيد محمد بن محمد مرتضى الزبيدي المتوفى سنة (١٢٠٥هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت ـ لبنان.
- **إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر**، أحمد بن محمد بن أحمد بن عبد الغني الدمياطي، شهاب الدين الشهير بالبناء (ت ١١١٧هـ)، ت: أنس مهرة، دار الكتب العلمية، بيروت ـ لبنان، ط ٣، ٢٠٠٦م ـ ١٤٢٧هـ.
- **الإتقان في علوم القرآن**، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي، ت: محمد أبو الفضل إبراهيم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٣٩٤هـ ـ ١٩٧٤م.
- **الإجماع**، أبو بكر محمد بن إبراهيم بن المنذر النيسابوري (ت ٣١٩هـ)، ت: أبو حماد صغير ابن أحمد بن محمد بن حنيف، مكتبة الفرقان (عجمان)، مكتبة مكة الثقافية (رأس الخيمة)، ط٢، ١٩٩٩م.
- **الأجوبة المرضية فيما سئل السخاوي عنه من الأحاديث النبوية**، شمس الدين أبو الخير محمد ابن عبد الرحمن بن محمد بن أبي بكر بن عثمان بن محمد السخاوي، ت: د. محمد إسحاق محمد إبراهيم، دار الراية للنشر والتوزيع، ط١، ١٤١٨هـ.

ـ **الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان**، محمد بن حبان بن أحمد بن حبان بن معاذ بن معبد، التميمي، أبو حاتم، الدارمي، البستي، الأمير علاء الدين علي بن بلبان الفارسي، ت: شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤٠٨هـ ـ ١٩٨٨م.
ـ **إحياء علوم الدين**، أبو حامد محمد بن محمد الغزالي، دار المعرفة، بيروت.
ـ **أخبار مكة وما جاء فيها من الآثار**، أبو الوليد محمد بن عبد الله بن أحمد الأزرقي، ت: علي عمر، مكتبة الثقافة الدينية، ط١.
ـ **آداب النفوس**، الإمام أبو عبد الله الحارث بن أسد المحاسبي المتوفى سنة (٢٤٣هـ)، ت: عبد القادر أحمد عطا، ط٢، ١٤٠٠هـ ـ ١٩٩١م، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت لبنان.
ـ **الأذكار، «حلية الأبرار وشعار الأخيار في تلخيص الدعوات والأذكار المستحبة في الليل والنهار»**، أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي (ت ٦٧٦هـ)، دار المنهاج، جدة، ط١، ١٤٢٥هـ ـ ٢٠٠٥م.
ـ **الأربعين في تصحيح المعاملة**، أبو القاسم عبد الكريم بن هوازن القشيري (ت ٤٦٥هـ)، ت: محمد السيد البرسيجي، دار الفتح، عمان ـ الأردن، ط١، ١٤٣٤هـ ـ ٢٠١٣م.
ـ **إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري**، أحمد بن محمد بن أبى بكر بن عبد الملك القسطلاني القتيبي المصري، أبو العباس، شهاب الدين، المطبعة الكبرى الأميرية، مصر، ط٧، ١٣٢٣هـ.
ـ **إرغام أولياء الشيطان بذكر مناقب أولياء الرحمن (الطبقات الصغرى)**، زين الدين محمد عبد الرؤوف المناوي المتوفى سنة (١٠٣١هـ)، ت: محمد أديب الجادر، ط١، ١٩٩٩م، دار صادر، بيروت لبنان.
ـ **أسد الغابة في معرفة الصحابة**، أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم ابن عبد الواحد الشيباني الجزري، عز الدين بن الأثير، ت: علي محمد معوض ـ عادل أحمد عبد الموجود، دار الكتب العلمية، ط١، ١٤١٥هـ ـ ١٩٩٤م.
ـ **اعتلال القلوب للخرائطي**، أبو بكر محمد بن جعفر بن محمد بن سهل بن شاكر الخرائطي السامري (ت ٣٢٧هـ)، ت: حمدي الدمرداش، نزار مصطفى الباز، مكة المكرمة ـ الرياض، ط٢، ١٤٢١هـ ـ ٢٠٠٠م.
ـ **الأعلام**، خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس الزركلي الدمشقي (ت ١٣٩٦هـ)، دار العلم للملايين، بيروت ـ لبنان، ط١٥، ٢٠٠٢م.

- **أمالي ابن الشجري**: أبو السعادات هبة الله بن علي المعروف بابن الشجري، تحقيق: الدكتور محمود محمد الطناحي، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط١، ١٤١٣هـ - ١٩٩١م.
- **الإمام في معرفة أحاديث الأحكام**، الإمام تقي الدين ابن دقيق العيد المتوفى سنة (٧٠٢هـ) ت: سعد بن عبد الله آل حميد، دار المحقق، السعودية - الرياض، ط١، ١٤٢٠هـ.
- **الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر**، أبو بكر أحمد بن محمد بن هارون بن يزيد الخلال البغدادي الحنبلي، ت: الدكتور يحيى مراد، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ط١، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م.
- **إنباء الغمر بأبناء العمر**، أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني (ت ٨٥٢هـ)، ت: د حسن حبشي، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية - لجنة إحياء التراث الإسلامي، مصر، سنة ١٣٨٩هـ - ١٩٦٩م.
- **الانتقاء في فضائل الثلاثة الأئمة الفقهاء مالك والشافعي وأبي حنيفة رضي الله عنهم**، أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر بن عاصم النمري القرطبي (ت ٤٦٣هـ)، دار الكتب العلمية - بيروت.
- **الأهوال**، أبو بكر عبد الله بن محمد بن عبيد بن سفيان بن قيس البغدادي الأموي القرشي المعروف بابن أبي الدنيا (ت ٢٨١هـ)، ت: مجدي فتحي السيد، مكتبة آل ياسر - مصر، ١٤١٣هـ.
- **البحر الرائق شرح كنز الدقائق**، زين الدين بن إبراهيم بن محمد، المعروف بابن نجيم المصري، دار الكتاب الإسلامي.
- **بحر الفوائد المشهور بمعاني الأخبار**، أبو بكر محمد بن أبي إسحاق بن إبراهيم بن يعقوب الكلاباذي البخاري الحنفي، ت:محمد حسن محمد حسن إسماعيل، أحمد فريد المزيدي، دار الكتب العلمية - بيروت، لبنان، ط١، ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م.
- **البحر المحيط في التفسير**، أبو حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أثير الدين الأندلسي، ت: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، وعلي محمد معوض، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م.
- **البخلاء للخطيب البغدادي**، أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت بن أحمد بن مهدي (ت ٤٦٣هـ)، ت: بسام عبد الوهاب الجابي، الجفان والجابي، دار ابن حزم، ط١، ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م.

- **بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز**، مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادى (ت ٨١٧هـ)، ت: محمد علي النجار، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية - لجنة إحياء التراث الإسلامي، القاهرة، جـ ١، ٢، ٣: ١٤١٦هـ - ١٩٩٦م، جـ ٤، ٥: ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م، جـ ٦: ١٣٩٣هـ - ١٩٧٣م.

- **البيان في مذهب الإمام الشافعي**، أبو الحسين يحيى بن أبي الخير بن سالم العمراني اليمني الشافعي (ت ٥٥٨هـ)، ت: قاسم محمد النوري، دار المنهاج - جدة، ط١، ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م.

- **تاريخ أصبهان = أخبار أصبهان**، أبو نعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق بن موسى ابن مهران الأصبهاني، ت: سيد كسروي حسن، دار الكتب العلمية - بيروت، ط١، ١٤١٠هـ - ١٩٩٠م.

- **تاريخ بغداد**، أحمد بن علي أبو بكر الخطيب البغدادي، دار الكتب العلمية، بيروت.

- **تاريخ دمشق**، أبو القاسم علي بن الحسن ابن عساكر، تحقيق: عمرو بن غرامة العمروي، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ١٤١٥هـ، ١٩٩٥م.

- **تحفة المحتاج في شرح المنهاج**، أحمد بن محمد بن علي ابن حجر الهيتمي، المكتبة التجارية الكبرى بمصر، ١٣٥٧هـ - ١٩٨٣م.

- **تخريج أحاديث إحياء علوم الدين**، العراقي (٧٢٥- ٨٠٦هـ)، ابن السبكى (٧٢٧- ٧٧١هـ)، الزبيدي (١١٤٥-١٢٠٥هـ)، جمع: أبي عبد الله محمود بن محمّد الحدّاد، دار العاصمة للنشر - الرياض، ط١، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٧م.

- **تدريب الراوي في شرح تقريب النواوي**، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي، ت: أبو قتيبة نظر محمد الفاريابي، دار طيبة، الرياض.

- **التدريب في الفقه الشافعي**، المسمى بـ «تدريب المبتدي وتهذيب المنتهي»، ومعه «تتمة التدريب» لعلم الدين صالح ابن الشيخ سراج الدين البلقيني رحمه الله، سراج الدين أبي حفص عمر بن رسلان البلقيني الشافعي، ت: أبو يعقوب نشأت بن كمال المصري، دار القبلتين، الرياض - المملكة العربية السعودية، ط١، ١٤٣٣هـ - ٢٠١٢م.

- **التذكرة الحمدونية**، محمد بن الحسن بن محمد بن علي بن حمدون، أبو المعالي، بهاء الدين البغدادي، دار صادر، بيروت، ط١، ١٤١٧هـ.

- **التذكرة بأحوال الموتى وأمور الآخرة**، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي (ت ٦٧١هـ)، ت: الدكتور: الصادق ابن محمد بن إبراهيم، مكتبة دار المنهاج للنشر والتوزيع، الرياض، ط١، ١٤٢٥هـ.

- **الترغيب في فضائل الأعمال وثواب ذلك**، أبو حفص عمر بن أحمد بن عثمان بن أحمد ابن محمد بن أيوب بن أزداذ البغدادي المعروف بابن شاهين، ت: محمد حسن محمد حسن إسماعيل، دار الكتب العلمية، بيروت ـ لبنان، ط١، ١٤٢٤هـ ـ ٢٠٠٤م.

- **الترغيب والترهيب**، إسماعيل بن محمد بن الفضل بن علي القرشي الطليحي التيمي الأصبهاني، أبو القاسم، الملقب بقوام السنة، ت: أيمن بن صالح بن شعبان، دار الحديث، القاهرة، ط١، ١٤١٤هـ ـ ١٩٩٣م.

- **الترغيب والترهيب**، عبد العظيم بن عبد القوي بن عبد الله، أبو محمد، زكي الدين المنذري، ت: إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية ـ بيروت، ط١، ١٤١٧هـ.

- **التعرف لمذهب أهل التصوف**، أبو بكر محمد بن أبي إسحاق بن إبراهيم بن يعقوب الكلاباذي البخاري الحنفي، دار الكتب العلمية ـ بيروت.

- **تغليق التعليق على صحيح البخاري**، أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني، ت: سعيد عبد الرحمن موسى القزقي، المكتب الإسلامي، دار عمار ـ بيروت، عمان ـ الأردن، ط١، ١٤٠٥هـ.

- **التقريب والتيسير لمعرفة سنن البشير النذير في أصول الحديث**، أبو زكريا محيي الدين يحيى ابن شرف النووي (ت ٦٧٦هـ)، ت: محمد عثمان الخشت، دار الكتاب العربي، بيروت، ط١، ١٤٠٥هـ ـ ١٩٨٥م.

- **التلخيص الحبير في تخريج أحاديث الرافعي الكبير**، أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد ابن أحمد بن حجر العسقلاني، دار الكتب العلمية،ط١، ١٤١٩هـ ـ ١٩٨٩م.

- **تهذيب الأسماء واللغات**، أبو زكريا يحيى بن شرف النووي، ت: عبده كوشك، دار الفيحاء، دمشق، ط١، ١٤٢٧هـ.

- **تهذيب الكمال في أسماء الرجال**، جمال الدين المزي، ت: د. بشار عواد معروف، مؤسسة الرسالة ـ بيروت، ط١، ١٤١٨هـ.

- **توضيح المشتبه في ضبط أسماء الرواة وأنسابهم وألقابهم وكناهم**، محمد بن عبد الله (أبي بكر) بن محمد ابن أحمد بن مجاهد القيسي الدمشقي الشافعي، شمس الدين، الشهير بابن ناصر الدين (ت ٨٤٢هـ)، ت: محمد نعيم عرقسوسي، مؤسسة الرسالة - بيروت، ط١، ١٩٩٣م.

- **الثقات**، محمد بن حبان بن أحمد بن حبان بن معاذ بن معبد التميمي، أبو حاتم، الدارمي، البستي (ت ٣٥٤هـ)، وزارة المعارف للحكومة العالية الهندية، الدكتور محمد عبد المعيد خان مدير دائرة المعارف العثمانية، دائرة المعارف العثمانية بحيدر آباد الدكن الهند، ط١، ١٣٩٣هـ - ١٩٧٣م.

- **جامع الشروح والحواشي**، عبد الله محمد الحبشي، هيئة أبو ظبي للثقافة والتراث، المجمع الثقافي، الإمارات العربية المتحدة أبو ظبي، ط٢، ١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م.

- **جامع بيان العلم وفضله**، عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر بن عاصم النمري القرطبي، ت: أبو الأشبال الزهيري، دار ابن الجوزي، المملكة العربية السعودية، ط١، ١٤١٤هـ - ١٩٩٤م.

- **الجامع لأحكام القرآن**، أبو عبد الله محمد بن أحمد القرطبي، ت: جماعة من المحققين، مؤسسة الرسالة - بيروت، ط١، ١٤٢٧هـ.

- **الجامع**، معمر بن أبي عمرو راشد الأزدي مولاهم، أبو عروة البصري، ت: حبيب الرحمن الأعظمي، المجلس العلمي بباكستان، وتوزيع المكتب الإسلامي ببيروت، ط٢، ١٤٠٣هـ.

- **جمهرة نسب قريش وأخبارها**، الزبير بن بكار بن عبد الله القرشي الأسدي المكي (ت ٢٥٦هـ)، ت: محمود محمد شاكر، مطبعة المدني، ط١، ١٣٨١هـ.

- **حاشية الصاوي على تفسير الجلالين**، العلامة أحمد بن محمد الصاوي المتوفى سنة (١٢٤١هـ)، ت: محمد عبد السلام شاهين، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان - ط٤، ١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦.

- **الحاوي الكبير في فقه مذهب الإمام الشافعي وهو شرح مختصر المزني**، أبو الحسن علي ابن محمد بن محمد بن حبيب البصري البغدادي، الشهير بالماوردي، ت: الشيخ علي محمد معوض والشيخ عادل أحمد عبد الموجود، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ط١، ١٤١٩هـ - ١٩٩٩م.

- **الحاوي للفتاوى**، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي، دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت - لبنان، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٤م.

- **حسن الظن بالله**، أبو بكر عبد الله بن محمد بن عبيد بن سفيان بن قيس البغدادي الأموي القرشي المعروف بابن أبي الدنيا (ت ٢٨١هـ)، ت: مخلص محمد، دار طيبة - الرياض، ط١، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م.

- **حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة**، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (ت ٩١١هـ)، ت: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية - عيسى البابي الحلبي وشركاه - مصر، ط١، ١٣٨٧هـ - ١٩٦٧م.

- **الحلم**، أبو بكر عبد الله بن محمد بن عبيد بن سفيان بن قيس البغدادي الأموي القرشي المعروف بابن أبي الدنيا (ت ٢٨١هـ)، ت: محمد عبد القادر أحمد عطا، مؤسسة الكتب الثقافية - بيروت، ط١، ١٤١٣هـ.

- **حلية الأولياء وطبقات الأصفياء**، أبو نعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق بن موسى ابن مهران الأصبهاني، دار الكتاب العربي - بيروت.

- **الخصال المكفرة للذنوب المقدمة والمؤخرة**، أحمد بن علي بن محمد الكناني العسقلاني، أبو الفضل، شهاب الدين، ت: عمرو عبد المنعم سليم، دار ماجد عسيري، ط١، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م.

- **الدرر الكامنة في أعيان المئة الثامنة**، أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد ابن حجر العسقلاني (ت ٨٥٢هـ)، ت: محمد عبد المعيد ضان، مجلس دائرة المعارف العثمانية - حيدر آباد - الهند، ط٢، ١٣٩٢هـ - ١٩٧٢م.

- **الدعاء**، سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي، أبو القاسم الطبراني، ت: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية - بيروت، ط١، ١٤١٣هـ.

- **دلائل النبوة**، أبو بكر البيهقي، ت: د. عبد المعطي قلعجي، دار الكتب العلمية - بيروت، ودار الريان للتراث، ط١، ١٤٠٨هـ.

- **الدليل الشافي على المنهل الصافي**، يوسف بن تغري بردي بن عبد الله الظاهري الحنفي، أبو المحاسن، جمال الدين (ت ٨٧٤هـ)، ت: فهيم محمد شلتوت، مكتبة الخانجي مصر القاهرة.

- **ديوان ابن الفارض** (ت ٦٣٢هـ)، اعتنى به مهدي محمد ناصر الدين، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، ١٤١٠هـ - ١٩٩٠م.

- **ديوان أبي الطيب المتنبي**، دار بيروت للطباعة والنشر، ط١ - ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م.

- **ديوان الإمام الشافعي رحمه الله**، اعتنى به عبد الرحمن المصطاوي، ط٦، دار المعرفة، بيروت - لبنان، ١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م.
- **ديوان الحسن بن دريد الأزدي** (ت ٣٢١هـ)، ط١، مؤسسة سلطان بن علي العويس الثقافية، ٢٠١٢م.
- **ذم الهوى**، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (ت ٥٩٧هـ)، ت: مصطفى عبد الواحد، مراجعة محمد الغزالي.
- **رسالة الشفاء لأدواء الوباء للمولى عصام الدين طاش كبري زاده المتوفى سنة (٩٦٨هـ) طبعة حجرية**، مكتبة العرب لصاحبها يوسف توما البستاني بشارع الفجالة بمصر.
- **الرسالة القشيرية**، عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك القشيري، ت: الإمام الدكتور عبد الحليم محمود، الدكتور محمود بن الشريف، دار المعارف، القاهرة.
- **الرقة والبكاء**،أبو بكر عبد الله بن محمد بن عبيد بن سفيان بن قيس البغدادي الأموي القرشي المعروف بابن أبي الدنيا (ت ٢٨١هـ)، ت: محمد خير رمضان يوسف، دار ابن حزم، بيروت - لبنان، ط٣، ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م.
- **روضة الطالبين وعمدة المفتين**، أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي، ت: زهير الشاويش، المكتب الإسلامي، بيروت - دمشق - عمان، ط٣، ١٤١٢هـ - ١٩٩١م.
- **زبدة خلاصة التصوف**، أحمد بن غانم المقدسي الصوفي الواعظ الشاعر، المطبوع خطئًا للإمام العز بن عبد السلام، ت أحمد عبد الرحيم السايح، وتوفيق علي وهبة، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ط١، ١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م.
- **الزهد الكبير**، أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخسروجردي الخراساني، أبو بكر البيهقي (ت ٤٥٨هـ)، ت: عامر أحمد حيدر، مؤسسة الكتب الثقافية - بيروت، ط٣، ١٩٩٦م.
- **الزهد لابن أبي الدنيا**، أبو بكر عبد الله بن محمد بن عبيد بن سفيان بن قيس البغدادي الأموي القرشي المعروف بابن أبي الدنيا (ت ٢٨١هـ)، دار ابن كثير، دمشق، ط١، ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م.
- **الزهد لأبي داود السجستاني**، أبو داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق السجستاني (ت ٢٧٥هـ)، ت: أبو تميم ياسر بن ابراهيم بن محمد، أبو بلال غنيم بن عباس بن غنيم، دار المشكاة للنشر والتوزيع، حلوان، ط١، ١٤١٤هـ - ١٩٩٣م.
- **الزهد ويليه الرقائق**، عبد الله بن المبارك، ت: حبيب الرحمن الأعظمي، دار الكتب العلمية - بيروت.

ـ **الزهد**، أبو السري هناد بن السري بن مصعب بن أبي بكر التميمي الدارمي الكوفي، عبد الرحمن عبد الجبار الفريوائي، دار الخلفاء للكتاب الإسلامي ـ الكويت، ط١، ١٤٠٦هـ.

ـ **الزهد**، أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني، ت: عبد العلي عبد الحميد حامد، دار الريان، القاهرة، ط٢، ١٤٠٨هـ.

ـ **الزواجر عن اقتراف الكبائر**، أحمد بن محمد بن علي بن حجر الهيتمي السعدي الأنصاري، شهاب الدين شيخ الإسلام، أبو العباس (ت ٩٧٤هـ)، دار الفكر، ط١، ١٤٠٧هـ ـ ١٩٨٧م.

ـ **سبل الهدى والرشاد**، في سيرة خير العباد، وذكر فضائله وأعلام نبوته وأفعاله وأحواله في المبدأ والمعاد، محمد بن يوسف الصالحي الشامي، ت: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، الشيخ علي محمد معوض، دار الكتب العلمية بيروت ـ لبنان، ط١، ١٤١٤هـ ـ ١٩٩٣م.

ـ **السر الحقي الامتناني الواصل إلى ذاكر الراتب الكتاني**»، الشيخ محمد عبد الحي بن عبد الكبير الكتاني المتوفى (سنة ١٣٠٤هـ)، ت: أحمد فريد المزيدي، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت ـ لبنان، ٢٠٠٨م.

ـ **السراج المنير في الإعانة على معرفة بعض معاني كلام ربنا الحكيم الخبير**، شمس الدين، محمد بن أحمد الخطيب الشربيني الشافعي (ت ٩٧٧هـ)، مطبعة بولاق (الأميرية ـ القاهرة، ١٢٨٥هـ.

ـ **السلوك لمعرفة دول الملوك**، أحمد بن علي بن عبد القادر، أبو العباس الحسيني العبيدي، تقي الدين المقريزي (ت ٨٤٥هـ)، ت: محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، لبنان ـ بيروت، ط١، ١٤١٨هـ ـ ١٩٩٧م.

ـ **السنة**، أبو بكر أحمد بن محمد بن هارون بن يزيد الخلال البغدادي الحنبلي (ت ٣١١هـ)، ت: د. عطية الزهراني، دار الراية ـ الرياض، ط١، ١٤١٠هـ ـ ١٩٨٩م.

ـ **السنة**، أبو بكر بن أبي عاصم، أحمد بن عمرو بن الضحاك بن مخلد الشيباني، ت: محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، بيروت، ط١، ١٤٠٠هـ.

ـ **سنن ابن ماجه**، محمد بن يزيد القزويني، ت: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء الكتب العربية ـ القاهرة، ١٩٥٢م.

ـ **سنن أبي داود**، أبو داود سليمان بن الأشعث السجستاني، ت: عزت عبيد الدعاس، نشر محمد علي السيد، حمص، ١٣٨٩هـ.

- **سنن الترمذي**، محمد بن عيسى الترمذي، ت: أحمد محمد شاكر وآخرون، دار إحياء التراث العربي - بيروت.
- **سنن الدارقطني**، أبو الحسن علي بن عمر بن أحمد بن مهدي بن مسعود بن النعمان بن دينار البغدادي الدارقطني، ت: شعيب الارناؤوط، حسن عبد المنعم شلبي، عبد اللطيف حرز الله، أحمد برهوم، مؤسسة الرسالة، بيروت - لبنان، ط١، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٤م.
- **السنن الصغير للبيهقي**، أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخسروجردي الخراساني، أبو بكر البيهقي، ت: عبد المعطي أمين قلعجي، جامعة الدراسات الإسلامية، كراتشي - باكستان، ط١، ١٤١٠هـ - ١٩٨٩م.
- **السنن الكبرى**، أحمد بن الحسين البيهقي، ت: محمد عبد القادر عطا، مكتبة دار الباز - مكة المكرمة، ١٤١٤هـ.
- **السنن الكبرى**، أحمد بن شعيب النسائي، ت: د. عبد الغفار سليمان البنداري، سيد كسروي حسن، دار الكتب العلمية - بيروت، ط١، ١٤١١هـ.
- **سير أعلام النبلاء**، شمس الدين محمد بن أحمد الذهبي، ت: مجموعة محققين بإشراف شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة - بيروت، ط١١، ١٤١٧هـ.
- **شأن الدعاء**، أبو سليمان حمد بن محمد بن إبراهيم بن الخطاب البستي المعروف بالخطابي (ت ٣٨٨هـ)، ت: أحمد يوسف الدقاق، دار الثقافة العربية، ط١، ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م.
- **شذرات الذهب في أخبار من ذهب**، ابن العماد الحنبلي عبد الحي بن أحمد، ت: عبد القادر الأرناؤوط ومحمود الأرناؤوط، دار ابن كثير - دمشق، ط١، ١٤٠٦هـ.
- **شرح السنة**، محيي السنة، أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء البغوي الشافعي (ت ٥١٦هـ)، ت: شعيب الأرنؤوط - محمد زهير الشاويش، المكتب الإسلامي، دمشق، بيروت، ط٢ ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م.
- **شرح الصدور بشرح حال الموتى والقبور**، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي، ت: عبد المجيد طعمة حلبي، دار المعرفة - لبنان، ط١، ١٤١٧هـ - ١٩٩٦م.
- **شرح المنهج المنتخب إلى قواعد المذهب**، المنجور أحمد بن علي المنجور (ت ٩٩٥هـ)، دراسة وتحقيق: محمد الشيخ محمد الأمين، أطروحة دكتوراة (الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، شعبة الفقه)، الناشر: دار عبد الله الشنقيطي.

- **شرح ديوان المتنبي**، أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي النيسابوري الشافعي (ت ٤٦٨هـ)، ت: د ياسين الأيوبي، د قصي الحسين. دار الرائد العربي، بيروت ـ لبنان.

- **شرح مشكل الوسيط**،عثمان بن عبد الرحمن، أبو عمرو، تقي الدين المعروف بابن الصلاح (ت ٦٤٣هـ)، ت: د. عبد المنعم خليفة أحمد بلال، دار كنوز إشبيليا للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية، ط١، ١٤٣٢هـ ـ ٢٠١١م.

- **شعب الإيمان**، أحمد بن الحسين البيهقي، ت: محمد السعيد بسيوني زغلول، دار الكتب العلمية ـ بيروت، ط١، ١٤١٠هـ.

- **الشفا بتعريف حقوق المصطفى**، أبو الفضل القاضي عياض بن موسى اليحصبي، مع حاشية مزيل الخفاء عن ألفاظ الشفا، أحمد بن محمد بن محمد الشمني، دار الفكر، ١٤٠٩هـ ـ ١٩٨٨م.

- **الصحاح؛ تاج اللغة وصحاح العربية**، إسماعيل بن حماد الجوهري، دار العلم للملايين، بيروت، ط ٤، ١٩٩٠م.

- **صحيح ابن خزيمة**، أبو بكر محمد بن إسحاق بن خزيمة بن المغيرة بن صالح بن بكر السلمي النيسابوري، ت: د. محمد مصطفى الأعظمي، المكتب الإسلامي، ط ٣، ١٤٢٤هـ ـ ٢٠٠٣م.

- **صحيح البخاري**، المسمى: «الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله ﷺ وسننه وأيامه» الإمام الحافظ محمد بن إسماعيل البخاري، اعتنى به الدكتور محمد زهير الناصر، دار المنهاج، طوق النجاة، بيروت، ط٢، ١٤٢٩هـ ـ ٢٠٠٩م.

- **صحيح مسلم**، مسلم بن الحجاج القشيري، ت: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي ـ بيروت.

- **الصداقة والصديق**، أبو حيان التوحيدي، علي بن محمد بن العباس، ت: الدكتور إبراهيم الكيلاني، دار الفكر المعاصر ـ بيروت ـ لبنان، دار الفكر ـ دمشق ـ سورية، ط١، ١٤١٩هـ ـ ١٩٩٨م.

- **صفة الجنة**، أبو نعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق بن موسى بن مهران الأصبهاني (ت ٤٣٠هـ)، ت: علي رضا عبد الله، دار المأمون للتراث ـ دمشق ـ سوريا.

- **صفة الصفوة**، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي، ت: أحمد ابن علي، دار الحديث، القاهرة، مصر، ١٤٢١هـ ـ ٢٠٠٠م.

- **الصمت وآداب اللسان**، أبو بكر عبد الله بن محمد بن عبيد بن سفيان بن قيس البغدادي الأموي القرشي المعروف بابن أبي الدنيا، ت: أبو إسحاق الحويني، دار الكتاب العربي - بيروت، ط١، ١٤١٠هـ.
- **الضوء اللامع لأهل القرن التاسع**، شمس الدين أبو الخير محمد بن عبد الرحمن بن محمد ابن أبي بكر بن عثمان بن محمد السخاوي (ت ٩٠٢هـ)، منشورات دار مكتبة الحياة، لبنان - بيروت.
- **الطب النبوي**، أبو نعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق بن موسى بن مهران الأصبهاني، ت: مصطفى خضر دونمز التركي، ط١، دار ابن حزم، ٢٠٠٦م.
- **طبقات الشافعية الكبرى**، تاج الدين عبد الوهاب بن تقي الدين السبكي، ت: د محمود محمد الطناحي، ود.عبد الفتاح محمد الحلو، دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع، ط٢، ١٤١٣هـ.
- **طبقات الشافعية**، لابن قاضي شهبة أبي بكر بن أحمد بن محمد بن عمر بن قاضي شهبة، ت: د الحافظ عبد العليم خان، عالم الكتب، بيروت، ط١، ١٤٠٧هـ.
- **طبقات الصوفية**، محمد بن الحسين بن محمد بن موسى بن خالد بن سالم النيسابوري، أبو عبد الرحمن السلمي، ت: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية - بيروت، ط١،١٤١٩هـ - ١٩٩٨م.
- **الطبقات الكبرى**، أبو عبد الله محمد بن سعد بن منيع الهاشمي بالولاء، البصري، البغدادي المعروف بابن سعد، محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٠هـ - ١٩٩٠م.
- **الطبقات الكبرى**، محمد بن سعد، ت: إحسان عباس، دار صادر - بيروت، ط١، ١٩٦٨م.
- **طبقات المحدثين بأصبهان والواردين عليها**، أبو محمد عبد الله بن محمد بن جعفر بن حيان الأنصاري، المعروف بأبي الشيخ الأصبهاني، ت: عبد الغفور عبد الحق حسين البلوشي، مؤسسة الرسالة - بيروت، ط٢، ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م.
- **الظرائف واللطائف واليواقيت في بعض المواقيت**، عبد الملك بن محمد بن إسماعيل أبو منصور الثعالبي (ت ٤٢٩هـ)، جمعها الإمام أبو نصر المقدسي، ت: ناصر محمدي محمد جاد، الهيئة العامة لدار الكتب والوثائق القومية، مصر، سنة ٢٠٠٩م.

- **العقوبات**، أبو بكر عبد الله بن محمد بن عبيد بن سفيان بن قيس البغدادي الأموي القرشي المعروف بابن أبي الدنيا (ت ٢٨١هـ)، ت: محمد خير رمضان يوسف، دار ابن حزم، بيروت - لبنان، ط١، ١٤١٦هـ - ١٩٩٦م.
- **عمل اليوم والليلة سلوك النبي مع ربه عز وجل ومعاشرته مع العباد**، أحمد بن محمد بن إسحاق بن إبراهيم بن أسباط بن عبد الله بن إبراهيم بن بديح، الدينوري، المعروف بابن السني، ت: كوثر البرني، دار القبلة للثقافة الإسلامية ومؤسسة علوم القرآن، جدة.
- **غاية النهاية في طبقات القراء**، شمس الدين أبو الخير ابن الجزري، محمد بن محمد بن يوسف، ت: ٨٣٣هـ، عني بنشره لأول مرة عام ١٣٥١هـ ج. برجستراسر. مكتبة ابن تيمية.
- **غريب الحديث**، أبو سليمان حمد بن محمد بن إبراهيم بن الخطاب البستي المعروف بالخطابي (ت ٣٨٨هـ)، ت: عبد الكريم إبراهيم الغرباوي، وعبد القيوم عبد رب النبي، دار الفكر، دمشق، ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م.
- **فتاوى ابن الصلاح**، عثمان بن عبد الرحمن، أبو عمرو، تقي الدين المعروف بابن الصلاح، د.موفق عبد الله عبد القادر، مكتبة العلوم والحكم، عالم الكتب - بيروت، ط١، ١٤٠٧هـ.
- **فتاوى الإمام النووي المسماة «بالمسائل المنثورة»**، أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي (ت ٦٧٦هـ)، ترتيب: تلميذه الشيخ علاء الدين بن العطار، ت: محمد الحجار، دار البشائر الإسلامية للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت - لبنان، ط٦، ١٤١٧هـ - ١٩٩٦م.
- **فتاوى البغوي**، الإمام الحسين بن مسعود البغوي المتوفى سنة (٥١٦هـ) دراسة دكتوراة، يوسف بن سليمان القرزعي، الجامعة الإسلامية المدينة المنورة كلية الشريعة، ١٤٣٠هـ - ١٤٣١هـ.
- **الفتاوى الحديثية**، أحمد بن محمد بن علي بن حجر الهيتمي السعدي الأنصاري، شهاب الدين شيخ الإسلام، أبو العباس، دار الفكر، بيروت - لبنان.
- **فتاوى السبكي**، أبو الحسن تقي الدين علي بن عبد الكافي السبكي، دار المعارف.
- **الفتاوى الفقهية الكبرى**، أحمد بن محمد بن علي بن حجر الهيتمي السعدي الأنصاري، شهاب الدين شيخ الإسلام، جمعها: الشيخ عبد القادر بن أحمد بن علي الفاكهي المكي، المكتبة الإسلامية.
- **فتح الباري بشرح صحيح البخاري**، أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، تصحيح: محب الدين الخطيب، دار الريان للتراث، القاهرة، ط٢، ١٤٠٩هـ.

ـ **فتح القدير**،كمال الدين محمد بن عبد الواحد السيواسي المعروف بابن الهمام، دار الفكر.
ـ **الفتوحات الإلهية بتوضيح تفسير الجلالين للدقائق الخفية**، الإمام سليمان بن عمر العجيلي الشافعي المتوفى سنة (١٢٠٤هـ)، ت: إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت ـ لبنان ـ ط٢، ١٤٢٧هـ ـ ٢٠٠٦.
ـ **فضائل مكة والسكن فيها**، الحسن بن يسار البصري، أبو سعيد، ت: سامي مكي العاني، مكتبة الفلاح، الكويت، ط١، ١٤٠٠هـ ـ ١٩٨٠م.
ـ **فضيلة الشكر لله على نعمته**، أبو بكر محمد بن جعفر بن محمد بن سهل بن شاكر الخرائطي السامري، ت: محمد مطيع الحافظ، د. عبد الكريم اليافي، دار الفكر ـ دمشق، ط١، ١٤٠٢هـ.
ـ **فوائح الجمال وفواتح الجلال**، الشيخ نجم الدين كبرى المتوفى سنة (٦١٨هـ)، ت: د. يوسف زيدان، دار سعاد الصباح، ط١، ١٩٩٣م.
ـ **الفوائد (الغيلانيات)**، أبو بكر محمد بن عبد الله بن إبراهيم بن عبدويه البغدادي الشافعي البزاز (ت ٣٥٤هـ)، ت: حلمي كامل أسعد عبد الهادي، دار ابن الجوزي ـ السعودية ـ الرياض، ط١، ١٤١٧هـ ـ ١٩٩٧م.
ـ **فيض القدير شرح الجامع الصغير**، زين الدين محمد المدعو بعبد الرؤوف بن تاج العارفين ابن علي بن زين العابدين الحدادي ثم المناوي القاهري، المكتبة التجارية الكبرى ـ مصر، ط١، ١٣٥٦هـ.
ـ **القاموس المحيط**، مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزآبادي، ت: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة بإشراف محمد نعيم العرقسوسي، مؤسسة الرسالة ـ بيروت، ط٦، ١٤١٩هـ.
ـ **قصر الأمل**، أبو بكر عبد الله بن محمد بن عبيد بن سفيان بن قيس البغدادي الأموي القرشي، المعروف بابن أبي الدنيا، ت: محمد خير رمضان يوسف، دار ابن حزم، لبنان ـ بيروت، ط٢، ١٤١٧هـ ـ ١٩٩٧م.
ـ **قواعد الأحكام في مصالح الأنام**، أبو محمد عز الدين عبد العزيز بن عبد السلام بن أبي القاسم بن الحسن السلمي الدمشقي، ت: طه عبد الرؤوف سعد، مكتبة الكليات الأزهرية ـ القاهرة، مصورة دار الكتب العلمية ـ بيروت، ودار أم القرى ـ القاهرة، ١٤١٤هـ ـ ١٩٩١م.
ـ **قوت القلوب في معاملة المحبوب ووصف طريق المريد إلى مقام التوحيد**، محمد بن علي ابن عطية الحارثي، أبو طالب المكي، ت: د. عاصم إبراهيم الكيالي، دار الكتب العلمية ـ بيروت، لبنان، ط٢، ١٤٢٦هـ ـ ٢٠٠٥م.

- **قوت المغتذي على جامع الترمذي**، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي، ناصر ابن محمد بن حامد الغريبي، رسالة دكتوراة - جامعة أم القرى، مكة المكرمة - كلية الدعوة وأصول الدين، قسم الكتاب والسنة، ١٤٢٤هـ. لعلي بن الحسن بن علي بن أبي الطيب الباخرزي، أبو الحسن (ت ٤٦٧هـ).

- **القول البديع في الصلاة على الحبيب الشفيع**، شمس الدين أبو الخير محمد بن عبد الرحمن ابن محمد السخاوي (ت ٩٠٢هـ)، دار الريان للتراث.

- **الكامل في اللغة والأدب**، محمد بن يزيد المبرد، أبو العباس (ت ٢٨٥هـ)، ت: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر العربي - القاهرة، ط٣، ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م.

- **الكامل في ضعفاء الرجال**، أبو أحمد بن عدي الجرجاني، ت: يحيى مختار الغزاوي، دار الفكر، بيروت - لبنان، ط١، ١٤٠٩هـ - ١٩٨٨م.

- **كشف الأستار عن زوائد البزار**، نور الدين علي بن أبي بكر بن سليمان الهيثمي، حبيب الرحمن الأعظمي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.

- **الكشف والبيان عن تفسير القرآن**، أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي، أبو إسحاق، ت: الإمام أبي محمد بن عاشور، دار إحياء التراث العربي، بيروت - لبنان، ط١، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠٢م.

- **كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال**، علاء الدين علي بن حسام الدين ابن قاضي خان القادري الشاذلي الهندي البرهانفوري ثم المدني فالمكي الشهير بالمتقي الهندي، ت: بكري حياني، صفوة السقا، مؤسسة الرسالة، ط٥، ١٤٠١هـ - ١٩٨١م.

- **الكواكب الدرية في تراجم السادة الصوفية (الطبقات الكبرى)**، زين الدين محمد عبد الرؤوف المناوي المتوفى سنة (١٠٣١هـ)، ت: محمد أديب الجادر، ط١، ١٩٩٩م، دار صادر، بيروت لبنان.

- **لسان العرب**، محمد بن مكرم بن منظور، دار صادر، بيروت، ط١، ١٣٧٤هـ.

- **لسان الميزان**، أبو الفضل، أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني، ت: الشيخ عبد الفتاح أبو غدة، ط١، دار البشائر الإسلامية، ٢٠٠٢م.

- **اللمع**، لأبي نصر عبد الله بن علي السراج الطوسي المتوفى سنة (٣٧٨هـ)، ت: كامل مصطفى الهنداوي، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ١٤٢١هـ - ٢٠٠١م.

- **المتمنين**، أبو بكر عبد الله بن محمد بن عبيد بن سفيان بن قيس البغدادي الأموي القرشي، المعروف بابن أبي الدنيا، ت: محمد خير رمضان يوسف، دار ابن حزم، بيروت - لبنان، ط١، ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م.
- **المجالسة وجواهر العلم**، أبو بكر أحمد بن مروان الدينوري المالكي، دار ابن حزم، لبنان، بيروت، ط١، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م.
- **المجتبى من السنن (المعروف بسنن النسائي الصغرى)**، أحمد بن شعيب النسائي، ت: عبد الفتاح أبو غدة، مكتب المطبوعات الإسلامية - حلب، ط٢، ١٤٠٦هـ.
- **المجروحين من المحدثين والضعفاء والمتروكين**، محمد بن حبان بن أحمد بن حبان بن معاذ بن معبد، التميمي، أبو حاتم، الدارمي، البستي، ت:محمود إبراهيم زايد، دار الوعي - حلب، ط١، ١٣٩٦هـ.
- **المجمع المؤسس للمعجم المفهرس**، ابن حجر أحمد بن علي بن محمد الكناني العسقلاني، أبو الفضل، شهاب الدين، ت: يوسف عبد الرحمن المرعشلي، دار المعرفة، ١٤١٣هـ - ١٩٩٢م.
- **المجموع شرح المهذب «مع تكملة السبكي والمطيعي»**، الإمام أبو زكريا محيي الدين يحيى ابن شرف النووي، دار الفكر، بيروت لبنان.
- **محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء**، أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني، دار الأرقم بن أبي الأرقم، بيروت، ط١، ١٤٢٠هـ.
- **المحتضرين**، أبو بكر عبد الله بن محمد بن عبيد بن سفيان بن قيس البغدادي الأموي القرشي المعروف بابن أبي الدنيا (ت ٢٨١هـ)، ت: محمد خير رمضان يوسف، دار ابن حزم، بيروت - لبنان، ط١، ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م.
- **مختار الصحاح**، زين الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الحنفي الرازي، ت: يوسف الشيخ محمد، المكتبة العصرية - الدار النموذجية، بيروت - صيدا، ط٥، ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م.
- **مختصر المزني (مطبوع ملحقًا بالأم للشافعي)**، إسماعيل بن يحيى بن إسماعيل، أبو إبراهيم المزني، دار المعرفة - بيروت، ١٤١٠هـ - ١٩٩٠م.

- **مختصر قيام الليل وقيام رمضان وكتاب الوتر**، أبو عبد الله محمد بن نصر بن الحجاج المروزي، اختصرها: العلامة أحمد بن علي المقريزي، حديث أكادمي، فيصل آباد - باكستان، ط١، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م.

- **مختصر قيام الليل وقيام رمضان وكتاب الوتر**، أبو عبد الله محمد بن نصر بن الحجاج المروزي (ت ٢٩٤هـ)، اختصرها العلامة أحمد بن علي المقريزي، حديث أكادمي، فيصل آباد - باكستان، ط١، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م.

- **مداراة الناس**، أبو بكر عبد الله بن محمد بن عبيد بن سفيان بن قيس البغدادي الأموي القرشي المعروف بابن أبي الدنيا (ت ٢٨١هـ)، ت: محمد خير رمضان يوسف الناشر: دار ابن حزم، بيروت - لبنان، ط١، ١٤١٨هـ.

- **المستدرك على الصحيحين**، محمد بن عبد الله الحاكم النيسابوري، ت: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١١هـ.

- **المستصفى في علم الأصول**، أبو حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي (ت ٥٠٥هـ)، ت: محمد بن سليمان الأشقر، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ط١، ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م.

- **المستقصى في أمثال العرب**، أبو القاسم محمود بن عمر بن أحمد، الزمخشري جار الله، دار الكتب العلمية - بيروت، ط٢، ١٩٨٧م.

- **مسند ابن الجعد**، علي بن الجعد بن عبيد الجوهري البغدادي، ت: عامر أحمد حيدر، مؤسسة نادر، بيروت، ط١، ١٤١٠هـ - ١٩٩٠م.

- **مسند أبي داود الطيالسي**، سليمان بن داود بن الجارود، ت: د. محمد بن عبد المحسن التركي، دار هجر - مصر، ط١، ١٤١٩هـ.

- **مسند أبي عوانة**، أبو عوانة يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم النيسابوري الإسفراييني، ت: أيمن ابن عارف الدمشقي، دار المعرفة - بيروت، ط١، ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م.

- **مسند أبي يعلى**، أبو يعلى أحمد بن علي الموصلي، ت: حسين سليم أسد، دار المأمون للتراث - دمشق، ط١، ١٤٠٤هـ.

- **مسند إسحاق بن راهويه**، أبو يعقوب إسحاق بن إبراهيم بن مخلد بن إبراهيم الحنظلي المروزي، ت: د. عبد الغفور بن عبد الحق البلوشي، مكتبة الإيمان - المدينة المنورة، ط١، ١٤١٢هـ - ١٩٩١م.

- **مسند الإمام أحمد بن حنبل**، أحمد بن محمد بن حنبل، ت: شعيب الأرناؤوط وآخرين، مؤسسة الرسالة - بيروت، ط٢، ١٤٢٠هـ.
- **مسند الدارمي المعروف بـ (سنن الدارمي)**، أبو محمد عبد الله بن عبد الرحمن بن الفضل ابن بهرام بن عبد الصمد الدارمي، ت: فواز أحمد زمرلي، خالد السبع العلمي، دار الكتاب العربي، بيروت، ط١، ١٤٠٧هـ.
- **مسند الشهاب**، أبو عبد الله محمد بن سلامة بن جعفر بن علي بن حكمون القضاعي المصري، ت:حمدي بن عبد المجيد السلفي، مؤسسة الرسالة - بيروت، ط٢، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٦م.
- **المسند للشاشي**، أبو سعيد الهيثم بن كليب بن سريج بن معقل الشاشي البنكثي (ت ٣٣٥هـ)، ت: د. محفوظ الرحمن زين الله، مكتبة العلوم والحكم - المدينة المنورة، ط١، ١٤١٠هـ.
- **المشيخة البغدادية**، صدر الدين، أبو طاهر السّلفي أحمد بن محمد بن أحمد بن محمد ابن إبراهيم سلفه الأصبهاني (ت ٥٧٦هـ)، مخطوط نشر في برنامج جوامع الكلم المجاني التابع لموقع الشبكة الإسلامية ط١، ٢٠٠٤م.
- **مصنف ابن أبي شيبة**، أبو بكر عبد الله بن محمد بن أبي شيبة الكوفي، ت: كمال يوسف الحوت، مكتبة الرشد، الرياض، ط١، ١٤٠٩هـ.
- **مصنف عبد الرزاق الصنعاني**، أبو بكر عبد الرزاق بن همام الصنعاني، ت: حبيب الرحمن الأعظمي، المكتب الإسلامي، بيروت، ط٢، ١٤٠٣هـ.
- **المصنوع في معرفة الحديث الموضوع (الموضوعات الصغرى)**، علي بن سلطان محمد، أبو الحسن نور الدين الملا الهروي القاري، ت: عبد الفتاح أبو غدة، مؤسسة الرسالة - بيروت، ط٢، ١٣٩٨هـ.
- **المطالب العالية بزوائد المسانيد الثمانية**، أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني، رسائل علمية قدمت لجامعة الإمام محمد بن سعود، بإشراف د. سعد ابن ناصر بن عبد العزيز الشثري، دار العاصمة، دار الغيث، السعودية، ط١، ١٤١٩هـ.
- **المعجم الأوسط**، أبو القاسم سليمان بن أحمد الطبراني، ت: طارق بن عوض الله، عبد المحسن ابن إبراهيم الحسيني، دار الحرمين، القاهرة، ١٤١٥هـ.
- **المعجم الكبير**، سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي، أبو القاسم الطبراني، ت: حمدي بن عبد المجيد السلفي، مكتبة ابن تيمية - القاهرة، ط٢،

- **المعجم الكبير**، سليمان بن أحمد بن أيوب، أبي القاسم الطبراني، ت: حمدي بن عبد المجيد السلفي، مكتبة العلوم والحكم، الموصل، ط٢، ١٤٠٤هـ - ١٩٨٣م.
- **معرفة القراء الكبار على الطبقات والأعصار**، محمد بن أحمد الذهبي، ت: بشار عواد معروف، وآخرين، مؤسسة الرسالة - بيروت ط١، ١٤٠٤هـ.
- **معرفة أنواع علوم الحديث**، ويعرف بمقدمة ابن الصلاح، عثمان بن عبد الرحمن، أبو عمرو، تقي الدين المعروف بابن الصلاح (ت ٦٤٣هـ)، ت: د. نور الدين عتر، دار الفكر - سوريا، دار الفكر المعاصر - بيروت، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م.
- **مغني المحتاج إلى معرفة معاني ألفاظ المنهاج**، شمس الدين، محمد بن أحمد الخطيب الشربيني الشافعي، دار الكتب العلمية، ط١، ١٤١٥هـ - ١٩٩٤م.
- **المغني عن حمل الأسفار في الأسفار**، في تخريج ما في الإحياء من الأخبار، أبو الفضل زين الدين عبد الرحيم بن الحسين بن عبد الرحمن بن أبي بكر بن إبراهيم العراقي، ت: أشرف عبد المقصود، مكتبة طبرية، الرياض، ط١، ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م.
- **المغني**، أبو محمد موفق الدين عبد الله بن أحمد بن قدامة المقدسي، مكتبة القاهرة، ١٣٨٨هـ - ١٩٦٨م.
- **المقاصد الحسنة في بيان كثير من الأحاديث المشتهرة على الألسنة**، شمس الدين أبو الخير محمد بن عبد الرحمن بن محمد السخاوي، ت: محمد عثمان الخشت، دار الكتاب العربي - بيروت،ط١، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م.
- **مكارم الأخلاق ومعاليها ومحمود طرائقها**، أبو بكر محمد بن جعفر بن محمد بن سهل ابن شاكر الخرائطي السامري، ت: أيمن عبد الجابر البحيري، دار الآفاق العربية، القاهرة، ط١، ١٤١٩هـ - ١٩٩٩م.
- **مكارم الأخلاق**، أبو بكر عبد الله بن محمد بن عبيد بن سفيان بن قيس البغدادي الأموي القرشي المعروف بابن أبي الدنيا (ت ٢٨١هـ)، ت: مجدي السيد إبراهيم، مكتبة القرآن، القاهرة.
- **مناقب الشافعي للبيهقي**، أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقي (ت ٤٥٨هـ)، ت: السيد أحمد صقر، مكتبة دار التراث - القاهرة، ط١، ١٣٩٠هـ - ١٩٧٠م.
- **مناقب الشافعي**، أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقي (ت: ٤٥٨هـ)، ت: السيد أحمد صقر، مكتبة دار التراث - القاهرة، ط١، ١٣٩٠هـ - ١٩٧٠م.

- **المنتخب من كتاب الزهد والرقائق**، أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت بن أحمد بن مهدي الخطيب البغدادي (ت ٤٦٣هـ)، ت: د. عامر حسن صبري، دار البشائر الإسلامية، بيروت - لبنان، ط١، ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م.
- **المنتخب من مسند عبد بن حميد**، أبو محمد عبد الحميد بن حميد بن نصر الكشي، ت: صبحي البدري السامرائي، محمود محمد خليل الصعيدي، مكتبة السنة، القاهرة، ط١، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م.
- **منهاج الطالبين وعمدة المفتين في الفقه**، أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي (ت ٦٧٦هـ)، ت: عوض قاسم أحمد عوض، دار الفكر، ط١ - ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٥م.
- **منهاج العابدين إلى جنة رب العالمين**، الإمام حجة الإسلام محمد بن محمد الغزالي، ت: د. محمود مصطفى حلاوي، ط٢، دار البشائر، بيروت - لبنان، ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م.
- **المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج**، أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي، دار إحياء التراث العربي - بيروت، ط٢، ١٣٩٢هـ.
- **منهج النقد في علوم الحديث**، الدكتور نور الدين عتر رحمه الله، سورية، ط٣، ١٤٠١هـ- ١٩٨١م.
- **المنهل الصافي والمستوفى بعد الوافي**، يوسف بن تغري بردي بن عبد الله الظاهري الحنفي، أبو المحاسن، جمال الدين، ت: دكتور محمد محمد أمين، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة.
- **المهمات في شرح الروضة والرافعي**، جمال الدين عبد الرحيم الإسنوي (ت ٧٧٢هـ)، تحقيق: أبي الفضل الدمياطي، دار ابن حزم، بيروت لبنان، ط١، ١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م.
- **الموضوعات**، أبو الفرج ابن الجوزي، عبد الرحمن بن علي، ت: عبدالرحمن محمد عثمان، ط١، ١٣٨٦هـ.
- **موطأ الإمام مالك**، مالك بن أنس بن مالك بن عامر الأصبحي المدني، صححه ورقمه وخرج أحاديثه وعلق عليه: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت - لبنان، ١٤٠٦ هـ- ١٩٨٥م.
- **نتائج الأفكار القدسية**، الشيخ مصطفى العروسي، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ط١، ٢٠٠٧م.

- **النجم الوهاج في شرح المنهاج**، كمال الدين، محمد بن موسى بن عيسى بن علي الدميري أبو البقاء الشافعي (ت ٨٠٨هـ)، دار المنهاج (جدة)، لجنة علمية، ط١، ١٤٢٥هـ ـ ٢٠٠٤م.
- **النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة**، يوسف بن تغري بردي بن عبد الله الظاهري الحنفي، أبو المحاسن، جمال الدين (ت ٨٧٤هـ)، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، دار الكتب، مصر القاهرة.
- **نسمات الأسحار في مناقب وكرامات الأولياء الأخيار**، الإمام العلامة علي بن عطية المشهور بالشيخ علوان، المتوفى سنة (٩٦٣هـ)، ت: أحمد فريد المزيدي، ط١، بيروت ـ لبنان، دار الكتب العلمية ٢٠٠١م.
- **النشر في القراءات العشر**، شمس الدين أبو الخير ابن الجزري، محمد بن محمد بن يوسف (ت ٨٣٣هـ)، ت: علي محمد الضباع (ت ١٣٨٠هـ)، المطبعة التجارية الكبرى، تصوير دار الكتاب العلمية.
- **النكت الوفية بما في شرح الألفية**، برهان الدين إبراهيم بن عمر البقاعي، ت: ماهر ياسين الفحل، مكتبة الرشد ناشرون، ط١، ١٤٢٨هـ ـ ٢٠٠٧م.
- **نهاية المحتاج إلى شرح المنهاج**، شمس الدين محمد بن أبي العباس الرملي المصري المتوفى سنة (١٠٠٤هـ)، ط١، ١٤٢٦هـ ـ ٢٠٠٥م، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان.
- **النهاية في غريب الحديث والأثر**، أبو السعادات المبارك بن محمد الجزري، ت: طاهر أحمد الزاوي، ومحمود محمد الطناحي، المكتبة العلمية، بيروت، ١٣٩٩هـ.
- **نوادر الأصول في معرفة أحاديث الرسول ﷺ**، محمد بن علي بن الحسن بن بشر، أبو عبد الله الحكيم الترمذي (ت ٢٨٥هـ)، ت: توفيق محمود التكلة، ط١، دار النوادر، ١٤٣١ ـ ٢٠١٠، بيروت ـ لبنان.
- **نيل الأمل في ذيل الدول المؤلف**، زين الدين عبد الباسط بن أبي الصفاء غرس الدين خليل ابن شاهين الظاهريّ الملطيّ ثم القاهري الحنفيّ (ت ٩٢٠هـ)، ت عمر عبد السلام تدمري، المكتبة العصرية للطباعة والنشر، بيروت ـ لبنان، ط ١، ١٤٢٢هـ ـ ٢٠٠٢م.
- **هدية العارفين أسماء المؤلفين وآثار المصنفين**، إسماعيل بن محمد أمين بن مير سليم الباباني البغدادي، طبع بعناية وكالة المعارف الجليلة في مطبعتها البهية استانبول، تصوير دار إحياء التراث العربي بيروت ـ لبنان.

- **الوافي بالوفيات**، صلاح الدين خليل بن أيبك الصفدي، ت: أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى، دار إحياء التراث العربي - بيروت، ١٤٢٠هـ.

- **الورع**، أبو بكر عبد الله بن محمد بن عبيد بن سفيان بن قيس البغدادي الأموي القرشي المعروف بابن أبي الدنيا، ت: أبي عبد الله محمد بن حمد الحمود، الدار السلفية - الكويت، ط١، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م.

- **وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان**، شمس الدين أحمد بن محمد ابن خلكان، ت: إحسان عباس، دار صادر - بيروت، ط١، مختلفة التاريخ بحسب الأجزاء.

❊ ❊ ❊

فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة
بين يدي الكتاب	٧
منهج التحقيق والخدمة لهذا الكتاب	١١
توثيق نسبة الكتاب للمؤلف، وتسميته	١٣
صور عنوان الكتاب كما ورد في المخطوطات	١٩
سبب الاختصار والدافع إليه	٢٣
ميزة هذا الكتاب	٢٥
ترجمة المؤلف	٢٨
اسمه ونسبه	٢٨
ولادته ونشأته	٢٨
شيوخه وتلاميذه	٢٩
مصنفاته	٣٢
توليه مشيخة سعيد السعداء	٣٣
أخلاقه وصفاته	٣٤
ثناء العلماء والمترجمين عليه	٣٥
وفاته	٣٦
عزو العلماء والمؤلفين إلى هذا المختصر	٣٨
النّسخ الخطيّة المعتمدة ووصفها	٤٦
النسخة الأولى	٤٦
النسخة الثانية	٤٨
النسخة الثالثة	٤٩

الموضوع **الصفحة**

النسخة الرابعة ٥٠
النسخة الخامسة ٥١
النسخة السادسة ٥٣
النسخة السابعة ٥٥
صور المخطوطات المعتمدة في تحقيق هذا المختصر المبارك ٦١
مقدّمة المؤلّف ٨٣
تنبيهٌ: العمل أفضل من العلم به ٨٥
العوائق الأربعة ٨٦
أوّلها: الدّنيا ٨٦
العائق الثاني: الخلق ٨٦
العائق الثّالث: الشّيطان ٨٧
العائق الرابع: النّفس ٨٨
العوارض الشّاغلة عن عبادة الله تعالى ٩٠
العارض الأول: همّ الرّزق ٩٠
العارض الثاني: عوارض أخطارٍ جهلت عواقبها ٩١
العارض الثّالث: أنواع القضاء ٩١
العارض الرابع: الشّدائد ٩٢
بواعث الخوف والرّجاء ٩٢
القوادح لصيانة الأعمال من الشّوائب ٩٤
القادح الأول: عدم الإخلاص ٩٤
القادح الثّاني: العجب ٩٥
الرياء ٩٦
الترهيب والترغيب والخوف والرجاء ٩٩
خاتمة في الصّحبة معه تعالى ومع خلقه ١٠٠

الموضوع **الصفحة**

آداب العالم ١٠٠
آداب المتعلّم ١٠١
أدبه مع والديه ١٠١
آدابه مع العوام ١٠٢
أنواع الإخوان ١٠٢
فائدة ١٠٣
آداب الصحبة ١٠٣
آدابه مع المعارف ١٠٤
ثناء المؤلف على كتاب «الإحياء»، والسبب الداعي لاختصاره ١٠٥
ربع العبادات ١٠٧
باب فضل العلم ١٠٩
باب أصول الدّين ١١١
باب أصول الفقه ١١٥
باب حقيقة الفقه وفائدته ١١٧
باب حقيقة علم التّفسير ١١٨
باب حقيقة علم الحديث ١٢٠
فصلٌ في الاعتبار والمتابعة والشاهد، وأنواع الحديث ١٢٦
فروعٌ ١٣٠
باب في حقيقة علم اللّغة ١٣٥
باب في حقيقة علم النّحو ١٣٧
بابٌ في حقيقة علم الباطن ١٤٠
بابٌ فيما يتقيه المريد، والصفات التي يتصف به ١٤١
كتاب الطّهارة وأسرارها ١٤٤
فصلٌ في نواقض الطهارة، ومحرماته، والغسل والوضوء وأسرارهما ١٥٠

الموضوع | الصفحة

تنبيهٌ ١٦١
كتاب أسرار الصّلاة ١٦٣
فصلٌ في النوافل، والأذكار، والأوراد وأسرارها ١٧٨
خاتمةٌ ٢٠٤
كتاب أسرار الزّكاة ٢٠٦
كتاب أسرار الصّوم ٢١١
كتاب أسرار الحجّ ٢١٧
فصلٌ في آداب الحجّ ٢٢٣
ربع العادات ٢٢٩
كتاب آداب الأكل ٢٣١
كتاب النّكاح ٢٣٨
فصلٌ في الأضحية ٢٤٣
بابٌ في البيع وكسب الحلال ٢٤٥
باب الصّحبة والعزلة ٢٤٩
فصلٌ في آفات العزلة ٢٥٨
فصلٌ في فتوح الخلوة والسّير بالقلب ٢٥٩
فصلٌ في الاستغراق في الذكر ٢٦٢
فصلٌ في علامة النفس الأمارة ٢٦٢
فصلٌ في محبّة أنس الله تعالى بخلوته بنزول الذّكر إلى قلبه ٢٦٣
فصلٌ في الصحبة والأخوة ٢٦٦
بابٌ في آداب السفر ٢٧٢
باب الأمر بالمعروف والنّهي عن المنكر ٢٧٧
بابٌ من آدابه وأخلاقه ﷺ ٢٨١
خاتمةٌ ٢٨٨

الموضوع	الصفحة
ربع المهلكات	٢٩١
كتاب شرح عجائب القلب	٢٩٣
فصلٌ في القلوب وأنواعها وحجبها	٢٩٤
كتاب رياضة النّفس وتهذيب الخلق، وعلاج أمراض القلب	٢٩٧
فصلٌ في الصحة والمرض والعلاج	٢٩٨
فصلٌ في علامة المرض، وعافيته منه	٢٩٨
فصلٌ في تقديم رياضة القلب	٣٠٠
فصلٌ في تربية وتعليم الأولاد	٣٠٥
كتاب كسر شهوة بطنه ثمّ فرجه	٣٠٧
كتاب آفات لسانه	٣٠٩
كتاب ذمّ الغضب ونتائجه	٣٢٠
كتاب ذمّ الدّنيا	٣٢٦
كتاب ذمّ البخل وحبّ المال، وبيان فوائده وآفاته، والحرص والطّمع، ومدح القناعة	٣٢٧
فصلٌ في السخاء وذم البخل	٣٣١
فصلٌ في الإيثار	٣٣٥
فصلٌ في الفرق بين البخل والشح، والجود والسخاء	٣٣٦
كتاب ذمّ الجاه	٣٣٧
تنبيهٌ	٣٣٧
تنبيهٌ	٣٣٨
فصلٌ في كتمان العيوب، وعلاج مدحه وذمه	٣٣٩
فصلٌ في علاج الرياء	٣٤٢
فصلٌ من خاف غير الله عزّ وجلّ عزّ إخلاصه	٣٤٣
كتاب ذمّ الكبر	٣٤٥

الموضوع الصفحة

تنبيهٌ ٣٤٥
كتاب ذمّ الغرور ٣٤٩
فصلٌ في أصناف المغترين ٣٥٠
فصلٌ في صفات بعض المغترين، وعلاج الغرور ٣٥٢
تنبيهٌ ٣٥٣
ربع المنجيات ٣٥٥
كتاب التّوبة ٣٥٧
فصلٌ في الندم والتدارك ٣٦٥
فصلٌ في دواء التّوبة وعلاج الشّهوة ٣٦٧
كتاب الصّبر ٣٦٩
فصلٌ في درجات الصبر، والفرح في المصائب ٣٧٢
خاتمةٌ ٣٧٦
كتاب الشّكر ٣٧٧
تنبيهٌ ٣٨١
خاتمةٌ ٣٨١
كتاب الرّجاء والخوف ٣٨٢
خاتمةٌ ٣٨٩
كتاب الزّهد والفقر ٣٩٠
تنبيهٌ ٣٩٣
فصلٌ في كمال الزهد، وعلاماته ٣٩٣
كتاب التّوكّل ٣٩٦
تنبيهٌ ٣٩٧
خاتمةٌ ٤٠٠
كتاب المحبّة لله تعالى ولرسوله ﷺ ٤٠١

الموضوع **الصفحة**

باب النّيّة.. ٤١١
قاعدةٌ ٤١٢
فصلٌ في الإخلاص.. ٤١٥
فصلٌ في الصّدق.. ٤١٦
كتاب المحاسبة.. ٤١٩
كتاب التّفكّر ٤٢٥
باب ذكر الموت ٤٢٩
فصلٌ في الموت، وحسن الخاتمة، نسأل الله حسنها.. ٤٣٢
ومن علامات حسن الخاتمة ٤٣٥
فصلٌ في الاحتضار، والغسل، والصّلاة، والتلقين، والتعزية، والزيارة ... ٤٣٨
فصلٌ في سكرات الموت، وما يتبعها من المغيّباتِ في البرزخ ٤٤٦
تنبيهٌ.. ٤٦٠
تنبيهٌ.. ٤٦٢
تنبيهٌ.. ٤٦٣
خاتمة الكتاب بذكر رحمة الملك الوهاب للرجاء.. ٤٦٦
فهرس المصادر والمراجع ٤٧٣
فهرس الموضوعات ٤٩٥

❊ ❊ ❊